

الكَشْفُ وَالْبَيَانُ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

المعروف بـ

تَفْسِيرِ التَّعْلِي

للإمام العالم العلامة أبي إسحاق أحمد بن محمد بن عبد بن إبراهيم التعلبي

المتوفى ٤٢٢ هـ

تمت به

الشيخ سيد كسروي حسن

المجلد الأول

المستوفى:

مبدأ أول سورة الفاتحة - إلى آخر سورة البقرة

مقدمة المصنف

كتاب الكشف والبيان للإمام الهمام أستاذ الأساتذة أبي إسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي . وهذه النسخة الشريفة فى غاية الصحة ، والإمام المذكور علم فى اللغات والأدبيات والسمعيات والتصوف حتى إنّه (قدس سره) كان معاصراً للسلمى صاحب الطبقات وأخذ عنه التصوف والحديث ؛ لأنّه (قدس سره) كان من كبار المحدثين ، كما أنّه من كبار الصوفيّة . وأنا الفقير إلى الله الغنى عبد الله بن عثمان بن موسى المعروف بمسنجر زاده ناله الحسنى وزاده بمنه وكرمه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ أَعْيُنٍ وَتَمَّ

قال الأستاذ الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (رضى الله عنه) : بحمد الله يفتح الكلام ، ويتوفيقه يُستنجز المطلب والمرام ، ونسأله أن يصلّى على محمد خير الأنام ، وعلى آله الكرام وأصحابه نجم الظلام (بحق) الملك السلام .
أما بعد :

فإنّ الله عزّ وجلّ أكرمنا بكرم كتابه وأنعم علينا بعظيم (مطلبه) فى القرآن ، وجعله مهيمناً على الكتب والأديان ، أمر فيه بالحكمة وزجر وأعذر الحجّة وأنذر . ثم لم يرض منا (نسخه) ولا إقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا تلاوته وقراءته دون تدبّر آياته والتفكر فى بيناته ، وتعلّم حقائقه ومعانيه ، وتفهم دقائقه ومبانيه فقيض له رجالاً موفقين حتى صنّفوا فيه المصنّفات ، وجمعوا علومه المتفرّعات .

وإنى مذ فارقت المهدي إلى أن بلغت الأشدّ اختلفت إلى ثقات الناس ، واجتهدت فى الاقتباس من هذا العلم الذى من الدين أساس والعلوم الشرعية الراس . . . (١) الظلام بالضياء

(١) بياض بالأصل المخطوط .

والصباح . . . العزم . . . (١) حتى رزقني الله تعالى - وله الحمد - من ذلك ما عرفت به الحق من الباطل، والمفضول من الفاضل، والصحيح من السقيم، والحديث من القديم، والبدعة من السنة، والحجة من الشبهة. فألفت المصنّفين في هذا الباب فرقاً على طرق: فرقة منهم أهل البدع والأهواء وفرقة المسالك والآراء مثل البلخي والجبائي والأصفهاني والرماني، وقد أمرنا بجانبتهم وترك مخالطتهم، ونهينا عن الاقتداء بأقوالهم وأفعالهم فاخترنا ممن تأخذون دينكم، وفرقة ألقوا وقد أحسنوا غير أنهم خلطوا بأبطل المبتدعين بأقويل السلف الصالحين كما جمع بين . . . (١) لاسفدوانية مثل أبي بكر القفال وأبي حامد المقرئ. وهما من الفقهاء الكبار، والعلماء الخيار، ولكن لم يكن التفسير حرفتهم، ولا علم التأويل صنعتهم؛ ولكل عمل رجال، ولكل مقام مقال.

وفرقة اقتصروا على الرواة والنقل دون الدراية والتقد مثل الشيخين أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الأتماطي. وبياع الدواء محتاج إلى الأطباء.

وفرقة حرّموا الإسناد الذي هو الركن والعماد، وتملكوا الصحف والدفاتر وجهدوا على ما هو بين الخواطر، وذكروا الغث والسمين، والركيك والمتين، وليسوا في عداد العلماء فصنت الكتاب عن فكرهم، والقراءة والعلم سنة يأخذها الأصاغر عن الأكبر، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

وفرقة حازوا قصب السبق في عمدة التصنيف والحدق، غير أنهم طولوا كتبهم بالمعادن، وكثرة الطرق والروايات، وحشوها بما منه بدّ، فقطعوا عنها طمع المسترشد مثل الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وشيخنا أبي محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني. وازدحام العلوم مضلة للفهوم.

وفرقة جرّدوا التفسير دون الأحكام، وبيان الحلال من الحرام، والحل عن الغوامض والمشكلات، والرد على أهل الزيغ والشبهات كمشايع السلف الصالحين، والعلماء القدماء من التابعين وأتباعهم مثل مجاهد ومقاتل، والكلبي والسدي، ولكل من أهل الحق فيه غرض محمود وسعى مشكور.

فلما لم أعثر في هذا الشأن على كتاب جامع مهذب يُعتمد في علم القرآن عليه . . . (١)، ورأيت رغبة الناس عن هذا العلم ظاهرة، وهمهم عن البحث فيه قاصرة، وطباعهم عن (١) بياض بالأصل المخطوط.

النظر في البسائط نافرة، وانضاف إلى ذلك سؤال قوم من المبرزين، والعلماء المحصلين، والرؤساء المحشمين، أردت إسعافهم . . . بهم ورعاية معرفتهم فصرنا إلى الله عز وجل . . . لبعض موجبات شكره، فإن شكر العلم نشره، وزكاته إنفاقه (ف) استخرت الله تعالى في تصنيف كتاب شامل كامل، مهذب ملخص، مفهوم منظوم، مستخرج من (نيف و) مائة كتاب مجربات مسموعات، سوى ما التقطته من التطبيقات، والأجزاء المتفرقات وتلقفته عن أقوام من المشايخ، وهم قريب من ثلاثمائة مستمع فسقته بأبلغ ما صرت عليه من . . . (١) والترتيب، وسعة الإثبات بغاية التنسيق والترتيب وسيبقى لكل مؤلف كتاباً في فن قد سبق إليه أن لا يعدم كتابة بعض الخلال التي أنا ذاكرها؛ إماً استنباط شيء إن كان مفضلاً أو جمعه إن كان متفرقاً، أو شرحه إن كان غامضاً، أو حسن نظم تأليفه، أو إسقاط شيء وتطويل . وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرتها والله الموفق لما نويت وقصدت .

وخرجت الكلام فيه على أربعة وعشرين نحواً: البسائط، والمقدمات، والعدد، والترتيلات، والقصص، والروايات، والوجوه والقراءات، والعلل، والاحتجاجات، والعربية، واللغات، والإعراب، والموازنات، والتفسير، والتأويلات والمعاني، والجهات، والغوامض، والمشكلات، والأحكام، والفقهيات، والإشارات، والفضائل، والكرامات، والأخبار والمتعلقات أدرجتها في أثناء الكتاب، بحذف الأبواب، وسميته «كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، والله المستعان، وعليه التكلان . وهذه أسماء الكتب التي عليها مباني كتابنا هذا أذكرها لئلاً نحتاج إلى تكرار الأسانيد وبالله التوفيق .

❖ تفسير ابن عباس:

التفسيران المنصوصان عن ابن عباس (رضى الله عنه) وهو الجفر والنقاب، والإمام والقدوة في علم الكتاب، وهو ترجمان القرآن، وحبر هذه الأمة وربانيهم (وقد دعا (له) رسول الله ﷺ، فقال: «اللهم علمه التأويل، وفقهه في الدين» .

فأجاب الله تعالى فيه دعاءه حتى صار علماً في العلم (رضى الله عنه) .

. . . (١) أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الطيب، وأبو محمد عبد الله بن حامد، وأبو القاسم

الحسن بن محمد قالوا: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي قال: حدثنا

(١) يياض بالأصل المخطوط .

عثمان بن سعيد الدارمي قال: حدثنا عبد الله بن صالح حدثه عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس (رضي الله عنه) . . .

أخبرنا الإمام أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بقراءته عليّ قال: حدثنا عبد الله بن محمد الثقفي قال: حدثنا أبو جعفر المزني قال: حدثنا محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفى، قال: حدثنا عمى الحسين بن الحسن بن عطية العوفى الكوفى عن ابن عباس (رضي الله عنه).

وأخبرنا محمد بن نعيم إجازة قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن كامل ببغداد، قال: حدثنا محمد بن سعد العوفى، قال: حدثني عمى، قال: حدثني أبي عن الحسن بن عطية عن ابن عباس (رضي الله عنه).

أخبرنا ابن فنجويه بقراءته عليه فى دارى سنة ثمان وأربعمائة قال: أخبرنا أبو القاسم سليمان بن محمد بن أحمد الطبرانى قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد قال: حدثنا عبد العزيز بن سعيد البرقى عن أبي محمد موسى بن عبد الرحمن الصنعانى عن عبد الملك بن جريج بن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

وعن موسى بن عبد الرحمن عن مقاتل بن سليمان عن الضحّاك عن ابن عباس (رضي الله عنه).

❖ تفسير عكرمة:

حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين النيسابورى لفظاً قال: حدثنا أحمد بن محمد ابن إبراهيم الصريمى المروزى قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن جعفر الصيرفى قال: حدثنا أبو داود سليمان بن معبد المنجى قال: حدثني على بن الحسين بن وافد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنه).

طريق محمد بن الفضل: حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن أيوب، قال: حدثنا الحسن بن على بن زياد قال: حدثنا عبيد بن يعيش عن محمد بن الفضيل عن محمد بن السائب الكلبى عن أبي صالح المؤذن مولى أم هانئ عن ابن عباس (رضي الله عنه).

وحدثنا أبو القاسم الحسين قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب البوشنجى قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن معاذ المروزى، قال: حدثنا على بن الحسن بن عيسى عن محمد بن فضيل عن الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس (رضي الله عنه).

طريق يوسف بن بلال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن أحمد الشعبي المقرئ بقراءتى عليه قال: أخبرنا أبو الحسن بن محمد الوراق سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة قال: أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد اللباد.

إسناد آخر: وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد قال: أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن الحسين المعلم قال: حدثنا أحمد بن محمد القصّار.

وحدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر قال: أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن هارون قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن اللباد قال: حدثنا يوسف بن بلال السعدي قال: حدثنا محمد بن مروان بن السدي عن محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس (رضى الله عنه).

طريق الحسن: حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر المفسر لفظاً: حدثنا أبو سعيد نافع ابن محمد بن نافع بمرورود، حدثنا محمد بن عمران، حدثنا محمد بن المغيرة عن عمّار ابن عبد الجبار عن حيّان بن علىّ العبدي عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس (رضى الله عنه).

❖ تفسير الكلبى:

أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهاني بقراءتى عليه قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان البلخى، حدثنا حيويه بن محمد حدثنا صالح بن محمد النهدي من أوّل القرآن إلى سورة المجادلة: ﴿الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ (المجادلة: ٨)، ومنها إلى آخر القرآن.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علىّ البلخى قال: حدثنا القاسم ابن عبّاد قال: حدثنا صالح بن محمد بإسناده سواء عن محمد بن هارون عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس (رضى الله عنه).

حدثنا وأخبرنا على بن محمد بن سعيد الخطيب كتابة قال: حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسين السرخسى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، حدثنا أبو بكر محمد بن علىّ المفسر المروزي، حدثنا صالح بن محمد النهدي، وقد زاد فيه صالح أربعة آلاف حديث.

❖ تفسير مجاهد:

طريق ابن أبى نجيح: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن طه، حدثنا عبد الله بن زكريا، حدثنا سعيد بن يحيى بن سعد

الأموي، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي عن أبي نجيح عن مجاهد.

قال: وحدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر لفظاً: حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد ابن عبد الله العنبري: حدثنا محمد بن عبد السلام الوراق: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي عن ورقاء بن أبي نجيح عن مجاهد.

طريق ابن جريج: أخبرنا القاسم بن أبي بكر المكتب، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البغدادي، حدثنا المأمون بن أحمد، حدثنا عبد الله بن الرماح عن الحجّاج بن محمد الجزري عن ابن جريج عن مجاهد.

طريق ليث: حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، حدثنا أبو جعفر محمد بن سليمان ابن منصور.

نا جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ، نا محمد بن حميد، نا جرير عن ليث عن مجاهد المكي... (١).

طريق جوير - وهو الكتاب الكبير المبسوط -: أخبرنا الإمام أبو القاسم الحسن بن محمد ابن جعفر قراءة، أنا أبو بكر جعفر بن محمد الزعفراني، نا إبراهيم بن عبد المؤمن عن محمد بن أبان بن علي بن أبان عن عبد الرحمن بن جابر ويحيى بن آدم الأحول عن نصر بن مساور بن أخى مصلح عن جوير عن الضحاك بن مزاحم الهلالي.

طريق ابن الحكم: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهاني قال: وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجوزقي قال: نا عبد الله بن محمد بن الحسين الشريفي، نا أبو الأزهرى، نا وهب بن جرير حدثني شعبة قال: قرأ عليّ بن الحكم عن الضحاك.

طريق عبيد: حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد السدوسي لفظاً، نا أبو عمر أحمد بن محمد، بسرخس، نا جعفر بن محمد بن سوار، نا أحمد بن جميل المروزي، نا أبو معاذ عن عبيد بن سليمان الباهلي عن الضحاك.

طريق أبي روق: نا الحسن بن محمد بن جعفر، نا أبو موسى عمران بن موسى بن الحسين، أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق المهرجاني، نا يوسف... (١)، أنا عمرو بن طلحة القناد عن أبيه عن أبي روق عن الضحاك.

طريق عطاء بن أبي رباح قال: نا أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري بقراءته عليه، أنا أبو عبد الله أحمد بن ياسين الجراح الطبري، وأبو الفرج أحمد بن محمد بن سنان النهاوندي

(١) بياض بالأصل المخطوط.

قالا: أخبرنا بكر بن سهل بن إسماعيل الدمياطي، نا عبد الغنى بن سعيد الثقفى عن أبى محمد موسى ابن عبد الرّحمن الصنعانى عن ابن جريج عن عطاء عن السدى.

❖ تفسير عطاء الخراسانى:

نا الحسين بن محمد بن الحسن، نا أبو الحسن محمد بن الحسين بن نجد البغوى، نا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدى ببخارى، نا العباس بن الوليد بن مزيد البيرونى، نا محمد بن شعيب بن سابور، أخبرنى عطاء بن أبى مسلم الخراسانى.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضببى فيما أجاز لى روايته عنه، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الله البغدادى، أخبرنا يحيى بن عثمان بن صالح عن يحيى بن بكر عن عبد الله ابن لهيعة عن عطاء بن دينار.

❖ تفسير الحسن بن أبى الحسن:

نا أبو القاسم الحسن بن محمد بن عبد الله المكتّب، نا أبى، نا أبو الحسن بن أحمد بن الصلت المعروف بابن شنبود المقرى، نا سعيد بن محمد، نا السهل بن واصل عن أبى صالح عن محمد بن عبيد عن الحسن بن أبى الحسن البصرى.

طريق خارجة: أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن، نا أبى، حدثنا إبراهيم بن علىّ الذهلى، نا أبو خالد عن أبى صالح الإشكرى عن أبى الحجاج خارجة بن مصعب السرخسى عن سعيد بن عروبة عن قتادة بن دعامة السدوسى، وأخبرنا أبو الحسن على بن أبى عبيد السرخسى الخطيب فيما كتب إلى بخط يده: عبد الله بن محمد بن همام، نا أبو جعفر أحمد بن محمد بن هاشم المروزى، نا المغيث بن بديل ابن أخت خارجة وختنه على ابنته، نا خارجة بن مصعب، أنا سعيد بن عروبة عن قتادة، وزاد فيه خارجة: جهته مقدار ألف حديث.

طريق شيبان: أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهانى بقراءتى عليه: أخبرنا أبو على حامد بن محمد الهروى: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن محمد بن ميمون الحرى، أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد المروزى، نا شيبان بن عبد الرّحمن النحوى عن قتادة.

طريق معمر: نا أبو القاسم الحبيبى، أخبرنا أبو زكريا العنبرى، نا جعفر بن محمد بن سواد ابن محمد بن نافع عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

❖ تفسير أبي العالية والربيع:

نا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر، نا أبو عمرو أحمد بن محمد بن أبي منصور (السرخسى) بسرخس، نا أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مزين، نا أبو علي الحسن بن محمد بن موسى الأزدي عن عمار بن الحسن بن بشير الهمداني عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أنس عن أبي العالية الرياحي، أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، أخبرنا محمد بن جعفر السختياني، نا أبو العباس أحمد بن جعفر بن نصر الرازي، نا أحمد بن عبد الرحمن، نا عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه.

❖ تفسير القرظي:

نا الحسن بن محمد بن حبيب، نا أبو العباس محمد بن الحسن الهروي، نا رجاء بن عبد الله أخبرنا مالك بن سليمان الهروي عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي.

❖ تفسير مقاتل بن حيان:

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان بقراءتي عليه، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال: نا أحمد بن محمد بن عبدوس، نا إسماعيل بن قتيبة، وأبو خالد يزيد بن صالح الفراء نا بكر ابن معروف البلخي الأزدي: نا أبو معاذ عن مقاتل بن حيان.

وحدثنا أبو الحسن محمد بن جعفر لفظاً، نا علي بن محمد بن أحمد بن دلويه، نا أحمد ابن محمد بن يحيى الدهان، نا محمد بن يزيد السلمى، نا حماد بن قيراط، وإبراهيم بن سليمان، وعمرو بن عبد الله بن رزين عن بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان.

❖ تفسير مقاتل بن سليمان:

أخبرنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المهرجاني، أخبرنا أبو محمد عبد الخالق بن محمد بن الحسين الثقفى المعروف بابن أبي رويه من كتابه، نا عبد الله بن ثابت ابن يعقوب المقرئ أبو محمد، نا أبي، نا الهذيل بن حبيب أبو صالح بن بديل عن مقاتل بن سليمان عن ثلاثين رجلاً منهم اثنان من التابعين.

طريق الثعلبي: أخبرنا أبو القاسم الجيلي، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن المأمون، نا أبو ياسين عمّار بن عبد المجيد . . . (١): نا إسحاق بن إبراهيم الثعلبي عن مقاتل بن سليمان.

طريق أبي عصمة: نا أبو القاسم الحبيبي، نا عبد الله بن أحمد بن الصديق، أخبرنا ابن أبي رويه، نا أحمد بن جميل عن علي بن الحسين بن واقد عن أبي عصمة عن مقاتل بن سليمان.

(١) يابض بالأصل المخطوط.

طريق السديّ: أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن المفسّر حدثنا أبو محمد عبد الله بن المبارك الشجري، أنا أحمد بن محمد بن نصر اللّباد، نا عمرو بن طلحة القنّاد عن أسباط عن السدي عن مقاتل.

أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ فيما أجاز لي لفظاً وخطاً: أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن العبّاس الخطيب حدثنا ابن هلال، نا على بن الحسن بن شفيق عن الحسين بن واقد.

❖ تفسير ابن جريج:

أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ إجازة، أخبرنا محمد بن خلف الصنعاني، نا على بن محمد المبارك الصنعاني، نا زيد بن المبارك الصنعاني عن محمد بن ثور الصنعاني عن ابن جريج.

❖ تفسير سفيان:

أخبرنا محمد بن حمويه فيما أذن لي عنه، نا أبو بكر الشافعي، نا إسحاق بن الحسن الحرّبي عن أبي حذيفة عن سفيان الثوري.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قراءة عليه، أخبرنا محمد بن على الطوسي أبو الحسن، نا أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديلي، نا أبو عبد الله سعد بن عبد الرّحمن الخزومي، نا سفيان ابن عيينة.

❖ تفسير وكيع:

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد بقراءتي عليه، أخبرنا يحيى بن محمد بن عبد الله بن العنبري نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يزيد بن خالد المروزي، نا أبو يعقوب يوسف بن عيسى المروزي مولى بنى زهرة، نا وكيع بن الجراح.

❖ تفسير هشام بن بشير:

أخبرنا محمد بن نعيم إجازة، أخبرنا محمد بن بطّة، نا عبد الله بن أحمد بن أسيد الأصفهاني، نا زناد بن أيوب عن هشام بن بشير.

❖ تفسير شبل:

أخبرنا محمد بن نعيم إجازة، أخبرنا أبو سعد...^(١) بن مصعب الثقفي، نا الحسن بن المثني، حدثنا أبو حذيفة عن شبل بن عباد المكي.

(١) بياض بالأصل المخطوط.

❖ تفسير ورقاء:

أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبيّ، أخبرنا . . . (١) أبو القاسم بن أحمد بهمدان، أخبرنا إبراهيم بن الهيثم البلوي، نا آدم بن أبي إياس عن ورقاء بن عمر.

❖ تفسير زيد بن أسلم:

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن قراءة أخبرنا أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن سخبرة أنّ محمد بن جرير الطبريّ حدّثهم: نا يونس بن عبد الأعلى الصدفيّ، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرنا عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

❖ تفسير روح بن عباد:

أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمد بن شعيب البيهقيّ، وأبو محمد عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهانيّ بقراءة عليّ، حدّثنا أبو حاتم مكّيّ بن عبدان بن محمد التميمي، نا أبو الأزهرى الأزهر بن منيع العبدى، نا روح بن عباد العنسى. وأخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن على بن زياد السمرى، أخبرنا أحمد بن محمد ابن الحسن الشرقى، نا أبو الأزهر روح بن عباد.

❖ تفسير الفراتي:

أخبرنا أبو الحسن عبد الرّحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سختويه النيسابورى وعبد الله بن حامد بن محمد بقراءة عليهما قالا: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسن ابن الخليل القطان، نا أحمد بن يوسف السلمى حمدان، نا محمد بن يوسف الفراتي.

❖ تفسير قبيصة:

أخبرنا أبو عمرو سعيد بن عبد الله بن سعد بن إسماعيل الحيرى، وأبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهانيّ قراءة عليهما قالا: أخبرنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصرى: نا أبو أحمد محمد بن عبد الوهّاب العبدى، نا أبو عامر قبيصة بن عقبة الكوفى.

❖ تفسير سعيد بن منصور:

أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن عبد الله المزنى، نا أحمد بن نجدة بن العريان، حدّثنا سعيد بن منصور.

❖ تفسير النهدي:

أخبرنا أبو محمّد عبد الله بن حامد الوزان بقراءة عليّ في داره، أخبرنا محمد بن جعفر

(١) يباض بالأصل المخطوط.

ابن مضر: أخبرنا جعفر بن محمد بن الليث أبو عبد الله الزيادي الجوهري بالبصرة، نا أبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي.

❖ تفسير ابن وهب:

أخبرنا محمد بن نعيم إجازة، أخبرنا محمد بن عبيد، نا عبد الله بن مسلم، أخبرنا يونس ابن عبد الأعلى عن عبد الله بن وهب القرشي.

❖ تفسير عبد الحميد:

أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن خالد بن الحسن، حدثنا داود بن سليمان، نا عبد الحميد بن حميد إلى سورة (المطففين)، ومنها إلى آخر القرآن، قال: أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو أحمد بن عبد الله بن يوسف، حدثنا عمر بن محمد بن نجير، نا عبد الحميد ابن حميد الكشي.

❖ تفسير محمد بن أيوب:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إجازة، أخبرنا أبو عبد الله الخازن، نا محمد بن أيوب الرازي.

❖ تفسير ابن كيسان:

نا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري لفظاً، أخبرنا أبو سهل محمد بن محمد بن الأشعث الطالقاني الأتقاني، حدثنا عبيد الله بن محمد القاضي، حدثنا الفضل بن عباس بن مهران عن علي بن مسلم الطوسي قال: قرأت على أصحاب عبد الرحمن بن كيسان أبي بكر الأهم، ثم عد تفسيره بالتمام.

❖ تفسير أبي حمزة الثمالي:

نا أبو أحمد محمد بن أحمد بن شاذان الرازي بقراءتي عليه في مرو سنتي ثمان وتسع وثمانين وثلاثمائة فأقرأنيته قال: أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، حدثنا أبو سعيد عبد الله بن سعيد الكندي الأشج، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الثقفي بعض الكتاب بقراءتي عليه، فأجاز لي بالباقي لفظاً وخطاً، حدثنا محمد بن خلف بن حيّان ببغداد، حدثنا إسحاق بن محمد، حدثني أبي، حدثنا إبراهيم بن عيسى، حدثنا علي بن خلى عن أبي حمزة الثمالي.

❖ تفسير المسيب:

قرأت على الحسين بن محمد بن الحسن بن عبد الله الدينوري بعض الكتاب وأجاز لي بالباقي لفظاً وخطاً، حدثنا محمد بن علي بن حريز، حدثنا الحسين بن علوية القطان، حدثنا

إسماعيل بن عيسى حدثنا المسيب بن شريك .

مصنفات (علماء) العصر:

❖ تفسير عبد الله بن حامد:

قرأته عليه ، تفسير أبي بكر بن فورك : أملاه علينا إلى رأس خمسين آية من سورة البقرة في ثلاثة وأربعين جزءاً ما حزم دونه (رحمه الله) .

❖ تفسير أبي عمرو القرّاتي الملقّب بالبستاني:

أجاز لي بجميعة لفظاً وخطاً .

❖ تفسير أبي بكر ابن فورك:

أملى علينا صدرًا (١) من أوله إلى آخره ثم استأنف ولحق واقتصر على الأسئلة والأجوبة حتى فرغ منه .

❖ تفسير أبي القاسم بن حبيب:

سمعتة غير مرة .

❖ تفسير جبريل:

قرأته كلّه على مصنفه .

تفسير النبي ﷺ:

سمعت بعضه من مصنفه وأجاز لي بالباقي ، (١) قرأته كلّه على مصنفه ، صنّفها جميعاً أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه (الصيدلاني) .

❖ كتاب ابن المبارك:

أخبرنا أبو حنيفة القزويني : أخبرنا أبو بكر محمد بن يعقوب الإستانوي ، عن أبي محمد عبد الله بن المبارك الدينوري .

❖ حقائق التفسير على لسان أهل الإمارة:

قرأته كلّه على مصنفه أبي عبد الرّحمن محمد بن الحسن السلمي فأقرّ لي به .

❖ كتاب عروة:

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد بن علي ، أخبرنا أبو يحيى عمّار بن محمد بن مسعود ، أخبرنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن الخليل ، أخبرنا محمد بن هانئ ، حدثنا الحسين بن معين ، حدثنا الهذيل عن مقاتل بن سليمان بكتاب الوجوه ، وأخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله

(١) بياض بالأصل المخطوط .

ابن حامد الأصفهاني بقراءة تى عليه فى مجلس واحد، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الحنبلى البغدادي، حدثنا أبو يعلى محمد بن أحمد بن عبد الله بن مروان الأقطع بملطية: حدثنا أبو عبد الرحمن...^(١) بن حسان الملقى: حدثنى أبو صالح إسحاق بن نجيح عن جد السلم ابن سامة الجشطينى عن عكرمة عن عبد الله بن عباس (رضى الله عنه).

❖ كتاب مالك بن...^(١)

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، حدثنا عبد الله بن أحمد بن الصديق، أخبرنا عبد الله بن محمد السعدى، أخبرنا المطهر بن الحكم الكرابيسى، عن على بن الحسين بن واقد.

كتب المعانى:

❖ معانى الفراء:

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزنى، وأبو محمد عبد الله بن حامد الوزان، وأبو القاسم الحسن بن محمد المفسر، قالوا: أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف ابن معقل بن سنان الأموى، حدثنا أبو عبد الله محمد بن جهم بن هارون السمرى، حدثنا أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء.

❖ معانى الكسائى:

سمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن الحسن يقول: سمعت أبا بكر أحمد بن محمد بن عبيد الله الطاهرى يقول: سمعت على بن أحمد المدبر يقول: سمعت أبا عبيد يحدث عن على ابن حمزة الكسائى.

❖ معانى عبيد:

أخبرنا عبد الله بن حامد بقراءة تى عليه هو أبو القاسم الحبيبي علينا قالوا: أخبرنا محمد بن محمد بن الحسن، أخبرنا أبو الحسن على بن عبد العزيز المكى، أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام.

❖ معانى الزجاج:

قرأت على أبى عثمان سعد بن محمد بن إبراهيم الحيرى - وأخبرنا بالجملة -: أخبرنا أبو على الفسوى وابن مقسم قالوا: أخبرنا الزجاج.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن جعفر النيسابورى بها يقول: سمعت أبا الحسن

(١) بياض بالأصل المخطوط.

محمد بن محمد بن مسعود الفسوي بها يقول: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن السدي الزجاج.

❖ كتاب النظم:

قرأ علينا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بلفظه قال: قرأت على أبي نصر محمد بن محمد بن يوسف بطوس عن الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني.

❖ كتاب الغرائب:

سمعت أبا القاسم الحسن بن أحمد السدوسي يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن محمد المداني يقول: سمعت أحمد بن محمد بن المغيرة يقول: سمعت أحمد بن سهل بن يحيى النيسابوري يقول: سمعت سلمة بن رفيع، أخبرنا غسان البصري عن أبي عبيدة معمر بن المثني التيمي.

❖ غريب الأخفش:

سمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن جعفر يقول: سمعت أبا سهل محمد بن محمد بن الأشعث الطالقاني يقول: سمعت علي بن فارس الدينوري يقول: سمعت شمر بن حمدويه والحسن بن سفيان، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا بشير بن المهاجرة، حدثنا عبد الله بن يزيد عن أبيه قال: كنت عند النبي ﷺ فسمعت يقول: «إن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينفلق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك. فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته؛ فإنك اليوم من وراء كل تجارة».

قال: «فيعطى الملك يمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والديه حلتين لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها. فهو في صعود ما دام يقرأ هذاً كان أو ترتيلاً».

وقال معاذ بن جبل: كنت في سفر مع النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، حدثنا بحديث نتفع به، فقال: «إن أردت عيش السعداء، وميتة الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والأمن يوم الخوف والنور يوم الظلمات والظل يوم الحرور، والرى يوم العطش والوزن يوم الخفة والهدى يوم الضلالة، فادرس القرآن؛ فإنه ذكر الرحمن، وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان».

❖ باب علم القرآن والترتيب فيه:

حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري لفظاً: حدثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن عبدان بن حبله، نا أبو فراس محمد بن جمعة، حدثنا محمد بن زينون المكي،

حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمى، قال: حدثنى الذين كانوا يقرءوننا عن عثمان بن عفان (رضى الله عنه)، وعبد الله بن مسعود، وأبى بن كعب أن النبى ﷺ كان يقرئهم عشر آيات فلا يأخذون فى العشر الأخرى حتى يعلموا ما فى هذه من العلم والعمل، قال: فتعلموا القرآن والعلم جميعاً.

وحدثنا الحسن بن محمد: أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبرى، أخبرنا محمد بن عبد السلام الوراق، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى، حدثنا جرير عن الأشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: «ما من أحد قرأ القرآن ولم يعلم تفسيره إلا بمنزلة الأعرابى يقرأ ولا يدرى ما هو».

وأخبرنا الحسن بن محمد، حدثنى أبى: حدثنا إبراهيم بن على الذهلى، حدثنا يزيد بن صالح، أخبرنا خارجة عن سعيد عن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن قال: «والله، ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن نعلم فىم أنزلت، وما معناها».

وقال الحسن: «علم القرآن لم يعلمه إلا الذكور من الرجال».

وسمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازى يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت ابن أبى الجوزى يقول: حدثنا أبو نصر سعيد الرملى قال: أتينا الفضيل بن العياض بمكة، فسألناه أن يلى علينا فقال: «ضيعتم كتاب الله وطلبتم كلام فضيل وابن عيينة؟! ولو تفرغتم لكتاب الله تعالى لوجدتم فيه شفاء لما تريدون». قلنا: قد تعلمنا القرآن! قال: «إن فى تعلم القرآن شغلاً لأعماركم وأعمار أولادكم وأولادكم». قلنا: كيف؟ قال: «لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه ومتشابهه، وحلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه. فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة، ثم قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾» (يونس: ٥٧).

وروى مؤمل بن إسماعيل عن سفيان الثورى أنه قال: «أفئنا عمرنا فى الإيلاء والظهار ونبذنا كتاب الله وراء ظهورنا فماذا نقول لربنا فى المعاد؟».

(لغة) التفسير: سمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر يقول: سمعت أبا بكر محمد بن على بن إسماعيل القفال يقول: سمعت أبا بكر محمد بن الحسن البريدى يقول: (أصل التفسير فى اللغة من التفسرة وهى) من الماء الذى ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن بيان موطنها وشأن الآية

وقصصها، ومعناها والسبب الذي نزلت فيه».

وسمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا سعد محمد بن سعيد الفارسي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن محمد بن محمد بن القاسم الأنباري يقول: سمعت أحمد بن محمد (الخارزنجي) يقول: هو من قول العرب: فسرت الفرس إذا ركضتها مصورة لينطلق حصيرها، وهو يؤول إلى أن ما قد سمعته يقول: سمعت أبا حامد بن محمد الخارزنجي يقول: من عادت من سفر مثل جذب وحيد وبيت الماء وبصق ووسع لفحل الناقة وبغاها. تقول العرب: فسرت الناقة، إذا سيرتها حتى زال شعرها، وطهر جلدها. وأنشدوا فيه لبعض الهذليين: (١)

فيكون معنى التفسير: كشف المنغلق من المراد بلفظه وإطلاق المحتبس عن فهمه. والتأويل: بكون الأول معنى مجمله موافق لما قبلها وما بعدها، وأصله من الأول، وهو من الرجوع، تقول العرب: أولته. قال: أي صرفته فانصرف.

وسمعت أبا القاسم بن أبي بكر السدوسي يقول: سمعت رافع بن عبد الله يقول: سمعت أبا حبيب زيد بن المهدي يقول: سمعت الحسن بن محمد بن البصري يقول: . . . (١) عن جدّه النضر أنه قال: «أصله من الإيالة، وهي السياسة، تقول العرب: قد أُنّا، وإيل علينا، أي سسنا، وساسنا غيرنا، فكان المؤول للكلام القادر عليه، وواضعه موضعه. وإنما بنوهما على التفعيل؛ لأنه يدلّ على التكثير، وكأنه تتبع سورة بعد سورة وآية بعد آية، وأمّا الفرق بينهما: قالت العلماء: التفسير: علم نزول الآية وشأنها وقصّتها، والأسباب التي نزلت فيها: فهذا وأضرابه (محظورة) على الناس القول إلا باستماع الأثر. فأما التأويل فالأمر فيه أسهل؛ لأنه صرف الآية إلى معنى يحتمله، وليس بمحظور على العلماء استنباطه والقول فيه وإنما يكون مرآتنا الكتاب والسنة.



(١) بياض بالأصل المخطوط.

تفسير فاتحة الكتاب

❖ أسماؤها:

أخبرنا عبد الرَّحْمَنِ بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطَّان، وأخبرنا محمد بن أحمد بن عبدوس، أخبرنا محمد بن المؤمِّل بن الحسن بن عيسى، حدَّثنا الفضل بن محمد بن المسيَّب، حدَّثنا خلف بن هشام، حدَّثنا محمد بن حسان عن المعافى بن عمران عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله ربِّ العالمين: سبع آيات أولهنَّ (بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، وهى السبع المثاني، وهى أمُّ القرآن، وهى فاتحة الكتاب».

❖ نزولها:

واختلفوا فى نزولها؛ أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر قراءة، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمود بن عبد الله المروزى قال: حدَّثنا عبد الله بن محمود السعدى، حدَّثنا أبو يحيى القصرى، حدَّثنا مروان بن معاوية عن الولاء بن المسيَّب عن الفضل بن عمرو عن على ابن أبى طالب (رضى الله عنه) قال: «نزلت فاتحة الكتاب بمكَّة من كنز تحت العرش. وعلى هذا أكثر العلماء.

يدلُّ عليه ما أخبرنا الحسن بن محمد بن جعفر، حدَّثنا محمد بن محمود، حدَّثنا أبو لبابة محمد بن مهدى، حدَّثنا أبى عن صدقة بن عبد الرَّحْمَنِ عن روح بن القاسم (العبرى) عن عمر بن شرحبيل قال: إن أول ما نزل من القرآن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ❖، وذلك أن رسول الله ﷺ أسرَّ إلى خديجة (رضى الله عنها) وقال: «لقد خشيت أن يكون خالطنى شىء». فقالت: وما ذاك؟ قال: «إنى إذا خلوت سمعت النداء فأفر». قال: فانطلق به أبو بكر إلى ورقة بن نوفل، فقال له ورقة: إذا أتاك فاجثُ له. فأتاه جبريل فقال له: «قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ❖ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ❖».

وحدَّثنا الحسن بن جعفر، حدَّثنا محمد بن محمود، حدَّثنا عمرو بن صالح عن ابن عباس، حدَّثنا أبى عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس قال: قام النبى ﷺ بمكة فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ❖ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ❖ فقالت قریش: دق الله فاك.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن

يعقوب، حدثنا أبو زيد، حدثنا أبو حاتم بن محبوب الشامي، أخبرنا عبد الجبار العلاء عن معن عن منصور عن مجاهد قال: «فاتحة الكتاب أنزلت في المدينة».

وقال الحسن بن الفضل: لكل عالم هفوة، وهذه منكرة من مجاهد لأنه تفرّد بها، والعلماء على خلافه.

وصح الخبر عن النبي ﷺ في حديث أبي بن كعب أنها من «أول ما نزل من القرآن» وأنها: «السبع المثاني»، وسورة الحجر مكيّة بلا اختلاف.

ومعلوم أن الله تعالى لم يمتّ عليه بإتيانه السبع المثاني وهو بمكة، ثم أنزلها بالمدينة، ولا يسعنا القول بأن رسول الله ﷺ كان بمكة يصلي عشر (سنوات) بلا فاتحة الكتاب، هذا ممّا لا تقبله العقول.

قال الأستاذ: وقلت: قال بعض العلماء وقد لفق بين هذين القولين: أنها مكية ومدنية، نزل بها جبرئيل مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة حين حلّها رسول الله ﷺ تعظيماً وتفضيلاً لهذه السورة على ما سواها ولذلك سميت مثاني، والله أعلم.

أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي الفرات، أخبرنا أبو موسى عمران بن موسى، حدثنا جعفر ابن محمد بن سوار، أخبرنا أحمد بن نصر، أخبرنا سعيد بن منصور، حدثنا سلام عن زيد العمى عن ابن سيرين عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «فاتحة الكتاب شفاء من السم». وأخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم بن أحمد، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أيوب، حدثنا أبو عبد الله محمد بن صاحب، حدثنا المأمون بن أحمد، حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا أبو معاوية الضرير عن أبي مالك الأشجعي عن ابن حمران عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القوم ليعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيسمعه الله عزّ وجلّ فيرفع عنهم ذلك العذاب أربعين سنة».

وحدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن هانئ، حدثنا الحسين بن الفضل، حدثنا عفان بن مسلم الصفّار عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال: أنزل الله عزّ وجلّ مائة وأربعة كتب من السماء أودع علومها أربعة: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم هذه الأربعة الفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصّل، ثم أودع علوم المفصّل فاتحة الكتاب. فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة، ومن قرأها فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

❖ في فضل التسمية:

حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن علي، حدَّثنا أحمد بن سعيد، حدَّثنا جعفر بن محمد بن صالح، وحدَّثنا محمد بن القاسم الفارسي، حدَّثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الشيباني، أخبرنا أحمد بن كامل بن خلف، حدَّثنا علي بن حماد بن السكن، أخبرنا أحمد بن عبد الله الهروي حسام بن سليمان الخزومي عن أبي مليكة عن ابن عباس (رضى الله عنه) قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «خير الناس وخير من يمشى على جديد الأرض المعلومون؛ فكلما خلق الدين جدّوه. أعطوهم ولا تستأجروهم، فتخرجوهم فإن المعلوم إذا قال للصبي: قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال الصبي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كتب الله براءة للصبي، وبراءة لأبويه وبراءة للمعلم من النار».

وأخبرنا أبو الحسن بن أبي الفضل المولى، أخبرنا أبو علي الإسفرائيني الحافظ، حدَّثنا ابن الحسن البصري، حدَّثنا محمد بن مروان أبو جعفر، حدَّثنا أبي، حدَّثنا عمر بن زر، عن عطاء عن جابر قال: (لما نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الرياح، وهاج البحر، وأصغت البهائم بأذانها، ورجمت الشياطين من السماء، وحلف الله بعزته أن لا يسمّى اسمه على شيء إلا شفاه ولا يسمّى اسمه على شيء إلا برك عليه، ومن قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ دخل الجنة).

وأخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن، حدَّثنا محمد بن محمد بن الحسن، أخبرنا الحسن بن علي بن نصر، حدَّثنا عبد الله بن هاشم، أخبرنا وكيع بن الجراح، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: (من أراد أن يُنجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإنها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد).

التفسير وبالله التوفيق

قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

اعلم أنّ هذه الباء زائدة، وهي تسمّى باء التضمين أو باء الإلصاق، كقولك: كتبت بالقلم، فالكتابة لاصقة بالقلم. وهي مكسورة أبداً؛ والعلّة في ذلك أن الباء حرف ناقص محال. والإمالة من دلائل الكسر، قال سيويه: لما لم يكن للباء عمل إلا الكسر كسرت. وقال المبرد: العلة في كسرها ردّها إلى الأصل، ألا ترى أنك إذا أخبرت عن نفسك فإنك

قلت: بَيَّيْتُ، فرددتها إلى الباء والياء أخت الكسرة كما أن الواو أخت الضمة والألف أخت الفتحة، وهى خافضة لما بعدها فلذلك كسرت ميم الاسم.

وطوّلت هاهنا وشبهت بالألف واللام؛ لأنهم لم يريدوا أن يفتتحوا كتاب الله إلا بحرف مفخّم معظم. قاله القيسى.

قال: وكان عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) يقول لكتّابه: (طولوا الباء، وأظهروا السين، وفرّجوا بينهما، ودوروا الميم تعظيماً لكلام الله تعالى).

وقال أبو... (١) خالد بن يزيد المرادي: العلة فيها إسقاط الألف من الاسم، فلما أسقطوا الألف ردّوا طول الألف إلى الباء ليكون دالاً على سقوط الألف منها. ألا ترى أنهم لما كتبوا: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ (العلق: ١) بالألف ردّوا الباء إلى صيغتها، فإنما حذفوا الألف من (اسم) هنا فلكثرة دورها على الألسن عملاً بالحقّة، ولما لم يكثر أضرارها كثرتها أثبتوا الألف بها. وفي الكلام إضمار واختصار تقديره: قل، أو ابدأ بسم الله.

وقال آدم: الاسم فيه صلة، مجازة: بالله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هو، واحتجوا بقول لبيد:
 تمنى ابتئى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
 إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يك حولاً كاملاً فقد اعتذر
 أى ثم السلام عليكما.

ومعناه: بالله تكوّنت الموجودات، وبه قامت مخلوقات، وأدخلوا الاسم فيه ليكون فرقاً بين المتيمّن والمتيمّن به. فأما معنى الاسم، فهو المسمى وحقيقة الموجود، وذات الشئ وعينه ونفسه واسمه، وكلها تفيد معنى واحداً. والدليل على أن الاسم عين المسمى قوله تعالى: ﴿يَذَكِّرْنَا إِذَا تُبِئْرُكَ بِغَلْمِ أَسْمِهِ يَحْيَى﴾ (مريم: ٧)، فأخبر أن اسمه يحيى، ثم نادى الاسم وخاطبه فقال: ﴿يَحْيَى﴾ (مريم: ١٢). فيحى هو الاسم، والاسم هو يحيى.

وقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ (يوسف: ٤٠). وأراد الأشخاص المعبودة؛ لأنهم كانوا يعبدون المسميات.

وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (الأعلى: ١)، و﴿تَبَارَكَ أَسْمُ رَبِّكَ﴾ (الرحمن: ٧٨).

وقوله ﷻ: ﴿لَتُضْرَبَنَّ مَضْرُ عِبَادَ اللَّهِ حَتَّى لَا يُعْبَدَ لَهُ اسْمٌ﴾ أى حتى لا يعبد هو.

ثم يقال: رأينا للتسمية اسم، واستعمالها فى التسمية أشهر وأكثر من استعمالها فى المسمى، ولعل الاسم أشهر، وجمعه: أسماء، مثل قنو وأقناء، وحنو وأحناء، فحذفت الواو

(١) بياض بالأصل المخطوط.

للاستئصال، ونقلت حركة الواو إلى الميم فأعربت الميم، ونقل سكون الميم إلى السين فسكنت، ثم أدخلت ألف مهموزة لسكون السين؛ لأجل الابتداء يدلّك عليه التصغير والتصريف يقال: سُمِّيَ وسميَّة؛ لأن كل ما سقط في التصغير والتصريف فهو غير أصلي. واشتقاقه من (سما) (يسمو)، فكان الخبر عنه بأنه معدوم ما دام معدوماً فهو في درجة يرتفع عنها إذ وجد، ويعلو بدرجة وجوده على درجة عدمه. والاسم الذي هو العبارة والتسمية للمخبر والصفة للمنظر. وأصل الصفة ظهور الشيء وبروزه، والله أعلم.

فأما ما ورد في تفسيرها بتفصيلها فكثير، ذكرت جلّ أقاويلها في حديث وحكاية. أخبرنا الأستاذ أبو القاسم بن محمد بن الحسن المفسر، حدثنا أبو الطيب محمد بن أحمد ابن حمدون المذكر، أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد، حدثنا أحمد بن هشام الأنطاكي، حدثنا الحكم بن نافع عن إسماعيل بن عباس عن إسماعيل عن يحيى عن أبي مليكة عن مسعود بن عطية العوفى عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى ابن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليتعلم، فقال له المعلم: قل باسم الله. قال عيسى: وما باسم الله؟ فقال له المعلم: ما أدري. قال: الباء: بهاء الله، والسين: سناء الله، والميم: مملكة الله». وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا إسحاق بن ميثم بن محمد بن يزيد النسفى بمرور يقول: سمعت أبا عبد الله ختن أبي بكر الوراق يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عمر الوراق يقول في ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: إنها روضة من رياض الجنة لكل حرف منها تفسير على حدة:

فالباء على ستة أوجه:

بارئ خلقه من العرش إلى الثرى، ببيان قوله:

﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (الطور: ٢٨).

بصير بعباده من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (الملك: ١٩).

باسط الرزق من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الرعد: ٢٦).

وباق بعد فناء خلقه من العرش إلى الثرى: بيانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو

الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٦، ٢٧).

باعث الخلق بعد الموت للثواب والعقاب، بيانه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج: ٧).

بارّ بالمؤمنين من العرش إلى الثرى، بيانه قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (الطور: ٢٨).

والسين على خمسة أوجه:

سميع لأصوات خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (الزخرف: ٨٠).

سيد قد بلغ سؤدده من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (الإخلاص: ٢).
 سريع الحساب مع خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (البقرة: ٢٠٢).
 سلم خلقه من ظلمه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ (الحشر: ٢٤).
 غافر ذنوب عباده من العرش إلى الثرى، بيانه: قوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ (غافر: ٣).
 والميم على اثني عشر وجهًا:

ملك الخلق من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ (الحشر: ٢٣).
 مالك خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ﴾ (آل عمران: ٢٦).
 متان على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ (الحجرات: ١٧).
 مجيد على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾ (البروج: ١٥).
 مؤمن آمن خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه قوله: ﴿وَأَمَنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٤).
 مهيمن اطلع على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿الْمُؤْمِنِ الْمُهَيَّمِنِ﴾ (الحشر: ٢٣).
 مقتدر على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٥٥).

مقيت على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتِيًا﴾ (النساء: ٨٥).
 متكرّم على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠).
 منعم على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه قوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ (لقمان: ٢٠).

متفضل على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١).

مصور خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه: ﴿الْخَلْقِ الْبَارِئِ الْمُصَوِّرِ﴾ (الحشر: ٢٤).
 وقال أهل الحقائق:^(١) في ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ التيمّن والتبرك وحثّ الناس على الابتداء في أقوالهم وأفعالهم بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ لما افتتح الله عزّ وجلّ كتابه به، والله أعلم.

﴿اللَّهُ﴾، اعلم أن أصل هذه الكلمة (إله) في قول أهل الكوفة، فأدخلت الألف واللام فيها تفخيماً وتعظيماً لما كان اسم الله عزّ وجلّ، فصار (الإله)، فحذفت الهمزة استثقلاً لكثرة
 (١) بياض بالأصل المخطوط.

جريانها على الألسن، وحوّلت هويتها إلى لام التعظيم فالتقى لامان، فأدغمت الأولى في الثانية، فقالوا (الله).

وقال أهل البصرة: أصلها (لاه)، فألحقت بها الألف واللام، فقالوا: (الله). وأنشدوا:

كحلقة من أبي رباح
يسمعها الآهه الكبار

فأخرجه على الأصل.

وقال بعضهم: أدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة المحذوفة في (إله)، فلزمتا الكلمة لزوم تلك الهمزة لو أُجريت على الأصل، ولهذا لم يدخل عليه في النداء ما يدخل على الأسماء المعرفة من حروف التشبيه، فلم يقولوا: يا أيها الله.

دفع أقاويل أهل التأويل في هذا الاسم مبنية على هذين القولين... (١) ثمّة، واختلفوا فيه؛ فقال الخليل بن أحمد وجماعة: (الله) اسم علم موضوع غير مشتق بوجه، ولو كان مشتقاً من صفة كما لو كان موصوفاً بتلك الصفة أو بعضها، قال الله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مرم: ٦٥).

(الله): اسم موضوع لله تعالى لا يشركه فيه أحد، قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، يعنى: أن كل اسم مشترك بينه وبين غيره؛ له على الحقيقة ولغيره على المجاز إلا هذا الاسم فإنه مختص به لأن فيه معنى الربوبية. والمعاني كلها تحته، ألا ترى أنك إذا أسقطت منه الألف بقى لله، وإذا أسقطت من لله اللام الأولى بقى (له)، وإذا أسقطت من (له) اللام بقى هو.

قالوا: وإذا أُطلق هذا الاسم على غير الله فإنما يقال بالإضافة كما يقال: لاه كذا أو ينكر فيقال: لله كما قال تعالى إخباراً عن قوم موسى عليه السلام: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا إِلَٰهَةُ آلِ إِنَّكُم قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٨). وأما (الله)، و(الإله) فمخصوصان لله تعالى.

وقال قوم: أصله (لاها) بالسريانية، وذلك أن في آخر أسمائهم مدة، كقولهم للروح: (روحا)، وللقدس: (قدسا)، وللمسيح: (مسيحا)، وللابن: (ابنا)، فلما طرحوا المدة بقى (لاه)، فعرّب العرب وأقروّه.

ولا اشتقاق له، وأكثر العلماء على أنه مشتق؛ واختلفوا في اشتقاقه، فقال النضر بن إسماعيل: هو من التأله، وهو التنسك والتعبّد، قال رؤبة:

لله در الغايات المدّة
سبحن واسترجعن من تألهي

ويقال: أله إلهة، كما يقال: عبد عبادة. وقرأ ابن عباس: (ويدرك وإلهتك) أى

عبادتك؛ فمعناه عبادتك المعبود الذي تحقق له العبادة.

وقال قوم هو من (الإله)، وهو الاعتماد، يقال: ألّهت إلى فلان، ألّه إلهًا، أى فرغت إليه واعتمدت عليه، قال الشاعر:

❖ ألّهت إليها والركائب وقّف ❖

ومعناه: أن الخلق يفرعون ويتضرعون إليه فى الحوادث والحوائج، فهو يألههم، أى يجيرهم، فسمى إلهًا، كما يقال: إمام للذى يؤتم به، ولحاف ورداء وإزار وكساء للثوب الذى يلتحف به، ويرتدى به، وهذا معنى قول ابن عباس والضحاك.

وقال أبو عمرو بن العلاء: هو من (ألّهت فى الشىء) إذا تحيرت فيه فلم تهتد إليه، قال زهير:

❖ (١) يأله العين وسطها ❖

وقال الأخطل:

ونحن قسمنا الأرض نصفين نصفها لنا ونرامى أن تكون لنا معا
بتسعين ألفاً تأله العين وسطها متى ترها عين الطرامة تدمعا

ومعناه: أن العقول تتحير فى كنه صفته وعظمته والإحاطة بكيفيته، فهو إله كما قيل للمكتوب: كتاب، وللمحسوب: حساب.

وقال المبرد: هو من قول العرب: (ألّهت إلى فلان) أى سكنت إليه، قال الشاعر:

❖ ألّهت إليها والحوادث جمّة ❖

فكان الخلق يسكنون إليه ويطمثون بذكره، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

وسمعت أبا القاسم الحسن: سمعت أبا الحسن على بن عبد الرحيم القناد يقول: أصله من (الولة)، وهو ذهاب العقل لفقدان من يعزّ عليك. وأصله (أله) - بالهمزة - فأبدل من الألف واو فقليل الولة، مثل (إشاح، ووشاح) و(وكاف، وإكاف) و(أرخت الكتاب، وورخته) و(وقّنت، وأقّنت). قال الكميت:

ولّهت نفسى الطروب إليهم ولها حال دون طعم الطعام

فكانه سمى بذلك؛ لأن القلوب تولّه لمحبتّه وتضطرب وتشتاق عند ذكره.

وقيل: معناه: محتجب؛ لأن العرب إذا عرفت شيئاً، ثم حجب عن أبصارها سمّته إلهًا،

(١) بياض بالأصل المخطوط.

قال : لاهت العروس تلوه لوهاً ، إذ حُجبت .

قال الشاعر :

لاهت فما عرفت يوماً بخارجة ياليتها خرجت حتى رأيناها

والله تعالى هو الظاهر بالربوبية (بالدلائل والأعلام) وهو المحتجب من جهة الكيفية عن الأوهام .

وقيل : معناه المتعالى ، يقال : (لاه) أى ارتفع .

وقد قيل : من (إلاهتك) ، فهو كما قال الشاعر :

تروّحنا من اللعباء قصرأ وأعجلنا الإلاهة أن تؤوبا

وقيل : هو مأخوذ من قول العرب : ألهت بالمكان ، إذا أقمت فيه ، قال الشاعر :

ألهنا بدار ما تبين رسومها كأن بقاياها وشام على اليد

فكأن معناه : الدائم الثابت الباقي .

وقال قوم : (أن يقال) ذاته وهى قدرته على الإخضاع .

وقال الحارث بن أسد المحاسبى ، أبو عبد الله البغدادي : الله من (ألهم) أى أحوجهم ،

فالعباد مولوهون إلى بارئهم أى محتاجون إليه فى المنافع والمضارّ ، كالواله المضطرّ المغلوب .

وقال شهر بن حوشب : الله خالق كل شىء ، وقال أبو بكر الوراق : هو .

وغلّظ بعض بقراءة اللام من قوله : (الله) حتى طبقوا اللسان به الحنك لفخامة ذكره ،

وليصرف عند الابتداء بذكره وهو الرب .

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ، قال قوم : هما بمعنى واحد مثل (ندمان ، ونديم) و(سلمان ، وسليم) ،

(هوان وهوين) . ومعناهما : ذو الرحمة ، والرحمة : إرادة الله الخير بأهله ، وهى على هذا

القول صفة ذات . وقيل : هى ترك عقوبة من يستحق العقوبة ، (وفعل) الخير إلى من لم

يستحق ، وعلى هذا القول صفة فعل ، يجمع بينهما للاتّساع ، كقول العرب : جاد مجد . قال

طرفة :

فما لى أرانى وابن عمى مالكأ متى أدن منه ينأ عنى ويبيعد

وقال آخر :

❖ وألفى قولها كذباً ومينأ ❖

وفرق الآخرون بينهما فقال بعضهم : الرّحمن على زنة فعلان ، وهو لا يقع إلا على مبالغة

القول . وقولك : رجل غضبان للممتلئ غضباً ، وسكران لمن غلب عليه الشراب . فمعنى

(الرَّحْمَنُ): الذى وسعت رحمته كل شىء .

وقال بعضهم: (الرَّحْمَنُ) العاطف على جميع خلقه؛ كافرهم ومؤمنهم، برّهم وفاجرهم بأن خلقهم ورزقهم، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، و(الرحيم) بالمؤمنين خاصة بالهداية والتوفيق فى الدنيا، والجنة والرؤية فى العقبى، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٣). ف(الرَّحْمَنُ) خاص اللفظ عام المعنى، و(الرحيم) عام اللفظ خاص المعنى. و(الرَّحْمَنُ) خاص من حيث إنه لا يجوز أن يسمى به أحد إلا الله تعالى، عام من حيث إنه يشمل الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع والدفع. و(الرحيم) عام من حيث اشتراك المخلوقين فى المسمى به، خاص من طريق المعنى؛ لأنه يرجع إلى اللطف والتوفيق. وهذا قول جعفر بن محمد الصادق (رضى الله عنه).

الرَّحْمَنُ اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة، وقول ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرقّ من الآخر.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد المفسّر، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الدقاق، حدّثنا الحسن بن محمد بن جابر، حدّثنا عبد الله بن هاشم، أخبرنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال: الرَّحْمَنُ بأهل الدنيا، والرحيم بأهل الآخرة. وجاء فى الدعاء: يا رحمان الدنيا ورحيم الآخرة.

وقال الضحاك: الرَّحْمَنُ بأهل السماء حين أسكنهم السموات، وطوّقهم الطاعات، وجنّبهم الآفات، وقطع عنهم المطاعم واللذات. والرحيم بأهل الأرض حين أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وأعذر إليهم فى النصيحة وصرف عنهم البلايا.

وقال عكرمة: الرَّحْمَنُ برحمة واحدة، والرحيم بمائة رحمة وهذا المعنى قد اقتبسه من قول النبى ﷺ الذى حدّثناه أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابورى، حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يزيد النسفى بمرور، حدّثنا أبو هريرة وأحمد بن محمد بن شاردة الكشى، حدّثنا جارود بن معاذ، أخبرنا عمير بن مروان عن عبد الملك أبى سليمان عن عطاء عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى مائة رحمة أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسّمها بين خلقه، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وأخرّ تسعة وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة».

وفى رواية أخرى: «إن الله تعالى قابض هذه إلى تلك فمكملها مائة يوم القيامة، يرحم بها عباده».

وقال ابن المبارك: (الرَّحْمَنُ: الذي إذا سُئِلَ أعطى، والرحيم إذا لم يُسأل غضب. يدلّ عليه ما حدّثنا أبو القاسم المفسّر، حدّثنا أبو يوسف رافع بن عبد الله بمرور الروذ، حدّثنا خلف ابن موسى: حدّثنا محمود بن خدّاش، حدّثنا هارون بن معاوية، حدّثنا أبو الملح وليس الرقي عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: من لم يسأل الله يغضب عليه، نظمه الشاعر فقال:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبنى آدم حين يُسأل يغضب

وسمعت الحسن بن محمد يقول: سمعت إبراهيم بن محمد النسفي يقول: سمعت أبا عبد الله - وهو ختن أبي بكر الوراق - يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عمر الوراق يقول: (الرَّحْمَنُ: بالنعماء وهي ما أعطى وحبا، والرحيم بالآلاء وهي ما صرف وزوى).

وقال محمد بن عليّ المزيدي: الرَّحْمَنُ بالإِنْقَازِ مِنَ النِّيرانِ، وبيانه قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ (آل عمران: ١٠٣)، والرحيم بإدخالهم الجنان، بيانه: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ (الحجر: ٤٦).

وقال المحاسبي: (الرَّحْمَنُ: برحمة النفوس، والرحيم برحمة القلوب).

وقال السريّ بن مغلس: (الرَّحْمَنُ بكشف الكروب، والرحيم بغفران الذنوب).

وقال عبد الله بن الجراح: (الرَّحْمَنُ ب... الطريق، والرحيم بالعصمة والتوفيق).

وقال مطهر بن الوراق: (الرَّحْمَنُ بغفران السيئات وإن كن عظيمات، والرحيم بقبول الطاعات وإن كن... (١)).

وقال يحيى بن معاذ الرازي: (الرَّحْمَنُ بمصالح معاشهم، والرحيم بمصالح معادهم).

وقال الحسين بن الفضل: (الرَّحْمَنُ الذي يرحم العبد على كشف الضر ودفع الشر،

والرحيم الذي يرقّ وربما لا يقدر على الكشف).

وقال أبو بكر الوراق أيضاً: (الرَّحْمَنُ بمن جحدته والرحيم بمن وحّده، والرَّحْمَنُ بمن كفر

والرحيم بمن شكر، والرَّحْمَنُ بمن قال ندأ والرحيم بمن قال فرداً).

في أن التسمية من الفاتحة أو لا؟

واختلف الناس في أن التسمية؛ هل هي من الفاتحة؟ فقال قرآء المدينة والبصرة وقرآء الكوفة: إنها افتتاح التيمّن والتبرّك بذكره، وليست من الفاتحة ولا من غيرها من السور، ولا تجب قراءتها وأن الآية السادسة قوله تعالى: ﴿أَعْمَتَ عَلَيْهِمْ﴾. وهو قول مالك بن أنس والأوزاعي وأبي حنيفة - رحمهم الله - ورووا ذلك عن أبي هريرة.

أخبرنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن الحسن النيسابوري، حدّثنا أبو الحسن محمد بن الحسن الكابلي، أخبرنا علي بن عبد العزيز الحلّ، حدّثنا أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، حدّثنا الحجّاج عن أبي سعيد الهذلي عن (١) عن أبي هريرة قال: ﴿أَعْمَتَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية السادسة، فزعمت فرقة أنها آية من أمّ القرآن، وفي سائر السور فصل، فليست هاهنا أنها يجب قراءتها.

وقال قوم: إنها آية من فاتحة الكتاب. رروا ذلك عن سعيد بن المسيب، وبه قال قرآء مكة والكوفة وأكثر قرآء الحجاز، ولم يعدّوا ﴿أَعْمَتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية.

وقال الشافعي والشعبي وهو رأي عبد الله أنها نزلت في الآية الأولى من فاتحة الكتاب، وهي من كل سورة آية إلا التوبة. والدليل عليه الكتاب والسنة؛ أمّا الكتاب سمعت أبا عثمان ابن أبي بكر الزعفراني يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن موسى يقول: سمعت الحسن بن الفضل يقول: رأيت الناس (١) في النمل أن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فيها من القرآن فوجدتها بخطها ولو أنها مكررات في القرآن، فعرفنا أماكنها منه بل حتى ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا نَكُذِّبَانِ﴾ ﴿الرَّحْمَنُ: ١٣﴾، ﴿وَلِئَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات: ١٥) لما كانا في القرآن كانت مكرراتهما من القرآن.

وبلغنا أن رسول الله ﷺ كتب في بدء الأمر على رسم قريش: «باسمك اللهم» حتى نزلت: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسِنَهَا﴾ (هود: ٤١) فكتب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ حتى نزلت: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ (الإسراء: ١١٠)، فكتب: «بسم الله الرحمن»، حتى نزلت: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿النمل: ٣٠﴾، فكتب مثلها فلمّا كانت هذه وحيث أن يكون (١) منه ثم افتخر النبي ﷺ بهذه الآية، وحق له ذلك.

(١) بياض بالأصل المخطوط.

حدثنا عبد الله بن حامد بن محمد الوراق: أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه حدثنا محمد بن يحيى بن سهل، حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا سلمة بن الأحمر عن يزيد بن أبي خالد عن عبد الكريم بن أمية عن أبي بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك بآية لم تنزل على أحد بعد سليمان بن داود غيري؟». فقلت: بلى. قال: «بأى شىء تفتتح إذا افتتحت القرآن؟». قلت: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فقال: «هى هى».

وفى هذا الحديث دلٌّ دليل على كون التسمية آية تامة من الفاتحة وفواتح السور؛ لأن النبي ﷺ حين لفظ الآية كلها، والتي فى سورة النمل ليست بآية وإنما هى بعض الآية، وبالله التوفيق.

وأما الأخبار الواردة فيه، فأخبرنا أبو القاسم السدوسى، حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد ابن عبد الله العنبرى، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطى حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقى، حدثنا أبو سفيان المعمرى عن إبراهيم بن يزيد قال: قلت لعمر بن دينار: إن الفضل الرقاشى زعم أن «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ليس من القرآن؟ قال: سبحان الله! ما أجرأ هذا الرجل! سمعت سعيد بن جبيرة يقول: سمعت ابن عباس يقول: كان رسول الله ﷺ إذا نزلت آية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ علم أن السورة قد ختمت وفتح غيرها.

وحدثنا الحسن بن محمد: حدثنا أبو الحسن عيسى بن زيد العقيلي: حدثنا أبو محمد إسماعيل بن عيسى الواسطى: حدثنا عبد الله بن نافع عن جهم بن عثمان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «كيف تقول إذا قمت إلى الصلاة؟» قال: أقول: الحمد لله رب العالمين. قال: «قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾».

وحدثنا الحسن بن محمد، أخبرنا أبو الحسين... (١)، حدثنا على بن عبد العزيز، حدثنا أبو عبيد، حدثنا عمر بن هارون البلخى عن أبي صالح عن أبي مليكة عن مسلمة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿﴾ يعنى يقطعها آية آية حتى عد سبع آيات عد الأعراب.

أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد، حدثنا أبو أحمد عبد الله بن عدى الحافظ، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثنا الحسين بن عبد الله عن أبيه عن جده عن على بن أبي طالب (كرم الله وجهه) أنه كان إذا افتتح السورة فى الصلاة يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وكان يقول: «من ترك قراءتها فقد نقص». وكان يقول: «هى تمام السبع

(١) يياض بالأصل المخطوط.

المثنى والقرآن العظيم».

وأخبرنا الحسين بن محمد بن جعفر، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار الطاردي، حدثنا جعفر بن حيّان عن عبد الملك بن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ (الحجر: ٨٧) قال: فاتحة الكتاب. وقيل لابن عباس: أين السابعة؟ قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وعدّها في يديه ثم قال: أخرجها لكم، وما أجد فيها أمركم.

أخبرنا (محمد بن الحسين) حدثنا عبد الله بن محمد بن مسلم، حدثنا يزيد بن سنان، حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا نوح بن أبي بلال قال: سمعت المقبري عن أبي هريرة أنه قال: إذا قرأتم أمّ القرآن فلا تبرحوا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإنها إحدى آياتها وإنها السبع المثنى.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري، حدثنا جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ، حدثنا أحمد بن نصر، حدثنا آدم بن إياس عن أبي سمعان عن العلاء، عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «يقول الله: قسمت الصلاة بيني وبين عبادي نصفين؛ فإذا قال العبد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله: مجدني عبدي، وإذا قال العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: أشى على عبدي، وإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله: فوض إلى أمره عبدي، وإذا قال: ﴿إِنَّا نَعْبُدُكَ وَإِنَّا نَكْتُمُكَ﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي، وإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل».

وأخبرنا علي بن محمد بن الحسن المقرئ، أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد القصّار، حدثنا محمد بن بكر البصري، حدثنا محمد بن علي الجوهري، حدثنا... (١) حدثني أبو إسماعيل ابن يحيى... (١)، حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كنت مع النبي ﷺ، والنبي ﷺ يحدث أصحابه؛ إذ دخل رجل يصلي، وافتتح الصلاة، وتعوّذ، ثم قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. فسمع النبي ﷺ فقال: «يا رجل، قطعت على نفسك الصلاة، أما علمت أن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من الحمد؟ فمن تركها فقد ترك آية، ومن ترك آية منه فقد قطعت عليه صلاته». لا تكون الصلاة إلا بفاتحة الكتاب، ومن ترك آية فقد بطلت صلاته.

وأخبرنا أبو الحسين علي بن محمد الجرجاني، حدثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم

(١) بياض بالأصل المخطوط.

الإسماعيلي، حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن هشام، أخبرنا محمد بن يحيى، حدثنا حكيم ابن الحسين، حدثنا سليمان بن مسلم المكي عن نافع عن أبي مليكة عن طلحة بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقد ترك آية من كتاب الله». وقد عدّها على عليه السلام فيما عدّ من أمّ الكتاب.

وأما الإجماع، فأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الوراق، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الضبيعي، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا علي بن المديني، حدثنا عبد الوهاب بن فليح، عن عبد الله بن ميمون، عن عبيد بن رفاعه أن معاوية بن أبي سفيان قدم المدينة فصلّى بالناس صلاة يجهر فيها، ولما قرأ أم القرآن ولم يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وقضى صلاته، ناداه المهاجرون والأنصار من كل ناحية: أنسيت! أين ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حين استفتحت القرآن؟ فأعادها لهم معاوية فقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

الكلام في جزئلة البسمة من باقى السور

هذا فى الفاتحة، فأما فى غيرها من السور، فأخبرنا أبو القاسم الحبيبي، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد المجيد بن عبد العزيز، عن ابن جريج، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، أن أبا بكر بن حفص بن عاصم قال: صلى معاوية بالمدينة صلاة يجهر فيها بالقراءة، وقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لأم القرآن ولم يقرأ للسورة التى بعدها حتى قضى صلاته، فلما سلم ناداه المهاجرون من كل مكان: يا معاوية، أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فصلى بهم صلاة أخرى وقرأ فيها للسورة التى بعدها.

وما... (١) النظر بآيات... (١) مقاطع القرآن على ضربين متقاربة ومتشاكلة. والمتشاكلة نحو ما فى سورة القمر والرحمن وأمثالهما، والمتقاربة: قيل فى سورة (ق) والقرآن المجيد: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾، وما ضاهاها. ثم نظرنا فى قوله: ﴿قَبْلَهُمْ﴾، فلم يكن من المتشاكلة ولا من المتقاربة، ووجدنا أو آخر آى القرآن على حرفين: ميم ونون أو حرف صحيح قبلها نا مكسورة فأولها، أو واو مضموم ما قبلها، أو ألف مفتوح ما قبلها، ووجدنا سيلهم هو هو مخالف لنظم الكتاب.

هذا ولم نر غير مبتدأ آية فى كتاب الله... (١) إذ يقول أيضاً: إن التسمية لا... (١)؛ إما

(١) بياض بالأصل المخطوط.

أن تكون مكتوبة للفصل بين السور، أو فى آخر السور، أو فى أوائلها أو حين نزلت كتبت، وحيث لم تنزل لم تكتب، فلو كتبت للفصل لكتبت... (١) وتراخ، ولو كتبت فى الابتداء لكتبت فى (براءة)، ولو كتبت فى الانتهاء لكتبت فى آخر ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (الناس: ١). فلما أبطلت هذه الوجوه علمنا أنها كتبت حيث نزلت، وحيث لم تنزل لم تكتب. يقول أيضاً: إنا وجدناهم كتبوا ما كان غير قرآن من الآى والأخرى، أو خضرة، وكتبوا التسمية بالسواد فعلمنا أنها قرآن، وبالله التوفيق.

حكم الجهر بالبسملة فى الصلاة

ثم الجهر بها فى الصلاة سنة لقول الله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ (العلق: ١)... (١). رسوله أن يقرأ القرآن بالتسمية، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ و﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (الأعلى: ١٤، ١٥) فأوجب الفلاح لمن صلى بالتسمية.

وأخبرنا أبو القاسم (الحسن بن محمد بن جعفر) حدثنا أبو صخر محمد بن مالك السعدى بمرور، حدثنا عبد الصمد بن الفضل الأملى، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الحضرمى بغوطة دمشق قال: صليت خلف المهدي أمير المؤمنين فجهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فقلت: ما هذه القراءة يا أمير المؤمنين؟ (فقال:) حدثنى أبى عن أبيه عن عبد الله بن عباس أن النبى ﷺ جهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قلت: أأثرها عنك؟ قال: نعم.

وحدثنا الحسن بن محمد بن الحسن قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن قريش بن حابس بمرور الروذ إملاءً، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الديرى، حدثنا عبد الرزاق عن عمرو بن دينار، أن ابن عمر وابن عباس كانا يجهران بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وحدثنا الحسن بن محمد بن زكريا العنبرى، حدثنا محمد بن عبد السلام، حدثنا إسحاق ابن إبراهيم، أخبرنا خيثمة بن سليمان قال: سمعت ليثاً قال: كان عطاء وطاوس ومجاهد يجهرون بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وحدثنا الحسن بن محمد: حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن المروزى، حدثنا الحسن بن على بن نصير الطوسى، حدثنا أبو ميثم سهل بن محمد، حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزاعى، عن عمار بن سلمة، عن على بن زيد بن جدعان، أن العبادلة كانوا يستفتحون

القراءة بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يجهرون بها: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن صفوان.

وحدثنا الحسن بن محمد، حدثنا أبو نصر منصور بن عبد الله الأصفهاني، حدثنا أبو القاسم الإسكندراني، حدثنا أبو جعفر الملقب عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد أنه قال: «اجتمع آل محمد على الجهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وعلى أن يقضوا ما فاتهم من صلاة الليل بالنهار، وعلى أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن القول وفي صاحبهما».

وبهذا الإسناد قال: سئل الصادق عن الجهر بالتسمية، فقال: «الحق الجهر به، وهى التى ذكر الله عز وجل: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَا عَلَىٰ أَذُنٍ مُّرهٍ تَقْوَرًا﴾ (الإسراء: ٤٦)».

وحدثنا الحسن، حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن كعب العدل، حدثنا الحسين بن أحمد بن الليث، حدثنا محمد بن المعلّى المرادى، حدثنا أبو نعيم عن خالد بن إياس عن سعيد بن أبي سعيد المقري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتانى جبريل فعلمنى الصلاة»، ثم قام رسول الله ﷺ وكبر فجهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وحدثنا الحسن بن محمد، حدثنا أبو الطيب محمد بن أحمد بن حمدون، حدثنا الشرقى، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا ابن أبي مريم عن يحيى بن أيوب ونافع بن أيوب قالوا: حدثنا عقيل عن الزهرى قال: من سنة الصلاة أن تقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فى فاتحة الكتاب (فإن) لم يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لم يقرأ السورة. وقال: إن أول من ترك ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة، واحتجّ من أن إتيان التسمية أنها من الفاتحة، والجهر بها فى الصلاة بما أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن الحسين بن الحسن ابن الخليل النيسابورى القطان، حدثنا محمد بن إبراهيم الجرجاني، حدثنا إبراهيم بن عمّار عن سعيد بن أبي عروبة عن الحجاج بن الحجاج عن قتادة عن أنس بن مالك قال: صليت مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحداً منهم يقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن إسماعيل العمارى، حدثنا يزيد بن أحمد بن يزيد، حدثنا أبو عمرو، حدثنا محمد بن عثمان، حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة عن أنس، أن النبى ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان كانوا لا يجهرون، ويخفون ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. فعلم بهذا الحديث أنه لم ينف كون هذه الآية من جملة السورة، لكنه تعرّض لترك الجهر

فقط ، على أنه أراد بقوله : (لا يجهرون) : أنهم لا يتكلمون فى رفع الصوت ولم يرد الإسرار والتخافت أو تركها أصلاً .

ويدل عليه ما أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد الحبيبي ، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري ، حدثنا محمد بن عبد السلام الوراق وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن قالوا : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ، أخبرنا يحيى بن آدم ، أخبرنا شريك ، عن ياسر ، عن سالم الأفتس ، عن ابن أبى ليلى ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ يجهر بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ جهر بها صوته ، فكان المشركون يهزءون بمكة ويقولون : يذكر إله اليمامة ، يعنون مسيلمة الكذاب ، ويسمونهم الرّحمن ، فأنزل الله : ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمع المشركون فيهزءون ، ﴿وَلَا تُخَافِ﴾ عن أمتك ولا تسمعهم ﴿وَأَتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ . واحتجوا أيضاً بما أخبرنا عبد الله بن حامد ، أخبرنا محمد بن جعفر المطيرى ، حدثنا بشر بن مطر (عن سفيان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة) عن أبيه عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يستفتحون القراءة بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، وإنما عنى بها أنهم كانوا يستفتحون الصلاة بسورة (الحمد) ، فعبّر بهذه الآية عن جميع السورة كما يقول : قرأت ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ و(البقرة) ، أى سورة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وسورة (البقرة) . . . (١) أى رويها نحكم على هذين الحديثين وأمثالهما وباللّه التوفيق .

قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ .

. . . (١) على نفسه ، نعيماً منه على خلقه . ولفظه خير ومعناه أمر ، تقريره : قولوا : الحمد لله . قال ابن عباس : يعنى : الشكر منه ، وهو من الحمد . . . (١) والحمد لله نقيض الذم . وقال ابن الأنبارى : هو مقلوب عن المدح كقوله : جبل وجلب ، و : بض وضب .

واختلف العلماء فى الفرق بين الحمد والشكر ، فقال بعضهم : الحمد : الثناء على الرجل بما فيه من الخصال الحميدة ، تقول : حمدت الرجل ، إذا أثنت عليه بكرم أو (حلم) أو شجاعة أو سخاوة ، ونحو ذلك . والشكر له : الثناء عليه أو لآله .

فالحمد : الثناء عليه بما هو به ، والشكر : الثناء عليه بما هو منه .

وقد يوضع الحمد موضع الشكر ، فيقال : حمدته على معروفه عندي ، كما يقال : شكرته ، ولا يوضع الشكر موضع الحمد ، (ف) لا يقال : شكرته على علمه وحلمه .

والحمد أعم من الشكر ؛ لذلك ذكره الله فأمر به ، فمعنى الآية : الحمد لله على صفاته العليا

وأسمائه الحسنى، وعلى جميع صنعه وإحسانه إلى خلقه.

وقيل: الحمد باللسان قولاً، قال الله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ (الإسراء: ١١١)، وقال: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ (النمل: ٥٩) والشكر بالأركان فعلاً، قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ (سبا: ١٣).

وقيل: الحمد لله على ما حبا وهو النعماء، والشكر على ما زوى وهو الأواء.

وقيل: الحمد لله على النعماء الظاهرة، والشكر على النعماء الباطنة، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ (لقمان: ٢٠).
وقيل: الحمد ابتداءً والشكر... (١).

حدثنا الحسن بن محمد بن جعفر النيسابوري لفظاً، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يزيد النسفي حدثنا محمد بن علي الترمذي حدثنا عبد الله بن العباس الهاشمي، حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو (بن العاص) قال: قال رسول الله ﷺ: «الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده».

وحدثنا الحسن بن محمد، أخبرنا أبو العباس أحمد بن هارون الفقيه، حدثنا عبد الله بن محمود السعدي، حدثنا علي بن حجر، حدثنا شعيب بن صفوان عن مفضل بن فضالة عن علي بن يزيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه سئل عن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال: كلمة شكر أهل الجنة.

في إعراب ﴿الحمد لله﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾

وقد اختلف القراء في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فقرأت العامة بضم الدال على الابتداء، وخبره فيما بعده. وقيل: على التقديم والتأخير، أي لله الحمد.

وقيل: على الحكاية. وقرأ هارون بن موسى الأعمور ورؤية بن العجاج بنصب الدال على الإضمار، أي أحمد الحمد؛ لأن الحمد مصدر لا يثنى ولا يجمع. وقرأ الحسن البصري بكسر الدال، أتبع الكسرة الكسرة. وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة الشامي بضم الدال واللام، أتبع الضمة الضمة.

(١) بياض بالأصل المخطوط.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قرأ زيد بن علي: (رب العالمين) بالنصب على المدح، وقال أبو سعيد بن أوس الأنصاري: على معنى أحمد رب العالمين. وقرأ الباقون ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بكسر الباء، أي خالق الخلق أجمعين ومبدئهم ومالكهم والقائم بأمرهم، والرب بمعنى السيد، قال الله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ (يوسف: ٤٢) أي سيدك، قال الأعشى:

واهلكن يوماً ربُّ كندة وابنه وربُّ معيين خبت وعرعر
وربُّ عمر والرومي من رأس حضية وأنزلن بالأسباب رب المشقرة
يعنى: رئيسها وسيدها.

ويكون بمعنى المالك، قال النبي ﷺ: «أربُّ إبل أنت أم رب غنم؟». فقال: من كل قد أتاني الله فأكثر وأطنب وقال طرفة:

كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتفن حتى تشاد بقرمد
وقال النابغة:

وإن يك ربُّ أدواد فحسبي أصابوا من لقائك ما أصابوا
ويكون بمعنى الصاحب، قال أبو ذؤيب:
فدنا له رب الكلاب بكفّه بيض رهاب ريشهن مقزع

ويكون بمعنى المرعى، يقول: ربُّ يربّ ربابة وربوياً، فهو ربُّ، مثل برّ وطب، قال الشاعر:

يربّ الذي يأتي من العرف إنه إذا سئل المعروف زاد وتمّما
ويكون بمعنى المصلح للشيء، قال الشاعر:
كانوا كسائلة حمقاء إذ حقنت سلاءها في أديم غير مربوب

أي غير مصلح.

وقال الحسين بن الفضل: الرب: اللبث من غير إثبات أحد، يقال: ربّ بالمكان وأربّ، ولبث وألبث إذا أقام وفي الحديث أنه كان يتعوذ بالله من فقر ضرب أو قلب قال الشاعر:

ربُّ بأرض تخطأها الغنم لبُّ بأرض ما تخطأها الغنم

وهو الاختيار؛ لأن المتكلمين أجمعوا على أنّ الله لم يزل ربّاً وسمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو بكر محمد بن موسى الواسطي عن الرب، فقال: هو الخالق ابتداءً، والمربى غذاءً، والغافر انتهاءً. ولا يقال للمخلوق: هو الرب، معرّفًا بالألف واللام، وإنما يقال على الإضافة: هو رب كذا؛ لأنه لا يملك الكل غير الله، والألف واللام

تدلّان على العموم. وأمّا العالمون فهم جمع عالم، ولا واحد له من لفظه، كالأنام والرهط والجيش ونحوها.

واختلفوا فى معناه، حدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن، أخبرنا أبو إسحاق بن أسعد بن الحسن بن سفيان عن جدّه عن أبي نصر ليث بن مقاتل عن أبي معاذ الفضل بن خالد عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن الربيع بن أنس عن شهر بن حوشب عن أبي بن كعب قال: العالمون هم الملائكة، وهم ثمانية عشر ألف ملك منهم أربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمشرق، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمغرب، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالكهف الثالث من الدنيا، وأربعة آلاف وخمسمائة ملك فى الكهف الرابع من الدنيا، مع كل ملك من الأعوان ما لا يعلم عددهم إلاّ الله عزّ وجلّ ومن ورائهم أرض بيضاء كالرخام. . . (١) مسير الشمس أربعين يوماً، طولها لا يعلمه إلاّ الله عزّ وجلّ مملوءة ملائكة يقال لهم الروحانيون، لهم زجل بالتسييح والتهليل، لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من هول صوته فهم العالمون، منتهاهم إلى حملة العرش.

وقال أبو معاذ (النحوى): هم بنو آدم.

وقال أبو هيثم خالد بن يزيد: هم الجن والإنس؛ لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)، وهى رواية عطية العوفى وسعيد بن جبير عن ابن عباس.

وقال الحسين بن الفضل: العالمون: الناس، واحتجّ بقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٦٥).

وقال العجاج: بخلاف هذا العالم.

وقال الفراء وأبو عبيدة: هو عبارة عن يعقل، وهم أربع أمم: الملائكة، والجن، والإنس، والشياطين، لا يقال للبهائم: عالم. وهو مشتق من العلم، قال الشاعر:

❖ ما إن سمعت بمثلهم فى العالمينا ❖

وقال عبد العزيز بن يحيى الكنانى: هم أهل التنزيه من الخلق. وقال عبد الرّحمن بن زيد ابن أسلم: هم المرتزقون. وقال الخضر بن إسماعيل: هو اسم الجمع الكثير، قال ابن الزبيرى:

إنى وجدتك يا محمد عصمة للعالمين من العذاب الكارث

وقال أبو عمرو بن العلاء: هم الروحانيون. وهو معنى قول ابن عباس: كل ذى روح دبّ

على وجه الأرض . وقال سفيان بن عيينة : هو جمع للأشياء المختلفة .

وقال جعفر بن محمد الصادق : العالمون : أهل الجنة وأهل النار . وقال الحسن وقتادة ومجاهد : هو عبارة عن جميع المخلوقات ، واحتجوا بقوله : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿ (الشعراء: ٢٣-٢٤) .

واشتقاقه على هذا القول من (العلم) و(العلامة) ؛ لظهورهم ولظهور أثر الصنعة فيهم ثم اختلفوا في مبلغ العالمين وكيفيتهم ، فقال سعيد بن المسيب : لله ألف عالم ؛ منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر . وقال الضحاك : فمنهم ثلاثمائة وستون عالماً حفاة عراة لا يعرفون من خالقهم ، وستون عالماً يلبسون الثياب . وقال وهب : لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم ، الدنيا عالم منها ، وما العمارة في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء . وقال أبو سعيد الخدري : إن لله أربعين ألف عالم ، الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد . وقال أبو القاسم مقاتل بن حيان : العالمون ثمانون ألف عالم ؛ أربعون ألفاً في البر وأربعون ألفاً في البحر . وقال مقاتل بن سليمان : لو فسرت ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ ، لاحتجت إلى ألف مجلد كل مجلد ألف ورقة . وقال كعب الأخبار : لا يحصى عدد العالمين إلا الله ، قال الله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (المدثر: ٣١) .

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

اختلف القراء فيه من عشرة أوجه :

الوجه الأول : مالك - بالألف وكسر الكاف - على النعت ، وهو قراءة النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وابن عباس وأبي ذر وأبي هريرة وأنس ومعاوية .

ومن التابعين وأتباعهم عمر بن عبد العزيز ومحمد بن شهاب الزهري ومسلمة بن زيد والأسود بن يزيد وأبو عبد الرحمن السلمى وسعيد بن جبير وأبو رزين وإبراهيم وطلحة بن عوف وعاصم بن أبي النجود . . . (١) بن عمر الهمداني وشيبان بن عبد الرحمن وعلي بن صالح بن حى وابن أبي ليلى وعبد الله بن إدريس وعلي بن حمزة الكسائي وخلف بن هشام والحسين بن أبي الحسن البصرى من أهل البصرة وأبو رجاء العطاردي ومحمد بن سيرين وبكر ابن عبد الله المزني وقتادة بن دعامة السدوسي ويحيى بن يعمر . . . (١) وعيسى بن عمر النفعي وسلام بن سليمان أبو المنذر ويعقوب بن أعين الحضرمي وأيوب بن المتوكل وأبو عبيدة . . . (١) وسعيد بن مسعدة الأخفش وخالد بن معدان والضحاك بن مزاحم .

(١) بياض بالأصل المخطوط .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد، أخبرنا أحمد بن محمد بن محمد بن علي، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن المسيب وأخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا ابن عبد الحكم: حدثنا... (١) بن سويد الحميري عن يونس عن يزيد عن ابن شهاب عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يقرؤون: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وأخبرنا أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن محمد بن خلف العطار، حدثنا المنذر بن المنذر الفارسي، حدثنا هارون بن حاتم، حدثنا إسحاق بن منصور الأسدي عن أبي إسحاق... (١) عن مالك بن دينار عن أنس قال: سمعت النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً يقرؤون: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. وأول من قرأها: (ملك يوم الدين) مروان بن الحكم.

والوجه الثاني: ملك، بغير ألف وكسر الكاف على التفسير أيضاً، وهو قراءة زيد بن ثابت وأبي الدرداء وشعيب بن يزيد والمسور بن المخزومي ومن التابعين وأتباعهم عروة بن الزبير وأبو بكر بن عمر بن حزم ومروان بن الحكم... (١) وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وأبان بن عثمان وأبو جعفر يزيد بن الفضل ونسيبة بن نصح ونافع بن نعيم ومجاهد وابن كثير وابن محسن وحמיד بن معين ويحيى بن وثاب وحمزة بن حبيب ومحمد بن سيرين وعبد الله بن عمر وأبو عمرو بن العلاء وعمرو بن... (١) وعبد الله بن عامر النصيبى.

وروى ذلك أيضاً عن رسول الله ﷺ وعن عثمان وعلي عليه السلام. أخبرنا ابن حمدويه، أخبرنا ابن أيوب (المنقري): أخبرنا ابن حامد وابن... (١) قالوا: أخبرنا حامد بن محمد، حدثنا وأخبرنا ابن عمر، حدثنا الرفاء قالوا: حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو عبيد، حدثنا يحيى بن سعيد القطان، حدثنا عبد الملك بن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿﴾.

والوجه الثالث: ملك - بجزم اللام - على النعت، وهو رواية الحسن بن علي الجعفي وعبد الوارث بن سعيد، وروى عن ابن عمر.

والوجه الرابع: أن مالك - بالألف ونصب الكاف - على النداء، وهى قراءة الأعمش ومحمد بن (السميع) وعبد الملك قاضى الجند، وروى ذلك عن الرسول ﷺ قال فى بعض غزواته: «يا مالك يوم الدين».

والوجه الخامس: ملك - بنصب الكاف من غير ألف - على النداء أيضاً، وهى قراءة

عطية . . . (١).

والوجه السادس: مالك - بالألف ورفع الكاف - على معنى: هو مالك، وهى قراءة عزيز العقيلي.

والوجه السابع: ملك - برفع الكاف من غير ألف - وهى قراءة أبى حمزة وابن سيرين.
والوجه الثامن: مالك، بالإمالة والإضجاع البليغ. روى ذلك عن يحيى بن يعمر. وعن أيوب السختياني بين الإمالة والتفخيم . . . (١) عن . . . (١) عن الكلبي.
والوجه التاسع: (ملك يوم الدين) على الفعل، وهى قراءة الحسن ويحيى بن يعمر وأبى حمزة وأبى حنيفة.

الفرق بين ملك ومالك

(أما) الفرق بين مالك وملك فقال قوم: هما لغتان بمعنى واحد، مثل (فرهين) و(فارهين) و(حذرين) و(حاذرين) و(فكهين) و(فاكهين) . . . (١) بينهما، فقال أبو عبيدة والأصمعي وأبو سالم والأخفش وأبو الهيثم: مالك أجمع وأوسع وأمدح، ألا ترى أنه يقال: الله مالك الطير والدواب والوحش وكل شىء، ولا يقال: ملك كل شىء، وإنما يقال: ملك الناس؟ قالوا: ولا يكون مالك الشىء إلا وهو يملكه ويكون ملك الشىء وهو لا يملكه، كقولهم: ملك العرب والعجم والروم.

وقالوا أيضاً: إن (المالك) يجمع الفعل والاسم.

وقال بعضهم: فى (مالك) . . . (١) ومالك قوله ﷺ: «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر

حسنة».

وقال أبو عبيد: الذى نختار ملك . . . (١) مروياً عن النبى ﷺ أثبت. ومن قرأ بها من أهل العلم أكثر. وهى مع هذا فى المعنى أصح لقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ (الحشر: ٢٣)، و: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ (الناس: ٢)، و: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ (غافر: ١٦)، ولم يقل: لمن الملك اليوم؟
والملك مصدر الملك وغيره، وملك يصلح للمالك والمليك، يقال: ملك الشىء يملكه ملكاً، فهو مالك ومليك، و: ملكه يملكه ملكاً فهو ملك لا غير. وهما بعد الناس، ومعناهما الرب؛ لأن العرب تقول: رب الدار والعبد والضيعة بمعنى أنه مالكها، ولا يفرقون بين قولهم:
(١) بياض بالأصل المخطوط.

ربّها ومالكها ومن (١) قال: إن المالك والملك هو القادر على استخراج الأعيان من العدم إلى الوجود، ولا يقدر في الحقيقة على إخراجها إلا الله المالك، قال النبي ﷺ: «لا ملك إلا الله». فأما غيره، فيسمى مالكا وملكا على المجاز. والمراد بذلك: أنه مأذون له في التصرف فيه.

وقال عبد العزيز بن يحيى: المالك يمكن بما يملكه، منفرد به عن أبناء جنسه، تعود منافعه إليه، والمالك الثاني الذى بيده الشئ، ويستولى عليه، ويصرفه فيما يريد. تقول العرب: ملكك زمام البعير، وملكك العجين إذا شددته، وأملكك المرأة إملاكا، قال الشاعر:

❖ وجبرئيل أمين الله أملكها ❖

معنى قوله: ﴿الَّذِينَ﴾:

وأما معنى قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فقال ابن عباس والسدى ومقاتل: قاضى يوم الحساب. ودليله قوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ الَّذِي كَفَّرْنَا﴾ (التوبة: ٣٦)، أى الحساب المستقيم. الضحاك وقتادة: الدين: الجزاء، يعنى: يوم يدين الله العباد بأعمالهم. دليله قوله: ﴿أَعْنَانًا لَمَدِيُونًا﴾ (الصافات: ٥٣)، أى مجربون. قال لبيد:

حصادك يوماً ما زرعت وإنما يدان الفتى يوماً كما هو دائن

وقال عثمان بن زيات: يوم القهر والغلبة، تقول العرب: مدان فدان، أى قهرته فخضع وذلّ وقال الأعشى:

هو دان الرباب إذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وارتحال

ثم دانت بعد الرباب وكانت كعذاب عقوبة الأقوال

وسمعت أبا القاسم الحسين بن محمد الأديب يقول: سمعت أبا المضر محمد بن أحمد ابن منصور يقول: سمعت أبا عمر غلام ثعلب يقول: كان الرجل إذا أطاع ودان إذا عصى، ودان إذا عزّ وكان إذا ذلّ، ودان إذا قهر.

وقال الحسن بن الفضل: يوم الإطاعة، قال زهير:

لئن حللت بواد فى بنى أسد فى دين عمرو وحالت بيننا فذك

أى فى طاعة، وكل ما أطيع الله فيه فهو دين.

وقال بعضهم: يوم العمل، قال الفراء: دين الرجل خلقه وعمله وعادته، وقال المثقب

العبدى:

تقول إذا درأت لها وضيئي أهذا دينه أبداً ودينى
وقال محمد بن كعب القرظى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ لا ينفع فيه إلا ﴿الدِّينِ﴾، وهذه من
قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٨ - ٨٩)،
وقوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (سبا: ٣٧).
وإنما خصّ يوم الدين بكونه مالكا له؛ لأن الأملاك فى ذلك اليوم زائلة، وهى باطلة
والأملاك خاصة. وقيل: خصّ يوم الدين بالمالك فيه؛ لأن ملك الدنيا قد اندرج فى قوله:
﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: ٢)، فأثبت أنه مالك الآخرة بقوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ ليعلم أن
الملك له فى الدارين. وقيل: إنما خصّ يوم الدين بالذكر؛ تهويلاً وتعظيماً لشأنه كما قال
تعالى: ﴿يَوْمَهُمْ يَسْزُرُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ (غافر: ١٦)، ولا خفاء بهم فى كل الأوقات
عن الله عز وجل.



﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

رجع من الخبر إلى الخطاب على التلوين. وقيل فيه إضمار، أى قولوا: ﴿إِيَّاكَ﴾. و(إيا)
كلمة ضمير، لكنه لا يكون إلا فى موضع النصب، والكاف فى محلّ الخفض بإضافة إيا
إليها، وخصّ بإضافة إلى الضمير؛ لأنه يضاف إلى الاسم المضمّر ألا يقول الشاعر:

فدعنى وإيا خالد لأقطعن عرّى نياطه

وحكى الخليل عن العرب: إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإياكم
ويستعمل مقدماً على الفعل مثل (إياك أعنى) و(إياك أسأل)، ولا يستعمل مؤخراً على
الفعل إلا أن...^(١) به حين الفعل، فيقال: ما عبدت إلا إياك ونحوها. وقال أبو ميثم سهل
ابن محمد: إياك ضمير منفصل، والضمير ثلاثة أقسام:
ضمير متصل نحو الكاف والهاء والياء فى قولك: أكرمك، وأكرمه، وأكرمنى. سمي
بذلك لاتصاله بالفعل.

وضمير منفصل نحو: إياك وإياه وإياى. سمي بذلك لانفصاله عن الفعل.
وضمير مستكن، كالضمير فى قولك: قعد وقام. سمي بذلك لأنه استكن فى الفعل ولم
يُستبق فى اللفظ ويعمّ أن فيه ضمير الفاعل؛ لأن الفعل لا يقوم إلا بفاعل ظاهر أو مضمّر.
وقال أبو زيد: إنما هما ياءان: الأولى للنسبة والثانية للنداء، تقديرها: (أى يا)، فأدغمت

(١) بياض بالأصل المخطوط.

وكسرت الهمزة لسكون الياء . وقال أبو عبيد: أصله (أو ياك)، فقلبت الواو ياءً فأدغموه، وأصله من (أوى، يؤوى، إيواء) كأن فيه معنى الانقطاع والقصد . وقرأ الفضل الرقاشي (أيك) بفتح الألف وهي لغة .

وإنما لم يقل: نعبدك (لأنه) يصح في العبارة، وأحسن في الإشارة؛ لأنهم إذا قالوا: إياك نعبد، كان نظرهم منه إلى العبادة لا من العبادة إليه . وقوله: ﴿عَبُدْ﴾ أى نوحده ونخلص ونطيع ونخضع، والعبادة رياضة النفس على حمل المشاق في الطاعة . وأصلها الخضوع والانقياد والطاعة والذلة، يقال: طريق معبد إذا كان مذلاً موطوءاً بالأقدام .
قال طرفة:

تبارى عتاقاً ناجيات وأتعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد
وبعير معبد إذا كان مطلياً بالقطران، قال طرفة:
إلى أن تحامتنى العشيرة كلها وأفردت إفراد البعير المعبد
وسمى العبد عبداً لذته وانقياده لمولاه .

﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾: نستوفى ونطلب المعونة على عبادتك وعلى أمورنا كلها، يقال: استعنته واستعنت به، وقرأ يحيى بن رثاب: (نستعين) بكسر النون . قال الفرّاء: تيمم وقيس وأسد وربيعة يكسرون علامات المستقبل إلاّ الياء، فيقولون إستعين ونستعين ونحوها، ويفتحون الياء لأنها أخت الكسرة . وقريش وكنانة يفتحونها كلها وهي الأفتح والأشهر .
وإنما كرّر ﴿إِيَّاكَ﴾؛ ليكون أدلّ على الإخلاص والاختصاص والتأكيد لقول الله تعالى خبراً عن موسى: ﴿كَيْ تَسْبِحَكَ كَثِيرًا ۖ وَتَذَكَّرَكَ كَثِيرًا ۖ﴾ (طه: ٣٣-٣٤)، ولم يقل: كى نسبحك وتذكرك كثيراً .
وقال الشاعر:

وجاعل الشمس مصراً لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا
ولم يقل بين النهار والليل . وقال الآخر:
بين الأشجّ وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود

وقال أبو بكر الوراق: إياك نعبد لأنك خلقتنا، وإياك نستعين لأنك هديتنا وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا الحسن على بن عبد الرحمن الفرّان، وقد سئل عن الآية فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأنك الصانع، و﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأن المصنوع لا غنى به عن الصانع، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لتدخلنا الجنان، و﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لتنقذنا من النيران، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأننا عبيد

﴿وَأَيُّكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأنك كريم مجيد، ﴿إِنَّكَ نَعْبُدُ﴾ لأنك المعبود بالحقيقة و﴿وَأَيُّكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأننا العباد بالوثيقة.



﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

﴿أَهْدِنَا﴾ ، قال علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وأبى بن كعب: أرشدتنا فهذا كما يقال للرجل الذي يأكل: كل، والذي يقرأ: اقرأ، وللقائم: قم لى حتى أعود لك أى دُم على ما أنت عليه. وقال السدّي ومقاتل: أرشدنا، يقال: هديته للدين وهديته إلى الدين هدى وهداية، قال الحسن بن الفضل: الهدى فى القرآن على وجهين:

الوجه الأول: هدى دعاء وبيان كقوله: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢)، وقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: ٧) و﴿وَأَمَّا نُمُودٌ فَمَا هِيَ بِإِهْدِيهِمْ﴾ (فصلت: ١٧).

الوجه الثانى: هدى توفيق وتسديد كقوله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (النحل: ٩٣)، وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (القصص: ٥٦).

﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الطريق الواضح المستوى، قال عامر بن الطفيل:
خشونا أرضهم بالخيل حتى تركناهم أذل من الصراط
وقال جرير:

أمير المؤمنين على صراط إذا عوجّ الموارد مستقيم

الاختلاف فى قراءة الصراط

وفى الصراط خمس قراءات: بالسین وهو الأصل، سمى الطريق سراطاً لأنه يستترط المارة. أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن حمدويه، حدثنا محمود بن آدم، حدثنا سفيان عن عمر عن ثابت قال: سمعت ابن عباس قرأ السراط بالسین، وبه قرأ ابن كثير (من) طريق...^(١) ويعقوب (من) طريق...^(١).

وبإشمام السین وهى رواية أبى حمدون عن الكسائى، وبالزای وهى رواية أبى حمدون عن سليم عن حمزة.

وبإشمام الزای وهى قراءة حمزة فى أكثر الروايات والكسائى فى رواية نهشل والشيرازى.

(١) بياض بالأصل المخطوط.

وبالصاد قراءة الباقي من القرآن.

وكلها لغات فصيحة صحيحة إلا أن الاختيار الصاد؛ لموافقة المصحف لأنها كتبت في جميع المصاحف بالصاد. ولأن آخرتها بالطاء لأنهما موافقتان في الإطباق والاستعلاء.

واختلف المفسرون في «الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ» فأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد، وأبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري قالا: أخبرنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني، حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان، حدثنا الحسين بن علي عن حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن (ابن) أبي أخ الحارث الأعسر عن الحارث عن علي قال: سمعت النبي ﷺ (يقول): «الصراط المستقيم كتاب الله عز وجل».

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا حامد بن محمد، حدثنا محمد بن شاذان الجوهري، حدثنا زكريا بن عدى عن مقتضى عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال: الصراط المستقيم كتاب الله عز وجل.

وأخبرنا عبد الله، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، حدثنا ليث، حدثنا عقبة بن سليمان، حدثنا الحسين بن صالح عن أبي عقيل عن جابر قال: الصراط المستقيم الإسلام، وهو أوسع مما بين السماء والأرض (وإنما كان) الصراط المستقيم الإسلام لأن كل دين وطريق (غير) الإسلام فليس بمستقيم.

وروى عاصم الأحول عن أبي العالية الرياحي: هو طريق النبي ﷺ وصاحبه.

قال عاصم: فذكرت ذلك للحسن فقال: صدق أبو العالية ونصح.

وقال بكر بن عبد الله المزني: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فسألته عن الصراط المستقيم،

فقال: سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي.

وقال سعيد بن جبير: يعني طريق (الحق).

وقال السدي: أرشدنا إلى دين يدخل صاحبه به الجنة ولا يعذب في النار أبداً، ويكون

خروجه من قبره إلى الجنة.

وقال محمد ابن الحنفية: هو دين (الله) الذي لا يقبل من عباده غيره.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله العائني، حدثنا أبو الحسين محمد بن عثمان

النصيبي ببغداد، حدثنا أبو القاسم . . . (١) ابن نهار، حدثنا أبو حفص المستملي، حدثنا أبي،

حدثنا حامد بن سهل، حدثنا عبد الله بن محمد العجلي، حدثنا إبراهيم بن جابر عن مسلم بن

(١) بياض بالأصل المخطوط.

حيان عن أبي بريدة في قول الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: صراط محمد ﷺ وآله (عليهم السلام).

وقال عبد العزيز بن يحيى: يعني طريق السواد الأعظم. (وقال) أبو بكر الورّاق: يعني صراطاً لا تزيغ به الأهواء يميناً وشمالاً. وقال محمد بن علي النهدي: يعني طريق الخوف والرجاء. وقال أبو عثمان الداراني: (يعني) طريق العبودية.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد يقول: سمعت أبا نصر منصور بن عبد الله بهرات يقول: سمعت أبا الحسن عمر بن واصل العنبري يقول: سمعت (سهل) بن عبد الله التستري يقول: طريق السنّة والجماعة لأن البدعة لا تكون مستقيمة.

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم: حدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي: أخبرنا أبو بكر عيَّاش عن عاصم عن زر عن أبي وائل عن عبد الله قال: خطّ رسول الله خطين، خطاً عن يمينه وخطاً عن شماله ثم قال: «هذه السُّبُل، وعلى كلِّ سبيل منها شيطان يدعو إليه، وهذا سبيل الله؟»، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا معمر بن سفيان الصغير، حدثنا يعقوب بن سفيان الكبير، حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح، حدثنا معاوية بن صالح أن عبد الرحمن بن جبير بن نصر حدثه عن أبيه جبير عن نواس بن معاذ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ضرب الله مثلاً (صراطاً مستقيماً) وعلى جانبي الصراط ستور مرخاة فيها أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط ولا تعوجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتحه؛ فإنك إن تفتحته تلجه والصراط: الإسلام. والستور حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على الصراط كتاب الله عزّ وجلّ، والداعي من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم».



﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

﴿صِرَاطٌ﴾ بدل من الأول ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: طريق الذين أنعمت عليهم بالتوفيق والرعاية، والتوحيد والهداية، وهم الأنبياء والمؤمنون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ

أَوْلَيْكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ (النساء: ٦٩).

قال ابن عباس : هم قوم موسى وعيسى من قبل أن يغيروا نعم الله عليهم .
وقال شهر بن حوشب هم أصحاب الرسول صلى الله عليه ورضى عنهم وأهل بيته (عليهم السلام) . وقال عكرمة : ﴿أُنْعِمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالثبات على الإيمان والاستقامة .

وقال على بن الحسين بن داود : ﴿أُنْعِمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالشكر على السراء والصبر على الضراء .
وقال . . . (١) بن . . . (١) : بما قد سنّه محمد ﷺ . وقال الحسين بن الفضل : يعنى أتممت عليهم
النعمة فكم من منعم عليه . . . (١) .

وأصل النعمة المبالغة والزيادة ، يقال : دقت الدواء فأنعمت دقّه أى بالغت فى دقه ، ومنه
قول النبي ﷺ : «إن أهل الجنة يتراءون الغرفة منها كما يتراءون الكوكب الدرّى الشرقى أو
الغربى فى أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعماء» .
أى زادا عليه . وقال أبو عمرو : بالغافى الخير .

وقرأ الصادق : (صراط من أنعمت عليهم) ، وبه قرأ عمرو بن الزبير وعلى ، حرف اللام
يجر ما بعده . وفى ﴿عَلَيْهِمْ﴾ سبع قراءات .

الأولى : عليهم - بكسر الهاء وجزم الميم - وهى قراءة العامة .
والثانية : عليهم - بضم الهاء وجزم الميم - وهى قراءة الأعمش وحمزة . وروى ذلك عن
النبي ﷺ وعمر (رضى الله عنه) .

والثالثة : عليهمو - بضم الهاء والميم وإلحاق الواو - وهى قراءة عيسى بن عمر وابن أبى
إسحاق .

والرابعة : عليهمو - بكسر الهاء وضم الميم وإلحاق الواو - وهى قراءة ابن كثير والأعرج .
والخامسة : عليهمى - بكسر الهاء والميم وإلحاق الياء - وهى قراءة الحسن .
والسادسة : عليهم - بكسر الهاء وضم الميم مضمومة مختلصة - وهى رواية عبد الله بن عطاء
الختاف عن أبى عمرو .

والسابعة : عليهم - بكسر الهاء والميم - وهى قراءة عمرو بن حامد .
فمن ضمّ الهاء ردّه إلى الأصل لأنه لو أفرد كان مضموماً عند الابتداء به ، ومن كسره
فلأجل الياء الساكنة . ومن كسر الهاء وجزم الميم فإنه يستقلّ الضمّ مع مجاورة الياء الساكنة ،
والياء أخت الكسرة والخروج من الضم إلى الكسر ثقيل . ومن ضمّ الهاء والميم أتبع فيه

(١) بياض بالأصل المخطوط .

الضمّة . ومن كسر الهاء وضمّ الميم فإنه كسر الهاء لأجل الياء وضمّ الميم على الأصل ، والاختلاس للاستخفاف ، وإلحاق الواو والياء للإتباع والله أعلم . قال الشاعر فى الميم المختلصة :

والله لولا شعبة من الكرم
وسطة فى الحى من خال وعم
لكنت فيهم رجلاً بلا قدم

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ غير : صفة الذين . والذين معرفة ولا توصف المعارف بالتركات ولا التركات بالمعارف إلا أن الذين ليس بمعرفة موقته ولكنه بمنزلة قولك : إنى لأمرُّ بالصادق غير الكاذب ، كأنك قلت : من يصدق لا من يكذب . ولا يجوز : مررت بعبد الله غير الظريف . ومعنى كلامه : غير صراط الذين غضبت ﴿عَلَيْهِمْ﴾ .

فى معنى الغضب

واختلفوا فى معنى الغضب من الله عزّ وجلّ ، فقال قوم : هو إرادة الانتقام من العصاة . وقيل : هو جنس من العقاب يضادّ الرضا . وقيل : هو ذمّ العصاة على قبح أفعالهم . ولا يلحق غضب الله تعالى العصاة من المؤمنين بل يلحق الكافرين .
﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ عن الهدى .

وأصل الضلال الهلاك ، يقال ضلّ الماء فى اللبن إذا خفى وذهب ، و : رجل ضالّ إذا أخطأ الطريق ، و : مضلّل إذا لم يتوجّه لخير ، قال الشاعر :

ألم تسأل فتخبرك الديار
عن الحى المضلل أين ساروا

قال الزجاج وغيره : وإنما جاز أن يعطف بـ (لا) على غير ؛ لأن غير متضمّن معنى النفى ؛ فهو بمعنى لا ، مجازه : غير المغضوب عليهم وغير الضالين كما تقول : فلان غير محسن ولا مجمل . فإذا كان (غير) بمعنى سوى لم يجر أن يعطف عليها بـ (لا) ؛ لأنه لا يجوز فى الكلام عندى سوى عبد الله ولا زيد . وروى الخليل بن أحمد عن ابن كثير : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ نصباً . وقرأ عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب - رضى الله عنهما - : (وغير الضالين) ، وقرأ السخيتانى (ولا الضالّين) بالهمزة ؛ لالتقاء الساكنين ، والله أعلم .

فأما التفسير :

فأخبرنا عبد الله بن حامد ، أخبرنا أحمد بن عبد الله المزنى ، حدّثنا محمد بن عبد الله بن

سليمان، أخبرنا أحمد بن حنبل ومحمد بن دينار قالا: حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سماك قال: سمعت عباد بن حبيش عن عدى بن حاتم عن النبي ﷺ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: «اليهود»، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: «النصارى».

وأخبرنا أبو القاسم الحبيبي، أخبرنا أبو زكريا العنبري، حدثنا محمد بن عبد الله الوراق، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن بديل العقيلي عن عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع رسول الله ﷺ، وهو بوادي القرى على فرسه فسأله رجل من القين، فقال: يا رسول الله، من هؤلاء الذين يقاتلونك؟ قال: «المغضوب عليهم»، وأشار إلى اليهود. فقال: من هؤلاء الطائفة الأخرى؟ فقال: «الضالون»، وأشار إلى النصارى.

وتصديق هذا الحديث حكم الله تعالى بالغضب على اليهود في قوله: ﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِبَشَرٍ مِّنْ ذَلِكَ مُتَّوِّبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٦٠)، وحكم الضلال على النصارى في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾ (المائدة: ٧٧).

وقال الواقدي: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بالمخالفة والعصيان، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ عن الدين والإيمان. وقال التستري: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ البدعة، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ عن السنة.

فصل في آمين

والسنة المستحبة أن يقول القارئ بعد فراغه من قراءة فاتحة الكتاب: آمين؛ سواء كان في الصلاة أو غير الصلاة؛ لما أخبرنا عبد الله بن حامد الأصفهاني، أخبرنا محمد بن جعفر المطيري، حدثنا الحسن بن علي بن عفان العامري، حدثنا أبو داود عن سفيان، وأخبرنا عبد الله قال: وأخبرنا عبدوس بن الحسين، حدثنا أبو حاتم الرازي، حدثنا ابن كثير، أخبرنا سفيان عن سلمة عن حجر أبي العنابس الحضرمي عن أبي قايل بن حجر قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قال: «آمين»، ورفع بها صوته.

وروى عنه ﷺ أنه قال: «لَقِنْتَنِي جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ آمِينَ عِنْدَ فِرَاقِي مِنَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ».

وقال «إنه كالحاتم على الكتاب» وفي لغتان: آمين بقصر الألف، وأنشد:

تباعد مني فعطل إذ سألته آمين فزاد الله ما بيننا بعداً

وآمين بمد الألف وأنشد:

يا رب لا تسلبني حبها أبداً ويرحم الله عبداً قال آمينا

وهو مبني على الفتح مثل أمين.

واختلفوا فى تفسيره فأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن أيوب، أخبرنا الحسن بن على بن زياد، حدثنا عبيد بن يعيش عن محمد بن الفضل عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن معنى «آمين» قال: «ربّ أفعّل».

وقال ابن عباس وقتادة: معناه: كذلك يكون.

وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان، أخبرنا مكى بن عبدان، حدثنا عبد الله بن حاتم، حدثنا عبد الله بن نمير، أخبرنا سفیان عن منصور عن هلال بن يساف قال: آمين اسم من أسماء الله تعالى، وبذلك قال مجاهد.

وقال سهل بن عبد الله: معناه: لا يقدر على هذا أحد سواك. وقال محمد بن على النهدي: معناه لا تخيب رجانا.

وقال عطية العوفى: آمين كلمة ليست بعربية، إنما هى عبرية أو سريانية ثم تكلمت به العرب فصار لغة لها. وقال عبد الرحمن بن زيد: آمين كنز من كنوز العرش لا يعلم تأويله أحد إلا الله عز وجل.

وقال أبو بكر الوراق: آمين قوة للدعاء واستنزال للرحمة.

وقال الضحاك بن مزاحم: آمين أربعة أحرف مقتطعة من أسماء الله تعالى، وهو خاتم رب العالمين يختم به براءة أهل الجنة وبراءة أهل النار، وهى الجائزة التى منها يجوزون إلى الجنة والنار.

يدلّ عليه ما أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، حدثنا أبو الحسن محمد بن محمود بن عبد الله، حدثنا محمد بن على الحافظ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حمويه، حدثنا سعيد بن جبیر، حدثنا المؤمل بن عبد الرحمن بن عياش الثقفى، عن أبى أمية بن يعلى الثقفى، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين».

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون بن الفضل بقراءة عليه فى صفر سنة ثمان وأربعمائة أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين بن الشرقى، حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إذا قال أحدكم آمين والملائكة فى السماء فوافق إحداهما الأخرى غُفر له ما تقدم من ذنبه».

وحدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر، أخبرنا محمد أبو الحسن محمد بن الحسن بهراة، حدثنا رجاء بن عبد الله، حدثنا مالك بن سليم، عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج عن عطاء قال: آمين دعاء (وعنه عن) النبي ﷺ قال: «ما حسدكم اليهود على شيء، كما حسدوكم على آمين، وتسليم بعضكم على بعض».

وقال وهب بن منبه: آمين على أربع أحرف، يخلق الله تعالى من كل حرف ملكاً يقول: اللهم اغفر لمن قال: آمين.

فصل في أسماء هذه السورة

هي عشرة، وكثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمى:

الأول: فاتحة الكتاب، سمّيت بذلك لأنه يفتح بها في المصاحف والتعليم والقراءة في الصلاة، وهي مفتحة بالآية التي تفتح بها الأمور تيمناً وتبركاً وهي التسمية. وقيل: سمّيت بذلك لأن الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القرآن. وقال الحسين بن الفضل: لأنها أول سورة نزلت من السماء.

والثاني: سورة الحمد، لأن فيها ذكر الحمد، كما قيل: سورة (الأعراف)، و(الأنفال)، و(التوبة) ونحوها.

والثالث: أمّ الكتاب والقرآن؛ سمّيت بذلك لأنها أول القرآن والكتب المنزلة، فجميع ما أودعها من العلوم مجموع في هذه السورة؛ فهي أصل لها كالأم للطفل، وقيل: سمّيت بذلك؛ لأنها أفضل سور القرآن كما أن مكة سميت أم القرى لأنها أشرف البلدان. وقيل: سمّيت بذلك لأنها مقدّمة على سور القرآن، فهي أصل وإمام لما يتلوها من السور، كما أن أم القرى أصل جميع البلدان دحيت الأرض من تحتها. وقيل: سمّيت بذلك لأنها مجمع العلوم والخيرات، كما أن الدماغ يسمى أمّ الرأس؛ لأنها مجمع الحواس والمنافع.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد المفسّر يقول: سمعت أبا بكر القفال يقول: سمعت أبا بكر البريدى يقول: الأم في كلام العرب: الراية ينصبها العسكر.

قال قيس بن الخطيم:

نصبنا أمنا حتى ابذعروا وصاروا بعد إلفتهم شلالا

فسمّيت أم القرآن؛ لأن مفرع أهل الإيمان إليها كمفرع العسكر إلى الراية. والعرب تسمى

الأرض أُمَّ؛ لأنَّ معاد الخلق إليها في حياتهم وبعد مماتهم، قال أمية بن أبي الصلت:
والأرض معقلنا وكانت أُمَّنا فيها مقابرنا وفيها نولد
وأشدني أبو القاسم قال: أشدنا أبو الحسين المظفر محمد بن غالب الهمداني قال: أشدنا
أبو بكر بن الأنباري قال: أشدنا أبي قال: أشدني أحمد بن عبيدة:

ناوى إلى أمِّ لنا تعصب كما وكلها أنف عزيز وذنب
وحاجب ما إن نواربها الغصب من السحاب ترتدى وتنتقب

يعنى: نصبه كما وصف لها. وسميت الفاتحة أُمَّ لهذه المعانى. وقال الحسين بن الفضل:
سميت بذلك؛ لأنها إمام لجميع القرآن تقرأ في كل... (١) وتقدم على كل سورة، كما أن أمَّ
القرى إمام لأهل الإسلام. وقال ابن كيسان: سميت بذلك؛ لأنها تامة في الفضل.
والرابع: السبع المثاني، وسيأتى تفسيره في موضعه إن شاء الله.

والخامس: الوافية، حدَّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري، حدَّثنا أبي عن أمه عن
محمد بن نافع السنجري، حدَّثنا أبو يزيد محبوب الشامي، حدَّثنا عبد الجبار بن العلاء قال:
كان يسمى سفيان بن عيينة فاتحة الكتاب: الوافية، وتفسيرها لأنها لا تنصف ولا تحتمل
الاجتزاء إلا أن كل سورة من سور القرآن لو قرئ نصفها في ركعة والنصف الآخر في ركعة
كان جائزاً، ولو نصفت الفاتحة وقرئت في ركعتين كان غير جائز.

والسادس: الكافية، أخبرنا أبو القاسم السدوسي، أخبرنا أبو جعفر محمد بن مالك
المسوري، حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن عمران قال: حدَّثنا سهيل بن (محمد)، حدَّثنا عفيف
ابن سالم قال: سألت عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن قراءة الفاتحة خلف الإمام فقال: عن
الكافية تسأل؟

قلت: وما الكافية؟ قال: أما علمت أنها تكفى عن سواها، ولا يكفى سواها عنها. إياك
أن تصلى إلا بها.

وتصديق هذا الحديث ما حدَّثنا الحسن بن محمد بن جعفر المفسر، حدَّثنا عبد الرحمن بن
عمر بن مالك الجوهري بمرو، حدَّثنا أبي، حدَّثنا أحمد بن يسار، عن محمد بن عباد
الإسكندراني عن أشهب بن عبد العزيز، عن ابن عيينة، عن الزهري، عن محمود بن الربيع،
عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أمَّ القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها
منها عوضاً».

(١) يياض بالأصل المخطوط.

والسابع: الأساس، حدثنا أبو القاسم الحسين بن محمد المذكر، حدثنا أبو عمرو بن المعبر محمد بن الفضل القاضي بمر، حدثنا أبو هريرة مزاحم بن محمد بن شاردة الكشي، حدثنا جارود بن معاد، أخبرنا وكيع قال: إن رجلاً أتى الشعبي فشكا إليه وجع الخاصرة، فقال: عليك بأساس القرآن. قال: وما أساس القرآن؟ قال: فاتحة الكتاب. قال الشعبي: سمعت عبد الله بن عباس غير مرة يقول: إن لكل شيء أساساً وأساس العمارة مكة؛ لأنها منها دُحيت الأرض وأساس السماوات غربياً، وهي السماء السابعة، وأساس الأرض عجيباً، وهي الأرض السابعة السفلى، وأساس الجنان جنة عدن، وهي سرّة الجنان، وعليها أُسست الجنان، وأساس النار جهنم، وهي الدركة السابعة السفلى وعليها أُسست الدركات، وأساس الخلق آدم عليه السلام، وأساس الأنبياء نوح عليه السلام، وأساس بنى إسرائيل يعقوب، وأساس الكتب القرآن، وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. فإذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالفاتحة تشفى.

والثامن: الشفاء، حدثنا أبو القاسم بن أبي بكر المكتّب لفظاً، حدثنا أبو علي حامد بن محمد بن عبد الله الرقاء، أخبرنا محمد بن أيوب الواقدي، حدثنا أبو عمرو بن العلاء، حدثنا سلام الطويل، عن زيد العمى، عن محمد بن سيرين، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ «فاتحة الكتاب شفاء من كل سم».

وأخبرنا محمد بن القاسم الفقيه، حدثنا أبو الحسين محمد بن الحسن الصفار الفقيه، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا معاوية بن صالح، عن أبي سليمان قال: مرّ أصحاب رسول الله ﷺ في بعض غزواتهم على رجل مقعد مترّب فقراً بعضهم في أذنه شيئاً من القرآن فبرئ، فقال رسول الله ﷺ: «هي أمّ القرآن، وهي شفاء من كل داء».

أخبرنا أحمد بن أبي الخوجاني، أخبرنا الهيثم بن كليب الشامي، حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني، أخبرنا النضر بن شميل، أخبرنا سعيد بن الحجاج، عن عبد الله بن أبي السفر، عن الشعبي عن خارجة بن الصلت التميمي، عن عمّه قال: جاء عمي من عند رسول الله ﷺ، فمرّوا بحى من الأعراب، فقالوا: إنّنا نراكم قد جئتم من عند هذا الرسول، إنّ عندنا رجلاً مجنوناً مخبولاً، فهل عندكم من دواء أو رقية؟ فقال عمي: نعم. فجيء به، فجعل عمي يقرأ أمّ القرآن وبزاقه فإذا فرغ منها بزق فجعل ذلك ثلاثة أيام، فكأنما أهبط من جبال، قال عمي: فأعطوني عليه جعلاً، فقلت: لا نأكله حتى نسأل رسول الله ﷺ. فسأله، فقال: «كله، فمن الحلّ تُرقيه بذلك. لقد أكلت برقية حق».

والتاسع: الصلاة، قد تواترت الأخبار بأن الله تعالى سمى هذه السورة، وهو ما يعرف أنه لا صلاة إلا بها.

أخبرنا عبد الله بن حامد وأحمد بن يوسف بقراءتي عليهما قالا: أخبرنا مكى بن عبد الله، حدثنا محمد بن يحيى قال: وفيما قرأته على ابن نافع، وحدثنا مطرف عن مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: قسمت الصلاة - يعنى هذه السورة - بينى وبين عبدى نصفين؛ فنصفها لى ونصفها لعبدى، فإذا قرأ العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول الله: حمدنى عبدى. وإذا قال العبد: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يقول الله تعالى: أثنى على عبدى. وإذا قال العبد: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول الله: مجدنى عبدى. وإذا قال العبد: ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا كُنَّا نَسْتَعِينُ﴾ قال الله: هذه الآية بينى وبين عبدى، ولعبدى ما سألت. فإذا قال العبد: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخرها قال: هذه لعبدى ولعبدى ما سألت.

والعاشر: سورة تعلم المسألة؛ لأن الله تعالى علم فيه عباده آداب السؤال، فبدأ بالثناء ثم الدعاء، وذلك سبب النجاح والفلاح.

القول فى وجوب قراءة هذه السورة فى الصلاة

أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد بن جعفر الطبرى، حدثنا بشر بن مطير، حدثنا سفيان، حدثنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أنه سمع أبا هريرة عن النبي ﷺ قال: «من صلى صلاة فلم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج - ثلاث مرات - غير تمام».

وأخبرنا عبد الله قال: أخبرنا ابن عباس، حدثنا عبد الرحمن بن بشر، حدثنا ابن عيينة عن الزهرى عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب».

أخبرنا عبد الله، أخبرنا عبدوس بن الحسين، حدثنا أبو حاتم الرازى، حدثنا أبو قبيصة، حدثنا سفيان عن جعفر بن على بياح الأنماط عن أبى هريرة قال: أمرنى رسول الله ﷺ أن أنادى: «لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب».

وأخبرنا عبد الله، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق، أخبرنا أبو المثنى، حدثنا مسدد، حدثنا عبد الوارث بن حنظلة السدوسى قال: قلت لعكرمة: إني ربما قرأت فى المغرب ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

أَلْفَلَقِ ﴿١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْآلَاسِ ﴿١﴾﴾ وَأَنَّ النَّاسَ يَعْبُدُونَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ، فقال: سبحان الله اقرأ بهما فإنهما من القرآن، ثم قال: حدثنا ابن عباس أن النبي ﷺ خرج فصلّى ركعتين لم يقرأ فيهما إلا بفاتحة الكتاب لم يزد على ذلك غيره.

وأخبرنا أبو القاسم الحبيبي، حدثنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان، حدثنا الشافعي، حدثنا سفيان عن الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب» واحتج من أجاز الصلاة بغيرها بقوله: ﴿فَأَقْرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾.

وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد بقراءة تى عليه أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أخبرنا أبو المثني حدثنا مسدد، حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عمر قال: حدثنا سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل وصلى ثم جاء فسلم على رسول الله ﷺ فقال: «ارجع فصلّ، فإنك لم تصل» حتى فعل ذلك ثلاث مرات. قال الرجل: والذي بعثك بالحق نبياً ما أحسن غير هذا، فعلمنى. قال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع».

وهذه اللفظة يحتمل أنه أراد أن كل ما وقع عليه اسم قرآن وجهل إنما يراد سورة بعينها، فلما احتمل الوجهين نظرنا فوجدنا النبي ﷺ صلى بفاتحة الكتاب وأمر بها من تركها، فصار هذا الخبر مجملاً، والأخبار التى رويتها مفسرة، والمجمل يدل على المفسر، وهذا كقوله: ﴿فَمَنْ تَتَّبَعَ بِالْعَمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ (البقرة: ١٩٦) ثم لم يجز أحد ترك الهدى بل ثبتها رسول الله ﷺ بالصفة أن لا يكون أعور ولا أعرج ولا معيوباً، فكذلك أراد بقوله عز وجل وقول رسول الله ﷺ ما فسّر بالصفة التى بينها أن تكون سورة الحمد إذا أحسنها، وقدرها إذا لم يحسنها. فبالعلة التى أوجبوا قراءة آية تامة مع قوله: «ما تيسر» له وجه ظاهره العلم، والله أعلم.

ذكر وجوب قراءتها على المأموم كوجوبها على الإمام واختلاف الفقهاء فيه:

قال مالك بن أنس: يجب عليه قراءتها إذا خافت الإمام، فأما إذا جهر فليس عليه (شئ). وبه قال الشافعي فى القديم وقال فى الجديد: يلزمه القراءة أسراً الإمام أو جهراً. وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يلزمه القراءة خافت أو جهراً.

واتفق المسلمون على أن صلواته (صحيحة) إذا قرأ خلف الإمام.

والدليل على وجوب القراءة على المأموم كوجوبها على الإمام ما أخبرنا عبد الله بن حامد،

أخبرنا مكي بن عبد الله، حدثنا أبو الأزهر، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا أبي عن أبي إسحاق، حدثنا مكحول، وأخبرنا عبد الله، أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن سهل، حدثنا سهل بن عمار، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن إسحاق عن مكحول عن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت قال: صَلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فتقلت عليه القراءة فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته أقبل علينا بوجهه وقال: «إني لأراكم تقرؤون وراء إمامكم؟». قلنا: أجل والله يا رسول الله هذا. قال: «فلا تفعلوا إلا بأمر الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها».

وهو قول عمر وعثمان وعلى وابن عباس وجابر وابن مسعود وعمران بن حصين وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وعبادة بن الصامت وهشام بن عامر ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر وأبي الدرداء وعائشة وأبي هريرة وجماعة كبيرة من التابعين وأئمة المسلمين روى عنهم جميعاً أنهم رأوا القراءة خلف الإمام واجبة.

ووجه القول القديم ما روى سفيان عن عاصم بن أبي النجود، عن ذكوان، عن أبي هريرة وعائشة أنهما كانا يأمران بالقراءة وراء الإمام إذا لم يجهر. واحتج أبو حنيفة وأصحابه بما أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه، أخبرنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا الوليد بن حماد اللؤلؤي: حدثنا الحسن بن زياد اللؤلؤي: حدثنا أبو حنيفة عن الحسن بن عبد الله بن شداد بن الماد عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «من صَلَّى خلف إمام فإنَّ قراءة الإمام له قراءة».

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق، أخبرنا محمد بن أيوب، أخبرنا أحمد بن يونس، حدثنا الحسن بن صالح، عن جابر الجعفي، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «من كان له إمام فقراءته له قراءة».

فأما حديث عبد الله بن شداد فهو مرسل، رواه شعبة وزائدة وابن عيينة وأبو عوانة وإسرائيل وقيس وجريز وأبو الأحوص مرسلًا، والمرسل لا تقوم به حجة، والوليد بن حماد والحسن لا يدرى من هما. وأما خبر جابر الجعفي فهو ساقط، قال زائدة: جابر كذاب، وقال أبو حنيفة: ما رأيت أكذب من جابر. وقال ابن عيينة: كان جابر لا يوقن بالرجعة.

وقال شعبة: قال لي جابر: دخلت إلى محمد بن علي فسقاني شربة وحفظت عشرين ألف حديث. ولا خلاف بين أهل النقل في سقوط الاحتجاج بحديثه.

وقد روى عن جابر بن عبد الله ما خالف هذه الأخبار، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أبو

بكر بن إسحاق، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن يحيى، أخبرنا سعد بن عامر، عن شعبة، عن مسعر عن يزيد بن الفقير، عن جابر بن عبد الله، قال: كنا نقرأ في الظهر والعصر خلف الإمام، ومحال أن يروى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أن قراءة الإمام قراءة المأموم ثم يقرأ خلف الإمام ويأمر به مخالفة للنبي ﷺ.

واحتجوا أيضاً بما روى عن عاصم بن عبد العزيز عن أبي سهيل عن عوان عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «يكفيك قراءة الإمام جهراً أو لم يجهر».

وهذا الحديث أيضاً لا يثبت أهل المعرفة بالحديث؛ لأنه غير متن الحديث، وإنما الخبر الصحيح فيه عن أبي هريرة ما أخبرنا أبو عمرو الفراتي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا بشر بن كليب، حدثنا شعبة، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج خداج غير تمام». قال: فقلت له: إذا كان خلف الإمام؟ قال فأخذ بذراعي وقال: «يا فارسي - أو قال: يا بن الفارسي - اقرأ بها في نفسك».

واحتجوا أيضاً بما روى أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: كانوا يقرؤون خلف النبي ﷺ فقال: «خلطتم على القرآن».

وهذا الخبر فيه نظر، ولو صح لكان المنع من القراءة كما رواه النضر بن شميل. أخبرنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال لقوم يقرؤون القرآن ويجهرون به: «خلطتم على القرآن»، فليس في نهيه عن القراءة خلف الإمام جهراً ما يمنع عن القراءة سرّاً. ونحن لا نجيز الجهر بالقراءة خلف الإمام؛ لما فيه من سوء الأدب والضرر الظاهر. وقد روى يحيى بن عبد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي حازم، عن البياضى قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم يصلى، فإنه يناجى ربه، فلينظر بما يناجيه، ولا يجهر بعضهم على بعض بالقرآن».

ودليل هذا التأويل حديث عبد الله بن زياد الأشعري قال: صليت إلى جنب عبد الله بن مسعود خلف الإمام فسمعتة يقرأ في الظهر والعصر. وكذلك الجواب عن احتجاجهم بخبر عمران بن الحصين قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر والعصر فلما انصرف قال: أَيْكُمْ قَرَأَ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، قال رجل: أنا ولم أَرِدْ بِهِ إِلَّا الْخَيْرَ. فقال رسول الله ﷺ: «قد عرفت أن بعضكم خالجيها».

واحتجوا أيضاً بحديث أبي هريرة: فإذا قرأ فأنصتوا، وليس الإنصات بالسكوت فقط إنما

الإنصات أن تحسن استماع الشيء ثم يؤدي كما سمع، يدل عليه قوله تعالى في قصة الجن: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِ مُنذِرِينَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا﴾ (الاحقاف: ٢٩-٣٠).

وقد يسمى الرجل منصتاً وهو قارئ مسبح إذا لم يكن جاهزاً به، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: «من أتى الجمعة فأنصت ولم يبلغ حتى يصلى الإمام كان له كذا وكذا».

فسمّاه منصتاً وإن كان مصلياً ذاكراً، وقيل للنبي ﷺ: ما تقول أيضاً؟ قال: «أقول اللهم اغسلني من خطاياي» فدلّ أنّ الإنصات وهو ترك الجهر بالقراءة دون المخافتة بها، يدل عليه ما أخبرنا به أبو القاسم الحسين، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أبو الدرداء هاشم بن محمد، حدثنا عبيد بن السكن، حدثنا إسماعيل بن عباس، أخبرنا محمد بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة مكتوبة أو سبحة فليقرأ بأُمّ القرآن».

قال: قلت يا رسول الله إني ربما أكون وراء الإمام.

قال ﷺ: «اقرأ إذا سكت إنما جعل الإمام ليؤتمّ به».

قد رواه الثقات الأثبات عن أبي هريرة مثل الأعرج وهمام بن منبه وقيس بن أبي حازم وأبي صالح وسعيد المقبري والقاسم بن محمد وأبي سلمة، ولم يذكروا: (وإذا قرأ فأنصتوا).

وأما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ (الأعراف: ٢٠٤)، فسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

آخر السورة، وبالله التوفيق.



سُورَةُ الْبَقَرَةِ

مدنية : وهى مائتان وست وثمانون آية فى العدد الكوفى
وهى سند أمير المؤمنين على عليه السلام وهى خمسة وعشرون ألف (حرف)
وخمسمائة حرف ، وستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة

أخبرنا عبد الله بن حامد بقراءتى عليه ، أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف ، حدثنا يعقوب
ابن سفيان الصغير ، حدثنا يعقوب بن سفيان الكبير ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الوليد بن
مسلم ، حدثنا شعيب بن رزين عن عطاء الخراسانى ، عن عكرمة ، قال : أول سورة نزلت
بالمدينة سورة البقرة .

❖ فضلها :

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الطبرانى بها ، أخبرنا دعلج بن أحمد
الشجرى ببغداد ، حدثنا محمد بن أحمد بن هارون ، حدثنا خندف عن على ، حدثنا حسّان بن
إبراهيم ، حدثنا خالد بن شعيب المزنى ، عن أبى حازم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله
ﷺ : «إن لكل شىء سنماً ، وسنام القرآن سورة البقرة ، من قرأها فى بيته ليلاً لم يدخله
شيطان ثلاث ليال ، ومن قرأها فى بيته نهاراً لم يدخل فى بيته شيطان ثلاثة أيام» .

وأخبرنا محمد بن القاسم بن أحمد المرتب بقراءتى عليه ، حدثنا أبو عمرو بن مطرف ،
حدثنا أبو عبد الله محمد بن المسيب ، حدثنا عبد الله بن الحسين ، حدثنا يوسف بن الأسباط ،
حدثنا حسن بن المهاجر عن عبد الله بن يزيد عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «تعلموا
البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة» .

أخبرنا أبو الحسين على بن محمد بن الحسن المقرئ ، حدثنا أبو أحمد عبد الله بن على
الحافظ ، أخبرنا محمد بن يحيى بن منددة ، حدثنا أبو مصعب ، حدثنا عمران بن طلحة الليثى
عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة ، قال : بعث النبى ﷺ بعثاً ثم تبعهم يستقرئهم ، فجاء
إنسان منهم فقال : «ماذا معك من القرآن؟» حتى أتى على آخرهم ، وهو أحدثهم سنّاً ، فقال :
«ما معك من القرآن؟» قال : كذا وكذا وسورة البقرة ، فقال : «اخرجوا وهذا عليكم أمين» ،
قالوا : يا رسول الله هو أحدثنا سنّاً ، قال : «معه سورة البقرة» .

❖ التفسير:

﴿الر﴾ ذَاكَ الْكِتَابُ لَا رَبَّ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿الر﴾.

اختلف العلماء فى الحروف المعجمة المفتحة بها السور، فذهب كثير منهم إلى أنها من المتشابهات التى استأثر الله بعلمها، فنحن نؤمن بتنزيلها ونكل إلى الله تأويلها. قال أبو بكر الصديق (رضى الله عنه): فى كل كتاب سر، وسر القرآن أوائل السور. وقال على بن أبى طالب عليه السلام: إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى.

وفسره الآخرون، فقال سعيد بن جبير: هى أسماء الله مقطعة، لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، ألا ترى أنك تقول: ﴿الر﴾ وتقول: ﴿حمر﴾ وتقول: ﴿ن﴾ فيكون الرحمن، وكذلك سائرهما على هذا الوجه، إلا أننا لا نقدر على وصلها والجمع بينها. وقال قتادة: هى أسماء القرآن.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هى أسماء للسور المفتحة بها. وقال ابن عباس: هى أقسام أقسم الله بها، وروى أنه ثناء أثنى الله به على نفسه. وقال أبو العالية: ليس منها حرف إلا وهو مفتاح لاسم من أسماء الله عز وجل، وليس منها حرف إلا وهو فى الآية وبلائه، وليس منها حرف إلا فى مدة قوم وأجال آخرين. وقال عبد العزيز بن يحيى: معنى هذه الحروف أن الله ذكرها، فقال: اسموها مقطعة، حتى إذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك، وكذلك تعلم الصبيان أوامراً مقطعة، وكان الله أسمعهم مقطعة مفردة، ليعرفوها إذا وردت عليهم، ثم أسمعهم مؤلفة. وقال أبو روق: إنها تكتب للكفار، وذلك أن رسول الله ﷺ كان يجهر بالقراءة فى الصلوات كلها، وكان المشركون يقولون: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوفية لعلكم تغلبون. فربما صفتقوا وربما صفروا وربما لفظوا ليغلطوا النبى ﷺ، فلما رأى رسول الله ذلك أسرف فى

الظهر والعصر وجهر في سائرهما، وكانوا يضايقونه ويؤذونه، فأنزل الله تعالى هذه الحروف المقطعة، فلما سمعوها بقوا متحيرين متفكرين، فاشتغلوا بذلك عن إيدائه وتغليطه، فكان ذلك سبباً لاستماعهم وطريقاً إلى انتفاعهم.

وقال الأخفش: إنما أقسم الله بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولأنها مباني كتبه المنزلة بالألسن المختلفة، ومباني أسمائه الحسنی وصفاته العليا، وأصول كلام الأمم بما يتعارفون ويذكرون الله ويوحّدونه، وكأنه أقسم بهذه الحروف إن القرآن كتابه وكلامه لا ريب فيه. وقال النقيب: هي النبهة والاستئناف ليعلم أن الكلام الأول قد انقطع، كقولك: ولا إن زيداً ذهب.

وأحسن الأقاويل فيه وأمتنها أنها إظهار لإعجاز القرآن وصدق محمد ﷺ؛ وذلك أن كل حرف من هذه الحروف الثمانية والعشرين.

والعرب تعبّر ببعض الشيء عن كَلِّه كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ (المرسلات: ٤٨) أى صلّوا لا يصلّون، وقوله: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق: ١٩) فعبر بالركوع والسجود عن الصلاة إذ كانا من أركانها، وقال: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ﴾ (ال عمران: ١٨٢) أراد جميع أبدانكم.

وقال: ﴿سَسِمُهُ عَلَى الْخُرطومِ﴾ أى الأنف فعبر باليد عن الجسد، وبالأنف عن الوجه. وقال الشاعر في امرأته:

لما رأيت أمرها فى خطى	وفنكت فى كذب ولط
أخذت منها بقرون شمط	فلم يزل ضربى بها ومعطى

فعبر بلفظة «خطى» عن جملة حروف أبجد.

ويقول القائل: (أ ب ت ث) وهو لا يريد هذه الأربعة الأحرف دون غيرها، بل يريد جميعها وقرأت الحمد لله، وهو يريد جميع السورة، ونحوها كثير، وكذلك عبر الله بهذه الحروف عن جملة حروف التهجى، والإشارة فيه أن الله تعالى نبه العرب وتحداهم، فقال: إنى قد نزلت هذا الكتاب من جملة الثمانية والعشرين التى هى لغتكم ولسانكم، وعليها مباني كلامكم، فإن كان محمد هو النبى يقوله من تلقاء نفسه، فأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله، فلما عجزوا عن ذلك بعد الإجهاد ثبت أنه معجزة.

هذا قول المبرّد وجماعة من أهل المعانى، فإن قيل: فهل يكون حرفاً واحداً عوداً للمعنى؟ وهل تجدون فى كلام العرب أن يقال: الم زيد قائم؟ وحم عمرو ذاهب؟ قلنا: نعم، هذا عادة

العرب يشيرون بلفظ واحد إلى جميع الحروف ويعبرون به عنه .

قال الراجز :

قلت لها قفى فقالت قاف لا تحسبى أنا نسينا الإيجاف
أى قف أنت .

وأنشد سيبويه لغيلان :

نادوهم ألا الجموا ألا تا قالوا جميعاً كلهم ألا فا
أى ألا تركيبون فقالوا: ألا فاركبوا .
وأنشد قطرب فى جارية :

قد وعدتني أم عمرو أن تا تدهن رأسى وتغلينى تا
أراد أن تأتى وتمسح .

وأنشد الزجاج :

بالخير خيرات وإن شراً فا ولا أريد الشر إلا أن تا
أراد بقوله (فا) : وإن شراً فشر له ، ويقوله : تا إلا أن تشاء .

قال الأخفش : هذه الحروف ساكنة لأن حروف الهجاء لا تعرب ، بل توقف على كل حرف على نية السكت ، ولا بد أن تفصل بالعدد فى قولهم واحد - اثنان - ثلاثة - أربعة .
قال أبو النجم :

أقبلت من عند زياد كالحرف تخط رجلاى بخط مختلف
تكتبان فى الطريق لام الألف

فإذا أدخلت حرفاً من حروف العطف حركتها .

وأنشد أبو عبيدة :

إذا اجتمعوا على ألف وواو ويا هاج بينهم جدال
وهذه الحروف تُذكر على اللفظ وتؤنث على توهم الكلمة .

قال كعب الأحماس : خلق الله العلم من نور أخضر ، ثم أنطقه ثمانية وعشرين حرفاً من أصل الكلام ، وهياها بالصوت الذى سمع وينطق به ، فنطق بها العلم فكان أول ذلك كله^(١) فنظرت إلى بعضها فتصاغرت وتواضعت لربها تعالى ، وتمايلت هيبة له ، فسجدت فصارت همزة ، فلما رأى الله تعالى تواضعها مدّها وطولها وفضلها ، فصارت ألفاً ، فتلفظه

(١) بياض بالأصل المخطوط .

بها، ثم جعل القلم ينطق حرفاً حرفاً إلى ثمانية وعشرين حرفاً، فجعلها مدار الكلام والكتب والأصوات واللغات والعبادات كلها إلى يوم القيامة، وجميعها كلها في أبجد.

وجعل الألف لتواضعها مفتاح أول أسمائه، ومقدماً على الحروف كلها، فأما قوله عز وجل: ﴿الـ﴾ فقد اختلف العلماء في تفسيرها.

عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿الـ﴾ قال: أنا الله أعلم.

أبوروق عن الضحاك في قوله ﴿الـ﴾: أنا الله أعلم.

مجاهد وقتادة: ﴿الـ﴾ اسم من أسماء القرآن.

الربيع بن أنس: (ألف) مفتاح اسم الله، و(لام) مفتاح اسمه لطيف، و(ميم) مفتاح اسمه مجيد.

خالد عن عكرمة قال: ﴿الـ﴾ قسم.

محمد بن كعب: (الألف) آلاء الله، و(اللام) لطفه، و(الميم) ملكه.

وفى بعض الروايات عن ابن عباس: (الألف) الله، و(اللام) جبرئيل، أقسم الله بهم إن هذا الكتاب لا ريب فيه، ويحتمل أن يكون معناه على هذا التأويل: أنزل الله هذا الكتاب على لسان جبريل إلى محمد ﷺ.

وقال أهل الإشارة: (ألف): أنا، (لام): لى، (ميم): منى.

وعن على بن موسى الرضا عن جعفر الصادق، وقد سئل عن قوله: ﴿الـ﴾ فقال: فى الألف ست صفات من صفات الله: الابتداء؛ لأن الله تعالى ابتداء جميع الخلق، و(الألف). ابتداء الحروف، والاستواء؛ فهو عادل غير جائر، و(الألف) مستوفى ذاته، والانفراد؛ والله فرد والألف فرد، واتصال الخلق بالله، والله لا يتصل بالخلق، فهم يحتاجون إليه وله غنى عنهم.

وكذلك الألف لا يتصل بحرف، فالحروف متصلة؛ وهو منقطع عن غيره، والله باين بجميع صفاته من خلقه، ومعناه من الإلفة، فكما أن الله سبب إلفة الخلق، فكذلك الألف عليه تألفت الحروف وهو سبب إلفتها.

وقالت الحكماء: عجز عقول الخلق فى ابتداء خطابه، وهو محل الفهم، ليعلموا أن لا سبيل لأحد إلى معرفة حقائق خطابه إلا بعلمهم، فالعجز عن معرفة الله حقيقة خطابه.

وأما محل ﴿الـ﴾ من الإعراب فرفع بالابتداء وخبره فيما بعده.

وقيل: ﴿أَمْرٌ﴾ ابتداء، و﴿ذَلِكَ﴾ ابتداء آخر و﴿الْكِتَابُ﴾ خبره، وجملة الكلام خبر الابتداء الأول.

﴿ذَلِكَ﴾: قرأت العامة ﴿ذَلِكَ﴾ بفتح الـ، وكذلك هذه وهاتان، وأجاز أبو عمرو الإمالة في هذه، (ذ) للاسم، واللام عماد، والكاف خطاب، وهو إشارة إلى الغائب.

و﴿الْكِتَابُ﴾: بمعنى المكتوب كالحساب والعماد.

قال الشاعر:

بشرت عيالي إذ رأيت صحيفةً أتتك من الحجج تلتى كتابها

أو مكتوبها، فوضع المصدر موضع الاسم، كما يقال للمخلوق خلق، وللمصور تصوير، وقال: دراهم من ضرب الأمير، أى هى مضروبة، وأصله من الكتب، وهو ضم الحروف بعضها إلى بعض، مأخوذ من قولهم: كتب الحرز، إذا خرزته قسامين، ويقال للخرز كتبة وجمعها كتب.

قال ذو المرجة:

وفراء غرفية أثنى خوارزها مثلشل ضيعته فبينها الكتب

ويقال: كتبت البغل، إذا حرمت من سفرتها الخلفة، ومنه قيل للجند كتبية، وجمعها كتائب.

قال الشاعر:

وكتبية جاءوا ترفل فى الحديد لها ذخرٌ

واختلفوا فى هذا ﴿الْكِتَابُ﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك ومقاتل: هو القرآن، وعلى هذا القول يكون (ذلك) بمعنى (هذا) كقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنعام: ٨٣) أى هذه.

وقال خفاف بن ندبة السلمى:

إن تك خيلى قد أصيب صميمها فعمداً على عين تيممت مالكا

أقول له الرمح ياطر منته تأمل خفافاً إننى أنا ذالكا

يريد (هذا).

وروى أبو الضحى عن ابن عباس قال: معناه ذلك الكتاب الذى أخبرتك أن أوجه إليك.

وقال عطاء بن السائب: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ الذى وعدتكم يوم الميثاق.

وقال يمان بن رئاب: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ الذى ذكرته فى التوراة والإنجيل.

وقال سعيد بن جبير: هو اللوح المحفوظ.

عكرمة: هو التوراة والإنجيل والكتب المتقدمة

وقال الفراء: إن الله تعالى وعد نبيه أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد، فلما أنزل القرآن قال: هو الكتاب الذى وعدتك.

وقال ابن كيسان: تأويله أن الله تعالى أنزل قبل البقرة بضع عشرة سورة كذب بكلها المشركون ثم أنزل سورة البقرة بعدها فقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ يعنى ما تقدم البقرة من القرآن.

وقيل: ذلك الكتاب الذى كذب به مالك بن الصيف اليهودى.

﴿رَبِّ فِيهِ﴾: لا شك فيه، إنه من عند الله.

قال: ﴿هُدًى﴾: أى هو هدى، وتم الكلام عند قوله ﴿فِيهِ﴾، وقيل: «هو» نصب على الحال، أى هادياً تقديره لا ريب فى هدايته للمتقين.

قال أهل المعانى: ظاهره نفى وباطنه نهى، أى لا ترتابوا فيه، كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ (البقرة: ١٩٧): أى لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا فى الهدى، والبيان وما يهتدى به ويستبين به الإنسان.

فصل فى التقوى

﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾: اعلم أن التقوى أصله وقى من وقيت، فجعلت الواو تاء، كالتكلان فأصله وكلان من وكلت، والتخمة أصلها وخمة من وخم معدته إذا لم يستمرئ.

واختلف العلماء فى معنى التقوى وحقيقة المتقى، فقال رسول الله ﷺ: «جماع التقوى فى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠) الآية».

قال ابن عباس: المتقى الذى يتقى الشرك والكبائر والفواحش.

وقال ابن عمر: التقوى أن لا يرى (نفسه) خيراً من أحد.

وقال الحسن: المتقى الذى يقول لكل من رآه هذا خيرٌ منى.

وقال عمر بن الخطاب لكعب الأحمار: حدثنى عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، فقال: فما عملت فيه؟ قال: حذرت وتشمّرت، فقال كعب: ذلك التقوى، ونظمه ابن المعتز فقال:

خلّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وقال عمر بن عبد العزيز: ليس التقوى صيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله، فما رزق بعد ذلك فهو خير على خير.

وقيل لطلق بن حبيب: أجمل لنا التقوى؟ فقال: التقوى عمل يطلبه الله على نور من الله رجاء ثواب الله، والتقوى ترك معصية الله على نور من الله مخافة عقاب الله.

وقال بكر بن عبد الله: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون يتقى الطمع، ويتقى الغضب.

وقال عمر بن عبد العزيز: المتقى لمحرم لا تحرم، يعنى فى الحرم.

وقال شهر بن حوشب: المتقى الذى يترك ما لا يأتمن به حذراً لما به بأس.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: إنّما سمى المتقون لتتركهم ما لا بأس به حذراً للوقوع فيما به بأس.

وقال سفيان الثوري والفضيل: هو الذى يحب للناس ما يحب لنفسه.

وقال الجنيد بن محمد: ليس المتقى الذى يحب للناس ما يحب لنفسه، إنّما المتقى الذى يحب للناس أكثر مما يحب لنفسه، أتدرون ما وقع لأستاذى سرى بن المفلس؟ سلم عليه ذات يوم صديق له فردّ عليه، وهو عابس لم ييش له، فقلت له فى ذلك فقال: بلغنى أنّ المرء المسلم إذا سلم على أخيه وردّ عليه أخوه قسمت بينهما مائة رحمة، فتسعون لأجلهما، وعشرة للآخر فأحببت أن يكون له التسعون.

محمد بن على الترمذى: هو الذى لا خصم له.

السرى بن المفلس: هو الذى يبغض نفسه.

الشبلى: هو الذى يبغى ما دون الله.

قال جعفر الصادق: أصدق كلمة قالت العرب قول لييد:

❖ ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل ❖

الثورى: هو الذى اتقى الدنيا وأقلها.

محمد بن يوسف المقرئ: مجانبة كل ما يبعدك عن الله.

القاسم بن القاسم: المحافظة على آداب الشريعة.

وقال أبو زيد: هو التورّع عن جميع الشبهات.

وقال أيضاً: المتقى من إذا قال قال الله، وإذا سكت سكت الله، وإذا ذكر ذكر الله تعالى.

الفضيل: لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه كما يأمنه صديقه.

وقال سهل: المتقى من تبرأ من حوله وقوته.

وقال: التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

وقيل: هو الاقتداء بالنبي ﷺ.

وقيل: هو أن تتقى بقلبك عن الغفلات، وبنفسك من الشهوات، وبخلقك من اللذات

وبجوارحك من السيئات، فحينئذ يرجى لك الوصول لما ملك الأرض والسموات.

أبو القاسم (حكيم): هو حسن الخلق.

وقال بعضهم: يستدل على تقوى الرجل بثلاث: بحسن التوكل فيما لم ينل، وحسن

الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر على ما فات.

وقيل: المتقى من اتقى متابعة هواه.

وقال مالك: حدثنا وهب بن كيسان أن بعض فقهاء أهل المدينة كتب إلى عبد الله بن الزبير

أن لأهل التقى علامات يعرفون بها: الصبر عند البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر عند

النعمة، والتذلل لأحكام القرآن.

وقال ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك

الشحيح والسلطان الجائر.

وقال أبو تراب: بين يدي التقوى عقبات، من لا يجاوزها لا ينالها، اختيار الشدة على

النعمة، واختيار القول على الفضول، واختيار الذل على العز، واختيار الجهد على الراحة،

واختيار الموت على الحياة.

وقال بعض الحكماء: لا يبلغ الرجل سنام التقوى إلا إذا كان بحيث لو جعل ما فى قلبه

على طبق، فيطاف به فى السوق لم يستحى من شئ عليها.

وقيل: التقوى أن تزين سرّك للحق، كما تزين علانيتك للخلق.

وقال أبو الدرداء:

يريد المرء أن يعطى مناه

ويأبى الله إلا ما أَراد

يقول المرء فائدتى وذخرى

وتقوى الله أفضل ما استفادا

فصل فى الإيمان

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ اعلم أن حقيقة الإيمان هى التصديق بالقلب ، لأن الخطاب الذى توجه عليها بلفظ آمنوا إنما هو بلسان العرب ، ولم يكن العرب يعرفون الإيمان غير التصديق ، والنقل فى اللغة لم يثبت فيه ، إذ لو صح النقل عن اللغة لروى عن ذلك ، كما روى فى الصلاة التى أصلها الدعاء .

إذا كان الأمر كذلك وجب علينا أن نمثل الأمر على ما يقتضيه لسانهم ، كقوله تعالى فى قصة يعقوب على السلام وبنيه ﴿وَمَا آتَتْ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ (يوسف: ١٧) : أى بمصدق لنا ولو كنا صادقين ، ويدل عليه من هذه الآية أنه لما ذكر الإيمان علّقه بالغيب ، ليعلم أنه تصديق الخبير فيما أخبر به من الغيب ، ثم أفرده بالذكر عن سائر الطاعات اللازمة للأبدان وفى الأموال فقال : ﴿وَيُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ والدليل عليه أيضاً أن الله تعالى حيث ما ذكر الإيمان (نسبه) إلى القلب فقال : ﴿مَنْ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ (المائدة: ٤١) ، وقال : ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل: ١٠٦) ، وقال : ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ (المجادلة: ٢٢) ، ونحوها كثير .

فأما محل الإسلام من الإيمان فهو كمحل الشمس من الضوء : كل شمس ضوء ، وليس كل ضوء شمساً ، وكل مسك طيب ، وليس كل طيب مسكاً ، كذلك كل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً ، إذا لم يكن تصديقاً ؛ لأن الإسلام هو الانقياد والخضوع ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلُوبُنَا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا﴾ (الحجرات: ١٤) من خوف السيف ، وقول النبى ﷺ : «الإيمان سرّاً» وأشار إلى صدره «والإسلام علانية» ، وقوله ﷺ : «يا معشر من أسلم بلسانه ، ولم يدخل الإيمان فى قلبه» .

وكذلك اختلف جوابه لجبرائيل فى الإسلام والإيمان ، فأجاب فى الإيمان بالتصديق ، وفى الإسلام بشرائع الإيمان ، وهو ما روى أبو بريدة ، وهو يحيى بن معمر قال : أول من قال فى القدر بالبصرة سعيد الجهنى ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين ، فقلنا : لو قلنا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هو : ما فى القدر؟ فوافقنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد ، فاكتفته أنا وصاحبى ، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبى سيكل الكلام لى ، فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد

ظهر قبلنا أناس يقرءون القرآن ويفتقرون (إلى) العلم وذكر من لسانهم أنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم براءء منى، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.

ثم قال: أخبرنا أبو عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام؟ قال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرنى عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

قال: فأخبرنى عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: فأخبرنى عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من المسائل»، قال: فأخبرنى عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة شاهقين فى البنيان»، قال: ثم انطلق، فلبث علينا ثم قال: يا عمر من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبرائيل عليه السلام أتاكم ليعلمكم دينكم».

ثم يسمى إقرار اللسان وأعمال الأبدان إيماناً بوجه من المناسبة وضرب من المقاربة؛ لأنها من شرائع وتوابعه وعلاماته وأماراته كما نقول: رأيت الفرح فى وجه فلان، ورأيت علم زيد فى تصنيفه؛ وإنما الفرح والعلم فى القلب، وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون باباً، أدناها إمطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول أن لا إله إلا الله».

وعن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياة شعبة من الإيمان».

الحسن بن على قال: حدثنى على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان».

وعن على بن الحسين زين العابدين قال: حدثنا أبو سيد شباب أهل الجنة قال: حدثنا أبو سيد الأوصياء قال: حدثنا محمد سيد الأنبياء قال: «الإيمان قول مقول وعمل معمول وعرفان

بالعقول واتباع الرسول» .

وأما الغيب فهو ما كان مغيباً عن العيون محصلاً في القلوب وهو مصدر وضع موضع الاسم فقبل للغائب غيب، كما قيل للصائم: صوم، وللزائر: زور، وللعادل: عدل .
الربيع بن أبي العالية «يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» قال: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث، فهذا غيب كله .
عمر بن الأسود عن عطاء بن أبي رباح: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» قال: بالله، من آمن بالله فقد آمن بالغيب .

سفيان عن عاصم بن أبي النجود في قوله «يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» قال: الغيب: القرآن . وقال الكلبي: بما نزل من القرآن وبما لم يجرى بعد .
الضحك: الغيب لا إله إلا الله وما جاء به محمد ﷺ، وقال زر بن حبيش وابن جريج وابن واقد: يعنى بالوحى، نظيره قوله تعالى: «أَعِنْدَهُ رِجَالٌ مُّخْتَفِينَ عَلَيْهَا السُّرُورُ يُخْفُونَ فِيهَا الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْغَيْبِ فَأَوْعَىٰ لَهُمْ الصُّحُوفَ فَلَا يَكُونُ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنَهَا فِي يَوْمٍ ذِي قُنُودٍ» (النجم: ٣٥) وقوله: «عَلَّمَ الْغَيْبَ فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا» (الجن: ٢٦) . وقوله: «وَمَا هُوَ عَلَىٰ الْغَيْبِ بِضَنِينٍ» (التكوير: ٢٤) .

الحسن: يعنى بالآخرة . عبد الله بن هانئ: هو ما غاب عنهم من علوم القرآن .
وروى زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) أنه قال: كنت مع النبي ﷺ جالساً فقال: «أتدرون أى أهل الإيمان أفضل؟» قالوا يا رسول الله الملائكة، قال: «هم كذلك وحق لهم ذلك وما يمنعهم وقد أنزلهم الله تعالى بالمنزلة التى أنزلهم، بل غيرهم» .
قلنا: يا رسول الله الأنبياء؟ قال: «هم كذلك وحق لهم ذلك وما يمنعهم، بل غيرهم»، قلنا: يا رسول الله فمن هم؟ قال: «أقوام يأتون من بعدى هم فى أصلاب الرجال فيؤمنون بى ولم يرونى، يجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهو لاء أفضل أهل الإيمان إيماناً» .

وروى حسن بن الحارث بن قيس عن عبد الله بن مسعود: عند الله نحسب ما سبقتمونا إليه يا أصحاب محمد من رؤية رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن مسعود: نحن عند الله نحسب إيمانكم بمحمد ﷺ ولم تروه، ثم قال عبد الله: إن أمر محمد كان بيننا لمن رآه والذى لا إله إلا هو ما آمن مؤمن أفضل من إيمان الغيب، ثم قرأ: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» أى يديمونها ويأتمونها ويحافظون عليها بمواقيتها وركوعها وسجودها وحقوقها وحدودها، وكل من واطب على شىء وقام به فهو مقيم له يقال: أقام فلان الحج بالناس، وأقام القوم سوقهم ولم يعطلوها قال الشاعر:

فلا تعجل بأمرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم

أى أراد بالصلاة ههنا الصلوات الخمس، فذكرها بلفظ الواحد، كقوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ اللَّيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ (البقرة: ٢١٣) أراد الكتب، وأصل الصلاة فى اللغة: الدعاء ثم ضُمَّت إليها (عبادة) سُميت مجموعها صلاة لأن الغالب على هذه العبادة الدعاء.

وقال أبو حاتم الخارزمي: اشتقاقها من الصَّلَا وهو النار، فأصله من الرفق وحُسن المعانة للشئ؛ وذلك أن الخشبة المعوجة إذا أرادوا تقويمها (سخنوها بالنار) قوموها (بين خشبتين) فلذلك المصلّى ينبغي أن يتأنى فى صلاته ويحفظ حدودها ظاهراً وباطناً ولا يعجل فيها ولا يخفّ (ولا يعرف) قال الشاعر:

فلا تعجل بأمرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم

أى ما قوم أمرك كالمباني.

﴿وَمِمَّا زَوَّجْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم، والرزق عند أهل السنّة: ما صحّ الانتفاع به، فإن كان طعاماً فليتغذى به، وإن كان لباساً فليتنقى والتوقى، وإن كان مسكناً فللانتفاع به سكنى، وقد ينتفع المنتفع بما هيئى الانتفاع به على الوجهين: حلالاً وحراماً، فلذلك قلنا إن الله رزق الحلال والحرام، (وأصل الرزق) فى اللغة: هو الحظ والبخت.

﴿يُنْفِقُونَ﴾ يتصدقون، وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد أو عن الملك. يُقال: نفق المبيع إذا كثر مشروه وأسرع خروجه، ونفقت الدابة إذا خرجت روحها، وناقفاء اليربوع من ذلك لأنه إذا أتى من قبل القاصعاء ضرب الناقفاء برأسه فانتفق وأنفق إن خرج منه، والنفق: سُرْب فى الأرض له مخلص إلى مكان آخر يخرج إليه.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: أى يصدقون ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾: يا محمد يعنى القرآن ﴿وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: يعنى الكتب المتقدمة مثل صحف إبراهيم وموسى والزبور والإنجيل وغيرها. ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾ أى بالدار الآخرة، وسميت آخرة لأنها تكون بعد الدنيا ولأنها أُخِرَت حتى تفتى الدنيا ثم تكون.

﴿هُمُ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون ويتيقنون أنها كائنة، ودخل ﴿هُمُ﴾ تأكيداً، يُسميه الكوفيون عماداً والبصريون فصلاً.

﴿أُولَئِكَ﴾ أهل هذه الصفة، وأولاء: اسم مبنى على الكسر، ولا واحد له من لفظه، والكاف خطاب، ومحل أولئك رفع بالابتداء وخبره فى قوله: ﴿عَلَى هُدًى﴾ رشد وبيان

وصواب . ﴿مِن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ﴾ ابتداءً و﴿هُرُّ﴾ عماد ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ خبر الابتداء وهم الناجون الفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النار، وقيل : هم الباقون في الثواب والنعيم المقيم .

وأصل الفلاح في اللغة : البقاء . قال لييد :

نحلُّ بلاداً كلها حل قبلنا ونرجو فلاحاً بعد عاد وحمير

وقال آخر :

لو كان حي مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح

أبو براء بدرة المسياح

وقال مجاهد : أربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين ، وآيتان بعدهما نزلتا في الكافرين ، وثلاث عشرة آية بعدها نزلت في المنافقين .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : يعنى مشركى العرب ، وقال الضحَّاك : نزلت فى أبى جهل وخمسة من

أهل بيته . وقال الكلبي : يعنى اليهود ، وقيل : المنافقون .

والكفر : هو الجحود والإنكار .

وأصله من الكفر وهو التغطية والستر ، ومنه قيل للحراث : كافر ؛ لأنه (يستر البذر) ، قال

الله تعالى : ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَاتِهِ﴾ : يعنى الزراع ، وقيل للبحر : كافر ، وللليل : كافر . قال

لييد :

حتى إذا ألفت يداً فى كافر وأجن عورات الثغور ظلامها

فى ليلة كفر النجوم غمامها

ومنه : المتكفّر بالسلاح ، وهو الشاكى الذى غطّى السلاح جميع بدنه .

فيسمى الكافر كافراً لأنه سائر للحق ولتوحيد الله ونعمه ونبوة أنبيائه .

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ : أى واحد عليهم ومتساوى لديهم ، وهو اسم مشتق من التساوى .

﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ : أخوفتهم وحذرتهم .

قال أهل المعانى : الإنذار : الإعلام مع تحذير ، يُقال : أنذرتهم فنذروا ، أى أعلمتهم

فعلموا ، وفى المثل : وقد أَعذر من أنذر ، وفى قوله : ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ وأخواتها أربع قراءات :

تحقيق الهمزتين وهى لغة تميم وقراءة أهل الكوفة ؛ لأنها ألف الاستفهام دخلت على ألف

القطع وحذف الهمزة التى وصلت بفاء الفعل وتعويض مده منها كراهة الجمع بين الهمزتين

وهى لغة أهل الحجاز ، وإدخال ألف بين الهمزتين وهى قراءة أهل الشام فى رواية هشام

وإحدى الروایتين عن أبى عمرو .

قال الشاعر:

تطاولت فاستشرقت قرابته فقلن له: أنت زيد لا بل قمر

والأخبار اكتفاء بجواب الاستفهام، وهى قراءة الزهرى.

﴿أَمْرٌ﴾: حرف عطف على الاستفهام.

﴿أَمْرٌ﴾: حرف جزم لا يلى إلا الفصل؛ لأن الجزم مختص بالأفعال.

﴿تُنذِرُهُمْ﴾: تحذيرهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وهذه الآية خاصة فيمن حقت عليه كلمة العذاب فى

سابق علم الله، وظاهرها إنشاء ومعناها إخبار، ثم ذكر سبب تركهم للإيمان فقال:

﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾: أى طبع ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ والختم والطبع بمعنى واحد وهما التغطية للشيء

والاستيثاق من أن يدخله شىء آخر.

فمعنى الآية: طبع الله على قلوبهم وأغلقها وأقفلها فليست تعى خيراً ولا تفهمه. يدل

عليه قوله: ﴿أَمْرٌ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤).

وقال بعضهم: معنى الطبع والختم: حكم الله عليهم بالكفر والشقاوة كما يُقال للرجل:

ختمت عليك أن لا تفلح أبداً.

﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾: فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به، وإنما وحده لأنه مصدر، والمصادر لا

تثنى ولا تجمع، وقيل: أراد سمع كل واحد منهم كما يُقال: آتني برأس كبشين، أراد برأس

كل واحد منهما، قال الشاعر:

كلوا فى نصف بطنكم تعيشوا فإن زمانكم زمن خميص

وقال سيويه: توحيد السمع يدل على الجمع لأنه لا توحيد جمعين كقوله تعالى:

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧) يعنى الأنوار.

قال الراعى:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فيبيض وأما جلدها فصليب

وقرأ ابن عبة: وعلى أسمعهم، وتم الكلام عند قوله ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾.

ثم قال: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: أى غطاء وحجاب، فلا يرون الحق، ومنه غاشية

السرج، وقرأ الفضل بن محمد الضبى: ﴿غِشَاوَةٌ﴾ بالنصب كأنه أضمر له فعلاً أو جملة على

الختم: أى وختم على أبصارهم غشاوة. يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾

(الجنات: ٢٣).

وقرأ الحسن: ﴿غِشَاوَةٌ﴾ بضم الغين، وقرأ الخدرى: ﴿غِشَاوَةٌ﴾ بفتح الغين، وقرأ

أصحاب عبد الله : غشوة بفتح الغين من غير ألف .

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ : القتل والأسر في الدنيا ، والعذاب الأليم في العقبى ، والعذاب كل ما يعنى الإنسان ويشق عليه ، ومنه : عذبة السوط ما فيها من وجود الألم ، وقال الخليل : العذاب ما يمنع الانسان من مراده ، ومنه : الماء العذب لأنه يمنع من العطش ، ثم نزلت في المنافقين : عبد الله بن أبى بن سلول الخزرجى ، ومعتب بن بشر ، وجد بن قيس وأصحابهم حين قالوا : تعالوا إلى خلة نسلم بها من محمد وأصحابه ونكون مع ذلك مستمسكين بديننا ، فأجمعوا على أن يقرؤا كلمة الإيمان بألسنتهم واعتقدوا خلافها وأكثرهم من اليهود . فقال الله :



﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠١﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ وَإِذَا قَالُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠٧﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٠٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ : صدقنا بالله ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ : أى يوم القيامة .

قال الله تعالى : ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ والناس : هم جماعة من الحيوان المتميز بالصورة الإنسانية ، وهو جمع إنسان ، وإنسان فى الأصل إنسيان بالياء ، فأسقطوا الياء منه ونقلوا حركته إلى السين فصار إنساناً ؛ ألا ترى إنك إذا صغرته رددت الياء إليه فقلت : أنيسيان ، واختلف العلماء فى تسميته بهذا الاسم : فقال ابن عباس : سمى إنساناً لأنه عهد إليه فنى . قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِن قَبْلُ قَنَسَىٰ﴾ (طه : ١١٥) ، وقال الشاعر :

❖ وَسُمِّيَتْ إِنْسَانًا لِأَنَّكَ نَاسِيٌ ❖

وقال بعض أهل المعانى : سُمى إنساناً لظهوره وقدس البصير إياه من قولك : أنست كذا :

أى أبصرت . فقال الله تعالى : ﴿ءَأَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ (القصص: ٢٩) وقيل : لأنه استأنس به ، وقيل : لما خلق الله آدم آنسه بزوجه فسمى إنساناً .

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ : أى يخالفون الله ويكذبونه ، وأصل الخدع فى اللغة : الإخفاء ، ومنه قيل (للييت الذى يُحيا فيه المتاع) مُخدع ، والمخادع يظهر خلاف ما يُضمر ، وقال بعضهم : أصل الخداع فى اللغة : الفساد ، قال الشاعر :

أبيض اللون لذيذ طعمه طيب الريق إذا الريق خدع

أى فسد .

فيكون معناه : ليفسدون بما أضمرنا بأنفسهم وبما أضمرنا فى قلوبهم ، وقيل معناه : يخادعون الله بزعمهم وفى ظنهم ، يعنى أنهم اجترؤوا على الله حتى إنهم ظنوا أنهم يخادعون ، وهذا كقوله تعالى : ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ (طه: ٩٧) يعنى بظنك وعلى زعمك .

وقيل : معناه يفعلون فى دين الله ما هو خداع فيما بينهم . وقيل : معناه يخادعون رسوله ، كقوله ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (الزخرف: ٥٥) أى أسخطونا ، وقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ (الأحزاب: ٥٧) أى أولياء الله ؛ لأن الله سبحانه لا يؤذى ولا يخادع ، فبين الله تعالى أن من أذى نبياً من أنبيائه وولياً من أوليائه استحق العقوبة كما لو أذى رسوله وخادعه . يدل عليه الخبر المروى : إن الله تعالى يقول : من أذى ولياً من أوليائي فقد بارزنى بالمحاربة .

وقيل : إن ذكر الله سبحانه فى قوله : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ تحسين وتزيين لسامع الكلام ، والمقصد بالمخادعة للذين آمنوا كقوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّا غَنِمْنَا مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَاللِّسُولِ﴾ (الأنفال: ٤١) . ثم المخادعة على قدر المعاجلة وأكثر المفاضلة إنما تجيء فى الفعل المشترك بين اثنين ، كالمقاتلة والمضاربة والمشاتمة ، وقد يكون أيضاً من واحد كقولك : طارقت النعل ، وعاقبت اللص ، وعافاك الله ، قال الله عز وجل : ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِيحِينَ﴾ (الأعراف: ٢١) وقال : ﴿قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ﴾ (التوبة: ٣٠) والمخادعة ها هنا عبارة عن الفعل الذى يختص بالواحد فى حين الله تعالى لا يكون منه الخداع .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم : آمنا ، وهم غير مؤمنين ، وقال بعضهم : من خداعهم المؤمنين : هو أنهم كانوا يجالسون المؤمنين ويخالطونهم حتى يأنس بهم المؤمنون ويعدونهم من أنفسهم فيثبون إليهم أسرارهم فينقلونها إلى أعدائهم . قال الله تعالى : ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم كأنهم فى الحقيقة يخدعون

أنفسهم؛ وذلك أن الله تعالى لمطلع نبيه محمداً ﷺ على أسرارهم ونفاقهم، فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب الشديد في العقبى.

قال أهل الإشارة: إنما يخادع من لا يعرف البواطن، فأما من عرف البواطن فإن من خادعه فإنما يخدع نفسه.

واختلف القراء في قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ فقرأ شيبه ونافع وابن كثير وابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العلاء: ﴿يُخَدِّعُونَ﴾ بالألف جعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد، وقد ذكرنا خبره وتصديقها الحرف الأول، وقوله: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ﴾ لم يختلفوا فيه إلا ما روى عن أبي حمزة الشامي أنه قرأ: (يخدعون الله) وقرأ الباقر ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ على أشهر اللغتين وأضبطهما واختاره أبو عبيد.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ وما يعلمون أنها كذلك.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق، ومنه يُقال: فلان يمرض في الوعد إذا لم يُصححه، وأصل المرض: الضعف والفتور. فسمي الشك في الدين والنفاق (مرض به) يضعف البدن وينقص قواه؛ ولأنه يؤدي إلى الهلاك بالعذاب، كما أن المرض في البدن يؤدي إلى الهلاك والموت.

﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ شكًا ونفاقًا وهلاكًا.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وجيع يخلص وجعه إلى قلوبهم، وهو بمعنى مؤلم كقول عمرو بن

معدى كرب:

زمن ريحانة الداعي السميع يؤرّقني وأصحابي هجوع

أى المسمع: يعنى خيالها.

﴿يَمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: (ما) مصدرية، أى بتكذيبهم على الله ورسوله في السرّ.

وقرأ أهل الكوفة: بفتح الياء وتخفيف الذال، أى بكذبهم إذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين.

﴿وَإِذَا﴾: حرف توقيت بمعنى حينئذ، وهى تؤذن بوقوع الفعل المنتظر وفيها معنى الجزاء،

﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مجهول، وكان فى الأصل قول مثل قيل، فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت كسرتها إلى فاء الفعل فانقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها، هذه اللغة العالية وعليها العامة وهى اختيار أبى عبيد.

وقرأ الكسائي ويعقوب: قِيلَ، وَغَيْضٌ، وَحَيْلٌ، وَسَيْقٌ، وَجِيءٌ، وَشَيْءٌ وَشَيْتٌ بِأَشْمَامِ

الضمة فيها لتكون دالة على الواو المنقلبة، وفاصلة بين الصّدر والمصدر.

﴿لَهُمْ﴾: يعنى المنافقين، وقيل: اليهود. قال لهم المؤمنون: ﴿لَا تَسِيدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر

والمعصية وتفريق الناس عن الإيمان بحمد والقرآن، وقال الضحّاك: تبديل الملة وتغيير السنّة وتحريف كتاب الله.

﴿قَالُوا إِنَّا تَخَوَّنُ مَصْلِحُونَ﴾ ﴿الآ﴾: كلمة تنبيه ﴿إِنَّهُمْ هُمُ﴾: عماد وتأکید ﴿الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: ما أعد لهم من العذاب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعنى: (قال) المؤمنون لليهود: ﴿ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ وهم عبد الله بن سلام وغيره من مؤمنى أهل الكتاب.

﴿قَالُوا أَلَوْ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ الجهال. قال الله: ﴿الآ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بأنهم كذلك، وقيل: لا يؤدون العلم حقّه، وقال المؤرّخ: السفیه: البهات الكذاب المتعمّد لخلاف ما يعلم.

قُطِرُبُ: السفیه: العجول الظلوم يعمل خلاف الحق.

واختلف القراء فى قوله: ﴿السُّفَهَاءُ الْآ﴾ فحقّق بعضهم الهمزتين، وهو مذهب أهل الكوفة ولغة تميم.

وأما أبو عمرو وأهل الحجاز فإنهم همزوا الأولى وليّنوا الثانية؛ طلباً للخفّة، واختار القراء حذف الأولى وهمز الثانية، واحتج بأن ما يستأنف - أى بالهمزة - مما يسكت عليه. ﴿وَإِذَا لُقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

قال جوبير عن الضحّاك عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن أبى ابن سلول الخزرجى عظيم المنافقين من رهط سعد بن عبادة، وكان إذا لقي سعداً قال: نعم الدين دین محمد، وكان إذا رجع إلى رؤساء قومه. قالوا: هل نكفر؟ قال: شدّوا أيديكم بدين آبائكم. فأنزل الله هذه الآية.

وروى الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس: نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى محتجاً به، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبى لأصحابه: انظروا كيف أدرأ هؤلاء السُّفَهَاءُ عنكم. فذهب وأخذ بيد أبى بكر فقال: مرحباً بالصدّيق سيّد بنى تميم وشيخ الإسلام وثانى رسول الله ﷺ فى الغار، والبادل نفسه وماله له. ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيّد بنى عدى بن كعب الفاروق القوى فى دين الله البادل نفسه وماله لرسول الله، ثم أخذ بيد على فقال: مرحباً بابن عم رسول الله وختنه سيّد بنى هاشم ما خلا رسول الله ﷺ فقال على: كف لله واتق الله ولا تنافق، فإن المنافقين شر خليفة الله، فقال له عبد الله: مهلاً أبا الحسن إلى تقول هذا، والله إن إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم

افترقوا، فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلتُ، فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت. فأتوا عليه خيراً، وقالوا: لا نزال معك ما عشت، فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ وأخبروه بذلك، فأنزل الله ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أى رأوا، يعنى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه، كان (لقوا) فى الأصل (لَقِيُوا) فاستثقلت الضمة على الياء فبسطت على القاف وسكنت الواو والياء ساكنة فحذفت لاجتماعهما.

وقرأ محمد بن السميع: وإذا لاقوا وهما بمعنى واحد.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: يعنى أبا بكر وأصحابه ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ كما يمانكم. ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ رجعوا، ويجوز أن تكون من الخلوة، تقول: خلوتُ به وخلوتُ إليه، وخلوتُ معه، كلها بمعنى واحد.

وقال النضر بن شميل: ﴿إِلَى﴾ ها هنا بمعنى (مع) كقوله تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧): أى مع نساءكم، وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ (النساء: ٢). وقوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٥٢) النابغة:

ولا تتركنى بالوعيد كأننى إلى الناس مطلىُّ به القار أجربُ

أى مع الناس.

وقال آخر:

ولوح ذراعين فى بركة إلى جوؤر رهل المنكب

أى مع جوؤر.

﴿إِلَى شَيْطَانِهِمْ﴾: أى رؤساؤهم وكبراؤهم وقادتهم وكهنتهم.

قال ابن عباس: هم خمسة نفر من اليهود، ولا يكون كاهن إلاّ ومعه شيطان تابع له: كعب ابن الأشرف بالمدينة، وأبو بردة فى بنى أسلم، وعبد الله فى جهينة، وعوف بن عامر فى بنى أسد، وعبد الله بن السوداء بالشام.

والشيطان: المتمرد العاصى من الجن والإنس، ومن كل شىء، ومنه قيل: للحية النضناض: الشيطان، قال الله تعالى: ﴿طَلَعْنَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (الصافات: ٦٥) أى الحيات، وتقول العرب: اتق تلك الدابة فإنها شيطان.

وفى الحديث: «إذا مرَّ الرجل بين يدي أحدكم وهو يتمطى فليمنعه فإن أبى فليقاتله فإنه

شيطان».

وروى عن النبي ﷺ: أنه نظر إلى رجل يتبع حماماً طائراً فقال: «شيطان يتبع شيطاناً».

أراد الراعى الخبيث الداعى .

ويُحكى عن بعضهم أنه قال فى تضاعيف كلامه : وكل ذلك حين ركبنى شيطان قيل له :
وأى الشياطين ركبك؟ قال : الغضب .

وقال أبو النجم :

إنى وكل شاعر من البشر شيطانه أنشى وشيطانى ذكر
﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أى على دينكم وأنصاركم .

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بمحمد وأصحابه .

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ﴾ أى يجازيهم جزاء استهزائهم ، فسُمى الجزء باسم الابتداء إذ كان مثله فى
الصورة كقوله : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (الشورى : ٤٠) فسُمى جزاء السيئة سيئة .

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال آخر :

نجازيهم كيل الصواع بما أتوا ومن يركب ابن العم بالظلم يُظلم
فسُمى الجزء ظلماً .

وقيل : معناه : الله يوبخهم ويعرضهم ويخطئى فعلهم ؛ لأن الاستهزاء والسخرية عند
العرب العيب والتجهيل ، كما يقال : إن فلاناً يُستهزأ به منذ اليوم ، أى يُعاب . قال الله ﴿أَنْ إِذَا
سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ (النساء : ١٤٠) أى تُعاب ، وقال إخباراً عن نوح عليه
السلام : ﴿إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ﴾ (هود : ٣٨) .

وقال الحسن : معناه : الله يُظهر المؤمنين على نفاقهم .

وقال ابن عباس : هو أن الله يُطلع المؤمنين يوم القيامة وهم فى الجنة على المنافقين وهم فى
النار ، فيقولون لهم : أتحبون أن تدخلوا الجنة ، فيقولون : نعم ؛ فيفتح لهم باب من الجنة ،
ويُقال لهم : ادخلوا فيسبحون ويتقبلون فى النار ، فإذا انتهوا إلى الباب سدّ عليهم ، وردّوا إلى
النار ويضحك المؤمنون منهم ، فذلك قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾
(المطففين : ٢٩) إلى قوله : ﴿قَالِیَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (المطففين : ٣٤) .

الأعمش عن خيشمة عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : «يؤمر بفثام من الناس إلى
الجنة ، حتى إذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا إلى ما أعد الله فيها لأهلها من الكرامة ،
نودوا : أن اصرفوهم عنها . قال : ويرجعون بحسرة وندامة لم يرجع الخلائق بمثلها . فيقولون :

يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تربنا ما أرتنا كان أهون علينا . فيقول الله جل جلاله : هذا الذى أردت بكم هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلوني وكنتم تراؤون الناس بأعمالكم خلاف ما كنتم ترونى من قلوبكم . فاليوم أذيقكم من عذابي مع ما حرمتكم من ثوابي» .

وقيل : هو خذلانه إياهم وحرمانهم التوفيق والهداية .

وهو قوله فيما بعد : ﴿وَيَذُوهُمْ﴾ يتركهم ، ويمهلهم ويؤطيل لهم ، وأصله : الزيادة ، ويقال : مدّ النهر ، ومدّة : زمن آخر .

وقرأ ابن محيصن وشبل : (ويمدهم) بضم الياء وكسر الميم وهما لغتان بمعنى واحد ؛ لأنّ المد أكثر ما يأتى فى الشر والإمداد فى الخير . قال الله عزّ وجلّ فى المد : ﴿وَتَذُوهُمْ مِنَ الْعَذَابِ مَذًا﴾ (مریم : ٧٩) ، وقال فى الإمداد : ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ (الإسراء : ٦) وقال : ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُوْدُّهُمْ بِهٖ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ (المؤمنون : ٥٥) ، وقال : ﴿وَيُؤَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ (نوح : ١٢) .

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ كفرهم وضلالتهم وجهالتهم ، وأصل الطغيان : مجاوزة القدر ، يقال : ميزان فيه طغيان ، أى مجاوزة للقدر فى الاستواء . قال الله تعالى : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ (الحاقة : ١١) أى جاوز حده الذى قدر له ، وقال لفرعون : ﴿إِنَّهٗ رَطْبٌ﴾ (طه : ٢٤) أى أسرف فى الدعوى حينما قال : ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (النازعات : ٢٤) .

﴿يَعْمَهُونَ﴾ يمحضون ، يترددون فى الضلالة متحيرين .

يقال : عمه يعمه عمها وعموها ، وعمها فهو عمه ، وعامه : إذا كان جائراً عن الحق . قال رؤبة :

وَمَهْمَهَ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمَهَ
أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَهَ
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ :

قال ابن عباس : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى ، ومعناه : أنهم استبدلوا الكفر على الإيمان ، وإنما أخرجه بلفظ الشرى والتجارة توسعاً ؛ لأن الشرى والتجارة راجعان إلى الاستبدال والاختيار ؛ وذلك أن كل واحد من البيعين يختار ما فى يدي صاحبه على ما فى يديه ، وقال الشاعر :

أَخَذْتُ بِالْجُمَّةِ رَأْسًا إِزْعَرًا
وَبِالطَّوِيلِ الْعُمَرُ عَمْرًا جِيدَرًا
وبالثنايا الواضحات الدرُّدُرًا
كما اشترى المسلم إذ تنصراً

أى اختار النصرانية على الإسلام .

وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق: ﴿أَشْتَرُوا الضَّلَكَةَ﴾ بكسر الواو؛ لأنَّ الجزم يُحرِّك إلى الكسرة العدوى بفتحها حركة إلى أخف الحركات.

﴿فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾: أى فما ربحوا فى تجارتهم.

تقول العرب: ربح بيعك، وخسرت صفقتك، ونام ليك. أى ربحت وخسرت فى بيعك، ونمت فى ليك.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ (محمد: ٢١)، وقال: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (سبا: ٣٣).

قال الشاعر:

وأعور من نيهان أمّا نهاره فأعمى وأما ليله فبصير

وقال آخر:

حارثٌ قد فرّجت عنى همى فنام ليلى وتجلّى غمى

وقرأ إبراهيم بن أبى عبلة: (فما ربحت تجارتهم) بالجمع.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: من الضلالة، وقال: مصيبين فى تجارتهم.

قال سفيان الثورى: كلكم تاجر فلينظر امرؤ ما تجارته؟ قال الله: ﴿فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾

وقال: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (الصف: ١٠).



﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ صم بكم عنى فهم لا يرجعون ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلْمَةٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ يكاد البرق يحطف أبصرهم ﴿كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ لَآنَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿مَثَلُهُمْ﴾ شبههم. ﴿كَمَثَلِ الَّذِي﴾ بمعنى الذين، دليله سياق الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي

جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ ثم قال ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٣٣).

وقال الشاعر:

وأن الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كلّ القوم يا أمّ خالد

﴿اسْتَوْقَدَ﴾: أوقد ناراً كما يقال: أجاب واستجاب.

قال الشاعر:

وداع دعانا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب
 ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ النار ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ يقال: ضاء القمر يضيء ضوءاً، وأضاء يضيء إضاءةً
 وأضاء غيره: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ النار يكون لازماً ومتعدياً.

وقرأ محمد بن السميع (ضاءت) بغير ألف. و(حوله) نصب على الظرف.
 ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أى أذهب الله نورهم، وإنما قال: (بنورهم) والمذكور فى أول الآية
 النار؛ لأن النار شيان النور والحرارة فذهب نورهم وبقيت الحرارة عليهم.

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾: قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والسدى: نزلت
 هذه الآية فى المنافقين. يقول: مثلهم فى كفرهم ونفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً فى ليلة مظلمة
 فى مفازة فاستضاء بها فاستدفاً ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف فأمن، فبينا هو كذلك إذ
 طفت ناره فبقى مظلماً خائفاً متحيراً، كذلك المنافقون إذا أظهروا كلمة الإيمان استناروا بنورها
 واعتزوا بعزها وناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم وأمنوا على أموالهم
 وأولادهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الخوف والظلمة وهووا فى العذاب والنقمة.

وقال مجاهد: إضاءة النار: إقبالهم إلى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم إقبالهم إلى
 المشركين والضلالة.

سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطاء، ويان بن رثاب: نزلت فى اليهود وانتظارهم
 خروج النبى ﷺ وإيمانهم به واستفتاحهم به على مشركى العرب، فلما خرج كفروا به، وذلك
 بأن قريظة والنضير وبنو قينقاع قدموا من الشام إلى يثرب حتى انقطعت النبوة من بنى إسرائيل
 وأفضت إلى العرب، فدخلوا المدينة يشهدون لمحمد ﷺ بالنبوة وأن أمته خير الأمم وكان
 يغشاهم رجل من بنى إسرائيل يقال له: عبد الله بن هيبان قبل أن يوحى إلى رسول الله ﷺ كل
 سنة فيعظهم على طاعة الله تعالى وإقامة التوراة والإيمان بمحمد ﷺ رسول الله إذا خرج: فلا
 تفرقوا عنه وانصروه وقد كنت أطمع أن أدركه، ثم مات قبل خروج النبى ﷺ فقبلوا منه، ثم لما
 خرج رسول الله ﷺ كفروا به فضرب الله لهم هذا المثل.

وقال الضحاك: لما أضاءت النار أرسل الله عليها ريحاً قاصفاً فأطفأها، فكذلك اليهود كلما
 أوقدوا ناراً لحرب محمد ﷺ أطفأها الله.

ثم وصفهم جميعاً فقال: ﴿صُرُّ﴾: أى هم صم عن الهدى فلا يسمعون.

﴿بِكُمْ﴾: عنه فلا يقولون.

﴿عُنَى﴾: عنه فلا يرونه.

وقيل: ﴿صُرِّمٌ﴾ يتصاممون عن سماع الحق، ﴿بُكِّرٌ﴾ يتباكمون عن قول الحق، ﴿عُنِيٌّ﴾ يتعامون عن النظر إلى الحق بغير اعتبار.

وقرأ عبد الله: (صمًا بكمًا عميًا) على معنى وتركهم كذلك، وقيل: على الذم، وقيل: على الحال.

﴿فَهَمًّا لَا يَرِجُونَ﴾ عن الضلالة والكفر إلى الهداية والإيمان.

ثم قال: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾ هذا مثل آخر ضربه الله لهم أيضاً معطوف على المثل الأول مجازه: مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ومثلهم أيضاً كصيب.

قال أهل المعانى: (أو) بمعنى الواو، يريد وكصيب، كقوله تعالى: ﴿أَمْ تَرِيدُونَ﴾ (البقرة: ١٠٨). وأنشد الفراء:

وقد زعمت سلمى بأثى فاجر
لنفسى تقاها أو عليها فجورها
وأنشد أبو عبيدة:

بصيب قد راح يروى الغُدرا
وأصله من صاب يصوب صوباً إذا نزل.
قال الشاعر:

فلمست لأنسى ولكن لملاك
تنزل من جو السماء يصوب
وقال امرؤ القيس:

كأن المدام وصوب الغمام
فسمى المطر صيباً لأنه ينزل من السماء.

واختلف النحاة فى وزنه من الفعل، فقال البصريون: هو على وزن فيعل بكسر العين، ولا يوجد هذا المثال إلا فى المعتل نحو سيّد وميّت وليّن وهينّ وضيقّ وطيبّ، وأصله صهيب، فجعلت الواو ياء فأدغمت إحدى اليائين فى الأخرى.

وقال الكوفيون: هو وأمثاله على وزن فيعل بكسر العين وأصله: صيب فاستثقلت الكسرة على الياء فسكّنت وأدغمت إحداهما فى الأخرى وحركت إلى الكسر.

والسما: كلّ ما علاك فأظلك وأصله: سماو؛ لأنه من سما يسمو، فقلبت الواو همزة لأنّ الألف لا تخلو من مدّة وتلك المدّة كالحركة، وهو من أسماء الأجناس، يكون واحداً أو جمعاً، قال الله: ﴿أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ (البقرة: ٢٩) ثم قال: ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ (البقرة: ٢٩).

وقيل: هو جمع واحدها سماوة، والسماوات جمع الجمع.

قال الرَّاجِزُ:

سماوة الهلال حتى احقوقفا طى الليالى زلفا فزلفا
 ﴿فِيهِ﴾ أى فى الصَّيْبِ، وقيل: فى الليل كناية عن (ضمير) مذكور، وقيل: فى السماء؛
 لأن المراد بالسماء السَّحاب، وقيل: هو عائد إلى السماء على لغة من يذكرها.

قال الشاعر:

فلورفع السماء إليه قومًا لحقنا بالسماء مع السَّحاب
 والسماء يذكر ويؤنث. قال الله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ (المزمل: ١٨). وقال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ
 انْفَطَرَتْ﴾ (الإنفطار: ١).

﴿ظَلُمْتُ﴾: جمع ظلمة، وضُمَّت اللام على الإتياع بضمّ الظاء.
 وقرأ الأعمش: (ظَلُمَات) بسكون اللام على أصل الكلام لأنها ساكنة فى التوحيد.
 كقول الشاعر وهو ذو الرِّمَّة:

أبتُ ذكر مَنْ عودن أحشاء قلبه خفوقًا ورفصات الهوى فى المفاصل
 ونزل الفاء ساكنة على حالها فى التوحيد.
 وقرأ أشهب العقيلي: (ظلمات) بفتح اللام، وذلك أنه لما أراد تحريك اللام حركها إلى
 أخفّ الحركات.

كقول الشاعر:

فلمّا رأونا باديًا ركبانتنا على موطن لا نخلط الجدّ بالهزل
 ﴿وَرَعْدٌ﴾: وهو الصوت الذى يخرج من السحاب.
 ﴿وَبَرْقٌ﴾: وهو النار الذى تخرج منه.
 قال مجاهد: الرعد ملك يسبح بحمده، يقال لذلك الملك: رعد، والصَّريم أيضًا رعد.
 والبرق: ملك يسوق السحاب.

وقال عكرمة: الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقها كما يسوق الراعى الإبل.
 شهر بن حوشب: الرعد ملك يزجى السحاب كما يحثّ الراعى الإبل فإذا انتبذت
 السحاب ضمّها فإذا اشتدّ غضبه طار من فيه النار فهى الصواعق.

ربيعة بن الأبيض عن على عليه السلام قال: البرق مخاريق الملائكة.
 وقال أبو الدرداء: الرعد للتسييح، والبرق للخوف والطمع، والبرد عقوبة، والصواعق
 للخطيئة والجراد رزق لقوم وزجر لآخرين، والبحر بمكيال، والجبال بميزان.

وأصل البرق من البريق والضوء، والصواعق: المهالك، وهو جمع صاعقة، والصاعقة والصاعقة والصعقة: المهلكة، ومنه قيل: صعق الإنسان، إذا غشى عليه، وصعق، إذا مات.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ أى مخافة الموت، وهو نصب على المصدر، وقيل لنزع حرف الصفة.

وقرأ قتادة: حذار الموت.

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أى عالم بهم، يدل عليه قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

(الطلاق: ١٢).

وقيل: معناه: والله مهلكهم وجامعهم، دليله قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ (يوسف: ٦٦): أى

تهلكوا جميعاً.

وأمال أبو عمرو والكسائي (الكافرين) فى حال الحذف والنصب ولكسرة الفاء والراء.

﴿يَكَادُ الْبَرَقُ﴾ أى يقرب. يقال: كاد، أى قرب ولم يفعل، والعرب تقول: كاد يفعل -

بحذف أن - فإذا سببوه بقى قالوا: كاد أن يفعل، والأول أوضح وأظهر. قال الشاعر:

❖ قد كاد من طول البلى أن تمسحاً ❖

﴿يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ﴾: أى يخطفها ويشغلها، ومنه الخطاف.

وقرأ أبى: يتخطف.

وقرأ ابن أبى إسحاق: نصب الخاء والتشديد (يخطف) فأدغم. وقرأ الحسن: كسر الخاء

والطاء مع التشديد أتبع الكسرة الكسرة.

وقرأ العامة: التخفيف لقوله: ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ (الحج: ٣١) وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾

(الصفات: ١٠).

﴿كَلَّمَآ﴾: حرف علة ضم إليه (ما) الجزاء فصار أداة للتكرار، وهى منصوبة بالظرف،

ومعناها: متى ما.

﴿أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾: وفى حرف عبد الله... (١).

﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾: أى أقاموا ووقفوا متحيرين.

القول فى معنى الآيتين ونظمهما وحكمهما

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾ أى كأصحاب صيب، كقوله: ﴿وَسُئِلَ الْقُرَيْشُ﴾ (يوسف: ٨٢) شبههم الله فى كفرهم ونفاقهم وحيرتهم وترددهم بقوم كانوا فى مفازة فى ليلة مظلمة فأصابهم مطر فيه ظلمات من صفتها أن السارى لا يمكنه المشى من ظلمته، فذلك قوله: ﴿وَإِذَا أَظْمَرَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾.

ورعد من صفته أن يضع السامع يده إلى أذنه من الهول والفرق مخافة الموت والصعق، ذلك قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْءِ آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حُدُورَ الْمَوْتِ﴾. وبرق من صفته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويذهب بضوئها ونعيمها من كثرته وشدة توقده، وذلك قوله: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾.

وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وإجماع الناس والكافرين معه:

فالمطر: هو القرآن لأنه حياة الجنان كما أن المطر حياة الأبدان.

﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ وهو ما فى القرآن من ذكر الكفر والشرك والشك وبيان الفتن والمحن.

﴿وَرَعْدٌ﴾: وهو ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والزّواجر والنواهى.

﴿وَبَرْقٌ﴾: وهو ما فى القرآن من الشفاء والبيان والهدى والنور والوعد وذكر الجنة.

فكما أن أصحاب الرعد والبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم حذر الموت كذلك المنافقون واليهود والكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن ولا يصغون إليه مخافة ميل القلب إلى القرآن فيؤدى ذلك إلى الإيمان؛ لأنّ الإيمان بمحمد ﷺ عندهم كفر والكفر موت.

وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله للمنافق لجبنه، لا يسمع صوتاً إلاّ ظنّ أنه قد أتى ولا يسمع صياحاً إلاّ ظنّ أنه ميتّ أجبن قوم وأخذله للحق كما قال فى آية أخرى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوُّ﴾ (المنافقون: ٤).

وقوله: ﴿كُلَّمَا أَصَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْمَرَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ يعنى المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان آمنوا وصارت لهم نوراً فإذا ماتوا عادوا إلى الخشية والظلمة.

قتادة: والمنافق إذا كثر ماله وحسن حاله وأصاب فى الإسلام رخاءً وعافية ثبت عليه فقال: أنا معكم، وإذا ذهب ماله وأصابته شدة، قام متحيراً وخفق عندها فلم يصبر على بلائها ولم يحتسب أجرها. وتفسيره فى سورة الحج ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْذُؤُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ (الحج: ١١) الآية.

الوالى عن ابن عباس: هم اليهود لما نصر رسول الله ﷺ بيدر طمعوا وقالوا: هذا والله النبى الذى بشرنا به موسى لا ترد له راية، فلما نكب بأحد ارتدوا وسكتوا.

﴿وَأُولُو﴾: حرف تمنى وشك وفيه معنى الجزاء وجوابه اللام.

ومعنى الآية: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾: أى أسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة حتى صاروا صمًا بكما عميًا.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قادر، وكان حمزة يكسر شاء، وجاء وأمثالها لانكسار فاء الفعل، إذا أخبرت عن نفسك قلت: شئت وجئت وزدت وطبت وغيرها.



﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾: قال ابن عباس: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ خطاب أهل مكة، و﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب أهل المدينة، وهو هاهنا عام.

﴿آعْبُدُوا﴾ و﴿حَدُوا﴾ وأطيعوا. ﴿رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أوجدكم وأنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئًا. ﴿وَالَّذِينَ﴾ أى وخلق الذين ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لكى تنجوا من السُّحت والعذاب.

قال سيويه: لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله (١).

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ بساطًا ومقامًا ومنامًا. ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفًا مرفوعًا محفوظًا.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من السحاب. ﴿مَاءً﴾ وهو المطر ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ من ألوان

(١) بياض بالأصل المخطوط.

الثمرات وأنواع النبات. ﴿رِزْقًا﴾ طعاماً. ﴿لَكُمْ﴾ وعلفًا لدوابكم.
 ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أى أمثالاً (وأعدالاً) وقرأ ابن السميع: ندأ على الواحد، كقول
 جرير:

أتيما تجعلون إلىّ ندأً وما تيم لذي حسب نديد

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه واحد وأنه خالق هذه الأشياء.

قال ابن مسعود فى قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ قال: أكفاء من الرجال تطيعوهم فى معصية
 الله.

وقال عكرمة: هو قول الرجل: لولا كلبنا لدخل اللص دارنا.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ الآية نزلت فى الكفار، وذلك أنهم قالوا لما سمعوا القرآن: ما يشبه هذا
 كلام الله وإنا لفى شك منه، فأنزل الله تعالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾ يا معشر الكفار، (وإن) لفظه جزاء
 وشرط، ومعناه: إذ؛ لأن الله تعالى علم أنهم شاكون كقوله: ﴿وَأَنْتُمْ أَلْعَلَّوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
 (آل عمران: ١٣٩) وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
 (البقرة: ٢٧٨).

قال الأعشى:

بانث وقد أسفرت فى النفس حاجتها بعد ائتلاف وخير الودّ ما نفعا

قال المؤرخ: أصلها من السورة وهى الوثبة: تقول العرب سرت إليه وثبت إليه.

قال العجاج:

وربّ ذى سرادق محجورٌ سرت إليه فى أعالى السور

قال الأعشى:

وسمعت حلفتها التى حلفت إن كان سمعك غير ذى وقر

﴿فِي رَيْبٍ﴾ أى فى شك وتهمة.

﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد يعنى القرآن.

﴿فَأْتُوا﴾ لم يأتوا بمثله، لأن الله علم عجزهم عنه.

﴿سُورَةٍ﴾ أصلها فى قول بعضهم: من أسارت، أى أفضلت فحذفت الهمزة كأنها قطعة من

القرآن، وقيل: هى الدرجة الرفيعة، وأصلها من سور البناء، أى منزلة بعد منزلة. قال النابغة.

ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ يعنى مثل القرآن، و(من) صلة كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ

وَيَحْفَظُوا أَمْوَالَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴿٣١﴾
(النور: ٣٠-٣١).

كقول النابغة:

ولا أرى ملكًا فى الناس يشبهه ولا أخا (لى) من الأقسام من أحد
أى أحدًا.

وقيل فى قوله: (مثله): راجعة إلى محمد ﷺ ومعناه: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ أى من رجل أُمى لا يحسن الخط والكتابة.

﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ يعنى استعينوا بالهتكم التى تعبدونها من دون الله.

وقال مجاهد والقرظى: ناسًا يشهدون لكم.

وإنما ذكر الاستعانة بلفظ الدعاء على عادة العرب فى دعائهم القائل فى الحروب والشدائد: يال... (١).

قال الشاعر:

فلما التقت فرساننا ورجالهم دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن محمداً أسرّ قوله من تلقاء نفسه، فلما تحداهم وعجزوا (قال الله تعالى): ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ أى فإن لم تجيئوا بمثل القرآن.

﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾: ولن تقدرُوا على ذلك.

وقيل ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ فيما مضى ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ فيما بقى.

﴿فَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا﴾ حطبها وعلفها ﴿النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قال الحسن ومجاهد: (وقودها)

بضم الواو حيث كان وهو ردىء، لأن الوقود بضم الواو المصدر وهو الالتهاب، والوقود بالفتح وهو ما يوقد به النار كالظهور والبرود، ومثليهما ومثل الوضوء والوضوء.

وقرأ عبيد بن عمير: وقيدها الناس والحجارة.

قيل: تلك الحجارة (كجت الأرض النائية) مثل الكبريت يجعل فى أعناقهم إذا اشتعلت

فيها النار أحرق توهجها وجوههم، فذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَّجِهِ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾
(الزمر: ٢٤).

اختلفوا فى الحجارة، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: إنها حجارة الكبريت (الأسود وهى

أشد الأشياء حرًا)، وقال حفص بن المعلى: أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت معمولة

(١) بياض بالأصل المخطوط.

من الحجر، دليبه قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٨).

وقيل: هي أن أهل النار إذا عيل صبرهم بكوا وشكوا ففتنوا سحابة سوداء مظلمة فيرجون الفرج ويرفعون رؤوسهم إليهم فتمطرهم حجارة عظيمة كحجارة الرّحا، فتزداد النار اتقاداً والتهاباً كنار الدنيا إذا زيد حطبها زاد لهيبها.

وقيل: ذكر الحجارة ها هنا تعظيماً لأمر النار لأنها لا تأكل الحجارة إلا إذا كانت فظيعة وهائلة.

﴿أَعِدَّتْ﴾: خلقت وهيئت للكافرين، وفي هذه الآية دليل على أن النار مخلوقة؛ لأنّ المعدّ لا يكون إلا موجوداً.

﴿وَنَشِرٌ﴾ أى وأخبر.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وأصل التبشير: إيصال الخبر السار على (مسمع الناس) ويستبشر به، وأصله من البشارة؛ لأنّ الإنسان إذا فرح بان ذلك فى وجهه وبشرته، ثم كثر حتى وضع موضع الخبر فيما (ساء وسر) قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (ال عمران: ٢١).

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أى الخصال والفعلات ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ نعت لاسم مؤنث محذوف.

وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه فى ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: معناه أخلصوا الأعمال، يدلّ عليه قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ (الكهف: ١١٠) أى خالصاً لأنّ المنافق والمرائي لا يكون عمله خالصاً، وقال: أقاموا الصلوات المفروضات، دليبه قوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ (البقرة: ٢٧٧).

﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٠) من المسلمين.

وقال ابن عباس: عملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم، وقال: العمل الصالح يكون فيه أربعة أشياء: العلم، والنية، والصبر، والإخلاص.

وقال سهل بن عبد الله: لزموا السنّة؛ لأنّ عمل المبتدع لا يكون صالحاً.

وقيل: أدوا الأمانة، يدلّ عليه قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٢) أى أميناً.

وقيل: تابوا، ودليبه قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف: ٩) أى التائبين.

﴿أَنْ لَهُمْ﴾: محل (أن) نصب بنزع حرف الصفة، أى بأن لهم.

﴿جَنَّاتٍ﴾: فى محل النصب فحفض لأنها جمع التائيت، وهى جمع الجنّة وهى البستان،

سُمِّيَتْ جَنَّةٌ لِاجْتِنَانِهَا بِالْأَشْجَارِ .

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أى من تحت شجرها ومساكنها . وقيل : بأمرهم ، كقوله :

﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ (الزخرف : ٥١) أى بأمرى .

والأنهار : جمع نهر ، سمى نهرًا لسعته وضيائه ومنه النهار .

وأنشد أبو عبيدة :

ملكْتُ بها كَفَى فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَّا ❖ يرى قائم من دونها ما وراءها

أى وسعتها ، يصف طعنة .

وأراد بالأنهار المياه على قرب الجوار لأن النهر لا يجرى .

وقد جاء فى الحديث : «أنهار الجنة تجرى فى غير أخطود» .

﴿كُلَّمَا﴾ متى ما ﴿رَزَقُوا﴾ أطمعوا ﴿منها﴾ من الجنة ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾: أى ثمره ، و(من) صلة .

﴿رِزْقًا﴾ طعامًا . ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِى رَزَقْنَا﴾ أطمعنا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: طعامهما ، وقيل معناه : هذا

الذى رزقنا من قبل ، أى وعدنا الله فى الدنيا وهو قول عطاء ، و(قبل) رفع على الغاية ، قال الله

تعالى : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ (الروم : ٤) .

﴿وَأْتُوا﴾ وحيثوا ﴿بِهِ﴾ بالرزق .

قرأ هارون بن موسى : (وأوتوا) بفتح الألف ، أراد أتاهاهم الخدم به .

﴿مُتَشَابِهًا﴾ اختلفوا فى معناه ، فقال ابن عباس ومجاهد والربيع والسدى : متشابهًا فى

الألوان ، مختلفًا فى الطعوم .

الحسن وفتادة : متشابهًا فى الفضل ، خيارًا كلّه ؛ لأن ثمار الدنيا (تبقى) ويرذل منها ، وإن

ثمار الجنة لا يرذل منها شىء .

محمد بن كعب وعلى بن زيد : بمعنى يشبه ثمر الدنيا غير أنها أطيب .

وقال بعضهم : متشابهًا فى الاسم مختلفًا فى الطعم .

قال ابن عباس : ليس فى الجنة شىء مما فى الدنيا غير الأسماء .

﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ فى الجنّات . ﴿أَزْوَاجٌ﴾ نساء وجوار ، يعنى الحور العين .

قال ثعلب : الزوج فى اللغة : المرأة والرجل ، والجمع والفرد ، والنوع واللون ، وجميعها

أزواج .

﴿مُطَهَّرَةً﴾ من الغائط والبول والحيض والنفاس والمخاط والبصاق والقيء والمنى والولد وكل

قدر ودنس .

وقال إبراهيم النخعي: في الجنة جماع ما شئت ولا ولد.

وقيل: مطهرة عن مساوئ الأخلاق.

وقال يمان: مطهرة من الإثم والأذى.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَفَلَّحُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ». قيل: فما بال الطعام؟ قال: «جشاً ورشح تجرى من أعرافهم كريح المسك يلهمون التسبيح والتهليل كما يلهمون النفس».

﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون مقيمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

الحسن عن ابن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجنة: كيف هي؟

قال: «من يدخل الجنة يحيا ولا يموت وينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا شبابه».

قيل: يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال: «لبنة من فضة ولبنة من ذهب، ملاطها مسك أذفر، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران».

وقال يحيى بن أبي كثير: إن الحور العين لتنادين أزواجهن بأصوات حسان، فيقلن: طالما انتظرناكم، نحن الراضيات الناعمات الخالدات، أنتم حبتنا ونحن حبكم ليس دونكم مقصد ولا وراءكم معذر.

وقال الحسن في هذه الآية: هن عجائزكم الغمض الرمض العمش طهرن من قدرات الدنيا.



﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰلسِقِينَ ﴿١٠٥﴾ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٠٦﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ ءَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مِيتَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠٧﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ هذه الآية نزلت في اليهود، وذلك أن الله تعالى ذكر في كتابه العنكبوت والذباب فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ (الحج: ٧٣) الآية.

وقال: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ (العنكبوت: ٤١) الآية، ضحكت اليهود وقالوا: ما هذا الكلام وماذا أراد الله بذكر هذه الأشياء الخبيثة في كتابه وما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ أى لا يترك ولا يمنع الحياء أن يضرب مثلاً أن تصف للحق شبهاً. ﴿مَّا بَعُوضَةٌ﴾. (ما) صلة، وبعوضة نصب يدل على المثل.

﴿فَمَا تَوْفِيقَهَا﴾: ابن عباس يعنى الذباب والعنكبوت. وقال أبو عبيدة: يعنى فما دونها. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿فَيَعْلَمُونَ﴾ يعنى أن هذا المثل هو ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الصدق الصحيح. ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن. ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾: أى بهذا المثل. فلما حذف الألف واللام نصب على الحال والقطع والتمام، كقوله: ﴿وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا﴾ (النحل: ٥٢).

فأجابهم الله تعالى فقال: أراد الله بهذا المثل ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ من الكافرين ذلك أنهم ينكرون ويكذبونه ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين يعرفونه ويصدقون.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الكافرين، وأصل الفسق: الخروج، قال الله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (الكهف: ٥٠) أى خرج. تقول العرب: فسقت الرطبة عن القشر، أى خرجت.

ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾ أى يتركون ويخالفون، وأصل النقض: الكسر. ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ أمره الذى عهد إليهم يوم الميثاق بقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ (الأعراف: ١٧٢) وما عهد إليهم فى التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ (وضمته) نعته وصفته.

﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ توكيده وتشديده، وهو مفعال من الوثيقة. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ يعنى الأرحام، وقيل: هو الإيمان بجميع الرسل والكتب، وهو نوع من الصلّة؛ لأنهم قالوا: ﴿تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَكُفِّرُ بِبَعْضٍ﴾ (النساء: ١٥٠) فقطعوا، وقال المؤمنون: ﴿لَا تَفْرِقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥) فوصلوا.

﴿وَيَقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصى وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: أى المغبونون بالعقوبة وفوت الثوبة، ثم قال: لمشركى مكة على التعجّب:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ﴾ واو الحال ﴿أَمْوَاتًا﴾ نطفاً فى أصلاب آبائكم ﴿فَأَخْيَاكُمْ﴾ فى الأرحام فى الدنيا ﴿ثُمَّ يُبَيِّتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم. ﴿ثُمَّ يُخَيِّبُكُمْ﴾ للبعث. ﴿ثُمَّ إِنَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تأتون فى الآخرة فيجزىكم بأعمالكم.

وقرأ يعقوب: ترجعون، وبيانه بفتح الأول وكسر الجيم جعل الفعل لهم.
 ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ﴾ لأجلكم. ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ﴾ أى قصد وعمد
 إلى خلق السماء.

﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ أى خلق سبع سموات مستويات بلا فطور ولا شطور ولا عمد
 تحتها ولا علامة فوقها. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ : عالم.



﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا
 وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ
 الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١﴾
 قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٢﴾ قَالَ يَتَّبِعُ آدَمَ أَتْبَهُمْ
 بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ
 مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ
 وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
 حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا
 فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ
 إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٦﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا
 مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ يعنى: وقد قال، وقيل معناه: واذكر إذ قال ربك، وكل ما ورد فى القرآن
 من هذا النحو فهذا سبيله.

و(إذ) و(إذا) حرفا توقيت، إلا أن (إذ) للماضى و(إذا) للمستقبل، وقد يوضع أحدهما
 موضع الآخر.

قال المبرد: إذا جاء (إذ) مع المستقبل كان معناه ماضياً نحو قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ﴾
 (الأنفال: ٣٠)، ﴿وَإِذْ يَقُولُ﴾ (الأحزاب: ١٢) يريد إذ مكر واذ قال، و(إذا) إذ جاء مع الماضى كان

معناه مستقبلاً كقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتْ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ (النازعات: ٣٤) ﴿فَإِذَا جَاءَتْ الصَّاحَّةُ﴾ (عبس: ٣٣) ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ (النصر: ١) أى يجيء، وقال الشاعر:

ثم جزاه الله عنا إذ جزا جئات عدن والاعلا إلى العلا
أى يجزيه .

﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ الذين كانوا فى الأرض، والملائكة: الرسل، واحدها ملك، وأصله: مالك، وجمعه: ملائكة، وهى من الملكة والمالكة والألوك الرسالة ويقال: أكنى إلى فلان، أى كن رسولى إليه فقلبت، ف قيل: ملاك . قال الشاعر:

فلمست لأنسى لكن ملاك تنزل من جو السماء يصوب
ثم حذف الهمزة للخفة وكثير استعماله ف قيل: ملك .

قال النضر بن شميل فى الملك: إن العرب لا تشق فعله ولا تصرفه، وهو مما فات علمه .
﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أى بدلاً منكم ورافعكم إلىّ، سُمى (خليفة) لأنه يخلف الذاهب ويجيء بعده، فالخليفة من يتولى إمضاء الأمر عن الأمر، وقرأ (زيد بن على): (خليفة) بالقاف .

قال المفسرون: وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن، فأسكن الملائكة السماء، وأسكن الجن الأرض، فعبدوا دهرًا طويلاً فى الأرض ثم ظهر فيهم الحسد والبغى، فاقتتلوا وأفسدوا، فبث الله إليهم جنداً من الملائكة يُقال لهم: الجن، رأسهم عدو الله إبليس وهو خزّان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة فهبطوا إلى الأرض، وطرّدوا الجن عن وجهها فألقوهم بشعوب الجبال، وجزائر البحر، وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة، وأحبّوا البقاء فى الأرض لذلك، وأعطى الله إبليس ملك الأرض ومُلك سماء الدنيا وخزانة الجنان، فكان يعبد الله تارةً فى الأرض، وتارةً فى السماء، وتارةً فى الجنة .

فلما رأى ذلك دخله الكبر والعُجب، وقال فى نفسه: أعطانى الله هذا الملك إلا لأنى أكرم الملائكة عليه، وأعظمهم منزلةً لديه؛ فلما ظهر الكبر جاء العزل، فقال الله له ولجنده: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فلما قال لهم ذلك كرهوا؛ لأنهم كانوا أهون فى الملائكة عبادة، ولأنّ العزل شديد .

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصى . ﴿وَيَسْفِكُ﴾ يصب ﴿الذِّمَاءَ﴾ بغير حق .

فإن قيل: كيف علموا ذلك وهو غيب؟

والجواب عنه ما قال السدى: لما قال الله لهم ذلك، قالوا: وما يكون من ذلك الخليفة؟

قال: تكون له ذرية، يفسدون فى الأرض (ويتحاسدون) ويقتل بعضهم بعضاً. قالوا عند ذلك: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ ومعناه: فقالوا، فحذف فاء التنسيق. كقول الشاعر:

لما رأيت نبطا أنصارا شمّرتُ عن ركبتي الإزارا
كنتُ لهم من النَّصارى جارا

أى فكنتُ لهم.

وقال أكثر المفسرين: أرادوا كما فعل بنو الجانّ قاسوا بالشاهد على الغائب، وقال بعض أهل المعانى: فيه إضمار واختصار معناه: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ أم تجعل فيها من لا يفسد ولا يسفك الدماء؟ لقوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَلْبُ أَنْاءَ آلِئَلِ﴾ (الزمر: ٩) يعنى كمن هو غير قانت، وهو اختيار الحسن بن الفضل.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾. قال الحسن: يقولون: سبحان الله وبحمده، وهو صلاة الخلق وتسييحهم وعليها يُرزقون. يدل عليه الحديث المروى عن أبى ذر أنه قال لرسول الله ﷺ: أى الكلام أفضل؟ قال: «ما اصطفاه الله تعالى للملائكته: سبحان الله وبحمده».

وقيل: معناه: ونحن نصلى لك بأمرك، والتسييح يكون بمعنى التنزيه ويكون بمعنى الصلاة، ومنه قيل: للصلاة سُبحة، وقيل: معناه: نصلى، ونقرأ فيها فاتحة الكتاب.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ونزهك واللام صلة، وقيل: هى لام الأجل، أى ونظهر لأجلك قلوبنا من الشرك بك (وأبداننا) من معصيتك.

وقال بعض العلماء: فى الآية تقديم وتأخير مجازها: ونحن نسبح ونقدس لك بحمدك؛ لأنه إذا حُمِلت الآية على التأويل الأول تنافى قول الملائكة المتزكية بالإدلال بالعمل، وإذا حُمِلت على هذا التأويل ضاهى قولهم التحدث بنعمة الله وإضافة... (١) إلى الله فكأنهم قالوا: وإن سبّحنا وقدّسنا وأطعنا وعبدنا فذلك كله بحمدك لا بأنفسنا، قال الله:

﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من استخلافى فى الأرض ووجه المصلحة فيه، فلا تعترضوا علىّ فى حكمى وتديبرى، وقيل: أراد أنى أعلم أن فيمن استخلفه فى الأرض: أنبياء وأولياء وعلماء وصلحاء، وقيل: إنى أعلم أنهم يذنبون وأغفر لهم.

قال بعض الحكماء: إن الله تعالى أخرج (آدم) من الجنة قبل أن يدخله فيها. لقوله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ثم كان خروجه من الجنة بذنبه يدل أنه كان بقضاء الله وقدره.

(١) بياض بالأصل المخطوط.

ابن نجیح عن مجاهد فى قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال: علم من إبليس المعصية وخلقه لها.

ابن شهاب عن حميد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى. فقال له موسى: أنت آدم الذى أخرجتك خطيبتك من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله لرسالته وكلامه، ثم تلومنى على أمر قُدر قبل أن أخلق. فحج آدم موسى».

فصل فى معنى الخليفة

قيل: سأل أمير المؤمنين ابن الخطاب، طلحة والزبير وكعباً وسلمان: ما الخليفة من الملك؟ فقال طلحة والزبير: ما ندرى. فقال سلمان: الخليفة الذى يعدل فى الرعية ويقسم بينهم بالسوية ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله ويقضى بكتاب الله، فقال كعب: ما كنت أحسب أن فى المجلس أحداً يعرف الخليفة من الملك غيرى، ولكن الله عز وجل ملأ سلمان حكماً وعلماً وعدلاً.

وروى زاذان عن سلمان: أن عمر قال له: أملك أنا أم خليفة؟ فقال سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ووضعته فى غير حقه فأنت ملك. قال: فاستعبر عمر رضى الله عنه.

وعن يونس: إن معاوية كان يقول إذا جلس على المنبر: أيها الناس إن الخلافة ليست لجمع المال ولا لتفريقه، ولكن الخلافة بالحق والحكم بالعدل وأخذ الناس بأمر الله عز وجل.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وذلك أن الله تعالى لما قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالوا فيما بينهم: ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أفضل ولا أكرم عليه منا، وإن كان خيراً منا فنحن أعلم منه لأننا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره، فلما أعجبوا بعلمهم وعبادتهم، فضل الله تعالى عليهم آدم عليه السلام بالعلم فعلمه الأسماء كلها وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة.

واختلف العلماء فى هذه الأسماء، فقال الربيع وابن أنس: أسماء الملائكة.

وقال عبد الرحمن بن زيد: أسماء الذرية.

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: علمه الله اسم كل شىء حتى القصة

والقصبة.

قال مقاتل: خلق الله كل شيء - الحيوان والجماد وغيرها - ثم علّم آدم أسماءها كلها. فقال له: يا آدم هذا فرس، وهذا بغل، وهذا حمار حتى أتى على آخرها ثم عرض تلك الأشياء كما عرض الموجودات على الملائكة. فكَذَلِكَ قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ ولم يقل: عرضها، وردّه إلى الشخوص والمسميات لأنّ الأعراض لا تُعرض.

وقيل: علّم الله آدم عليه السلام صنعة كل شيء.

جوبير عن الضحّاك عن ابن عباس قال: علّم الله آدم أسماء الخلق والقرى والمدن والجبال والسياب وأسماء الطير والشجر وأسماء ما كان وما يكون وكل نسمة الله عزّ وجلّ بارئها إلى يوم القيامة، وعرض تلك الأسماء على الملائكة.

﴿قَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إِنَّ الْخَلِيفَةَ الَّذِي أَجْعَلُهُ فِي الْأَرْضِ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ. أراد الله تعالى بذلك: كيف تدعون علم ما لم يكن بعد، وأنتم لا تعلمون ما ترون وتعاينون.

وقال الحسن وقتادة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم وأفضل منه، قالت الملائكة: إقراراً بالعجز واعتذاراً.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾: تنزيهاً لك عن الاعتراض لعملك في حكمك وتديريك، وهو نصب على المصدر، أي نسبح سبحاناً في قول الخليل.

وقال الكسائي: خارج عن الوصف، وقيل: على النداء المضاف أي: يا سبحانك.

﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بخلقك ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمرك.

وللحكيم معنيان: أحدهما: المحكم للفعل، كقوله: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وحز وجيع. قال الشاعر:

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرّقني وأصحابي هموع

أي المؤلم والموجع، والمسمع فاعيل بمعنى: مفعّل وعلى هذا التأويل هو صفة فعل. والآخر: بمعنى (الحاكم العالم) وحينئذ يكون صفة ذات، وأصل الحكمة في كلام العرب: المنع. يُقال: أحكمت اليتيم عن الفساد وحكمته، أي منعته.

قال جرير:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

ويقال للحديدة المعترضة في فم الدابة: حكمة؛ لأنها تمنع الدابة من الاعوجاج، والحكمة تمنع من الباطل، وما لا يجمل فلا يحلّ في المحكم من الأمر بمنعه من الخلل، وفي هذه الآية

دليل على جواز تكليف ما لا يُطاق حيث أمر الله تعالى الملائكة بإنباء ما لم يعلموا، وهو عالم بعجزهم عنه.

فلما ظهر عجزهم، قال الله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَيْسَ لَهُمْ بِأَسْمَاءَهُمْ﴾ فسمّى كل شيء باسمه، وألحق كل شيء بجنسه.

﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ﴾ أخبرهم. ﴿بِأَسْمَاءِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ يا ملائكتي. ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما كن فيها وما يكون. ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ من الخضوع والطاعة لآدم. ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تخفون في أنفسكم من العداوة له. وقيل: ما تبدون من الإقرار بالعجز والاعتذار، وما كنتم تكتمون من الكراهية في استخلاف آدم.

قال ابن عباس: هو أن إبليس مرّ على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه، فقال: لأمر ما خلق هذا، ثمّ دخل من فيه وخرج من دبره، وقال: إنه لا يتماسك إلاّ بالجوف، ثمّ قال للملائكة الذين معه: أرايتم إن فضل هذا عليكم، وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا: نطيع أمر ربنا. فقال إبليس في نفسه: والله لئن سلطت عليه لأهلكته، ولئن سلطت على أعصيته. فقال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ يعني الملائكة من الطاعة ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يعني إبليس من المعصية.

قال الحسن وقتادة: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ يعني قولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يعني قولهم لن يخلق خلقاً أفضل ولا أعلم ولا أكرم عليه منّا.

القول في حد الاسم وأقسامه

فقال أصحابنا: الاسم: كل لفظة دلت على معنى ما وشيء ما، وهو مشتق من السمة، وهي العلامة التي يعرف بها الشيء، وأقسامه ثمانية منها: اسم علم مثل زيد، وعمرو، وفاطمة، وعائشة، ودار، وفرس.

ومنها: اسم لازم كقولك: رجل، وامرأة، وشمس، وقمر، وحجر، ومدر ونحوها؛ سُمّي لازماً لأنه لا ينقلب ولا يفارق، فلا يُقال للشمس قمر ولا للقمر حجر.

ومنها: اسم مفارق مثل: صغير، وكبير، وطفل، وكهل، وقليل، وكثير، وقيل له مفارق لأنه كان ولم يكن له هذا الاسم ويزول عنه المعنى المسمّى به.

ومنها: اسم مشتق: ككاتب، وخياط، وصائغ، وصبّاغ؛ فالاسم مشتق من فعله.

ومنها: اسم مضاف مثل: غلام جعفر، وركوب عمرو، ودار زيد.

ومنها: اسم مشبهة كقولك: فلان أسد وحمار وشعلة نار.

ومنها: اسم منسوب يثبت بنفسه ويثبت غيره، كقولك: أب، وأم، وأخ، وأخت، وابن، وبنت، وزوج، وزوجة، فإذا قلت أب فقد أثبت له الولد، وإذا قلت: أخ أثبت له الأخت.

ومنها: اسم الجنس: وهو اسم واحد ويدل على أشياء كثيرة، كقولك: حيوان، وناس ونحوهما.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدة تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة، نظيره قوله فى قصة يوسف: ﴿وَحَرُّوْا لَهُ سُجْدًا﴾ (يوسف: ١٠٠) وكان ذلك تحية الناس، ويُعظم بعضهم بعضاً، ولم يكن وضع الوجه على الأرض (وإنما) كان الانحناء والتكبير والتقبيل. فلما جاء الإسلام بطل ذلك بالسَّلام.

وفى الحديث إن معاذ بن جبل رجع من اليمن فسجد لرسول الله ﷺ فتغير وجه رسول الله ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: رأيت اليهود يسجدون لأخبارهم والنصارى يسجدون لقسيسهم. فقال رسول الله ﷺ: «مه يا معاذ كذب اليهود والنصارى إنما السجود لله تعالى». وقال بعضهم: كان سجوداً على الحقيقة جعل آدم قبله لهم والسجود لله، كما جعلت الكعبة قبله لصلاة المؤمنين والصلاة لله تعالى.

قال ابن مسعود: أمرهم الله تعالى أن يأتوا بآدم فسجدت الملائكة وآدم لله رب العالمين. وقال أبى بن كعب: معناه: أقروا لآدم أنه خير وأكرم على منكم فأقروا بذلك، والسجود على قول عبد الله وأبى بمعنى الخضوع والطاعة والتذلل، كقول الشاعر:

❖ ترى الأكم فيه سجداً للحوافر ❖

وآدم على وزن أفعل. فلذلك لم يصرفه.

السدى عمّن حدثه عن ابن عباس قال: إنما سمى آدم لأنه خلق من أديم الأرض، ومنهم من قال: سمى بذلك لأنه خلق من التراب، والتراب بلسان العبرانية آدم، وبعضهم من قال: سمى بذلك لأدمته لأنه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وأبو البشر.

سعید بن أبى عروبة عن قتادة قال: ليس فى الجنة أحد يكتنى إلا آدم فإنه يكتنى أبا محمد.

وقرأ العامة: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ بخفض التاء، وقرأ أبو جعفر بضم التاء تشبيهاً لتاء التانيث بألف الوصل فى قوله: ﴿اسْجُدُوا﴾ لأن ألف الوصل يذهب فى الوصل ولأنها زائدة غير أصلية،

وكذلك تاء التانيث زائدة غير أصلية، ولا ثابت جواب ألف اسجدوا.

وقيل: كره ضمة الجيم بعد كسرة التاء؛ لأنّ العرب تكره الضمة بعد الكسرة لثقلها، وهي قراءة ضعيفة جداً وأجمع النحاة على تغليظه فيها.

﴿فَسَجِدُوا﴾ يعني الملائكة. ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وكان اسمه عزازيل، فلما عصى غيرت صورته وغير اسمه فقيل إبليس؛ لأنه أبلس من رحمة الله، كما يقال: يا خبيث ويا فاسق، وهو منصوب على الاستثناء، ولا يصرف لاجتماع العجمة والمعرفة.

﴿أَبْنَى﴾ أى امتنع ولم يسجد. ﴿وَأَسْتَكْبِرَ﴾ أى تكبر وتعظم عن السجود ﴿وَوَكَانَ﴾ أى فصار ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿وَحَالَ يَنْهَمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُنْفَرِقِينَ﴾ (هود: ٤٣).

وقال أكثر المفسرين: معناه فكان فى علمه السابق من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة. الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان عنه يبكى فيقول: يا ويلتى أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار».

زياد بن الحصين عن أبى العالية قال: لما ركب نوح السفينة إذا هو بإبليس على كوثلها فقال له: ويحك قد شقى أناس من أجلك، قال: فما تأمرنى؟ قال: تب، قال: سل ربك هل لى من توبة؟ قال: فقيل له إن توبته أن يسجد لقبر آدم، قال: تركته حياً وأسجد له ميتاً.

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ وذلك أن آدم عليه السلام كان فى الجنة وحشاً ولم يكن له من يجالسه ويؤانسه، فنام نومة فخلق الله تعالى زوجته من قصيره من شقه الأيسر من غير أن يحس آدم بذلك ولا وجد له ألماً ولو ألم من ذلك لما عطف رجل على امرأة، فلما هب آدم من نومه إذا هو بحواء جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله تعالى، فقال لها: من أنت؟ قالت أنا زوجتك خلقنى الله لك لتسكن إلىّ وأسكن إليك. فقالت الملائكة عند ذلك امتحاناً لعلم آدم: يا آدم ما هذه؟ قال: امرأة، قالوا: ما اسمها؟ قال: حواء، قالوا: لم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حى، قالوا: تحبها يا آدم؟ قال: نعم، فقالوا لحواء: أتحبينه؟ قالت: لا، وفى قلبها أضعاف ما فى قلبه من حبه، قالوا: فلو صدقت امرأة فى حبها لزوجها لصدقت حواء.

مسألة:

قالت القدرية: إنّ الجنة التى أسكنها الله آدم وحواء لم تكن جنة الخلد وإنما كان بستاناً من بساتين الدنيا، واحتجوا بأن الجنة لا يكون فيها ابتلاء وتكليف.

والجواب: إننا قد أجمعنا على أن أهل الجنة مأمورون فيها بالمعرفة ومكلفون بذلك .
 وجواب آخر: إن الله تعالى قادر على الجمع بين الأضداد، فأرى آدم المحنة في الجنة وأرى إبراهيم النعمة في النار لثلاثا يأمن العبد ربه ولا يقنط من رحمته وليعلم أن له أن يفعل ما يشاء .
 واحتجوا أيضاً بأن من دخل الجنة يستحيل الخروج منها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر: ٤٨).

والجواب عنه: إن من دخلها للثواب لا يخرج منها أبداً، وآدم لم يدخلها للثواب، ألا ترى أن رضوان خازن الجنة يدخلها ثم يخرج منها، وإبليس أيضاً كان داخل الجنة وأخرج منها .
 ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا﴾ واسعاً كثيراً . ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ : كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما .
 ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ قال بعض العلماء: وقع النهي على جنس من الشجر . قال آخرون: بل وقع على شجرة مخصوصة واختلفوا فيها، فقال على بن أبي طالب (كرم الله وجهه): هي شجرة الكافور .

وقال قتادة: شجرة العلم وفيها من كل شيء .
 ومحمد بن كعب ومقاتل: هي السنبله .
 وقيل: هي الحبله وهي الأصله من أصول الكرم .
 أبو روق عن الضحّاك: إنها شجرة التين .
 ﴿فَتَكُونُوا﴾ فتصيرا ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسكما بالمعصية، وأصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه .

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ يعني (استمال) آدم وحواء فأخرجهما ونحاهما .
 وقرأ حمزة: (فأزالهما الشيطان) وهو إبليس، وهو فيعال من شطن أى بعد .
 وقيل: إنه من شاط والنون فيه غير أصلية (ونودي) شيطان سمى بذلك لتمرده وبعده عن الخير وعن رحمة الله تعالى .

﴿عَنْهَا﴾ عن الجنة وقيل عن الطاعة .
 ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم، وذلك أن إبليس أراد أن يدخل الجنة ويوسوس لآدم وحواء فمنعته الخزنة، فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم البعير وكان من خزان الجنة وكان لإبليس صديقاً، فسألها أن تدخله في فمها فأدخلته في فمها ومرّت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة، وكان آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة قال: لو أن خلداً، فاغتمم الشيطان ذلك منه وأناه من قبل الخلد، ولما دخل الجنة

وقف بين يدي آدم وحواء لا يعلمان أنه إبليس، فراح عليهما نياحةً أحزنهما وبكى وهو أول من ناح فقالا لم تبكى قال: أبكى عليكما تموتان فتفارقان ما أتما فيه من النعيم والكرامة، فوقع ذلك في أنفسهما واغتمًا، ومضى ثم أتاهما بعد ذلك وقال: ﴿يَتَذَكَّرُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ (طه: ١٢٠)، فأبى أن يقبل منه فقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، فأغترًا وما كان يظنان أن أحداً يحلف بالله كاذبًا، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها.

وروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسط قال: سمعت سعيد بن المسيب يحلف بالله ما يستثنى: ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قاده إليها فأكل، فلما أكلا تهافت عنهما ثيابهما وبدت سوءاتهما وأخرجا من الجنة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا﴾ يعنى لآدم وحواء وإبليس والحية ﴿أَهْبِطُوا﴾ أى انزلوا إلى الأرض ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نودة، وقيل واشم، وحواء بجدة، وإبليس بالأبلة وقيل بميسان، والحية بأصفهان.

﴿وَأَلْكَرَ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفْرَّوْ مَتَّعٌ﴾ بلغة ومستمتع.

﴿إِلَى حِينٍ﴾ أى حين اقتضاء أجالكم ومنتهى أعماركم.

وعن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت إبراهيم بن أدهم: أورشنا تلك الأكلة حزناً طويلاً.

﴿فَتَلَقَى﴾ فلقن. ﴿ءَادَمُ﴾ حفظ حين لقن، وأفهم حين ألهم.

وقرأ العامة: آدم برفع الميم، كلمات بخفض التاء.

وقرأ ابن كثير: بنصب الميم، بمعنى جاءت الكلمات لآدم عليه السلام.

﴿مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ كانت سبب قبول توبته، واختلفوا فى تلك الكلمات:

قال ابن عباس: هى أن آدم قال: يا رب ألم تخلقنى بيدك؟ قال: بلى، قال: ألم تنفخ فى

من روحك؟ قال: بلى، قال: ألم تسبق رحمتك بى غضبك؟ قال: بلى، قال: ألم تسكنى

جنتك؟ قال: بلى، قال: فلم أخرجتنى منها؟ قال: بشؤم معصيتك، قال: أى رب أرأيت لو

تبت (وأصلحت) أراجعى أنت إلى الجنة؟ قال: بلى. قال: فهو الكلمات.

قال عبيد بن عمير: هو أن آدم قال: يا رب أرأيت ما أتيت، أشىء ابتدعته على نفسى أم

شىء قدرته على قبلى أن تخلقنى؟ قال: بل شىء قدرته عليك قبل أن أخلقك، قال: يا رب

كما قدرته على فأغفر لى.

همام بن منبه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «تحتاج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت

آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة إلى الأرض؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء واصطفاك على الناس برسالته؟ قال: نعم. قال: أتلو مني على أمر كان قد كتب على أن أفعله من قبل أن أخلق. قال: فحج آدم موسى».

وقال محمد بن كعب القرظي: هي قوله: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك قد عملت سوءاً وظلمت نفسي فنب على إنيك أنت التواب الرحيم، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك قد عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنيك أنت الغفور الرحيم، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنيك أنت أرحم الراحمين.

عكرمة عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ قالوا: قوله: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣)، وكذلك قاله الحسن ومجاهد.

وقال بعضهم: نظر آدم عليه السلام إلى العرش فرأى على ساقه مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فقال: يا رب أسألك بحق محمد أن تغفر لي فغفر له.

وقيل: هذا التأويل ما روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: عرج بي إلى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق.

وقيل: هي ثلاثة أشياء: الخوف، الرجاء، البكاء.

أبو بكر الهذلي عن شهر بن حوشب قال: بلغني أن آدم لما أهبط إلى الأرض مكث ثلاثمائة سنة لا يرفع رأسه حياءً من الله تعالى.

وقال ابن عباس: بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ولم يقرب آدم (حواء) مائة سنة.

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ فتجاوز عنه ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ يقبل توبة عباده ﴿الرَّحِيمُ﴾ بخلقه. ﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا﴾ يعني آدم وحواء، وقيل: آدم وحواء وإبليس والحية ﴿فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ يا ذرية آدم ﴿مِنِّي هُدًى﴾ كتاب ورسول. ﴿فَمَنْ تَبِعَ﴾ هداى. ﴿هُدًى فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾: فيما يستقبلهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: على ما خلقوا.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جحدوا. ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني القرآن. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

﴿يٰٓاَيُّهَا اِسْرٰٓءِيْلَ اذْكُرُوْا نِعْمَتِيْ الَّتِيْ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَوْفُوا بِعَهْدِيْٓ اَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَاِيْتِيْ فَاَرْهَبُوْنَ ﴿١﴾ وَاَمِنُوْا بِمَا اَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُوْنُوْا اَوَّلَ كٰفِرِيْنَ بِهٖ وَلَا تَشْتَرُوْا بِعٰٓيَتِيْ ثَمٰنًا قَلِيْلًا وَاِيْتِيْ فَاَتَّقُوْنَ ﴿٢﴾ وَلَا تَلْبَسُوْا الْحَقَّ بِالْبٰطِلِ وَتَكْتُمُوْا الْحَقَّ وَاَنْتُمْ تَعٰلَمُوْنَ ﴿٣﴾ وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَاَتُوْا الزَّكٰوةَ وَاَرْكَعُوْا مَعَ الرَّٰكِعِيْنَ ﴿٤﴾ اَتَاْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ اَنْفُسَكُمْ وَاَنْتُمْ تَتْلُوْنَ الْكِتٰبَ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ ﴿٥﴾ وَاَسْتَعِيْنُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ وَاِنَّهَا لَكَبِيْرَةٌ اِلَّا عَلَى الْخٰلِصِيْنَ ﴿٦﴾ الَّذِيْنَ يَظُنُّوْنَ اَنْهُمْ مَلٰٓئِكَةٌ رَّبِّهَمْ وَاَنْهَمُ اِلَيْهٖ رٰجِعُوْنَ ﴿٧﴾ يٰٓاَيُّهَا اِسْرٰٓءِيْلَ اذْكُرُوْا نِعْمَتِيْ الَّتِيْ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاِنِّيْ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ ﴿٨﴾ وَاَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِيْ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُوْنَ ﴿٩﴾

﴿يٰٓاَيُّهَا اِسْرٰٓءِيْلَ﴾ أولاد يعقوب، ومعنى إسرائيل: صفوة الله، وإيل هو الله عز وجل، وقيل: معناه: عبد الله، وقيل: سمي بذلك لأن يعقوب وعيسا كانا توأمين واقتتلا في بطن أمهما، فأراد يعقوب أن يخرج فمنعه عيص وقال: والله لئن خرجت قلبي لأعترضن في بطن أمي، فلاقتلنها، فتأخر يعقوب وخرج عيص وأخذ يعقوب يعقب عيص فخرج عيص قبل يعقوب.

وسمي عيص لما عصا فخرج قبل يعقوب، وكان عيص أحبهما إلى أبيه وكان يعقوب أحبهما إلى أمه، وكان عيص (ويعقوب أبناء) إسحاق وعمي، قال لعيص: يا بني أطعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعا لي به أبي، وكان عيص رجلاً أشعر وكان (يعقوب) رجلاً أمرد، فخرج عيص يطلب الصيد، فقالت أمه ليعقوب: يا بني اذهب إلى الغنم فاذبح منه شاة ثم اشوهه والبس جلودها وقدمها إلى أبيك فقل له: إنك عيص، ففعل ذلك يعقوب، فلما جاء قال: يا أبتاه كل، قال: من أنت، قال: ابنك عيص (قال: خمسه فقال: المس مس عيص والريح ريحة يعقوب، قالت أمه: هو ابنك، فادع له، قال: قدم طعامك فقدمه فأكل منه، ثم قال: أدن مني، فدنا منه، فدعا له أن يجعل في ذريته الأنبياء والملوك. وقام يعقوب وجاء عيص فقال: قد جئتك بالصيد الذي أمرتني به. فقال: يا بني قد سبقك أخوك يعقوب، فغضب عيص وقال: والله لأقتلنه، قال: يا بني قد بقيت لك دعوة، فهلم أدع لك بها، فدعا له فقال: تكون ذريتك عدداً كثيراً كالتراب ولا يملكهم أحد غيرهم)^(١).

(١) بياض بالأصل المخطوط مكان ما بين الأوقاس، وانظر تاريخ الطبري (١/٢٤٤، ٢٤٥).

﴿أَذْكُرُوا﴾

روى الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والمحدث بنعمة الله شاكر وتاركها كافر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب».

﴿نَعَمِي﴾ أراد نعمى أعطاها وهى واحد بمعنى الجمع وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤) والعدد لا يقع على الواحد

﴿الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيْكُمْ﴾ أى على أجدادكم، وذلك أن الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من فرعون وأهلك عدوهم فأورثهم ديارهم وأموالهم، وظلل عليهم الغمام فى التيه من حر الشمس، وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر، وأنزل عليهم المنّ والسّلوى، وفجر لهم اثنى عشرة عيناً وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كلّ شىء يحتاجون إليه فى نعم من الله كثيرة لا تحصى.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذى عهدت إليكم ﴿أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ أدخلكم الجنة وأنجز لكم ما وعدتكم. فقرأ الزهري: أوف بالتشديد على التأكيد يقال: وفى وأوفى كلها بمعنى (واحد) وأصلها الإتمام.

قال الكلبي: عهد إلى بنى إسرائيل على لسان موسى: إئتى باعث من بنى إسماعيل نبياً أميناً فمن اتبعه وآمن به عفوت عن ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين اثنين، وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ﴾ (ال عمران: ١٨٧) يعنى أمر محمد ﷺ. قتادة: هو العهد الذى أخذ الله عليهم فى قوله: ﴿قَرَضًا حَسَنًا﴾ (البقرة: ٢٤٥) فهذا قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ ثم قال: ﴿لَأَكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ (المائدة: ١٢) الآية. فهذا قوله ﴿أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾.

فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ (البقرة: ٨٣) الآية.

الحسن: هو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ (البقرة: ٦٣) الآية.

إسماعيل بن زياد: ولا تفرّوا من الزحف أدخلكم الجنة، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا الْأَذْبَانَ﴾ (الأحزاب: ١٥).

وقيل: أوفوا بشرط العبودية، أوف بشرط الربوبية.

وقال أهل الإشارة: أوفوا فى دار محنتى على بساط خدمتى، (أوف عهدكم) فى دار

نعمتى على بساط كرامتى بقربى ورؤيتى.

﴿وَأَيُّ قَارِهُونَ﴾ فخافوني فى نقض العهد (وسقطت الياء بعد النون فى) هذه الآيات وفى كل القرآن على الأصل ، وحذفها الباقون على الخط اتباعاً للمصحف .
 ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا﴾ موافقاً ﴿لِمَا مَعَكُمْ﴾ يعنى التوراة فى التوحيد والنبوة والأخبار ، وبعض الشرائع نزلت فى كعب وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم .
 ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرِينَ بِهِ﴾ يعنى أول من يكفر بالقرآن وقد بايعتنا اليهود على ذلك فتبوءوا بأثامكم وأثامهم .

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيَّتِي﴾ أى ببيان صفة محمد ونعته . ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ شيئاً يسيراً ، وذلك أن رؤساء اليهود كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وعوامهم يأخذون منهم شيئاً معلوماً كل عام من زروعهم (فخافوا أن تبنوا) صفة محمد ﷺ وبايعوه أن تفوتهم تلك المآكل والرياسة ، فاختاروا الدنيا على الآخرة .

﴿وَأَيُّ قَاتِلُونَ﴾ فإخشوني فى أمر محمد لا فيما يفوتكم من الرياسة والمآكل .
 ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ﴾ ولا تخلطوا ، يقال : أى خلطت وشبهت الحق الذى أنزل اليكم من صفة محمد ﷺ .

﴿بِالْبَاطِلِ﴾ ، الذى تكتمونونه ، وهو تجدونونه فى كتبكم من نعته وصفته .
 وقال مقاتل : إن اليهود أقرّوا ببعض صفة محمد ﷺ وكتبوا بعضاً واختلفوا فى ذلك ، فقال الله عز وجل : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ﴾ الذى تقرّون به وتبيّنونه بالباطل ، يعنى بما تكتمونونه ، فالحق بيانهم والباطل كتمانهم .

وقيل : معناه ولا تلبسوا الحق (١) (من الباطل) صفة أو حال .
 ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ يعنى ولا تكتموا الحق كقوله تعالى : ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أُمَّتِيكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧) .
 ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه نبيُّ مرسل .

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يعنى وحافظوا على الصلوات الخمس بمواقيتها (وأركانها) وركوعها وسجودها .

﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ يعنى وأدّوا زكاة أموالكم المفروضة ، وأصل الزكاة : الطهارة والنماء والزيادة .

(١) بياض بالأصل المخطوط .

﴿وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يعني وصلوا مع المصلين محمد وأصحابه، يخاطب اليهود فعبر بالركوع عن الصلاة إذ كان ركناً من أركانها كما عبر باليد عن العطاء كقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكَ﴾ (آل عمران: ١٨١) وقوله: ﴿فِيمَا كَتَبْتَ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠) وبالعنق عن البدن فى قوله: ﴿الرُّمْتَهُ طَبَّرَهُ رَفَىٰ عُنُقِهِ﴾ (الإسراء: ١٣) والأنف عن (١).

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (١).

﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ (عليهما ولكنه كنى عن الأغلب وهو الصلاة كقوله): ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٤) وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا﴾ (الجمعة: ١١) فرد الكناية إلى الفضة لأنها الأغلب والأعم وإلى التجارة لأنها الأفضل والأهم . . . ﴿وَإِنَّهَا﴾ واحد منهما، أراد بأن كل خصلة منهما ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ وقيل: رد الكناية إلى كل واحد منهما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتِنَا مَرْتَبًا وَأُمَّةً آيَةً﴾ (المؤمنون: ٥٠) ولم يقل: آيتين، أراد: جعلنا كل واحد منهما آية.

حسن من علم يزينه حلم
ومن ناله قد فاز بالفرج

أى من نال كل واحد منهما .
وقال آخر:

لكل هم من الهموم سعة
والمسى والصبح لا فلاح معه

وقيل: رد الهاء إلى الصلاة لأن الصبر داخل فى الصلاة كقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرَّضُوهُ﴾ (التوبة: ٦٢) ولم يقل يرضوهما؛ لأن رضا الرسول داخل فى رضا الله، فرد الكناية إلى الله. وقال الشاعر وهو حسان:

إن شرخ الشباب والشعر الأسود
ما لم يُعاص كان جنونا

ولم يقل يُعاصيه إلى الشباب، لأن الشعر الأسود داخل فيه. وقال الحسين بن الفضل: رد الكناية إلى الاستعانة، معناه: وأن الاستعانة بالصبر والصلاة لكبيرة ثقيلة شديدة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَشَعِينَ﴾ يعنى المؤمنين، وقال ابن عباس: يعنى المصلين. الوراق: العابدين المطيعين. مقاتل بن حيان: المتواضعين، الحسن: الخائفين. قال الزجاج: الخاشع الذى يرى أثر الذل والخنوع عليه، وكخشوع الدار بعد الإقواء، هذا هو الأصل.

وقال النابغة:

رماد ككحل العين ما أن تبينه
ونوى كجذم الحوض أثلم خاشع

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يعلمون ويستيقنون، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي طَنَنْتُ أَنِّي مَلَقْتُ حِسَابِيَةَ﴾ (الحاقة: ٢٠) أى أيقنت به.

وقال دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجح سراتهم فى الفارسى المسرد

يعنى أيقنوا.

والظن من الأضداد يكون شكاً و يقيناً كالرجاء يكون أملاً وخوفاً.

﴿أَنَّهُمْ مَلَقُوا رَبَّهُمْ﴾ معانور ربهم فى الآخرة ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فيجزئهم بأعمالهم. ﴿يَلْبَسُنَّ إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نَعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ يعنى عالمى زمانكم.

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾ أى واحذروا يوماً واخشوا يوم.

﴿لَا تَجْزَى﴾ أى لا تقضى ولا تكفى ولا تغنى.

ومنه الحديث عن أبى بردة بن ديان فى الأضحية: لا تجزى عن أحد بعدك.

وقرأ أبو السماك العدوى: لا تجزى مضمومة التاء مهموزة الياء من أجزاء يجزئ إذا كفى. قال الشاعر:

وأجزأت أمر العالمين ولم يكن ليجزئ إلا كامل وابن كامل

وقال الزجاج: وفى الآية إضمار معناه: ﴿لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ من الشدائد والمكاره.

وأشده الشاعر:

❖ ويوم شهدناه سليماً وعامراً ❖

أى شهدنا فيه.

وقيل: معناه: ولا تغنى نفس مؤمنة ولا كافرة عن نفس كافرة.

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ إذا كانت كافرة.

قرأ أهل مكة والبصرة: بالتاء لتأنيث الشفاعة. وقرأ الباقون: بالياء لتقديم الفعل.

وقرأ قتادة: (ولا يقبل منها شفاعة) بياء مفتوحة، ونصب الشفاعة أى لا يقبل الله.

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء كانوا يأخذون فى الدنيا، وسمى الفداء عدلاً لأنه يعادل المقدى

ويعائله قال الله عز وجل: ﴿أَوْ عَدْلٌ ذَالِكِ صِيَامًا﴾ (المائدة: ٩٥).

﴿وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ﴾ أى يمنعون من عذاب الله.

قال الزجاج: كانت اليهود تزعم أن آباءها الأنبياء تشفع لهم عند الله عز وجل، فأياسهم الله من ذلك.



﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٠٠﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٠١﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعَجَلَ مِنَ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ يعني أسلافكم وآباءكم فأعتدّها منّة عليهم؛ لأنّهم نجوا بنجاتهم، ومآثر الآباء مفاخر الأبناء.

وقوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾: أصله ألقيناكم على النجاة وهو ما ارتفع واتسع من الأرض هذا، هو الأصل، ثم سمي كل فائز ناجياً كأنه خرج من الضيق والشدة إلى الرخاء والراحة. وقرأ إبراهيم النخعي: وإذ نجيناكم على الواحد.

﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: أي أشياعه وأتباعه وأسرته وعزّته وأهل دينه، وأصله من الأول وهو الرجوع كأنه يؤول إليك، وكان في الأصل همزتان فعوضت من إحداهما مدّ وتخفيف. وفرعون: هو الوليد بن مصعب بن الريان، وكان من العماليق.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يعني يكلفونكم ويذيقونكم أشدّ العذاب وأسوأه، وذلك أنّ فرعون جعل بنى إسرائيل خدماً وعبيداً وصنّفهم في أعمالهم. فصنّف بينون، وصنّف يحرثون ويزرعون، وصنّف يخدمون، ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الأعمال فعليه الجزية.

﴿يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾.

وقرأ ابن محيصن: بالتخفيف فتح الياء والباء من الذبح، والتشديد على التكثير، وذلك أنّ فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها

وأحرقت القبط وتركت بنى إسرائيل، فهاله ذلك، ودعا بالسحرة والكهنة وسألهم عن رؤياه فقالوا: إنه يولد فى بنى إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى إسرائيل، وجمع القوابل من أهل مملكته فقال لهم: لا يسقطن على أيديكن غلام من بنى إسرائيل إلا قتل ولا جارية إلا تركت، ووكل بهن من يفعلن ذلك، وأسرع الموت فى مشيخة بنى إسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له: إن الموت قد وقع فى بنى إسرائيل وأنت تذبح صغارهم (ويموت كبارهم، فيوشك أن يقع العمل علينا، فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون فى السنة التى لا يذبحون فيها فترك، وولد موسى فى السنة التى يذبحون فيها).

﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فى إنجائكم منهم نعمة عظيمة، والبلاء تنصرف على وجهين:

النعماء والتقماء..... (١).

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ﴾..... (١).

﴿الْبَحْرُ﴾: وذلك إنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله عز وجل موسى أن يسرى ببنى إسرائيل، وأمرهم أن يسرجوا فى بيوتهم إلى الصبح، وأخرج الله عز وجل كل ولد زنا فى القبط من بنى إسرائيل إليهم وأخرج من بنى إسرائيل كل ولد زنا منهم إلى القبط حتى رجع كل واحد منهم إلى أبيه، وألقى الله عز وجل على القبط الموت فمات كل بكراً، فاشتغلوا بدفنهم (حتى طلعت الشمس وخرج موسى عليه السلام فى ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يتعدون ابن العشرين أصغرهم، ولا ابن الستين أكبرهم، سوى الذرية. فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون، فدعا موسى عليه السلام مشيخة بنى إسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا: إن يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة أخذ على إخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم؛ فلذلك انسد علينا الطريق، فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا.

فقام موسى يُنادى: أنشد الله كل من يعلم أين موضع قبر يوسف إلا أخبرنى به، ومن لم يعلم فصمت أذناه عن قولى. فكان يمر بين الرّجلين ينادى فلا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت: أرايتك إن دلتك على قبره أتعطينى كل ما سألتك، فأبى عليها وقال: حتى أسأل ربى، فأمره الله عز وجل بإيتاء سؤالها، فقالت: إنى عجوز كبيرة لا أستطيع المشى فاحملنى وأخرجنى من مصر هذا فى الدنيا، وأما فى الآخرة فأسألك أن لا تنزل بغرفة من الجنة إلا نزلتها معك، قال: نعم، قالت: إنه فى جوف الماء فى النيل، فادع الله حتى يحبس عنه

الماء . فدعا الله فحبس عنه الماء ، ودعا أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف ، فحفر موسى ذلك الموضع واستخرجه فى صندوق من المرمر فحملة حتى دفنه بالشام ، ففتح لهم الطريق .

فساروا وموسى على ساقتهم وهارون على مقدمتهم ، وعلم بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا فى طلب بنى إسرائيل حتى يصيح الديك . فوالله ما صاح ديك فى تلك الليلة . فخرج فرعون فى طلب بنى إسرائيل وعلى مقدمته هامان فى ألف ألف وسبعمائة ألف ، وكان فيهم سبعون ألفاً من دهم الخيل سوى سائر الشيات ، وسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر ، والماء فى غاية الزيادة .

نظروا فإذا هم بفرعون وذلك حين أشرقت الشمس ، فبقوا متحيرين وقالوا : يا موسى كيف نصنع ؟ وما الحيلة ؟ فرعون خلفنا والبحر أمامنا . قال موسى : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (الشعراء : ٦٢) فأوحى إليه : ﴿ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾ (الشعراء : ٦٣) فضربه فلم يطعه ، فأوحى الله إليه أن كنه ، فضربه موسى بعصاه وقال : انفلق أبا خالد يا ذن الله ، ﴿ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (الشعراء : ٦٣) وظهر فيها اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق ، وأرسل الله عز وجل الرياح والشمس على مقر البحر حتى صار يبساً .

وقال سعيد بن جبير : أرسل معاوية إلى ابن عباس فسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة ؟ فكتب إليه : إنه المكان الذى انفلق منه البحر لبنى إسرائيل .

فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط فى طريق وعن جانبه الماء كالجلبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضاً ، فخافوا وقال كل سبط قد غرق كل إخواننا . فأوحى الله إلى حال الماء أن تشبكي ، فصار الماء شبكات يرى بعضهم بعضاً ، ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين . فذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ ﴾ أى فلقنا وميزنا الماء يميناً وشمالاً . ﴿ فَأَنْجَيْنَاكُمْ ﴾ من آل فرعون والغرق .

﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه مغلقاً ، قال لقومه : انظروا إلى البحر انفلق لهيبتى حتى أدرك أعدائى وعبيدى الذين أبقوا وأقتلوا ، ادخلوا البحر ، فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن فى خيل فرعون أنثى ، وإنما كانت كلها ذكور ، فجاء جبرائيل عليه السلام على فرس أنثى وديق فتقدمهم فحاض البحر ، فلما شممت الخيول ريحها اقتحمت البحر فى أثرها حتى خاضوا كلهم فى البحر ، وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم : الحقوا بأصحابكم ، حتى إذا خرج جبرائيل من البحر وهم أولهم أن يخرج ، أمر

الله تعالى البحر أن يأخذهم والنظم عليهم فأغرقهم أجمعين؛ وذلك بمرأى من بنى إسرائيل، ذلك قوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾.

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى مصارعهم.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وذلك أن بنى إسرائيل لما أمنوا من عدوهم، ودخلوا مصر، ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة يتتهون إليها، فوعد الله عز وجل موسى أن ينزل عليهم التوراة، فقال موسى لقومه: إنى ذاهب إلى ميقات ربى، وآتيكم بكتاب فيه تبيان ما تأتون وما تدرون، فواعدهم أربعين ليلة - ثلاثين من ذى القعدة وعشرًا من ذى الحجة - واستخلف عليهم أخاه هارون.

فلما أتى الوعد جاء جبرائيل على فرس يُقال لها فرس الحياة لا يصيب شيئًا إلا حيي؛ ليذهب بموسى إلى ربه، فلما رآه السامرى وكان رجلاً صائغًا من أهل باجرو واسمه ميخا - وقال ابن عباس: اسمه موسى بن ظفر، وكان رجلاً منافقًا قد أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر، فدخل قلبه حبُّ البقر - فلما رأى جبرائيل على ذلك الفرس، قال: إن لهذا شأنًا، وأخذ قبضةً من تربة حافر فرس جبرائيل، وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حليًا كثيرًا من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعلة عرس لهم فأهلك الله عز وجل قوم فرعون فبقيت تلك الحلى فى يد بنى إسرائيل. فلما وصل موسى. قال السامرى: إن الأمتعة والحلى التى استعرتموها من قوم فرعون غنيمة، ولا تحل لكم. فاحضروا حفرةً وادفنوها فيها حتى يرجع موسى، ويرى فيها رأيه، ففعلوا ذلك.

فلما اجتمعت الحلى صاغها السامرى، ثم ألقى القبضة التى أخذها من تراب فرس جبرائيل فيه، فخرج عجلًا من ذهب مرصعًا بالجواهر كأحسن ما يكون وخار خورة. قال السدى: كان يخور ويمشى (ويقول): هذا إلهكم وإله موسى فنسى، أى تركه هاهنا وخرج بطلبه.

وكان بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم والليلة يومين، فلما مضت عشرون يومًا ولم يرجع موسى عليه السلام ورأوا العجل وسمعوا قول السامرى، افتتن بالعجل ثمانية ألف رجل منهم، وعكفوا عليه يعبدونه من دون الله عز وجل.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ﴾: قرأ أبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب: (وعدنا) بغير ألف فى جميع القرآن، وقرأ الباقون: (واعدنا) بالألف، وهى قراءة ابن مسعود. فمن قرأ بغير ألف قال: لأن الله عز وجل هو المتفرد بالوعد والقرآن ينطق به كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ (النساء: ٩٥) وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ﴾ (إبراهيم: ٢٢)، ومن قرأ بالألف قال: قد يجىء المفاعلة من واحد

كقولهم: عاقبت اللص، وعافاك الله، وطارقت النعل.

قال الزجاج: (واعدنا) جيد لأن بالطاعة والقبول بمنزلة المواعدة فكان من الله الوعد ومن موسى القبول.

وموسى: هو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب.

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وقرأ زيد بن على: (أربعين) بكسر الباء وهى لغة، و(ليلة) نصب على التمييز والتفسير، وإنما قرن التاريخ بالليل دون النهار؛ لأن شهور العرب وضعت على مسير القمر، والهِلال إنما يهَلُّ بالليل، وقيل لأن الظلمة أقدم من الضوء، والليل خُلِقَ قبل النهار. قال الله عز وجل: ﴿وَعَايَةٌ لَهُمُ الْآيَاتُ الَّتِي سَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ (يس: ٣٧) الآية.

﴿ثُمَّ اتَّخَذُ الْعَجَلُ﴾ يقول أبو العالية: إنما سمى العجل لأنهم تعجلوه قبل رجوع موسى عليه السلام.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد انطلاق موسى إلى الجبل للميعاد.

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ مشاءون لأنفسكم بالمعصية، وواضعون العبادة فى غير موضعها.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ أى تركناكم فلم نستأصلكم، من قول له عليه السلام: أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى، وقيل: محونا ذنوبكم، من قول العرب: عفت الریح المنازل فعفت.

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أى من بعد عبادتكم العجل.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكى تشكروا عفوى عنكم، وصنيعى إليكم.

واختلف العلماء فى ماهية الشكر، فقال ابن عباس: هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق فى السر والعلانية.

وقال الحسن: شكر النعمة ذكرها، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

(الضحى: ١١).

الفضل: شكر كل نعمة ألا يعصى الله بعد تلك النعمة.

أبو بكر بن محمد بن عمر الوراق: حقيقة الشكر: معرفة المنعم، وأن لا تعرف لنفسك فى النعمة حظاً بل تراها من الله عز وجل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (النحل: ٥٣) يدل عليه ما روى سيف بن ميمون عن الحسين: أن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى عليه السلام: يا رب كيف استطاع آدم أن يؤدى شكر ما أجريت عليه من نعمك، خلقتة بيدك وأسجدت له ملائكتك وأسكته جنتك؟ فأوحى الله إليه: أن آدم علم إن ذلك كله منى ومن عندى فلذلك شكر».

وعن إسحاق بن نجيح الملقب عن عطاء الخراساني عن وهب بن منبه قال: قال داود عليه السلام: إلهي كيف لي أن أشكر وأنا لا أصل إلى شكر إلا بنعمتك؟ فأوحى الله تعالى إليه: ألسنت تعلم أن الذي بك من النعم مني؟ قال: بلى يا رب، قال: أَرْضَى بِذَلِكَ لَكَ شُكْرًا.

وقال وهب: وكذلك قال موسى: يا رب أنعمت عليّ بالنعم السوابغ وأمرتني بالشكر لك عليها، وإنما شكري لكل نعمة منك عليّ، فقال الله: يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوته علم، حسبي من عبد أن يعلم أن ما به من نعمة فهو مني ومن عندى.
قال الجنيد: حقيقة الشكر: العجز عن الشكر.

وروى ذلك عن داود عليه السلام أنه قال: سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرًا، كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة.
وقال بعضهم: الشكر أن لا يرى النعمة البتة بل يرى المنعم.
أبو عثمان الخيري: صدق الشكر: لا تمدح بلسانك غير المنعم.
أبو عبد الرحمن السلمى عن أبي بكر الرازي عن الشبلي: الشكر: التواضع تحت رؤية المنة.

وقيل: الشكر خمسة أشياء: مجانية السيئات، والمحافظة على الحسنات، ومخالفة الشهوات، وبذل الطاعات، ومراقبة رب السموات.
قال الثعلبي: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سئل أبو الحسن على بن عبد الرحيم القناد في الجامع بحضرة أبي بكر بن عبدوس وأنا حاضر: من أشكر الشاكرين؟ قال: الطاهر من الذنوب، يعد نفسه من المذنبين، والمجتهد في النوافل بعداد الفرائض، يعد نفسه من المقصرين، والراضى بالقليل من الدنيا، يعد نفسه من المفلسين، فهذا أشكر الشاكرين.
بكر بن عبد الرحمن عن ذى النور: الشكر لمن فوقك بالطاعة، ولتنظيرك بالمكافأة، ولمن دونك بالإحسان والإفضال.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾

قال مجاهد والفراء: هما شيء واحد، والعرب تكرر الشيء إذا اختلفت ألفاظه على التوهم، وأنشد الفراء:

وقدّمت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذبًا ومينًا

وقال عنترة:

حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
وقال الزجاج: وهذا هو القول؛ لأن الله عز وجل ذكر لموسى الفرقان في غير هذا الموضوع
فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ (الأنبياء: ٤٨).

وقال الكسائي: الفرقان: نعت للكتاب، يريد: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ فرق
بين الحلال والحرام، والكفر والإيمان، والوعد والوعيد. فزيدت الواو فيه كما يُزاد في النعوت
من قولهم: فلان حسن وطويل، وأنشد:

إلى الملك العزم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
ودليل هذا التأويل قوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَىٰ الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٥٤).

وقال قطرب: أراد به الفرقان، وفي الآية إضمار، ومعناه: وإذ آتينا موسى الكتاب ومحمداً
الفرقان.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لهذين الكتابين، فترك أحد الاسمين، كقول الشاعر:
ترأه كأن الله يجده أنفه وعينه إن مولاه بات له وفر
وقال ابن عباس: أراد بالفرقان النصر على الأعداء، نصر الله عز وجل موسى وأهلك
فرعون وقومه، يدل عليه قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّمَيِّزِ الْجَمْعَانِ﴾
(الأنفال: ٤١) يوم بدر.

يمان بن رباب: الفرقان: انفراق البحر وهو من عظيم الآيات، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ
فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ الذين اتخذوا العجل. ﴿يَتَقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أى ضررتم
أنفسكم ﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾ إليها، فقالوا: فأى شىء نصنع وما الحيلة؟ قال: ﴿فَتَوَبُّوا﴾
فارجعوا. ﴿إِلَىٰ بَارِكِكُمْ﴾ أى خالقكم، وكان أبو عمرو ويختلس الهمزة إلى الجزم فى قوله:
﴿بَارِكِكُمْ﴾ و(يامركم) وينصركم طلباً للخفة كقول امرئ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب إثمًا من الله ولا واغل

وأنشد:

وإذا اعوججن قلت صاحب قوم بالدو أمثال السفين العموم
قال: ﴿فَأَقْبُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ليقتل البريء المجرم. ﴿ذَلِكَ﴾ القتل. ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِكِكُمْ﴾ قال
ابن جرير: فأبى الله عز وجل أن يقبل توبة بنى إسرائيل إلا بالحال التى كرهوا أن يقاتلوهم حين

عبدوا العجل .

وقال قتادة: (جعل عقوبة عبدة العجل القتل؛ لأنهم ارتدوا، والكفر يبيح الدم .
 وقرأ قتادة: (فأقبلوا أنفسكم) من الإقالة أى استقبلوا العثرة بالتوبة، فلما أهمّ موسى بالقتل
 قالوا: نصير لأمر الله تعالى فجلسوا بالأفنية مختبئين وأصلت القوم عليهم الخناجر وكان
 الرّجل يرى ابنه وأباه وعمّه وقومه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضى لأمر الله وقالوا: يا
 موسى كيف نفعك؟ فأرسل الله ضبابه وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً وقيل لهم من حلّ
 جبوته أو مدّ طرفه إلى قاتله أو اتقى بيد أو رجل فهو طعون مردود توبته، فكانوا يقتلونهم إلى
 المساء، فلما كثر فيهم القتل دعا هارون وموسى وبكيا وجزعا وتضرّعا وقالوا: يا ربّ هلكت
 بنو إسرائيل البقية البقية، فكشف الله عزّ وجلّ السحاب وأمرهم أن يرفعوا السلاح عنهم
 ويكفّوا عن القتل .

فتكشّفت عن ألوف من القتلى، فاشتدّ ذلك على موسى، فأوحى الله إليه: أما يرضيك أن
 أدخل القاتل والمقتول الجنة، وكان من قُتل منهم شهيداً ومن بقى منهم نكفّر عنه ذنوبه، فذلك
 قوله: ﴿فَبِأَبْغَاتِكُمْ﴾ يعنى ففعلتم بأمره فتأب عليكم وتجاوز عنكم .
 ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ .



﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ
 تَنْظُرُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا
 عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلَّوْا مِنْ طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
 يَظْلِمُونَ ﴿٦٨﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
 وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي
 قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَسْتَفْتُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ الآية، وذلك أن الله أمر موسى أن يأتيه فى
 ناس من بنى إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختر سبعين رجلاً من خيارهم، وقال
 لهم: صوموا وتطهّروا وطهّروا ثيابكم، ففعلوا ذلك، فخرج بهم موسى إلى طور سيناء لميقات
 ربّه، فلما وصل ذلك الموضع قالوا: اطلب لنا نسمع كلام ربنا، فقال: أفعل، فلما دنا موسى

من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل في الغمام وقال القوم: ادنوا، وكان موسى إذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى إسرائيل أن ينظر إليه، فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخرّوا سجّداً، وسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه، وأسمعهم الله تعالى: **إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ذُو بَكَّةَ أَخْرَجْتَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ فَاعْبُدُونِي وَلَا تَعْبُدُوا غَيْرِي.**

فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل إليهم، فقالوا له: **لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة.**
﴿فَأَخَذَتْكُمْ الصَّعِقَةُ﴾ وهي نارٌ جاءت من السماء فأحرقتهم جميعاً.

وقال وهب: أرسل الله عزّ وجلّ عليهم جنداً من السماء فلما سمعوا بحسّها ماتوا يوماً وليلة. والصاعقة: المهلكة، فذلك قوله: **﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ لَنْ نَصْدُقَكَ﴾** **﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾**.

قرأه العامة بجزم الهاء، وقرأ ابن عباس: (جهرة) بفتح الهاء وهما لغتان مثل زهرة وزهرة. **﴿جَهْرَةً﴾** أى معاينة بلا ساتر بيننا وبينه، وأصل الجهر من الكشف.
 قال الشاعر:

❖ يجهر أجواف المياه السّدم ❖

﴿فَأَخَذَتْكُمْ الصَّعِقَةُ﴾ قرأ عمر وعثمان وعلى (رضى الله عنهم): (الصعقة) بغير ألف، وقرأ الباقون (الصاعقة) بالألف وهما لغتان.

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ **﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَدْرِ مَوْتِكَ﴾** وذلك أنهم لما هلكوا جعل (موسى) يبكى ويتضرّع ويقول: يا ربّ ماذا أقول لبنى إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ولو شئت أهلكتهم من قبل، ويا ربّي **﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾** (الأعراف: ١٥٥) فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله تعالى جميعاً رجلاً بعد رجل ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون، فذلك قوله تعالى: **﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾** **﴿أَحْيَيْنَاكُمْ﴾** **﴿مِنْ بَدْرِ مَوْتِكُمْ﴾** لتستوفوا بقية آجالكم وأرزاقكم، وأصل البعث: إثارة الشئ (مكمنه).

يقال: بعثت البعير، وبعثت النائم فانبعث.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ **﴿وَوَلَلْنَا عَلَيْكُمْ الْعَمَامَ﴾** فى التيه تقيكم حرّ الشمس، وذلك أنّهم كانوا فى التيه ولم يكن لهم كنّ يسترهم فشكوا ذلك إلى موسى، فأنزل الله عليهم غماماً أبيض رقيقاً وليس بغمام المطر بل أرقّ وأطيب وأبرد. والغمام: ما يغمّ الشئ أى يستره. وأظلمهم فقالوا: هذا الظلّ قد جعل لنا فأين الطعام، فأنزل الله عليهم المنّ.

واختلفوا فيه ، فقال مجاهد : وهو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار وطعمه كالشهد الضحّاك : هو الطرنجيين .

وقال وهب : الخبز الرقاق . السدى : غسل كان يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه .

عكرمة : شيء أنزله الله عليهم مثل الزيت الغليظ ، ويقال : هو الزنجبيل .

وقال الزجاج : جملة المنّ ما يمنّ الله مما لا تعب فيه ولا نصب .

وروى عن النبي ﷺ : «الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين» .

وكان ينزل عليهم هذا المنّ كل ليلة تقع على أشجارهم مثل الملح ، لكل إنسان منهم صاع

كل ليلة قالوا يا موسى : مللنا هذا المنّ بحلاوته ، فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم ، فدعا عليه

السلام ، فأنزل الله عليهم السلوى .

واختلفوا فيه ، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين : هو طائر يشبه السمانى .

أبو العالية ومقاتل : هو طير أحمر ، بعث الله سحابة فمطرت ذلك الطير فى عرض ميل

وقدر طول رمح فى السماء بعضه على بعض .

عكرمة : طير يكون بالهند أكبر من عصفور ، المؤرّج : هو (المعسل) بلغة كنانة .

وقال شاعرهم :

وقاسمها بالله حقاً لأنتم ألدّ من السلوى إذا ما نشورها

وكان يرسل عليهم المنّ والسلوى ، فيأخذ كل واحد منه ما يكفيه يوماً وليلة ، وإذا كان يوم

الجمعة أخذ ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل إليهم يوم السبت ، فذلك قوله : ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ

الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ أى وقلنا لهم كلوا .

﴿مِنْ طَيِّبَاتٍ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تدخروا الغد فخبثوا الغد فقطع الله عزّ وجلّ ذلك

عنهم ودودّ وفسد ما ادّخروا ، فذلك قوله عزّ وجلّ ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ ضرّونا بالمعصية .

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يصرّون باستيجابهم عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل

عليهم بلا كلفة ولا مؤونة ، ولا مشقة فى الدنيا ، ولا تبعة ولا حساب فى العقبى .

خلاس بن عمرو عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «لولا بنى إسرائيل لم يخنز الطعام

ولم يخبث اللحم ، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها» .

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ ابن عباس : هى أريحا وهى قرية الجبارين ، وكان فيها قوم من

بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عناق ، وقيل : هى بلقا .

وقال ابن كيسان : هى الشام .

الصَّحَاكُ : هي الرَّمْلَةُ والأردن وفلسطين وتدمر .

مجاهد : بيت المقدس . مقاتل : إيليا .

﴿فَكَلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ موسعاً عليكم .

﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ يعنى باباً من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب .

﴿سُجِّدًا﴾ منحنين متواضعين وأصل السجود الخضوع .

قال الشاعر :

بجمع يضل البلق فى حجراته ترى الأكم فيه سجّداً للحوافر

وقال وهب : قيل لهم ادخلوا الباب ، فإذا دخلتموه فاسجدوا شكراً لله عزّ وجل ، وذلك أنهم أذنبوا بإبائهم دخول أريحا ، فلما فصلوا من التيه أحبّ الله عزّ وجلّ أن يستنقذهم من الخطيئة .

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ قال قتادة : حطّ عتاً خطايانا وهو أمرٌ بالاستغفار .

وقال ابن عباس : يعنى لا إله إلاّ الله ؛ لأنّها تحطّ الذنوب ، وهى رفع على الحكاية فى قول أبى عبيدة .

وقال الزجاج : سألتنا حطة .

﴿تَفْتَرُ لَكُمْ خَطَايَكُمْ﴾ وقرأ أهل المدينة بياء مضمومة وأهل الشام بياء مضمومة .

﴿وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ إحساناً وثواباً والسلام .

﴿قَبِلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالمعصية ، وقيل كفروا .

وقال مجاهد : كموطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم ، فلم يخفضوا ولم يركعوا ولم يسجدوا ، فدخلوا مترجعين على أستاذهم .

﴿قَوْلًا﴾ يعنى وقالوا قولاً . ﴿غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ وذلك أنهم أمروا أن يقولوا (حطة) فقالوا :

(حطاً) (١) يعنون حنطة حمراء استخفافاً بأمر الله .

﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِنْ أَسْمَاءٍ﴾ وذلك أن الله تعالى أرسل عليهم ظلمة

وطاعوناً فهلك منهم فى ساعة واحدة سبعون ألفاً .

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يعنى يلعبون ويخرجون من أمر الله عزّ وجلّ .



(١) بياض بالأصل المخطوط .

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبِعَضِبَ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١٠١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ السين فيه : سين المسألة ، مثل استعلم واستخبر ونحوهما ، أى سأل السقيا لقومه وذلك أنهم عطشوا فى التيه فقالوا : يا موسى من أين لنا الشراب ، فاستسقى لهم موسى فأوحى الله عز وجل إليه .

﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ وكان من آس الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى وله شعبتان متقدتان فى الظلمة نوراً واسمه غليق ، وكان آدم عليه السلام حمله معه من الجنة إلى الأرض فتوارثته الأصاغر عن الأكابر حتى وصل إلى شعيب فأعطاه لموسى .

﴿الْحَجَرَ﴾ واختلفوا فيه ، فقال وهب بن منبه : كان موسى ﷺ يقرع لهم أقرب حجر من عرض الحجارة فيتفجر منها لكل سبط عين وكانوا اثنى عشر سبطاً ، ثم يسيل فى كل عين جدول إلى السبط الذى أمر سقيهم ، ثم إنهم قالوا : إن فقد موسى عصاه ، فأوحى الله تعالى إلى موسى لا تفرعن الحجارة ولكن كلمها تطلع لعلهم يعتبرون .

فقالوا : كيف بنا لو أفضينا إلى الرمل وإلى الأرض التى ليست فيها حجارة ، فحمل موسى معه حجراً فحيث نزلوا ألقاه .

وقال الآخرون : كان حجراً مخصوصاً بعينه ، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿الْحَجَرَ﴾ فأدخل الألف واللام للتعريف مثل قولك : رأيت الرجل ، ثم اختلفوا فيه ما هو .

فقال ابن عباس : كان حجراً خفيفاً مربعاً مثل رأس الرجل أمر أن يحمله وكان يضعه فى مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه . وفى بعض الكتب : إنها كانت رخاماً .

وقال أبو روق: كان الحجر من الكدان وكان فيه اثنتا عشرة حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فرات فيأخذونه، فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان يستسقى كل يوم ستمائة ألف.

قال سعيد بن جبير: هو الحجر الذي وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل حين رموه بالأدرة ففرّ الحجر بثوبه ومرّ به على ملأ من بنى إسرائيل حتى ظهر أنه ليس بأدر، فلما وقف الحجر أتاه جبرئيل فقال لموسى: إن الله يقول ارفع هذا الحجر فإن فيه قدرة، فللك فيه معجزة، وقد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (الأحزاب: ٦٩). فحمله موسى ووضعه في مخلاته فكان إذا احتاج إلى الماء ضربه بالعصا، وهو ما روى عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سواة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر قال: فذهب مرة يغتسل فوضع موسى ثوبه على حجر ففرّ الحجر بثوبه قال: فجمع موسى في أثره يقول ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر حتى نظر بنو إسرائيل إلى سواة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس قال فقام الحجر بعدما نظر إليه وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً».

فقال أبو هريرة: وقد رأينا بالحجر ندباً ستة أو سبعة أثر ضرب موسى.

وقال عبد العزيز بن يحيى الكنانى: كانت ضربة موسى اثنتى عشرة ضربة، وظهر على موضع كل ضربة مثل ثدى المرأة، ثم انفجر بالأنهار المطردة وهو قوله: ﴿فَأَنْفَجَرَتْ﴾. وفى الآية إضمار واختصار تقديرها: ضرب فانفجرت أى سالت، وأصل الانفجار: الانشقاق والانتشار، ومنه فجر النهار.

﴿مِنَهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ قرأ العامة بسكون الشين على التخفيف، وقرأ العباس بن الفضل الأنصارى بفتح الشين على الأصل، وقرأ أبو (١) بكسر الشين.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ موضع شربهم ويكون بمعنى المصدر مثل المدخل، المخرج. ﴿كُلُّوْا وَأَشْرَبُوا﴾ أى قلنا لهم: كلوا من المن، واشربوا من الماء؛ فهذا كله من رزق الله الذى بلا مشقة ولا مؤونة ولا تبعة.

﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: يُقال: عثى يعثى عثياً، وعثا يعثو عثواً، وعاث يعيث عيثاً وعيوثاً (بثلاث لغات) وهو شدة الفساد.

(١) يياض بالأصل المخطوط.

قال ابن الرقاع:

لولا الحياء وأن رأسى قد عثا فيه المشيب لزرت أم القاسم
 ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يُمُوسَىٰ لَنْ نُصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ الآية، وذلك أنهم ملّوا المن والسلوى وسئموها.
 قال الحسن: كانوا نتانى أهل كراث وأبصال وأعداس فنزعوا إلى عكرهم عكر السوء،
 واشتاقت طباعهم إلى ما جرت عاداتهم عليه، فقالوا: لن نصبر على طعام واحد وكفّوا عن
 المن والسلوى، وإنما قالوا (واحد) وهما اثنان؛ لأن العرب تعبر عن اثنين بلفظ الواحد، ويلفظ
 الواحد عن الاثنين كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٢٢)، وإنما يخرجان من
 المالح منهما دون العذب.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كانوا يعجنون المن والسلوى فيصير طعاماً واحداً
 فيأكلونه.

﴿قَادَعٌ﴾ فاسأل وادع. ﴿لَنَا﴾ لأجلنا. ﴿رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقَتَائِبَهَا﴾ قراءة
 العامة بكسر القاف.

وقرأ يحيى بن وثاب، وطلحة بن مصرف، والأشيب العقيلي: وقَتَائِبَهَا بضم القاف، وهى
 لغة تميم.

﴿وَفُومَهَا﴾: قال ابن عباس: الفوم: الخبز، تقول العرب: فوموا لنا، أى اختبزوا لنا.
 عطاء وأبو مالك: هو الحنطة وهى لغة قديمة، قال الشاعر:

قد كنت أحسبني كأغنى واحد نزل المدينة عن زراعة فوم
 (١): هو الحبوب كلها.

الكلبى والنضر بن شميل والكسائى والمعرج: هو الثوم، وأنشد المعرج لحسان:
 وأنتم أناس لثام الأصول طعامكم الفول والحوقل

يعنى الثوم والبصل؛ فالعرب تعاقب بين الفاء والثاء فتقول للصبغ العرفط: مغائير
 ومغافير، وللقبر جدف وجدث، ودليل هذا التأويل أنها فى مصحف عبد الله: وثومها.

﴿وَعَدَسَهَا وَبَصَلَهَا﴾ عن الحسين بن على عن أبيه على بن أبى طالب (رضى الله عنهما) قال:
 قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالعدس فإنه مبارك مقدس وإنه يرقق القلب ويكثر الدمة. وإنه
 بارك فيه سبعون نبياً آخرهم عيسى عليه السلام».

فقال لهم موسى عند ذلك: ﴿أَتَسْتَبْدُونَ﴾ وفى مصحف أبى: أتبدلون.

(١) بياض بالأصل المخطوط.

﴿الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ أخس وأردى.

حكى الفراء عن زهير العرقى: أنه قرأ (أدناء) بالهمزة، والعامية على ترك الهمزة، وقال بعض النحاة: هو أدون فقدّمت النون وحولت الواو ياء كقولهم: أولى من الويل.

﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أشرف وأفضل، ومعناه: أتركون الذى هو خير وتريدون الذى هو شر، ويجوز أن يكون هذا الخير والشر منصرفين إلى أجناس الطعام وأنواعه، ويجوز أن يكونا منصرفين إلى اختيار الله لهم، واختيارهم لأنفسهم.

﴿أَهْبَطُوا مِصْرًا﴾ يعنى فإن أبيتم إلا ذلك فاهبطوا مصرًا من الأمصار، ولو أراد مصر بعينها لقال: مصر ولم يصرفه كقوله ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾ (يوسف: ٩٩) وهذا معنى قول قتادة.

الضحك: هى مصر موسى وفرعون.

وقال الأعمش: هى مصر التى عليها صالح بن على ودليل هذا القول: قراءة الحسن وطلحة: (مصر) بغير تنوين جعلها معرفة، وكذلك هو فى مصحف عبد الله وأبى بغير ألف، وإنما صرف على هذا القول لحفّته وقلّة حروفه مثل: دعد وهند وحمل ونحوها. قال الشاعر:

وجاعل الشمس مصرًا لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا

﴿فَإِنْ لَكُمْ مَأْسَأْتُمْ﴾ من نبات الأرض.

﴿وَضَرِبَتْ﴾ جعلت. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وألزموا. ﴿الذِّلَّةُ﴾ الذل والهوان. قالوا: بالجزية، يدل عليه قوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: ٢٩) وقال^(١): هو الكستينج وزنة اليهودية.

﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ يعنى ذى الفقر. (فتراهم) كأنهم فقراء وإن كانوا مياسير، وقيل: المذلة وفقير القلب فلا يرى فى أهل الملل أذل ولا أحرص على المال من اليهود، والمسكنة مفعلة من السكون، ومنه سُمى الفقير مسكينًا لسكونه وقلّة حركاته. يُقال: ما فى بنى فلان أسكن من فلان، أى أفقر.

﴿وَبَاءٌ وَبَعْضٌ مِنَ اللَّهِ﴾ أى رجعوا فى قول الكسائى وغيره. أبو روق: استحقوا والباء صلة.

أبو عبيدة: احتملوا وأقرّوا به، ومنه الدعاء المأثور: (أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)، وغضب الله عليهم: ذمه لهم وتوعده إياهم فى الدنيا،

(١) بياض بالأصل المخطوط.

وإنزال العقوبة عليهم فى العقبى ، وكذلك بغضه وسخطه .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ﴾ بصفة محمد ﷺ وإنه الرحيم فى التوراة والإنجيل والفرقان .

﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ قراءة العامة بالتخفيف من القتل ، وقرأ السلمي بالتشديد من التقتيل .

﴿النَّبِيِّنَ﴾ القراءة المشهورة بالتشديد من غيرهم ، وتفرد نافع بهمز النبيين ، (ومده) فمن همز معناه : المخبر ، من قول العرب : أنبأ النبى إنباءً ، ونبأ نبئى تنبئة بمعنى واحد ، فقال الله عز وجل : ﴿فَلَمَّا تَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأُكَ هَذَا﴾ (التحریم: ٣) ومن حذف الهمز فله وجهان : أحدهما : أنه أراد الهمز فحذفه طلباً للخفة لكثرة استعمالها ، والوجه الآخر : أن يكون بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهى المكان المرتفع ، يقال : نبئ الشئ عن المكان ، أى ارتفع . قال الشاعر :

إن جنبى عن الفراش لناب كتجافى الأسرّ فوق الظراب

وفيه وجه آخر : قال الكسائى : النبى بغير همز : الطريق ، فسمّى الرسول نبياً ، وإنما دقائق الحصا لأنه طريق إلى الهدى ، ومنه قول الشاعر :

لأصبح رتماً دقاق الحصى مكان النبى من الكائب

ومعنى الآية : ويقتلون النبیین .

﴿بِقَتْرِ الْحَقِّ﴾ مثل أشعيا وذكريا ويحيى وسائر من قتل اليهود من الأنبياء ، وفى الخبر : إن اليهود قتلوا سبعين نبياً من أول النهار . . . (١) آخر النهار . . . (١) .

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون أمرى ويرتكبون محارمى .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ يعنى اليهود ، واختلف العلماء فى سبب تسميتهم به . فقال بعضهم : سموا بذلك لأنهم هادوا أى تابوا من عبادة العجل ، كقوله إخباراً عنهم : ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٥٦) .

وأشدد أبو عبيدة :

❖ إنى امرؤ من مدحه هائد ❖

أى تائب .

وقال بعضهم : لأنهم هادوا أى مالوا عن الإسلام وعن دين موسى . يقال : هاد يهود هوداً : إذا مال . قال امرؤ القيس :

(١) بياض بالأصل المخطوط .

قد علمت سلمى وجاراتها أتى من الناس لها هائد

أى إليها مائل .

وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون أى يتحركون عند قراءة التوراة، ويقولون: إن السموات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوراة .

وقرأ أبو السمك العدوى واسمه قعب: هادوا بفتح الدال من المهادة، أى مال بعضهم إلى بعض فى دينهم .

﴿وَالنَّصْرِيُّ﴾ واختلفوا فى سبب تسميتهم بهذا الاسم، فقال الزهرى: سموا نصارى لأن الحواريين قالوا: نحن أنصار الله .

مقاتل: لأنهم تولوا قرية يقال لها: ناصرة، فنسبوا إليها .

وقال الخليل بن أحمد: النصارى: جمع نصران، كقولهم: ندمان وندامى .
وأنشد:

تراه إذا دار العشىّ محتفًا ويضحى لربه وهو نصران شامس

فنسبت فيه ياء النسبة كقولهم لذى اللحية: لحيانى، ورفاقى لذى الرقبة .

فقال الزجاج: يجوز أن يكون جمع نصرى كما يقال: بعير حبرى، وإبل حبارى، وإنما سموا نصارى لاعتزائهم إلى نصرة وهى قرية كان ينزلها عيسى وأمه .

﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ قرأ أهل المدينة بترك الهمزة من الصَّابِئِينَ والصَّابِئُونَ والصَّابُونَ فى جميع القرآن، وقرأ الباقون بالهمز وهو الأصل، يُقال: صبا يصبو صبوءاً، إذا مال وخرج من دين إلى دين .

قال الفراء: يُقال لكل من أحدث ديناً: قد صبا وأصبأ بمعنى واحد، وأصله الميل، وأنشد:

إذا أصبأت هوادى الخيل عتًا حسبت بنحرها شرق البعير

واختلفوا فى الصَّابِئِينَ من هم؟

قال عمر: هم طائفة من أهل الكتاب ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب، وبه قال السدى .

وقال ابن عباس: لا تحل ذبائحهم ولا مناكحة نسائهم . وقال مجاهد: هم قبيلة نحو الشَّام بين اليهود والمجوس لا دين لهم .

وقال السدى: هم طائفة من أهل الكتاب، وهو رأى أبى حنيفة .

وقال قتادة ومقاتل: هم قوم يقرّون بالله عزّ وجلّ، ويعبدون الملائكة، ويقرءون الزبور

ويصلّون إلى الكعبة، أخذوا من كل دين شيئاً.

الكلبي: هم قوم بين اليهود والنصارى، يحلقون أوساط رؤوسهم ويحبّون ذاكهم.

عبد العزيز بن يحيى: درجوا وانقرضوا فلا عين ولا أثر.

﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ اختلفوا فى حكم الآية ومعناها، ولهم فيها طريقتان:

أحدهما: أنه أراد بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على التحقيق وعقد التصديق، ثم اختلفوا فى هؤلاء المؤمنين من هم؟ فقال قوم: هم الذين آمنوا بعيسى ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يصبثوا، وانتظروا خروج محمد ﷺ.

وقال آخرون: هم طلاب الدين، منهم: حبيب النجار، وقيس بن ساعدة، وزيد بن عمرو ابن نفيل، وورقة بن نوفل، والبراء السندی، وأبو ذر الغفارى، وسلمان الفارسى، ويحیی الراهب، ووفد النجاشى. آمنوا بالنبي ﷺ قبل مبعثه، فمنهم من أدركه وتابعه، ومنهم من لم يدركه.

وقيل: هم مؤمنو الأمم الماضية.

وقيل: المؤمنون من هذه الأمة.

﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ يعنى الذين كانوا على دين موسى عليه السلام ولم يبدلوا ولم يغيروا.

﴿وَالنَّصْرَى﴾: الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يبدلوا وماتوا على ذلك.

قالوا: وهذان اسمان لزمانهم زمن موسى وعيسى (عليهما السلام)، حيث كانوا على الحق فبقى الاسم عليهم كما بقى الإسلام على أمة محمد ﷺ والصابئين زمن استقامتهم من آمن منهم أى مات منهم وهو مؤمن؛ لأن حقيقة الإيمان المؤاخاة.

قال: ويجوز أن تكون الواو فيه مضمراً: أى ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة.

والطريق الآخر: إن المذكورين فى أول الآية بالإيمان إنما هو على طريق المجاز والتسمية دون الحكم والحقيقة، ثم اختلفوا فيه:

فقال بعضهم: إن الذين آمنوا بالأنبياء الماضين والكتب المتقدمة ولم يؤمنوا بك ولا

بكتابك.

وقال آخرون: يعنى به المنافقين أراد: إن الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، والذين هادوا: أى اعتقدوا اليهودية وهى الدين المبدل بعد موسى عليه السلام، والنصارى: هم الذين اعتقدوا النصرانية والدين المبدل بعد عيسى، والصابئين: يعنى أصناف الكفار من آمن بالله من جملة الأصناف

المذكورين فى الآيه .

وفيه اختصار وإضمار تقديره : من آمن منهم بالله واليوم الآخر ؛ لأن لفظ (من) يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث .

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ (الأنعام : ٢٥) . ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ إِلَيْكَ ﴾ (يونس : ٤٣) . ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ (يونس : ٤٢) . قال ﴿ وَمَنْ يَقْنَتْ مِنْكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (الأحزاب : ٣١) ، وقال الفرزدق فى التشبيه :

تعال فإن عاهدتني لا تخونني تكن مثل من ناديت يصطحبان
﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ فيما قدموا .

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على ما خلفوا ، وقيل : لا خوف عليهم بالخلود فى النار ، ولا يحزنون بقطيعة الملك الجبار ، ولا خوف عليهم من الكبار وإنى أغفرها ، ولا هم يحزنون على الصغائر فإنى أكفرها .

وقيل : لا خوف عليهم فيما تعاطوا من الإجمام ، ولا هم يحزنون على ما اقترفوا من الآثام لما سبق لهم من الإسلام الآثام .



﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ثم تولى من بعد ذلك فلو لا فضل الله عليكم ورحمته ، لكنتم من الخاسرين ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسيين ﴾ فجعلناهم نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴿ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تدبحوا بقرة قالوا ألتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون ﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى إن البقر تشبه علينا وإننا لنخشع لله ما نهتدون ﴿ قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تشير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا السن حجت بالحق فدبحوها وما كادوا يفعلون ﴿ وإذ قتلتم نفسا فادّارءتم فيها

وَاللَّهُ مُخْرَجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١٠٠﴾ فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾

﴿وَأِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ يا معشر اليهود. ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ وهو الجبل بالسريانية فى قول بعضهم. وقالوا: ليس من لغة فى الدنيا إلا وهى فى القرآن.

وقال أبو عبيدة والحذاق من العلماء: لا يجوز أن تكون فى القرآن لغة غير لغة العرب؛ لأن الله تعالى قال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ (يوسف: ٢، طه: ١١٣، الزمر: ٢٨، فصلت: ٣، الشورى: ٧، الزخرف: ٣) وقال: ﴿لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٥) وإنما هذا وأشباهه وفاق بين اللغتين.

وقد وجدنا الطُّور فى كلام العرب، وقال جرير:

فإن ير سليمان الجن يستأنسوا بها وإن ير سليمان أحب الطُّور ينزل

وقال المفسرون: وذلك أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى وأمر قومه بالعمل بأحكامه فأبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها للأضرار والأثقال التى فيها، وكانت شريعته ثقيلة فأمر الله تعالى جبرائيل عليه السلام يضع جبلاً على قدر عسكره وكان فرسخاً فى فرسخ ورفعه فوق رءوسهم مقدار قامة الرّجل.

أبو صالح عن ابن عباس: أمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رءوسهم مثل الظلّة.

عطاء عن ابن عباس: رفع الله فوق رءوسهم الطُّور وبعث ناراً من قبل وجوههم وأتاهم البحر الملح من خلفهم وقيل لهم: ﴿خُذُوا مَاءً آتَيْنَاكُمْ﴾ أى أعطيناكم. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجِدِّ ومواظبة. وفيه إضمار، أى: وقلنا لهم: خذوا.

﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أى احفظوه واعلموه واعملوا به و(فى) حرف أولى فاذكروا بذال مشددة وكسر الألف المشددة و(فى) حرف وأنه وتذكروا ما فيه ومعناها اتعظوا به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى فإن قبلتموه وفعلتم ما أمرتم به وإلا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم فى البحر وأحرقتكم بهذه النار، فلما رأوا أن لا مهرب لهم قبلوا ذلك وسجدوا خوفاً وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجدوا، فصارت سنة فى اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا: يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم وعصيتم.

﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أى من بعد أخذ الميثاق ورفع الجبل .

﴿قَلَوْا فَضَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحِمْتُهُ﴾ بتأخير العذاب عنكم .

﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ لصرتم من المغلوبين بالعقوبة وذهاب الدنيا والآخرة .

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ وذلك أنهم كانوا من داود عليه السلام بأرض يقال

لها أيلة حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان إذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى

البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرجن خراطيمهنّ من الماء لأمنها، فإذا مضى السبت تفرّقن

ولزمن البحر ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَابُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾

(الأعراف: ١٦٣) فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه إليها الأنهار فإذا كانت

عشيّة الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فلا تطيق الخروج لبعدها

وقلة الماء فإذا كان يوم الأحد أخذوها، وقيل: كانوا ينصبون الحبال والشصوص يوم الجمعة

ويخرجونها يوم الأحد، ففعلوا ذلك زماناً فكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة، فقسّت

قلوبهم وأصروا على الذنب، وقالوا: ما نرى السبت إلا قد أحلّ لنا، فلما فعلوا ذلك صار

أهل القرية - وكانوا سبعين ألفاً - ثلاثة أصناف: صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه،

وصنف انتهك الحرمة، وكان الذين نهوا اثني عشر ألفاً فلما أبى المجرمون قبول نصحهم قال

الناهون: والله لا نساكنكم فى قرية واحدة، فقسّموا القرية بجدار وغيرها بذلك سنتين فلعنهم

داود وغضب الله عزّ وجلّ عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم

والمجرمون لم يفتحوا أبوابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطأوا تسوّرّوا عليهم الحائط فإذا هم

جميعاً قردة فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا فذلك

قوله عزّ وجلّ ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِرِينَ﴾ أمر تحويل .

﴿خَاسِرِينَ﴾ مطرودين صاغرين بلغة كنانة، قاله مجاهد وقتادة والربيع .

قال أبو روق: يعنى خرساً لا يتكلّمون، دليله قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا

تَكَلِّمُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٨) .

وقيل: مبعدون من كلّ خير .

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أى القردة، وقيل: القرية، وقيل: العقوبة .

﴿نَكَالًا﴾ عقوبة وعبرة وفضيحة شاهرة، وأصله من النكل وهو القيد، وجمعه أنكال،

ويقال للجمام نكل .

﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ قال أبو العالية والربيع: معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لما بعدهم.

قتادة: جعلنا تلك العقوبة جزاءً لما تقدم من ذنوبهم قبل نهيهم عن الصيد وما خلفها من العصيان بأخذ الحيتان بعد النهي.

وقيل: لما بين يديها من عقوبة الآخرة وما خلفها من نصيحتهم في دنياهم فيذكرون بها إلى يوم قيام الساعة.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير؛ وتقديرها: فجعلناها وما خلفها مما أعد لهم من العذاب في الآخرة نكالاً وجزاءً لما بين يديها: أي لما تقدم من ذنوبهم في اعتدائهم يوم السبت.

﴿وَمَوْعِظَةً﴾ عظة وعبرة. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ للمؤمنين من أمة محمد ﷺ فلا يفعلون مثل فعلهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً﴾ الآية: وذلك أنه وجد قتيل في بني إسرائيل اسمه عاميل ولم يدروا قاتله واختلفوا في قاتله والسبب في قتله فقال عطاء والسدى: كان في بني إسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين لا وراث له غيره فلما طال عليه موته قتله ليرثه.

وقال بعضهم: وكان تحت عاميل بنت عم له لم يكن لها مثلاً في بني إسرائيل بالحسن والجمال فقتله ابن عمه لينكحها.

وقال ابن الكلبي: قتله ابن أخيه لينكح ابنته فلما قتله حمله من قرينته إلى قرية أخرى وألقاه هناك.

وقيل: ألقاه بين قريتين.

عكرمة: كان لبني إسرائيل مسجد له اثنا عشر باباً لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط.

قيل: وجر إلى باب سبط آخر فاقتصم فيه الشيطان.

وقال ابن سيرين: قتله القاتل ثم احتمله فوضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب بثاره ودمه ويدعيه عليه. قال: فجاء أولياء القتل إلى موسى وأتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوا القصاص فسألهم موسى عن ذلك فوجدوا فاشتبه أمر القتل على موسى ووقع بينهم خلاف.

وقال الكلبي: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعوا الله ليبين لهم ذلك فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح بقرة. فقال لهم موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً﴾.

﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ يا موسى أى أتستهزئ بنا حين نسألك عن القتل وتأمرانا بذبح البقرة وإنما قالوا ذلك لتباعد الأمرين فى الظاهر، ولم يدروا ما الحكمة فيه .

وقرأ ابن محيصن: أيتخذنا بالياء قال: يعنون الله ولا يستبعد هذا من جهلهم لأنهم الذين قالوا ﴿وَجَلَّوْنَا بَيْنَىٰ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف: ١٣٨).

وفى هذا ثلاثة لغات هزواً: بالتخفيف والهمز ومثله كُفُواً وهى قراءة الأعمش وحمزة وخلف وإسماعيل .

وهزواً وكفواً مثقلان مهموزان وهى قراءة أبى عمرو وأهل الحجاز والشام واختيار الكسائى وأبى عبيد وأبى حاتم .

وهزواً وكفواً مثيلان بغير همزة وفى رواية حفص بن سليمان البرزاز عن عاصم وكلها لغات صحيحة معناها الاستهزاء فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أى من المستهزئين بالمؤمنين فلماً علم أن ذبح البقرة عزم من الله عز وجل سألوه الوصف .

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبِّئْنَا مَا هِيَ﴾ ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وإنما كان تشديدهم تقديراً من الله عز وجل وحكمة، وكان السبب فى ذلك على ما ذكره السدى وغيره أن رجلاً فى بنى إسرائيل كان باراً بأبيه وبلغ من برّه به أن رجلاً أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفاً وكان فيها فضل فقال للبايع أبى نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأمهلى حتى يستيقظ وأعطيك الثمن . قال: فأيقظ أباك وأعطنى المال . قال: ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف فانتظرنى حتى ينتبه أبى .

فقال الرجل: فأنا أعطى عنك عشرة آلاف إن أيقظت أباك وعجلت النقد . قال: وأنا أزيدك عشرين ألفاً إن انتظرت انتباه أبى . ففعل ولم يوقظ الرجل أباه فأعقبه برّه بأبيه أن جعل تلك البقرة عنده وأمر بنى إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها .

قال ابن عباس وهب وغيرهما: كان فى بنى إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وكان له عجل فأتى بالعجل إلى غيضة وقال: اللهم إنى أستودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات الرجل فسبيت العجلة فى الغيضة وصارت عواناً وكانت تهرب من كل من رامها . فلماً كبر الابن كان باراً بوالده وكان الليلة يقسم ثلاثة أثلاث: يصلّى ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس

أمه ثلثاً فإذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره ويأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطى والدته ثلثاً، وقالت له أمه يوماً: إن أباك ورثك عجلة وذهب بها إلى غيضة كذا واستودعها الله عز وجل فانطلق إليها فادعُ إليه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق بأن يردّها عليك، وإن من علامتها أنك إذا نظرت إليها يخيلُ إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدّها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها وصفاء لونها فأتى الفتى الغيضة فرأها ترى وقال: أعزم عليك ياله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة بإذن الله وقالت: أيّها الفتى البارّ بوالدته اركبني فإن ذلك أهون عليك. فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت: خذها بعنقها فقالت البقرة: ياله بنى إسرائيل لوركبتي ما كنت تقدر علىّ أبداً فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقل من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بوالدتك. وسار الفتى فاستقبله عدو الله إبليس في صورة راع فقال: أيّها الفتى إننى رجل من رعاة البقر اشتقت إلى أهلى فأخذت ثوراً من ثيرانى فحملت عليه زادى ومتاعى حتى إذا بلغت شطر الطريق ذهبت لأقضى حاجتى صعداً وسط الجبل وما قدرت عليه وإننى أخشى على نفسى الهلاك، فإن رأيت أن تحملنى على بقرتك وتنجنى من الموت وأعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال: اذهب فتوكل على الله فلو علم الله منك اليقين بلغك بلا زاد ولا راحلة فقال إبليس: فإن شئت فبعنيها بحكمك، وإن شئت فاحملنى عليها وأعطيك عشرة مثلها فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بهذا فيينا الفتى كذلك إذ طار طائر من بين يدي البقرة ونفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعى فدعاها الفتى باسم إله إبراهيم فرجعت إليه البقرة فقالت أيّها الفتى البار بوالدته ألم تر إلى الطائر الذى طار إنّه إبليس عدو الله اختلسنى أما إنّه لوركبني لما قدرت علىّ أبداً فلمّا دعوت إله إبراهيم جاء ملك فانتزعتنى من يد إبليس وردنى إليك لبرك بوالدتك وطاعتك لها.

فجاء بها الفتى إلى أمه، فقالت له: إنك فقير لا مال لك ويشقّ عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها. قال بكم أبيعها؟

قالت: بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاى ومشورتى وكانت ثمن البقرة فى ذلك الوقت فانطلق بها الفتى إلى السوق فبعث الله ملكاً إنساناً خلقه بقدرته ليخبر الفتى كيف برّه بوالدته وكان الله به خبيراً فقال له الملك: بكم تباع هذه البقرة؟

قال: بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى. فقال الملك: ستّة دنانير ولا تستأمر أمك. فقال الفتى: لو أعطيتنى وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضا أمي فردّها إلى أمه وأخبرها بالثمن

فقالت: ارجع فبعها ستة على رضاي فانطلق الفتى بالبقرة إلى السوق وأتى الملك وقال: استأمرت والدتك؟

فقال الفتى: إنها أمرتني أن لا أنقصها من ستة على أن أستأمرها. قال الملك: فإنني أعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرها.

فأتى الفتى ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك قالت: إن ذلك الرجل الذئبي يأتيك ويعطيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمى ليجربك فإذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟

ف فعل ذلك فقال له الملك: اذهب إلى أمك وقل لها بكم هذه البقرة؟ فإن موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بنى إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير فأمسكوا البقرة، وقدر الله على بنى إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها وأمرهم بها فقالوا يستوصفون ويصف لهم حتى وصف تلك البقرة بعينها موافاة له على بره بوالدته فضلاً منه.

فضلاً منه ورحمة وذلك قوله عز وجل: ﴿أَدْعُ لِنَارِكَ﴾ أى سل وهكذا هو فى مصحف عبد الله، سل لنا ربك يبين لنا هي؟ وما سنّها؟

قال موسى: إنه يعنى أن الله يقول: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ﴾ لا كبيرة ولا صغيرة وارتفع البكر والفارض يا ضمارة هي إذ لا هي فارض ولا هي بكر.

مجاهد وأبو عبيدة والأخفش: الفارض الكبيرة المسنة التي لا تلد يقال له: فرضت - تفرض - فروضاً.

قال الشاعر:

كميت بهيم اللون ليس بفارض ولا بعوان ذات لون مخصف
وقال الرّاجز:

ياربّ ذى ضغن علىّ فارض له قروء كقروء الحائض

أى حقد قديم، والبكر: الفتية الصغيرة التي لم تلد قط.

وقال السدى: البكر: التي لم تلد إلا ولداً واحداً وحذف الحاء منها للاختصاص.

﴿عَوَانٌ﴾ نصف بين سنين، وقال الأخفش: العوان التي نتجت مراراً وجمعه عون، ويقال

منه: عونت تعويناً.

﴿فَأَقْضُوا مَا تَوَمَّرُونَ﴾ من ذبح البقرة ولا تكررُوا السؤال.

﴿قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِينُ لَنَا مَا لَوْثُنَا﴾ محل (ما) رفع بالابتداء و﴿لَوْثُنَا﴾ خبر، وقرأ الضحّاك

﴿لونها﴾ نصباً كأنه عمل فيه لسبين وجعل ما صلة .

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ .

قال ابن عباس : شديد الصفرة وقال عدى بن زيد :

وإني لأسقى الشرب صفراً فاقعاً ❖ كأن ذكى المسك فيها يعبق

قتادة وأبو العالية والربيع : صاف .

سعید بن جبیر : صفراء اللون والظلف .

الحسن : السوداء ، والعرب تسمى الأسود أصفر . قال الأعشى :

تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفرا وأولادها كالزبيب

قال القتيبي : غلط من قال الصفراء هاهنا السوداء ؛ لأن هذا غلط في نعوت البقر .

وإنما هو في نعوت الإبل ؛ وذلك أن السوداء من الإبل شربت سوادها صفرة ، والآخر أنه

لو أراد السوداء لما أكده بالفقوع لأن الفاقع المبالغ في الصفرة . كما يقال : أبيض يفق وأسود

حالك وأحمر قاني وأخضر ناضر .

﴿تَسْرُّ النَّظِيرِينَ﴾ إليها وتعجبهم من حسنها وصفاء لونها ؛ لأن العين تسر وتولع بالنظر إلى

الشيء الحسن .

الحسن قال : من لبس نعلأ صفراء قلّ همّه لأن الله يقول : صفراء فاقع لونها تسر الناظرين

﴿تَأَلَّوْا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ﴾ أسائمة أم عاملة .

﴿إِنَّ الْبَقْرَ﴾ هذه قراءة العامة ، قرأ محمد ذو الشامة الأموي إن الباقر وهو جمع البقر

كالجامل لجماعة الجمل وقال الشاعر :

مالى رأيتك بعد عهدك موحشاً خلقاً كحوض الباقر المتهدم

قال قطرب : تجمع البقرة - بقر ، وبقار ، وبقير ، وبقور ، وباقور . فإن قيل : لما قال تشابه

والبقر جمع فلم لم يقل تشابهت ؟ قيل فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه ذكر لتذكير بلفظ البقر ، كقوله : ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعٍ﴾ (القمر : ٢٠) .

وقال المبرد : سئل سيويه عن هذه الآية ؟

(فقال :) كل جمع حروفه أقل من حروف واحد فإن العرب تُذكّره ، واحتج بقول

الأعشى :

❖ ودّع هريرة إن الركب مرتحل ❖

ولم يقل مرتحلون ، وقال الزجاج : معناه إن جنس البقر تشابه علينا .

﴿تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ وفي تشابه سبع قراءات:

تشابه: بفتح التاء والهاء وتخفيف الشين وهى قراءة العامة وهو فعل ماض ويذكر موحد.
 وقرأ الحسن: تشابه: بتاء مفتوحة وهاء مضمومة وتخفيف الشين أراد تشابه.
 وقرأ الأعرج: تشابه: بفتح التاء وتشديد الشين وضم الهاء على معنى يتشابه.
 وقرأ مجاهد: تشبه، كقراءة الأعرج إلا أنه بغير ألف لقولهم: تحمل وتحامل.
 وفي مصحف أبي: تشابهت على وزن تفاعلت (فالتاء) لتأنيث البقر.
 وقرأ ابن أبي إسحاق: تشابهت بتشديد الشين قال أبو حاتم: هذا غلط لأن التاء لا تدغم فى هذا الباب إلا فى المضارعة.

وقرأ الأعمش: متشابه علينا - جعله اسماً.

ومعنى الآية: التبس واشتبه أمره علينا فلا نهتدى إليه.

﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى وصفها.

قال رسول الله ﷺ: «وإيم الله لئن لم يستبينوا لما تبينت لهم آخر الأبد».

﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾ مذكلة بالعمل - يُقال: رجل ذليل بين الذل، ودابة ذلولة بينة الذل.

﴿تُشِيرُ الْأَرْضُ﴾ أى مثلها للزراعة.

﴿وَلَا تَسْقَى الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً﴾ بريئة من العيوب، وقال الحسن: مسلمة القوائم ليس فيها أثر العمل.

﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ قال عطاء: لا عيب فيها.

قال قتادة: لا بياض فيها أصلاً.

مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد.

محمد بن كعب: لا لون فيها يخالف معظم لونها.

فلما قال هذا ﴿قَالُوا أَلَيْسَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ أى بالوصف التام البين.

قيل: كانت البقرة التى أحيا بها القاتيل لوارثه الذى قتله، وكان أول من فتح السؤال عنها رجاء أن لا يجدوها فطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها إلا عند الفتى البار. فاشتروها منه بماء مسكها ذهباً.

وقال السدى: اشتروها بوزنها عشر مرات ذهباً.

﴿فَدَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ من غلاء ثمنها.

وقال محمد بن كعب: وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ يعنى عاميل، وهذه الآية أوّل القصة.

﴿فَأَدْرَأَهُمُ﴾ فاختلقتم ﴿فِيهَا﴾ قاله ابن عباس ومجاهد ومنه قول القائل فى رسول الله ﷺ: كان يزكى فكان خير شريك لا يدارى ولا يمارى.

قال الضحّاك: اختصتم.

عبد العزيز بن يحيى: شككتم.

الربيع بن أنس: تدافعتم، وأصل الدراء: الدفع يعنى ألقى ذلك على هذا وهذا على ذاك؛ فدافع كل واحد عن نفسه كقوله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ (الرعد: ٢٢، القصص: ٥٤)، وقوله: ﴿وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ (النور: ٨)، وأصل قوله^(١) والباء صلة.

أبو عبيدة: احتملوا وأقروا به، ومنه الدعاء المأثور^(١) وأصل: فادارأتم فتدارأتم فادغمت التاء فى الدال وأدخلت الألف ليسلم سكون الحرف الأول بمثل قوله ﴿أَتَأْتَلْتُمْ﴾ (التوبة: ٣٩).

﴿وَاللَّهُ مُخْرَجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تخفون.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ يعنى القتل.

﴿بِبَعْضِهَا﴾ أى ببعض البقرة: فاختلفوا فى هذا البعض ما هو؟

فقال ابن عباس: اضربوه بالعظم الذى يلى الفخذين وهو المقتل.

الضحّاك: بلسانها. قال الحسين بن الفضل: وهذا أولى الأقاويل لأنّ المراد كان من إحياء القتل كلامه واللسان آتته.

سعيد بن جبير: ضربت بذنبها. قال يمان: وهو أولى التأويلات بالصواب لأنّ العصعص أساس البدن الذى ركب عليه الخلق وأنه أوّل ما يخلق وآخر ما يبلى. مجاهد: بذنبها.

عكرمة والكلبى: بفخذها الأيمن.

السدى: بالبضعة التى بين كتفها، وقيل: بإذنها.

ففعّلوا ذلك فقام القتل حياً بإذن الله وأوداجها تشخب دمًا وقال: قتلنى فلان. ثم سقط ومات مكانه، وفى الآية اختصار، وتقديرها: فقلنا اضربوه ببعضها فضرب فحيى كقوله: تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: ١٨٥) يعنى فافطر فعدة، وقوله:

(١) بياض بالأصل المخطوط.

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَدِينَهُ﴾ (البقرة: ١٩٦) أى فحلق ففدية .

﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ كما أحيا عاميل بعد موته كذلك يحيى الله الموتى .

﴿وَوَيْكُمُ آيَاتِهِ﴾ دلائل آياته . ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وقال الواقدي : كل شيء فى القرآن فهو

بمعنى لكى غير التى فى الشعراء : ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ (الشعراء: ١٢٩) فإنه بمعنى : كأنكم تخلدون فلا تموتون .



﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَّجِرُ مِنْهُ إِلَّا نَهْرٌ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْتَقُّ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ * أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه، من بعد ما عقلوه وهم يعلمون * وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون * ألا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون * ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون * فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون *﴾

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ﴾ قال الكلبى : قالوا بعد ذلك لم نقتله ، وأمكروا فلم يكونوا قط أعمى قلبا ولا أشد تكذيبا لنبيهم منهم عند ذلك قال الله : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ الكلبى وأبو روق : يبست واشتدت وقال سائق البربرى :

ولا أرى أثرا للذكر فى جسدى والحبل فى الجبل القاسى له أثر

أبو عبيدة : جفت .

الواقدي : جفت من الشدة فلم تلتن .

المؤرخ : غلظت ، وقيل : اسودت .

قال الزجاج : تأويل القسوة ذهاب اللين ، (وقال سيويه) والخشوع والخضوع .

﴿ذَلِكَ﴾ أى بعد ظهور الدلالات .

﴿فَهِيَ﴾ غلظها وشدتها .

﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ أى بل أشد قسوة كقول الشاعر :

بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى وصورتها أو أنت فى العين أملىح
أى بل ، وقيل : هو بمعنى الواو والألف صلة أى وأشد قسوة . كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَوْ
كْفُورًا﴾ (الإنسان: ٢٤) أى وكفوراً .

وقرأ أبو حياة : أو أشد قساوة ، وقال الكسائى : القسوة والقساوة واحد كالشقوة والشقاوة
ثم عذر الحجارة وفضلها على القلب القاسى فقال : ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾
وقرأ مالك بن دينار ينفجر بالنون كقوله : ﴿فَأَنْفَجَرَتْ﴾ (البقرة: ٦٠) ، وفى مصحف أبى : منها
الأنهار - رد الكناية إلى الحجارة .

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ﴾ أى يتشقق هكذا قرأها الأعمش .

﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله .

﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ عز وجل وقلوبكم يا معاشر اليهود لا تلين ولا تخشع ولا تأتى بخير .

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيد وتهديد أى بتارك عقوبة ما تعملون بل يجازيكم به .

﴿أَقْطَمْعُونَ﴾ أى فترجون - يعنى - محمداً ﷺ وأصحابه .

﴿أَنْ يُؤْمِنُوا الْكُفْرَ﴾ لن يصدقكم اليهود .

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ طائفة منهم .

﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ يعنى التوراة .

﴿ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ﴾ أى يُغيرونه أى ما فيه من الأحكام .

﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ علموه وفهموه كما غيروا آية الرجم وصفة محمد ﷺ .

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون - هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة ووهب والسدى .

وقال ابن عباس ومقاتل : نزلت هذه الآية فى السبعين المختارين ؛ وذلك أنهم لما ذهبوا مع
موسى إلى الميقات وسمعوا كلام الله وما يأمره وما ينهاه رجعوا إلى قومهم فأما الصادقون فأدوا
كما سمعوه وقالت طائفة منهم : سمعنا الله فى آخر كلامه يقول : إن استطعتم أن تفعلوا هذه
الأشياء فافعلوا فإن شئتم فلا تفعلوا ولا بأس .

﴿وَإِذَا قُرَأَ﴾ قرأ ابن السميعة لاقوا : يعنى منافقى اليهود .

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالسننهم لا بقلوبهم أباً بكر وأصحابه من المؤمنين .

﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ كإيمانكم وشهدنا أن محمداً صادق نجه فى كتابنا بنعته وصفته .

﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رجع بعضهم إلى بعض أى كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد ووهب بن يهودا

وغيرهم من رؤساء اليهود ولا مؤههم على ذلك و﴿قَالُوا اتَّخَذْتُمْ بِمَا نَحْنُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال الكلبي :

بما قضى الله عليكم فى كتابكم أن محمداً حق وقوله صدق، وقال القاضى الفتح الكسائى: بما بينه لكم فى كتابكم (من العلم ببعث محمد والبشارة به).

الواقدى: بما أنزل الله فى الدنيا والآخرة عليكم نظير ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦) أى أنزلناه.

أبو عبيدة والأخفش: بما من الله عليكم وأعطاكم.

﴿لِيَخَاجُوكُمْ﴾ ليخاصموكم ويحتجوا بقولكم عليكم (يعنى أصحاب محمد).

﴿بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ وقال بعضهم: هو أن الرجل من المسلمين كلما يلقى قرينه وحليفه وصديقه من اليهود فيسأله عن أمر محمد ﷺ فيقولون إنه لحق (فيقولون قد أقررتم أنه نبي حق فى كتابكم ثم تتبعونه) وهو نبي. فيرجعون إلى رؤسائهم فيلومونهم على ذلك.

قال السدى: كان ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا وكانوا يحدثون المؤمنين بما عذبوا به. فقال لهم رؤسائهم: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم أى أنزل من العذاب ليعيروكم به ويقولوا: نحن أكرم على الله منكم.

(ابن جرير عن) القاسم بن أبى برة: هذا قول يهود قريظة بعضهم لبعض حين سبهم النبى ﷺ فقال: يا إخوان القردة والخنازير وعبد الطاغوت، فقالوا: من أخبر محمداً بهذا؟ ما خرج هذا إلا منكم.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أفليس لكم ذهن الإنسانية.

قال الله ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ما يخفون وما يبدون يعنى اليهود، وقرأ ابن محيصن «ما» على الخطاب ﴿وَمِنْهُمْ﴾ من اليهود.

﴿أُمِّيُونَ﴾ قال ابن عباس وقتادة: يعنى غير عارفين معانى الكتاب. يعلمونه حفظاً وقرأه بلا فهم ولا يدرون ما فيه.

وقال الكلبى: لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته ودليل هذا التأويل قول النبى ﷺ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ الشَّهْرَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا».

وقال أهل المعانى: الأمى منسوب إلى الأمة وما عليه العامة معنى الأمى: العامى الذى لا تمييز له، أو هو جمع أمى منسوب إلى الأم كأنه باق على (الحقيقة) حذف منه هاء التأنيث لأنها زائدة وياء النسبة زائدة، ونقلت فرقاً بينها وبين ياء الإضافة.

﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أُمَانِي﴾ قرأ العامة بتشديد الياء.

وقرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة والأعرج ﴿أُمَانِي﴾ بتخفيف الياء فى كل القرآن حذفوا إحدى

اليابن استخفافاً وهي ياء الجمع مثل مفاتيح ومفاتيح .

وقال أبو حاتم: كل جمع من هذا الجنس واحد مشدد فلك فيه التضعيف والتشديد مثل فخاتي وأمانى وأغانى وغيرها واختلفوا فى معنى الأمانى، وقال الكلبي بمعنى لا يعلمون إلا ما تحدثهم به علماؤهم .

أبو روق وأبو عبيدة: تلاوة وقراءة على ظهر القلب ولا يقرءونها فى الكتب، يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِذْ أَتَىٰ آلَ الشَّيْطَانِ فِي أُمْنِيهِ﴾ (الحج: ٥٢) وقرآنه .

قال الشاعر:

تمنى كتاب الله أول ليلة وأخرها لاقى حمام المقادر
مجاهد وقتادة: كذباً وباطلاً .

الفرأء: الأمانى: الأحاديث المفتعلة .

قال بعض العرب لابن (دلب): أهذا شىء رويته أم تمنيته؟

وأراد بأمانى الأنبياء التى كتبها علماؤهم من قبل أنفسهم ثم أضافوها إلى الله عز وجل من تغيير نعت محمد ﷺ .

الحسن وأبو العالية: يعنى يتمنون على الله الباطل والكذب مثل قولهم: ﴿لَنْ تَسْنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠) وقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ (البقرة: ١١١)، وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُرُ﴾ (المائدة: ١٨) .

﴿وَأَنْ هُمْ﴾ ما هم . ﴿إِلَّا يَطْنُونَ﴾ ظناً ووهماً لا حقيقة ويقيناً قاله قتادة والربيع .

وقال مجاهد: يكذبون .

﴿قَوْلٌ﴾ روى أبو سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: «الويل وادٍ فى جهنم يهوى فيه

الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ إلى قعره» .

سعيد بن المسيب: واد فى جهنم لو سرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حرها .

ابن بريدة: جبل من قيح ودم .

ابن عباس: شدة العذاب .

ابن كيسان: كلمة يقولها كل مكروب .

الزجاج: كلمة يستغلها كل واقع فى الهلكة وأصلها العذاب والهلاك .

وقيل: هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل والثبور .

﴿لَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ وذلك أن أحبار

اليهود خافوا ذهاب ملكهم وزوال رئاستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة واحتالوا فى تعويق اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته فى التوراة وكان صفته فيها حسن الوجه ، حسن الشعر ، أكحل العين ، ربة فغيروها وكتبوا مكانها طويل أزرق ، سبط الشعر . فإذا سألهم سفلتهم عن محمد ﷺ قرءوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفاً لصفة محمد ﷺ فيكذبونه قال الله تعالى : ﴿ قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من تغيير نعت محمد .

﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من المأكول ولفظة الأيدي للتأكيد كقولهم مشيت برجلي ورأيت بعيني . قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَطِيرُ بِطَيْرِ بَجَنَاحِهِ﴾ (الأنعام: ٣٨) .
قال الشاعر :

❖ نظرت فلم تنظر بعينك منظرًا ❖

وقال أبو مالك : نزلت هذه الآية فى الكاتب الذى يكتب لرسول الله ﷺ وقد كان قرأ البقرة وآل عمران ، وكان النبي ﷺ يملئ : غفوراً رحيمًا ، فيكتب : عليماً حكيمًا ، فيقول له النبي ﷺ : «اكتب كيف شئت» ويملى عليه : عليماً حكيمًا ، فيكتب : سميعاً بصيراً ، فيقول النبي ﷺ : «اكتب كيف شئت» قال : فارتد ذلك الرجل عن الإسلام ولحق بالمشركين .
قال : أما يعلمكم محمد ﷺ أن كنت لأكتب ما شئت أنا ، فمات ذلك الرجل فقال النبي ﷺ : «إن الأرض لا تقبله» .

قال : فأخبرنى أبو طلحة : أنه أتى الأرض التى بات فيها فوجده منبوءًا ، فقال أبو طلحة : ما شأن هذا؟ قالوا : دفناه مراراً فلم تقبله الأرض .

❖ ❖ ❖

﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ بَلَىٰ مِنْ كَسْبِ سَيِّئَةٍ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ۗ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿وَقَالُوا﴾ يعنى اليهود.

﴿لَنْ نَسْتَأْذِنَكَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قدرًا مقدراً ثم يزول عنا العذاب وينقطع ، واختلفوا فى هذه الأيام ما هى .

وقال ابن عباس ومجاهد: قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود يقولون: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً واحداً ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قتادة وعطاء: يعنون أربعين يوماً التى عبد آباؤهم فيها العجل وهى مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم .

الحسن وأبو العالية: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا فى أمرنا أقسم ليعذبنا أربعين ليلة ثم يدخلنا الجنة فلن نتمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلة القسم فقال الله تعالى تكذيباً لهم: قل يا محمد ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُ﴾ ألف الاستفهام دخلت على ألف الوصل .

﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ موثقاً ألا يعذبكم إلا هذه المدة .

﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ وعده ، وقال ابن مسعود: بالتوعد يدلّ عليه قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مریم: ٨٧) يعنى قال: لا إله إلا الله مخلصاً ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال: ﴿بلى﴾ «بل وبلى» حرفا استدراك ولهما معنيان لفسى الخبر الماضى وإثبات الخبر المستقبل ، قال الكسائى: الفرق بين (بلى ونعم) ، أن بلى: إقرار بعد جحود ، ونعم: جواب استفهام بغير جحد ، فإذا قال: ألسنت فعلت كذا ، فيقول: بلى ، وإذا قال: ألم تفعل كذا؟ فيقول: بلى ، وإذا قال أفعلت كذا؟ فيقول: نعم .

قال الله تعالى: ﴿الرَّيْبَ كَذِبًا نَذِيرٌ﴾ ﴿قَالُوا بَلَى﴾ (الملك: ٨، ٩) وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ (الأعراف: ١٧٢) وقال فى غير الجحود: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ (الأعراف: ٤٤) ﴿وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا لِلْمَعْوَةِ نَحْنُ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ (الصفات: ١٦-١٨) قل نعم وإنما قال هاهنا بلى للجحود الذى قبله وهو قوله: ﴿لَنْ نَسْتَأْذِنَكَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ .

﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ يعنى الشرك .

﴿وَأَحْطَطَ بِهَا خَطِيئَتُهُ﴾ قرأ أهل المدينة خطيئاته بالجمع ، وقرأ الباقون خطيته على الواحدة ، وهو اختيار أبى عبيد وأبى حاتم والإحاطة الإحفاف بالشىء من جميع نواحيه واختلفوا فى معناها هاهنا .

وقال ابن عباس والضحاك وعطاء وأبو العالية والربيع وابن زيد: هى الشرك يموت الرجل

عليه فجعلوا الخطيئة الشرك .

قال بعضهم : هي الذنوب الكثيرة الموجبة لأهلها النار .

أبو زرير عن الربيع بن خيثم في قوله تعالى : ﴿ وَأَحْطَطَ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ قال : هو الذي يموت على خطيئته قبل أن يتوب ومثله قال عكرمة وقال مقاتل : أصرّ عليها .

مجاهد : هي الذنوب تحيط بالقلب كلما عمل ذنباً ارتفعت حتى تغشى القلب وهو الرين .
وعن سلام بن مسكين أنه سأل رجل الحسن عن هذه الآية ؟

فقال السائل : يا سبحان الله ألا أراك ذا الحية وما تدري ما محاطة الخطيئة ! انظر في المصحف فكل آية نهى الله عز وجل عنها وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهي الخطيئة المحيطة .

الكلبي : أوبقته ذنوبه دليله قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ (يوسف : ٦٦) : أى تهلكوا جميعاً .

وعن ابن عباس : أحيطت بما له من حسنة فأحبطته .

﴿ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ وهذا من العام المخصوص بصور منها إلا من تاب بعد أن حمل على ظاهره ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ في التوراة . قال ابن عباس : الميثاق : العهد الجديد .

﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ بالياء قرأه ابن كثير وحמיד وحمزة والكسائي .

الباقون : بالتاء وهو اختيار أبي عبيدة وأبي حاتم .

قال أبو عمرو : ألا تراه يقول : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة : ٨٣) فذلك المخاطبة على التاء .

قال الكسائي : إنما ارتفع لا يعبدون لأنّ معناه أخذنا ميثاق بني إسرائيل أن لا تعبدوا إلا الله فلما ألقى أن رفع الفعل ومثله قوله ﴿ لَا تَسْفِكُونَ ﴾ ، نظير قوله عز وجل : ﴿ قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ بِإِعْبَادِ ﴾ (الزمر : ٦٤) : يريد أن أعبد فلما حذف الناصبة عاد الفعل إلى المضارعة .

وقال طرفة :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

يريد أن أحضر ، فلما نزع (أن) رفعه .

وقرأ أبي بن كعب : لا تعبدوا جزماً على النهى أى وقلنا لهم لا تعبدوا إلا الله ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ووصيتاهم بالوالدين إحساناً برّاً بهما وعطفاً عليهما .

وإنما قال بالوالدين واحدهما والد؛ لأن المذكر والمؤنث إذا اقتربا غلب المذكر لخصته وقوته.
﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أى وبذى القرابة، والقربى مصدر على وزن فعلى كالحسنى والشعرى.
قال طرفة:

وقربت بالقربى وجدك له بنى فتحايك أمر للنكيثة أشهد

﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ جمع يتيم مثل ندامى ونديم وهو الطفل الذى لا أب له.

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ يعنى الفقراء.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ اختلفت القراءة فيه فقراً زيد بن ثابت وأبو العالية وعاصم وأبو عمرو

﴿حُسْنًا﴾ بضم الحاء وجزم السين وهو اختيار أبى حاتم دليله قوله عز وجل: ﴿بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾

(العنكبوت: ٨) وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا﴾ (النمل: ١١).

وقرأ ابن مسعود وخلف حسناً بفتح الحاء والسين وهو اختيار أبى عبيد وقوله: إنما اخترناها

لأنها نعت بمعنى قولاً حسناً.

وقرأ ابن عمر: حُسْنًا بضم الحاء والسين والتنوين مثل الرعب والنصب والسحت والسحق

ونحوها.

وقرأ عاصم والجحدري: إحساناً بالألف.

وقرأ أبى بن كعب وطلحة بن مصرف: حسنى وقرنت بالقربى بالتأنيث مرسله.

قال الثعلبى: سمعت القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبا بكر بن عبدوس يقول: مجازه

كلمة حسنى ومعناه قولوا للناس صدقاً وحقاً فى شأن محمد ﷺ فمن سألكم عنه فأصدقوه

وبينوا له صفته ولا تكتموا أمره ولا تغيروا نعتة هذا قول ابن عباس وابن جبير وابن جريج

ومقاتل دليله قوله: ﴿الرَّيْبُ عَلَيْكُمْ بِرَبِّكُمْ وَعَدَا حَسْنًا﴾ (طه: ٨٦) أى صدقاً.

وقال محمد بن الحنفية: هذه الآية تشمل البرّ والفاجر.

وقال سفيان الثورى: ائتمروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أى عرضتم عن العهد والميثاق ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾

نصب على الاستثناء.

﴿وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ وذلك أن قوماً منهم آمنوا.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ﴾ لا تريقون ﴿دِمَاءَكُمْ﴾ وقرأ طلحة بن مصرف تسفكون بضم

الفاء وهما لغتان مثل يعرشون ويعكفون.

وقرأ أبو مجلز: تسفكون بالتشديد على التكثير.

وقال ابن عباس وقتادة: معناه لا يسفك بعضكم دم بعض بغير حق وإنما قال (دماءكم) لمعنيين: أحدهما أن كل قوم اجتمعوا على دين واحد فهم كنفس واحدة. والآخر: هو أن الرجل إذا قتل غيره كأنما قتل نفسه لأنه يقاد ويقتص منه ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ أي لا يخرج بعضكم بعضاً من داره ولا تسبوا من جاوركم فتلجئوهم إلى الخروج بسوء جواركم.

﴿ثُمَّ أَقْرَبُوا﴾ بهذا العهد إنه حق.

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ اليوم على ذلك يا معشر اليهود.



﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَطَاهُرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْدُوهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخْفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ يعني يا هؤلاء فحذف النداء للاستغناء بدلالة الكلام عليه كقوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ (الإسراء: ٣) فهؤلاء لتبنيه ومبنى على الكسرة مثل أنتم ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ قراءة العامة بالتخفيف من القتل.

وقرأ الحسن: تقتلون بالثقل من التقتيل.

﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَطَاهُرُونَ عَلَيْهِم﴾ قراءة العامة وهم أهل الحجاز والشام وأبو عمرو ويعقوب: تظاهرون بتشديد الظاء، واختاره أبو حاتم ومعناه تظاهرون فأدغم التاء في الظاء مثل: اتاقتلم واداركوا.

وقرأ عاصم والأعمش وحمزة وطلحة والحسن وأبو عبد الرحمن وأبو رجاء والكسائي: تظاهرون بتخفيف الظاء، واختاره أبو عبيد ووجه هذه القراءة: أنهم حذفوا تاء الفاعل وأبقوا تاء الخطاب كقوله: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا﴾ (المائدة: ٢) وقوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ﴾ (الصفات: ٢٥).

وقال الشاعر:

تعاطسون جميعاً حول داركم فكلكم يا بني حمان مزكوم

وقرأ أبى ومجاهد: تظهرون مشدداً بغير ألف أى تتظهرون^(١) جميعاً تعاونون،
والظهر: العون سمى بذلك لإسناد ظهره إلى ظهر صاحبه.
وقال الشاعر:

تكثر من الإخوان ما اسطعت^(١) إذا استجدتهم فظهري
وما بكثير ألف خل وصاحب وإنّ عدواً واحداً لكثير
﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ بالمعصية والظلم.

﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَىٰ تَفَادَوْهُمُ﴾ قرأ عبد الرحمن السلمى ومجاهد وابن كثير وابن محيصن
وحميد وشبل والجاحدى وأبو عمرو وابن عامر: (أسارى تفدوهم) بغير ألف، وقرأ الحسن:
(أسرى) بغير ألف (تفادوهم) بالألف، وقرأ النخعى وطلحة والأعمش ويحيى بن رثاب
وحمزة وعيسى بن عمرو وابن أبى إسحاق: (أسرى تفدوهم) كلاهما بغير ألف وهى اختيار
أبى عبيدة.

وقرأ أبو رجاء وأبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وقتادة والكسائى ويعقوب: (أسارى
تفادوهم) كلاهما بالألف، واختاره أبو حاتم.
فالأسرى: جمع أسير مثل جريح وجرحى، ومريض ومرضى، وصريع وصرعى،
والأسارى: جمع أسير أيضاً مثل كسالى وسكارى، ويجوز أن يكون جمع أسرى نحو
قولك: امرأة سكرى ونساء سكارى، ولم يفرق بينهما أحد من العلماء الأثبات إلا أبو عمرو.
روى أبو هشام عن جبير الجعفى عن أبى عمرو قال: ما أسر فهو أسارى وما لم يؤسر فهو
أسرى، وروى عنه من وجه آخر قال: ما صار فى أيديهم فهم أسارى، وما جاء مستأسراً فهو
أسرى.

عن أبى بكر النقاش قال: سمعت أحمد بن يحيى ثعلب وقد قيل له هذا الكلام عن أبى
عمرو فقال: هذا كلام المجانين. يعنى لا فرق بينهما.

وحكى عن أبى سعيد الضرير أنه قال: الأسارى: هم المقيدون المشدّدون والأسرى: هم
المأسورون غير المقيدون. فأما قولهم تفدوهم بالمال وتنفذوهم بفدية أو بشىء آخر،
وتفادوهم: تبادلوهم أراد مفاداة الأسير بالأسير، وأسرى: فى محل نصب على الحال.

فأما معنى الآية - قال السدى: إن الله عز وجل أخذ على بنى إسرائيل فى التوراة أن لا يقتل
بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم فأما عبد أو أمة وجدتموه من بنى إسرائيل

(١) بياض بالأصل المخطوط.

فاشتروه بما قام ثمنه فأعتقوه . فكانت قريظة حلفاء الأوس ، والنضير حلفاء الخزرج وكانوا يقتتلون في حرب نير . فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم ، وبنو النضير مع حلفائهم ، وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم منها فإذا أسر رجل من الفريقين كليهما جمعوا له حتى يفدوه وإن كان الأسير من عدوهم فيعيبرهم العرب بذلك وتقول : كيف يقاتلونهم ويفدونهم ! ويقولون : إننا قد أمرنا أن نفديهم وحرّم علينا قتالهم . قالوا : فلم تقاتلونهم ؟

قالوا : نستحي أن تستذل حلفاؤنا فذلك حين عيرهم الله تعالى فقال : ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ﴾ الآية ، وفي الآية تقديم وتأخير نظمها : وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وهو محرم عليكم إخراجهم وإن يأتوكم أسارى تفدوهم .

وكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود : ترك القتل ، وترك الإخراج وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم وفداء أسرائهم . فأعرضوا عن كل ما أمروا إلا الفداء . فقال الله عز وجل : ﴿أَقْتَرِمُونِ بَعْضَ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فإيمانهم بالفداء وكفرهم بالقتل والإخراج والمظاهرة . قال مجاهد : يقول : إن وجدته في يد غيرك فديته ، وأنت تقتله بيدك ، وقيل : معناه يستعملون البعض ويتركون البعض ، تفادون أسراء قبيلتكم وتركون أسراء أهل ملتكم فلا تفادوهم .

قال الله عز وجل : ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ يا معشر اليهود ﴿إِلَّا خِزْيٌ﴾ عذاب وهوان .

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فكان خزي قريظة القتل والسبي ، وخزي بنو النضير الجلاء والنفي عن منازلهم وجنانهم إلى أذرعات وأريحا من الشام .

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرُدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ وهو عذاب النار وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى وأبو رجاء والحسن : تُرَدُّونَ بالناء ، لقوله ﴿أَقْتَرِمُونِ﴾ .

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالناء مدنى وأبو بكر ويعقوب ، والباقون : بالناء .

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا﴾ استبدلوا .

﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ﴾ يهون ويرقه .

﴿عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله .



﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَتَّقُونَ ﴿١٧٠﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧١﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٧٢﴾ بَلَسَّمَا أَسْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبِأَوْ بَعْضِ عَلَىٰ غَضَبٍ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ أعطينا .

﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة جملة واحدة .

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أردفنا واتبعنا .

﴿مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ رسولا بعد رسول . يُقَالُ : مضى أثره وقفا غيره ؛ فى التعدية وهو مأخوذ من قفا الإنسان قال الله : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: ٣٦) ، وقال أمية بن الصلت :

قالت لأخت له قُصيه عن جنب وكيف تقفو ولا سهل ولا جدد

﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ العلامات الواضحات والدلالات اللإيحات وهى التى

ذكرها الله عز وجل فى سورة آل عمران والمائدة .

﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قويناه وأعناه من الآد والأيد ، مجاهد : أيدناه بالمد وهما لغتان مثل كرم

وأكرم .

﴿رُوحِ الْقُدُسِ﴾ خفف ابن كثير القدس فى كل القرآن ، وثقله الآخرون ، وهما لغتان مثل

الرَّعْب والسَّحْت ونحوهما ، واختلفوا فى روح القدس فقال الربيع وعكرمة : هو الرُّوح الذى

نفخ فيه إضافة إلى نفسه ؛ تكريماً وتخصيصاً نحو بيت الله ، وناقاة الله وعبد الله ، والقدس : هو

الله عز وجل يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (النساء: ١٧١) وقوله : ﴿فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾

(التحریم: ١٢) .

والآخرون : أرادوا بالقدس الطهارة يعنى الرُّوح الطاهر سمى روحه قدساً ؛ لأنه لم يتضمنه

أصلاب الفحولة ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث إنما كان أمراً من الله تعالى .

السَّدى والضَّحَّاك وقتادة وكعب: الروح القدس: جبرئيل قال الحسن: القدس: هو الله وروحه جبرئيل.

السَّدى: القدس: البركة وقد عظم الله بركة جبرئيل إذ أنزل الله عامة وحيه إلى أنبيائه على لسانه وتأييد عيسى عليه السلام بجبرئيل هو أنه كان قرينه يسير معه حيثما شاء والآخر أنه صعد به إلى السَّماء، ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (النحل: ١٠٢).

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وعبيد بن عمير: هو اسم الله الأعظم وبه كان يحيى الموتى ويرى الناس تلك العجائب.

وقال ابن زيد: هو الإنجيل جعل له روحاً كما جعل القرآن لمحمد ﷺ روحاً، يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى: ٥٢) فلما سمعت اليهود بذكر عيسى عليه السلام قالوا: يا محمد لا مثل عيسى كما زعمت ولا كما يقصّ علينا من الأنبياء (عليهم السلام) قالوا: فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقاً.

فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ يا معشر اليهود ﴿رَسُولٌ بِمَا لَمْ تُهْتَمُّ﴾ لا تحب ولا توافق. ﴿أَنْفُسِكُمْ أَتَكْتَبَرُونَ﴾ تكبرتم وتعظمتم عن الإيمان به. ﴿فَفَرِّقُوا﴾ طائفة سميت بذلك لأنها فرقة من الجملة. ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ عيسى ومحمداً.

﴿وَفَرِّقُوا تَفْتُلُونَ﴾ أى قتلتم زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الأنبياء.

﴿وَقَالُوا﴾ يعنى اليهود ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ قرأ ابن محيصة بضم اللام، وقرأ الباقون بجزمه. فمن خففه فهو جمع الأغلف مثل أصفر وصُفْر - وأحمر وحُمر وهو الذى عليه غطاء وغشاء بمنزلة الأغلف غير المحتون فالأغلف والأغلف واحد ومعناه عليها غشاوة فلا تعى ولا تفقه ما تقول يا محمد.

قال مجاهد وقتادة نظيره قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ (فصلت: ٥)، ومن ثقل فهو جمع غلاف مثل حجاب وحجب وكتب، ومعناه قلوبنا أوعية لكلّ علم فلا نحتاج إلى علمك وكتابتك. قاله عطاء وابن عباس.

وقال الكلبي: يريدون أوعية لكلّ علم فهى لا تسمع حديثاً إلاّ وعته إلاّ حديثك لا تفقهه ولا تعيه ولو كان فيه خيراً لفهمته ووعته.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ وأصل اللعن الطرد والإبعاد تقول العرب (غاء)

ولعين أى بعد . قال الشّماخ :

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذنب كالرجل اللعين

فمعنى قوله : لعنهم الله طردهم وأبعدهم من كل خير، وقال النضر بن شميل : الملعون المحزى المهلك .

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ معناه لا يؤمن منهم إلا قليلاً؛ لأن من آمن من المشركين أكثر من آمن من اليهود، قال قتادة، وعلى هذا القول ما : صلة معناه قليلاً يؤمنون، ونصب قليلاً على الحال . وقال معمر : معناه لا يؤمنون إلا بقليل بما فى أيديهم ويكفرون بأكثره، وعلى هذا القول يكون ﴿قَلِيلًا﴾ منصوباً بنزع حرف الصفة وما صلة أى بقليل يؤمنون . وقال الواقدى وغيره : معناه لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً، وهذا كقول الرجل لآخر : ما قل ما تفعل كذا يريد لا تفعله البتة .

وروى الفراء عن الكسائى : مررنا بأرض قلّ ما ينبت الكراث والبصل يريدون لا ينبت شيئاً .

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعنى القرآن .

﴿مُصَدِّقٌ﴾ موافق ﴿لَمَّا مَعَهُمْ﴾ وقرأ إبراهيم بن أبى عبلة مصدقاً بالنصب على الحال .

﴿وَكَانُوا﴾ يعنى اليهود ﴿مِن قَبْلُ﴾ أى من قبل بعث محمد ﷺ ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون، قال

الله تعالى : ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ (الأفقال : ١٩) أى إن تستنصروا فقد جاءكم النصير .

وفى الحديث عن النبى ﷺ (أنه) كان يستفتح القتال بصعاليك المهاجرين .

﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مشركى العرب وذلك أنهم كانوا يقولون إذا حزم أمر ودهمهم عدو :

«اللهم انصرنا عليهم بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته وصفته فى التوراة»، وكانوا

يقولون زماناً لأعدائهم من المشركين قد أطل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا، ونقتلكم معه

قتل عاد وإرم .

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ يعنى محمداً ﷺ من غير بنى إسرائيل، وعرفوا نعته وصفته .

﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ بغياً وحسداً .

﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿بِنَسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ بنس ونعم فعلان ماضيان وضعا للمدح

والذم لا يتصرفان تصرف الأفعال ومعنى الآية : بنس الذى اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا

الباطل بالحق، والكفر بالإيمان .

وقيل : معناه بنس ما باعوا به حظ أنفسهم .

﴿يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني القرآن .

﴿بَغْيًا﴾ بالبغي وأصل البغي الفساد . يُقال : بغى الجرح إذا أمد وضمد .

﴿أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ النبوة والكتاب .

﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ محمد ﷺ .

﴿فَبَاءَ وَبَغَضَ عَلَى غَضَبٍ﴾ أى مع غضب .

قال ابن عباس : الغضب الأول بتضييعهم التوراة ، والغضب الثانى بكفرهم بهذا النبى الذى اتخذه الله تعالى فيهم .

قتادة وأبو العالية : الغضب الأول - بكفرهم بعبسى عليه السلام والإنجيل - والثانى : كفرهم

بمحمد ﷺ والقرآن .

السدى : الغضب الأول بعبادتهم العجل ، والثانى بكفرهم بمحمد ﷺ وتبديل نعتة .

﴿وَالْكَافِرِينَ﴾ وللجاحدين (لدين) محمد ﷺ من الناس كلهم .

﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يهانون فلا يعزؤون .



﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بَلَسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني القرآن .

﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ يعني التوراة .

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ أى بما سواه وبعده .

﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ يعني القرآن .

﴿مُصَدِّقًا﴾ نصب على الحال . ﴿لِمَا مَعَهُمْ﴾ قل لهم يا محمد : ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ﴾

ولم أصله (لا) فحذفت الألف فرقًا بين الخبر والاستفهام كقولهم : فيم وبم ولم ومم وعلام وحاتم ، وهذا جواب لقولهم : نؤمن بما أنزل علينا .

فقال الله عز وجل : ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ﴾ .

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة وقد ختم فيها من قتل الأنبياء ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾
بالدلالات الالاحات - والعلامات الواضحات .

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أى من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا﴾ أى استجبوا وأطيعوا
سميت الطاعة سمعاً على المجاز لأنه سبب الطاعة والإجابة ومنه قولهم: سمع الله لمن حمده
أى أجابه، وقال الشاعر:

دعوت الله حتى خفتُ ألاَّ يكون الله يسمع ما أقول

أى يجب .

﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك . ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك (أو سمعنا بالأذان وعصينا بالقلوب).

قال أهل المعانى: إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم، ولكن لما سمعوا الأمر وتلقوه بالعصيان
نُسب ذلك عنهم إلى القول اتساعاً، كقول الشاعر:

ومنهل ذبابة فى عيطل يقلن للرائد عشبت أنزل

﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ أى حبّ العجل، كقوله تعالى: ﴿وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢)،

وقال النابغة:

ككيف يواصل من أصبحت خلاله كأنى مرحب

أى لخلاله أنى مرحب، ومعناه أدخل فى قلوبهم حبّ العجل، وخالطها ذلك كإشراب
اللون لشدة الملازمة .

﴿يَكْفُرْهُ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُهُمْ﴾ أن تعبدوا العجل من دون الله (فالله لا يأمر بعبادة

العجل).

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بزعمكم وذلك أنهم قالوا: نؤمن بما أنزل علينا، فكذبهم الله تعالى .



﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿وَلَنْ يَّمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ

أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْحَرَجٍ

مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ

بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٠﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٨١﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ أَلَّا
يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الآية .

قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية: أن اليهود ادعوا دعواى باطلة، حكاها الله تعالى
عنهم فى كتابه كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَسْنَأَ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠).

وقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ (البقرة: ١١١).

وقوله: ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ رَبُّهُ﴾ (المائدة: ١٨) فكذبهم الله تعالى، وألزمهم الحجة. فقال:

قل يا محمد إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله.

﴿خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ﴾ خاصة؛ لقوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لِّلَّذِينَ كُفِّرُوا﴾ (الأنعام: ١٣٩)، قوله

﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الأعراف: ٣٢)، قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأحزاب: ٥٠) أى

خاصة من دون الناس.

﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ أى فأريدوه وحلّوه لأن من علم أن الجنة مآبه حن إليها ولا سبيل إلى

دخولها إلا بعد الموت فاستعجلوه بالتمنى.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فى قولكم محقين فى دعواكم، وقيل فى قوله تعالى ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾

أى ادعوا بالموت على الفرقة الكاذبة.

روى ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «لو تمنّوا الموت لغصّ كل إنسان منهم بريقه، وما بقى

على وجه الأرض يهودى إلا مات».

فقال الله تعالى ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ لعلمهم أنهم فى دعواهم كاذبون.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ يعنى اليهود. هذا من إعجاز القرآن لأنه تحداهم ثم أخبر أنهم لا

يفعلون بعد أن قال لهم هذه المقالة فكان على ما أخبر.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ اللام لام القسم والنون تأكيد القسم تقديره: والله لتجدنهم يا محمد يعنى

اليهود ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ وفى مصحف أبى على الحياة.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ قيل إنه متصل بالكلام الأوّل.

معناه وأحرص من الذين أشركوا. قال الفراء: وهذا كما يقال هو أسخى الناس ومن

حاتم: أى وأسخى من حاتم.

وقيل: هو ابتداء وتمام الكلام عند قوله: على حياتهم ابتدأ بواو الاستئناف وأضمر ﴿يُودُ﴾ اسماً تقديره: ومن الذين أشركوا من ﴿يُودُ أَحَدُهُمْ﴾ كقول ذو الرمة:

فظلوا ومنهم دمه سابق له وآخر يذرى دمه العين بالهمل

أراد ومنهم من دمه سابق، وأراد بالذين أشركوا المجوس.

﴿يُودُ﴾ يريد ويتمنى.

﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يَعْمُرُ أَلْفٌ﴾ تقديره تعميم ألف.

﴿أَلْفٌ سَنَةٍ﴾ قال المفسرون: هو تحية المجوس فيما بينهم عشر ألف سنة وكلمة ألف نيروز

ومهرجان.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُرْخِرِ حَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ من النار.

﴿أَنْ يَعْمَرَ﴾ أى تعميره: زحزحته فزحزح: أى بعدته فتباعده يكون لازماً ومتعدياً. قال ذو

الرمة فى المتعدى:

يا قابض الروح من نفسى إذا احتضرت وغافر الذنب زحزحنى عن النار

وقال الراجز، فى اللازم:

خلى ما بال الدجى لا يزحزح وما بال ضوء الصبح لا يتوضّح

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ الآية.

قال ابن عباس: إن حبراً من أخبار اليهود يُقال له عبد الله بن سوريا كان قد حاج النبى ﷺ

وسأله عن أشياء. فلما اتجهت الحجة عليه قال: أى ملك يأتيك من السماء؟

قال: «جبرئيل ولم يُبعث الكتاب لأنبياء قط إلا وهو وليه». قال: ذلك عدونا من الملائكة

ولو كان ميكائيل مكانه لآمنّا بك؛ لأنّ جبرئيل ينزل بالعذاب والقتال والشقوة وإنّه عادانا مراراً

كثيرة، وكان أشد ذلك علينا أنّ الله تعالى أنزله على نبينا عليه السلام: إنّ بيت المقدس

سيُخرب على يد رجل يقال له: بخت نصر، وأخبرنا بالحين الذى يُخرب فيه، فلما كان وقته

بعثنا رجلاً من أقوياء بنى إسرائيل فى طلب بخت نصر ليقته فانطلق يطلبه حتى لقيه ببابل

غلاماً مسكيناً ليست له قوة. فأخذه صاحبنا ليقته فدفع عنه جبرئيل عليه السلام وقال

لصاحبنا إن كان ريكم هو الذى أذن فى هلاككم فلن تسلط علينا وإن لم يكن هذا فعلى أى

حق تقتله فصدقه صاحبنا ورجع عليه السلام: فكبر بخت نصر وقوى وغزانا وخرب بيت

المقدس؛ فلهذا نتخذة عدواً. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال مقاتل: قالت اليهود إن جبرئيل عدونا أمرنا أن تجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا فأنزل

الله تعالى هذه الآية .

قتادة وعكرمة والسدى : فكان لعمر بن الخطاب (رضى الله عنه) أرض بأعلى المدينة وممرها على مدارس اليهود، وكان عمر إذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم ويكلمهم . فقالوا : يا عمر ما فى أصحاب محمد أحب إلينا منك . إنهم يرون هنا فيؤذونا وأنت لا تؤذينا وإنما لنطمع فيك فقال عمر : والله ما أحبكم لحبكم ، ولا أسألکم لأنى شاك فى دينى ، وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة فى أمر محمد ﷺ وأرى آثاره فى كتابكم . فقالوا : من نصب محمد من الملائكة؟ قال : جبريل . فقالوا : ذلك عدونا يطلع محمداً على سرنا ، وهو صاحب عذاب وخسف وسنة وشدة ، وإن ميكائيل جاء بالخصب والسلم . فقال لهم عمر : أتعرفون جبرئيل وتنكرون محمداً! قالوا : نعم .

قال : فأخبرونى عن منزلة جبرائيل وميكائيل من الله عز وجل؟

قالوا : جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، وميكائيل عدو لجبرائيل فقال عمر : وإنى أشهد أن من كان عدواً لجبرائيل فهو عدو لميكائيل ومن كان عدواً لميكائيل فهو عدو لجبرائيل ، ومن كان عدواً لهما فإن الله عدو له ، ثم رجع عمر إلى رسول الله ﷺ فوجد جبرائيل قد سبقه بالوحي فقرأ عليه رسول الله ﷺ هذه الآية وقال : «لقد وافقك ربك يا عمر» فقال عمر : لقد رأيتنى فى دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر .

قال الله تعالى تصديقاً لعمر (رضى الله عنه) ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ وفى جبرائيل سبع

لغات :

(جبرئيل) مهموز ، مشبع مفتوح الجيم والراء ، وهى قراءة حمزة والكسائى وأبى بكر وخلف واختيار أبى عبيد ، وقال : رأيت فى مصحف عثمان الذى يقال له : الإمام بالياء فى جبريل وميكائيل (والياء قبل) الياء تدل على الهمزة ، وقال الشاعر :

شهدنا فما يلقى لنا من كتيبة مدى الدهر إلا جبرئيل إمامها

و(جبرائيل) ممدود ، مهموز ، مشبع ، على وزن جبراعيل ، وهى قراءة ابن عباس وعلقمة

وابن وثاب .

و(جبرائل) ممدود ، مهموز ، مختلس على وزن جبراعل وهى قراءة طلحة بن مصرف .

و(جبرئل) مهموز ، مقصور مختلس على وزن جبرعل ، وهى قراءة يحيى بن آدم .

و(جبرال) مهموز ، مقصور ، مشدد اللام من غير ياء ، وهى قراءة يحيى بن يعمر ، وعيسى

ابن عمر ، والأعمش .

(وجبريل) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وهى قراءة ابن كثير وأنشد لحسان:

وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس به خفاءً

(وجبريل) بكسر الجيم والراء من غير همزة وهى قراءة على، وأبى عبد الرحمن، وأبى

رجاء، وأبى العالية، وسعيد بن المسيب، والحسن، ومعظم أهل البصرة والمدينة، واختيار أبى حاتم، وقد روى عن النبى ﷺ ذلك.

وعن شبل عن عبد الله بن كثير قال: رأيت رسول الله ﷺ فى المنام وهو يقرأ جبريل بكسر

الجيم والراء من غير همز. فلا أقرأها إلا هكذا.

قال الثعلبى: والصحيح المشهور عن ابن كثير ما تقدم والله أعلم.

أما التفسير، فقال العلماء: جبر هو العبد بالسريانية وأيل هو الله عز وجل يدل عليه ما

روى إسماعيل عن رجاء عن معاوية برفعه قال: إنما جبرئيل وميكائيل كقولك: عبد الله وعبد الرحمن، وقيل جبرئيل مأخوذ من جبروت الله، وميكائيل من ملكوت الله.

﴿قَائِنَهُ﴾ يعنى جبرئيل. ﴿نَزَلَهُ﴾ يعنى القرآن كتابه عن غير مذكور كقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ

النَّاسَ بِمَا كُتِبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ (فاطر: ٤٥) يعنى الأرض، وقوله: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (ص: ٣٢) يعنى الشمس.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ يا محمد ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمر الله.

﴿مُصَدِّقًا﴾ موافقًا.

﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما قبله من الكتب.

﴿وَهَدَىٰ وَبَشَّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ أخرجهما

بالذكر من جملة الملائكة ومواضعهم على جهة التفضيل والتخصيص، كقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَكِيهَةٌ وَنُحْلٌ وَرُمَانٌ﴾ (الرحمن: ٦٨) وميكائيل أربع لغات:

ممدود، مهموز، مشبع على وزن ميكاعيل، وهى قراءة أهل مكة والكوفة والشام.

﴿وَمِيكَالَ﴾ ممدود، مهموز مختلس مثل ميكاعل، وهى قراءة أهل المدينة.

(وميكيل) مهموز مقصور على وزن ميكعل، وهى قراءة الأعمش وابن محيصن.

(وميكال) على وزن مفعال وهى قراءة أهل البصرة. قال الشاعر:

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر جبريل وميكال

وقال جرير:

عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد ويجبرئيل وكذبوا ميكالا

ومعنى الآية من كان عدواً لأحد هؤلاء فإن الله عدو له والواو فيه بمعنى أو . كقوله تعالى :
 ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ الآية لأن الكافر بالواحد كافر بالكل . فقال ابن صوريا : يا
 محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك بها . فأنزل الله عز وجل :
 ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ مَفْصَلَاتٍ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ .
 ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَلْسِفُونَ﴾ الحادون عن أمر الله .



﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ
 مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ
 كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ
 الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرُوا وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بَابِلَ هَدَرَاتٍ وَمَسْرُوتٍ
 وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ
 وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا
 لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ
 ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا الْمُتُوبَةَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿

﴿أَوْ كَلَّمَا﴾ واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام . كما يدخل على الفاء في قوله ﴿أَفَأَنْتَ
 تَسْمَعُ الصَّهَّةَ﴾ (يونس : ٤٢) ﴿أَفَتَخَذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ (الكهف : ٥٠) وعلى ثم كقوله تعالى ﴿أَثَرٌ إِذَا مَا
 وَقَعَ﴾ (يونس : ٥١) ونحوها .

وقرأ ابن السَّمَاكِ العدوى : ساكنة الواو على النسق و(كلما) نصب على الظرف . ﴿عَاهَدُوا
 عَهْدًا﴾ يعنى اليهود .

قال ابن عباس : لما ذكر رسول الله ﷺ ما أخذ الله عليهم وما عهد إليهم فيه .
 قال مالك بن الصَّيْفِ : إنَّ الله ما عهد إلينا في محمد عهداً ولا ميثاقاً فأنزل الله تعالى هذه
 الآية يوضحه قراءة أبى رجاء العطاردى : أو كلما عاهدوا عهداً لعنهم الله ، دليل هذا التأويل
 قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (آل عمران : ١٨٧) .

وقال بعضهم : هو أن اليهود تعاهدوا لئن خرج محمد لنؤمنن به ولنكونن معه على مشركى
 العرب ، وننفيهم من بلادهم ، فلما بعث نقضوا العهد وكفروا به دليله ونظيره قوله عز وجل :

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُرْسَلُ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٠١).

وقال عطاء: هي اليهود التي كانت بين رسول الله وبين اليهود فتقضوها كفعل قريظة والنضير دليله قوله: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِثْمَهُمْ ثُمَّ يَقْضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ (الأنفال: ٥٦).

﴿نَبَذَهُمْ﴾ أى رفضه وفى قول عبد الله: نقضه.

﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ طوائف من اليهود.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فأصل النبد الرمى والرفض له، وأنشد الزجاج:

نظرت إلى عنوانه فنبدته كنبذك نعلأأ خلقت من نعالكا

وهذا مثل من يستخف بالشىء ولا يعمل به، تقول العرب: اجعل هذا خلف ظهرك، ودبر أذنك، وتحت قدمك: أى اتركه وأعرض عنه قال الله تعالى: ﴿وَأَتَّخَذْتُمُوهَ وِرَاءَ كُفْرٍ ظَهْرِيًّا﴾ (هود: ٩٢)، وأنشد الفراء:

تيم بن قيس لا تكونن حاجتى بظهر ولا يعبا على جوابها

قال الشعبي: هو بين أيديهم يقرءونه ولكن نبذوا العمل به:

وقال سفيان بن عيينة: أدرجوه فى الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبد.

﴿وَاتَّبَعُوا﴾ يعنى اليهود.

﴿مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ﴾ أى ما تلت الشياطين.

كقول الشاعر:

فإذا مررت بقبره فاعقر به كؤم الحجان وكل طرف صالح

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد بكوه أخادم وذباح

وحكى عن الحسين بن الفضل أنه سئل عن هذه الآية فقال: هو مختصر مضمّر تقديره واتبعوا ما كانت تتلو الشياطين أى تقرؤه.

قال ابن عباس: يتبع ويعمل به.

عطاء وأبو عبيدة: يحدث ويتكلم به.

يمان: ترويه.

وقرأ الحسن: الشياطين بالواو فى موضع الرفع فى كل القرآن.

قال الثعلبي: وسمعت أبا القاسم الحبيبى يقول: سمعت أبا حامد الخارزنجى يقول: وسئل

عن قراءة الحسن؟

قال: هو فن وحسن عند أكثر أهل الأدب.
غير أن الأصمعي زعم أنه سمع أعرابياً يقول: بستان فلان حوله بساتون.
﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ أى فى ملكه وعهده كقول أبى النّجم:
❖ فهى على الأفق كعين الأحوال ❖

أى فى الأفق.

والملك تمام القدرة واستحكامها.

قال الزجاج فى قصة الآية: هى أنّ الشياطين كتبوا السّحر والنيرنجات على لسان آصف.
هذا ما علّم آصف بن برخيا سليمان الملك ثمّ وضعوها تحت مصلاه حين نزع الله ملكه ولم
يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه.
وقال الناس: إنّما ملككم سليمان بهذا فتعلّموه فأما علماء بنى إسرائيل وصلحائهم
فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان وإن كان هذا علمه لقد هلك سليمان.
وأما السفلة فقالوا: هذا علم سليمان فأقبلوا على تعلّمه ورفضوا كتب أنبيائهم وفشت
الملامة لسليمان فلم تنزل هذه حالهم حتى بعث الله تعالى محمّداً ﷺ وأنزل عذر سليمان عليه
السلام على لسانه وأظهر براءته عمّا رمى به فقالوا: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ﴾ الآية. هذا قول
الكعبى.

وقال السّدى: كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتقعد منها مقاعد السّمع فيستمعون كلام
الملائكة فيما يكون فى الأرض من موت أو غيره فيأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا كذباً وزوراً
فى كلّ سبعين كلمة سبعين كلمة ويخبرونهم بذلك فاكتب الناس ذلك وفشا فى بنى اسرائيل
أن الجنّ تعلم الغيب فبعث فى الناس فجمع تلك الكتب وجعلها فى صندوق ودفنها تحت
كرسيه وقال: لا أسمع أحداً يقول إنّ الشياطين تعلم الغيب إلاّ ضربت عنقه فلما مات سليمان
وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثّل
الشيطان على صورة إنسان فأتى نفرًا من بنى إسرائيل فقال: هل أدلكم على كنز لا ينفد أبداً.
قالوا: نعم. قال: فاحضروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان وقام ناحية وقالوا:
ادن. فقال: لا ولكن هاهنا فإن لم تجدوه فاقتلوني وذلك أنّهم لم يكن أحدٌ من الشياطين يدنو
من الكرسي إلاّ احترق فحضروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها. قال الشيطان: إنّ سليمان
كان يضبط الجنّ والإنس والطير بهذا ثمّ طار الشيطان وذهب وفشا فى الناس أنّ سليمان كان
ساحراً فاتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب ولذلك فكثير ما يوجد السحر فى اليهود فلما جاء محمّد

ﷺ خاصمه اليهود بها فبرأ الله تعالى سليمان من ذلك وأُنزل هذه الآية .

وقال عكرمة : كان سليمان عليه السلام لا يصبح يوماً إلا نبتت في محرابه في بيت المقدس

شجرة فيسألها : ما اسمك ؟

فتقول الشجرة : اسمي كذا ، فيقول : لأيّ داء أنت ؟

فتقول : لكذا وكذا ، فيأمر بها فتقطع وترفع في الخزانة وتغرس منها في البساتين حتى بعثت

الخرنوبة الشّامية فقال لها : ما أنت ؟

قالت أنا الخرنوبة . قال : لأيّ شيء نبت ؟ قالت : لخراب مسجدك . قال سليمان : ما كان

الله يخربه وأنا حي أنت الذي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها فغرسها في

حائط له فلم تنبت إلى أن توفى فجعل الناس يقولون في رضاهم : لو كان لنا مثل سليمان ،

وكتبت الشياطين كتاباً فجعلوه في مصلى سليمان . فقالوا للناس : من يدلّكم على ما كان

يداوى به فانطلقوا فاستخرجوا ذلك الكتاب فإذا فيه سحر ورقى فأنزل الله في هذه الآية ما

تفعل الشياطين واليهود على نبيّه محمد ﷺ : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ ﴾ .

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ۗ بِالسَّحْرِ فَإِنَّ السَّحْرَ كُفْرٌ .

﴿ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا ﴾ قرأ أهل الكوفة والشام بتخفيف النون ورفع الشياطين وكذلك في

الإيمان ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ (الأنفال: ١٧) ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ ﴾ (الأنفال: ١٧) .

الباقون : بالتشديد ونصب ما بعده ، ولكن كلمة لها معنيان نفى الخبر الماضي وإثبات الخبر

المستقبل ، وهى مبنية من ثلاث كلمات أصلها (لا كأن) لا نفى والكاف خطاب وإن نصب

ونسق فذهبت الهمزة استثقلاً وهى تثقل وتخفف فإذا ثقلت نصب بها ما بعدها من الأسماء

كما تنصب بان الثقيلة فإذا خففها رفعت بها ما ترفع بأن الخفيفة .

﴿ يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ قال بعضهم : السحر العلم والخطابة دليله قوله : بان السّاحر : أى

العالم .

وقال بعضهم : هو التمويه بالشيء حتى يتوهم المتوهم أنّه شيء ولا حقيقة له كالسراب غير

من رآه وأخلف من رجاه قال الله تعالى : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ (طه: ٦٦) .

﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ محل ما بعد اتباع التعليم عليه معناه لا يعلمون الذى أنزل على

الملكين أى^(١) ويجوز أن يكون نصباً بالإتباع تقديره : واتبعوا ما أنزل على الملكين ،

وجعل بعضهم ما جحداً وحينئذ لا محل له يعنى لم ينزل السّحر على الملكين كما زعم اليهود ،

(١) يياض بالأصل المخطوط .

وإنما يعلمونهم... (١) من ذات أنفسهم والقول الأوّل أصح.

وقرأ ابن عباس والحسن والضحاك ويحيى بن أبي كثير: ملكين بكسر اللام، وقالوا: هما رجلان ساحران كانا ببابل من الملائكة لا يعلمون الناس السحر، وفسرهما الحسن فقال: غلجان ببابل وهى بابل عراق وسمّى بابل لتبليل الألسنة بها عند سقوط صرح نمروذ أى تفرقها.

أو أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين فى ذلك الوقت فمن شقى بتعلم السحر منهما فيكفر به ومن سعد بتركه فيبقى على الإيمان فيزداد المعلمان بالتعليم عذاباً ففيه ابتلاء المعلم والمتعلم والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء كما يشاء فله الأمر والحكم.

وقال الخليل بن أحمد: إنما سميت بابل لأن الله تعالى حين أراد أن يخالف بين ألسنة بنى آدم بعث ريحاً فحضرتهم من كل أفق إلى بابل فلبيل الله ألسنتهم فلم يدر أحد ما يقول الآخر، ثم فرقتهم تلك الرياح فى البلاد وهو لا ينصرف؛ لأنه اسم موضع معروف.

﴿هَرُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ اسمان سريانيان فى محل الخفض على تفسير الملكين بدلاً منهما إلا أنّهما نصباً لعجمتهما ومعرفتهما وكانت قصتهما على ما ذكره ابن عباس والمفسرون: أنّ الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك فى زمن إدريس فعيروهم بذلك، ودعت عليهم قالوا: هؤلاء الذين جعلتهم فى الأرض واخترتهم فهم يعصونك. فقال الله عزّ وجلّ لهم: لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لارتكبتم ما ارتكبوه. فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك. قال الله تعالى: اختاروا ملكين من خياركم ثمّ أهبطهما إلى الأرض. فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأخصهم.

قال الكلبي: قال الله تعالى لهم: اختاروا ثلاثة: عزّا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت. غير اسمهما لما قارفا الذنب كما غير اسم إبليس وعزائيل فركب الله فيهم الشهوة التى ركبها فى بنى آدم. فأهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحقّ، ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحقّ والزنا وشرب الخمر. وأما عزائيل فأثمه لما وقعت الشهوة فى قلبه استقال ربّه، وسأله أن يرفعه إلى السماء، فأقاله ورفعه، فسجد أربعين سنة، ثمّ رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطئاً رأسه حياءً من الله عزّ وجلّ.

وأما الآخران فإنهما ثبتا على ذلك وكانا يغضبان من الناس يومهما فإذا أمسيا ذكرا اسم الله

الأعظم وصعدا إلى السماء .

قال قتادة : فما مر عليهما شهر حتى افتتنا قالوا جميعاً وذلك أنهم اختصم عليهما ذات يوم الزهرة ، وكانت من أجمل النساء . قال على بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وكانت من أهل فارس ، وكانت ملكة في بلدها . فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها وانصرفت ، ثم عادت في اليوم الثاني . ففعلا مثل ذلك . فأبت وقالت : لا إلا أن تعبدا ما أعبد وتُصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا : لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهانا عنها . فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها . فراوداها عن نفسها . فعرضت عليهما ما قالت بالأمس . فقالا : الصلاة لغير الله عظيم ، وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فانتعشا ووقعا بالمرأة وزنيا . فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه .

قال الربيع بن أنس : سجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكباً وقال على بن أبي طالب (كرم الله وجهه) والسدى والكلبى : إنها قالت لهما : لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء . فقالا : بسم الله الأكبر . قالت : فما أنتما تدركاني حتى تعلمانيه . فقال أحدهما لصاحبه : علمها . قال : فإني أخاف الله .

قال الآخر : فأين رحمة الله فعلماهما ذلك . فتكلمت به وصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكباً .

فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها وقيدوها . فقالوا : هي هذه الكوكبة الحمراء واسمها بالفارسية ناهيد ، وبالنبطية بيذخت يدل على صحة هذا القول ما روى جابر عن الطفيل عن على (رضى الله عنه) قال : كان النبي ﷺ إذا رأى سهيلاً قال : لعن الله سهيلاً إنه كان عشيراً باليمن ولعن الله الزهرة فإنها فتنت ملكين .

وقال مجاهد : كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي : أرمق بالكوكبة يعنى الزهرة فإذا طلعت فأيقظني . فلما طلعت أيقظته فجعل ينظر إليها ويسبها سباً شديداً . فقلت : رحمك الله سببت نجماً سامعاً مطيعاً ما له ليسب؟ فقال : إن هذه كانت بغياً . فلقى ملكان منها ما لقيا .

وكان ابن عمر إذا رأى الزهرة قال : لا مرحباً بها ولا أهلاً وروى أبو عثمان (المرندي) عن ابن عباس : أن المرأة التي فتن بها الملكان مسخت فهي هذه الكوكبة الحمراء يعنى الزهرة قال : وكان يسميها بيذخت . وأنكر الآخرون هذا القول . قالوا : إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله تعالى قواماً للعالم وأقسم بها فقال : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ الجوار

الْكُتْسِ ﴿التكوير: ١٥، ١٦﴾. قلنا كانت هذه التي فتنت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى زهرة من جمالها فلما بغت مسخها الله تعالى شهاباً فلما رأى رسول الله ﷺ الزهرة ذكر هذه المرأة لموافقة الاسمين فلنعنها، وكذلك سهيل العشار ولما رأى رسول الله ﷺ النجم ذكره فلعنه ويدل عليه ما روى قيس بن عباد عن ابن عباس في هذه القصة:

قال: كانت امرأة فضّلت على الناس كما فضّلت الزهرة على سائر الكواكب، ومثله قال كعب الأخبار والله أعلم.

قالوا: فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب همّا بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حلّ بهما فقصد إدريس النبي عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عزّ وجلّ فقالا له: إنا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاستشفع لنا إلى ربك؟

ف فعل ذلك إدريس فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا إذ علما أنّه ينقطع فهما ببابل يعذبان.

واختلف العلماء في كيفية عذابهما فقال عبد الله بن مسعود: هما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة.

قتادة: كبّلا من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما.

مجاهد: إنّ جباً ملئت ناراً فجعلها فيها معلقان منكسان في السلاسل.

عمير بن سعد: منكوسان يضربان بسياط الحديد.

ويروى أنّ رجلاً أراد تعلّم السحر فقصد هاروت وماروت فوجدهما معلقين بأرجلهم مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلاّ قدر أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال: لا إله إلاّ الله وقد نهى عن ذكر الله فلما سمعا كلامه قالوا له: من أنت؟ قال: رجل من الناس. قالوا: ومن أيّ أمة أنت؟

قال: من أمة محمد ﷺ. قالوا: وقد بعث محمد؟ قال: نعم قالوا: الحمد لله وأظهره الاستبشار. فقال الرجل: وممّ استبشاركما؟

قالوا: لأنّه نبى الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا. قالوا ومن ثمّ استغفار الملائكة لنبى آدم.

وعن الأوزاعي قال: المعنى أنّ جبرئيل أتى النبي ﷺ فقال له: «يا جبرئيل صف لى النار؟ فقال: إنّ الله أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرّت ثمّ أوقد عليها ألف عام حتى اصفرّت ثمّ أوقد عليها ألف عام حتى اسودّت فهي سوداء مظلمة لا يضىء لهيبها ولا جمرها،

والَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ النَّارِ أَظْهَرَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ لَمَاتُوا جَمِيعًا وَلَوْ أَنَّ ذَنْبًا مِنْ شَرَابِهَا صَبَّتْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لَقَتَلَ مِنْ ذَاقِهِ، وَلَوْ أَنَّ ذِرَاعًا مِنَ السَّلْسَلَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ وَضَعَهَا عَلَى جِبَالِ الْأَرْضِ جَمِيعًا لَذَابَتْ وَمَا اسْتَقَلَّتْ وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ النَّارَ ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهَا لَمَاتَ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنْ نَتَنِ رِيحِهِ وَتَشْوِيهِ خَلْقِهِ وَعَظْمِهِ فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ وَبَكَى جِبْرِئِيلُ لِبَكَائِهِ وَقَالَ: أَتَبْكِي يَا مُحَمَّدٌ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ! قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» وَلَمْ يَبْكِي يَا جِبْرِئِيلُ وَأَنْتَ الرُّوحُ الْأَمِينُ أَمِينُ اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ؟ قَالَ: أَخَافُ أَنْ ابْتَلَى بِمَا ابْتَلَى هَارُوتَ وَمَارُوتَ. فَهُوَ الَّذِي مَنَعَنِي عَنْ اتِّكَالِي عَلَى مَنْزِلَتِي عِنْدَ رَبِّي فَأَكُونُ قَدْ آمَنْتَ مَكْرَهُ فَلَمْ يَزَالَا يَبْكِيَانِ حَتَّى نَوَدِيَا مِنَ السَّمَاءِ أَنْ يَا جِبْرِئِيلُ وَيَا مُحَمَّدٌ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَنَكُمَا أَنْ تَعْصِيَاهُ فَيُعَذِّبَكُمَا فَفَضَّلَ مُحَمَّدٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كَفَضَّلَ جِبْرِائِيلُ عَلَى مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ.

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ يَعْنِي الْمَلَكَيْنِ ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ مِنْ صِلَةٍ لَا يَعْلَمَانِ السَّحْرَ أَحَدًا حَتَّى يَنْصَحَاهُ أَوْلَى وَيُنْهِيَاهُ وَيَقُولَا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ ابْتِلَاءٌ وَمِحْنَةٌ.

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلم السحر وأصل الفتنة الاختبار.

تقول العرب: فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتعرف جودته من رداءته.

وفتنت الشمس الحجر إذا سودته.

وإنما وحد الفتنة وهما اثنان؛ لأن الفتنة مصدر والمصادر لا تثني ولا تجمع كقولهم: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ وفي مصحف أبي: وما يعلم الملكان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات.

قال السدي وعطاء: فإن أبي إلا التعلّم قال له: ائت هذا الرماد فبل عليه فيخرج منه نور ساطع في السماء فتلك المعرفة وينزل شيء أسود حتى يدخل مسامعه يشبه الدخان وذلك غضب الله عز وجل.

قال مجاهد: إن هاروت وماروت لا يصل إليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة اختلافة واحدة.

وقال يزيد بن الأصم: سئل المختار: هل يرى اليوم أحد هاروت وماروت؟

قال: أما منذ ائففتك بابل ائففاكها الآخر لم يرها أحد.

قال قتادة: السحر سحران: سحر تعلّمه الشياطين وسحر يعلمه هاروت وماروت وهو قوله تعالى ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ وهو أن يؤخذ كل واحد منهما عن صاحبه ويغض كل واحد إلى صاحبه.

وفى (المراء) أربع قراءات: قرأ الحسن: المراء بفتح الميم وتشديد المراء جعله عوضاً عن الهمزة.

وقرأ الزهري: المراء بضم الميم والهمزة.

وحكى يعقوب عن جدّه: بكسر الميم والهمزة.

وقرأ الباقون: بفتح الميم والهمزة.

وأما كيفية تعليمهما السحر فقد ورد فى خبر جامع وهو ما روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ: أنها قالت: قدمت على امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبغى رسول الله ﷺ بعد موته حدّثة ذلك تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر قالت عائشة لعروة: يا ابن أختي فرأيتها تبكى حين لم تجد رسول الله ﷺ وكانت تبكى حتى إنى لأرحمها بقولى وإنى لأخاف أن تكون قد هلكت، قالت كان لى زوج فغاب عنى فدخلت على عجوز وشكوت إليها ذلك فقالت: إن فعلت ما أمرتك به فأجعله يأتيك فلما كان الليل جاءتنى بكلين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن حتى وقفنا على بابل، فإذا برجلين معلقين بأرجلهم فقالا: ما جاء بك؟ فقلت: أتعلم السحر.

فقالا: إننا نحن فتنة فلا تكفرى وارجعى فأبيت فقلت: لا.

قال: فاذهبى إلى ذلك التور فبولى فيه فذهبت ففزعت ولم أفعل فرجعت إليهما فقالا: فعلت، قلت: نعم. فقالا هل رأيت شيئاً؟ قلت: لم أر شيئاً.

فقالا: لم تفعلى ارجعى إلى بلدك ولا تكفرى فأبيت، فقالا: اذهبى إلى التور فبولى فيه.

فذهبت فاقشعرّ جلدى وخفت ثم رجعت إليهما فقلت قد فعلت. قالا: فما رأيت؟ قلت:

لم أر شيئاً.

فقالا: كذبت لم تفعلى، ارجعى إلى بلادك فلا تكفرى فإنك على رأس أمرك. فأبيت.

فقالا: اذهبى إلى ذلك التور فبولى فيه فذهبت إليه فبلت فيه، فرأيت فارساً مقنّعاً بالحديد خرج منى حتى ذهب فى السماء وقد غاب عنى حتى لم أراه فجهتتهما فقلت قد فعلت قالا: فما رأيت؟

رأيت؟

قلت: رأيت فارساً مقنّعاً بالحديد خرج منى فذهب فى السماء حتى ما أراه. قالا: صدقت

ذلك إيمانك خرج منك اذهبى إلى المرأة وقولى لها: والله ما أعلم شيئاً وما قال لى شيئاً، قالت

بلى، قالا: لن ترى شيئاً إلا كان. خذى هذا القمح فابذرى فبذرت فقلت: اطلعى فطلعت

فقلت: أحقلى فحقلت ثم قلت أفركى فأفركت ثم قلت اطحنى فطحنت ثم قلت اخبزى

فخبزت فلماً رأيت أنى لا أريد شيئاً إلا كان سقط فى يدي وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً .

فأما كيفية جواز تعليم السحر على الملائكة ووجه الآية وحملها على التأويل الصحيح :
فقال بعضهم : إنهما كانا لا يتعمدان تعليم السحر ولكنهما يصفانه ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه واعلم وعلم بمعنى واحد وفى هذا حكمة : وهى أن سائلاً لو سأل عن الزنا لوجب أن يوقف عليه ويعلم أنه حرام ، وكذلك إعلام الملكين الناس وأمرهما باجتنابه بعد الإعلام والإخبار أنه كفر حرام فيتعلم الشقى منهما وفى حلال صفتها وترك موعظتهما ونصيحتهما ولا يكون على هذا التأويل تعلم السحر كفرة وإنما يكون العمل به كفرة كما أن من عرف الزنا لم يأتى وإنما يأتى العامل به ، والقول الآخر والأصح : أن الله تعالى امتحن الناس بالملكين فى ذلك الوقت وجعل المحنة فى الكفر والإيمان أن يقبل القابل تعلم السحر فيكفر بتعلمه ويؤمن بترك التعلم ، لأن السحر كان قد كثر فى كل الأمة ويزداد المعلمان عذاباً بتعليمه فيكون ذلك ابتلاء للمعلم والمتعلم والله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بنى إسرائيل بالنهر فى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ﴾ (البقرة: ٢٤٩) يدل عليه قوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ قِتَّةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ وهذان حكاهما الزجاج واعتمدهما . قال الله تعالى :

﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ أى أحداً ومن صلة .

﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (أو إلا بقضاء الله أو إلا بإذن الله أى بمراى ومسمع) أى بعلمه وقضائه ومشيئته وتكوينه (والساحر يسحر ولا يكون شىء).

﴿ وَتَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ أى السحر وقرأ عبيد بن عمير : ما يضرهم من أضر يضر .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ يعنى اليهود ﴿ لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ اختار السحر .

﴿ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ ﴾ أى فى الجنة ﴿ مِنْ خَلْقٍ ﴾ من نصيب .

وقال الحسن : ما له فى الآخرة من خلاق من دين ولا وجه عند الله .

ابن عباس : من قوام ، وقيل من خلاص .

قال أمية :

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم إلا السرايل من قطر وإغلال

أى لا خلاص لهم .

﴿ وَلَيْسَ مَا شَرُّوا بِهِ ﴾ باعوا به حظاً ﴿ أَنفُسَهُمْ ﴾ حين اختاروا السحر والكفر على الدين والحق .

﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا ﴾ بمحمد ﷺ والقرآن .

﴿وَاتَّقُوا﴾ اليهودية والسحر .

﴿لَمُتَوِّبَةً﴾ (ويجوز المثوبة بفتح الميم وفتح الواو كمشورة وكمشورة وهى مصدر من الثواب)
 ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ لكان ثواب الله عز وجل إياهم .
 ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ .



﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ
 رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا
 نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ الآية : وذلك أن المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله
 وأرعنا سمعك يعنون من المراعاة، وكانت هذه اللفظة سباً قبيحاً بلغة اليهود، وقيل : كان معناه
 عندهم : اسمع لا سمعت، وقيل : هو إلحاد إلى الرعونة لما سمعتها اليهود اغتمموها، وقالوا
 فيما نسب بعضهم إلى محمد سراً . فأعلنوا الآن بالشتم، وكانوا يأتونه ويقولون : راعنا يا
 محمد ويضحكون فيما بينهم . فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها، وكان يعرف لغتهم . فقال
 لليهود : عليكم لعنة الله، والذي نفسى بيده يا معشر اليهود إن سمعنا من رجل منكم يقولها
 لرسول الله ﷺ لضربت عنقه . قالوا : أولستم تقولونها؟
 فأنزل الله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ لكى لا يجد اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم
 رسول الله ﷺ .

وفى هذه اللفظة ثلاث قراءات :

قرأ الحسن راعنا بالتنوين أراد قولاً راعناً : أى حقاً من الرعونة فحذف الاسم وأبقى
 الصفة . كقول الشاعر :

ولا مثل يوم فى قدار ظله كأنى وأصحابى على قرن أعفرا

أراد قرن ظبى أعفر . حذف الاسم وأبقى النعت .

وقرأ أبى بن كعب : راعونا بالجمع .

وقرأت العامة : راعنا بالواحد من المراعاة . يُقال : أرعى إلى الشئ وأرعاه وراعاه . إذا

أصغى إليه واستمعه . مثل قولهم : عافاه الله وأعفاه .

قال مجاهد: لا تقولوا راعنا: يعنى خلافاً.

يمان: هجرًا.

الكسائي: شرًا.

﴿وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾ قال أبو بن كعب: أنظرنا بقطع الألف أى أخرنا، وقرأت العامة موصولة

أى انظر إلينا. فحذف حرف التعدية كقول قيس بن الحطيم:

ظاهرات الجمال والحسن ينظرن كما ينظر الأراك الظبًا

أى إلى الأراك، وقيل: معناه انتظرنا وتأننا. كقول امرئ القيس:

فإنكما أن تنظرانى ساعة من الدهر تنفَعنى لدى أم جندب

وقال مجاهد: معناه فهمنا، وقال يمان: بين لنا.

﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به، والمراد به أطيعوا لأن الطاعة تحت السمع.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعنى اليهود.

﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية: وذلك أن المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم

من اليهود: آمنوا بمحمد قالوا: ما هذا الذى تدعوننا إليه بخير مما نحن عليه ولو... (١) لكان

خيرًا. فأنزل الله تعالى تكذيبًا لهم (ما يود): يريد ويتمنى الذين كفروا من أهل الكتاب يعنى

اليهود.

﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ مجرور فى اللفظ بالنسق على من مرفوع المعنى بفعله كقوله عز وجل ﴿وَمَا

مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ (الأنعام: ٣٨) ﴿أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أى خير كما نقول:

ما أتانى من أحد من فيه، وفى جوابها صلة، وهى كثيرة فى القرآن.

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ﴾ والاختصاص أوكد من الخصوص لأن الاختصاص لنفسك والخصوص

لغيرك.

﴿بِرَحْمَتِهِ﴾ بنبوته. ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ يخص بها محمدًا ﷺ.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (خبر علة أو المراد من الرحمة: الإسلام والهداية) ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ

أَوْ نُنسِئُهَا﴾ الآية وذلك أن المشركين قالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر لم ينههم عنه،

ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع فيه غداً، ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من

تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً. فأنزل الله ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ (النحل: ١٠١)،

وأنزل أيضاً ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾ ثم بين وجه الحكمة فى النسخ بهذه الآية.

(١) بياض بالأصل المخطوط.

واعلم أن النسخ في اللغة شيان :

الوجه الأول: بمعنى التغيير والتحويل قال الفراء: يُقال: مسخه الله قرداً ونسخه قرداً، ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب فينقل ما فيه إليه قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجن: ٢٩): أى نأمر الملائكة بنسخها.

قال ابن عباس في هذه الآية: أستم قوماً عربياً هل يكون نسخه إلا من أصل كان قبل ذلك؟ وعلى هذا الوجه القرآن كله منسوخ؛ لأنه نسخ من اللوح المحفوظ فأنزل على النبي ﷺ.

روى عبد الوهاب بن عطاء عن داود عن عكرمة عن ابن عباس: أنزل الله تعالى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم أنزله جبرائيل على محمد آياً بعد آى، وكان فيه ما قال المشركون ورد عليهم.

والوجه الثانى: بمعنى رفع الشيء وإبطاله يُقال: نسخت الشمس الظل: أى ذهب به وأبطلته، عنى بقوله: ﴿مَا نَسَخْنَا مِنْ آيَةٍ﴾ وعلى هذا الوجه يكون بعض القرآن ناسخاً ومنسوخاً وهى ما تعرفه الأمة من ناسخ القرآن ومنسوخه وهذا أيضاً يتنوع نوعين:

أحدهما: أن يثبت خط الآية، وينسخ علمها والعمل بها. كقول ابن عباس فى قوله: ﴿مَا نَسَخْنَا مِنْ آيَةٍ﴾ قال: ثبت خطها وتبدل حكمها. ومنها رفع تلاوتها وبقاء حكمها مثل آية الرجم.

الثانى: أن تُرفع الآية أصلاً أى تلاوتها وحكمها معاً فتكون خارجة من خط الكتاب، وبعضها من قلوب الرجال أيضاً، والشاهد له ما روى أبو أمامة سهل بن حنيف فى مجلس سعيد بن المسيب: أن رجلاً كانت معه سور. فقام يقرؤها من الليل فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرؤها. فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرؤها فلم يقدر عليها. فأصبحوا فأتوا رسول الله ﷺ فقال بعضهم: يا رسول الله ﷺ قمت البارحة لأقرأ سورة كذا وكذا فلم أقدر عليها، وقال الآخر: يا رسول الله ما جئت إلا لذلك، وقال الآخر: وأنا يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا نُسِخَتْ الْبَارِحَةَ».

ثم أعلم أن النسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار؛ إذا نُسخ صار المخبر كذاباً، وإن اليهود حاولوا نسخ الشرائع وزعموا أنه بدء فيقال لهم: أليس قد أباح الله تزويج الأخت من الأخ ثم حظره وكذلك بنت الأخ وبنت الأخت؟ أليس قد أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه، ثم قال له لا تذبحه؟

أليس قد أمر موسى بنى إسرائيل أن يقتلوا من عبد العجل منهم وأمرهم برفع السيف

عنهم؟ أليست نبوة موسى غير متعبد بها، ثم تُعبد بذلك؟ أليس قد أمر حزقيال النبي بالختان، ثم نهاه عنه؟ فلم لم يلحقه بهذه الأشياء بدءاً فكذلك فى نسخ الشرائع لم يلحقه بدءاً بل هو نقل العباد من عبادة إلى عبادة، وحكم إلى حكم؛ لضرب من المصلحة إظهاراً لحكمته وكمال مملكته وله ذلك وبه التوفيق.

فهذه من علم النسخ وهو نوع كثير من علوم القرآن، لا يسع جهله لمن شرع إلى التفسير. وعن أبى عبد الرحمن السلمى: أن علياً عليه السلام مرّ بقاص يقصُّ فى جامع الكوفة بباب كندة فقال: هل تعلم الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال: هلكت وأهلكت.

وأما معنى الآية لقوله ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾ قرأت العامة بفتح النون والسين من النسخ. وقرأ ابن عامر: بضم النون وكسر السين. قال أبو حاتم: هو غلط وقال: بعضهم له وجهان، أحدهما يجعله نسخه من قولك نسخت الكتاب إذا كتبه وأنسخته غيرى إذا جعلته نسخة له ومعناها ما نسختك. والوجه الثانى: يجعله فى جملة المنسوخ كقولك: طردت الرجل إذا نفيته وأطردته جعلته طريداً. قال الشاعر:

طردتنى حسد الهجاء حيفاء واللات والأصنام ما قالوا تلى

أو ﴿نسخها﴾: فيه تسع قراءات:

قرأ سعيد بن المسيب وأبو جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى ويعقوب: نسخها بضم النون وكسر السين. وهو اختيار أبى عبيد وأبى حاتم أى: نسخها نسخاً قاله أكثر المفسرين.

قال الحسن: هو ما أنسى الله رسوله ﷺ.

قال ابن عباس: أى نتركها ولا نبدلها قال الله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (الحشر: ١٩) وقال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ إِذْ آتَيْنَا نَفْسِيهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ (طه: ١٢٦). كل هذا من الترك كأنه جعل أنسى ونسى بمعنى واحد.

قال الكلبي وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا منصور الأزهرى يقول: معناه أو نأمر بتركها يقال أنسيت الشيء أى أمرت بتركه. قال الشاعر:

جرت على قصة أقصيتها
لست بناسيها مجمع ولا منسيها
أى : ولا أمر بتركها .

وقرأ أبى بن كعب : أو ننسيك .

وقرأ عبد الله : ننسيك من آية أو ننسخها .

قرأ سالم مولى حذيفة : أو ننسكها .

وقرأ أبو رجاء : أو ننسها بالتشديد ، وقرأ الضحّاك : أو تنسها بضم التاء وفتح السين على

مجهول ، وقرأ سعد بن أبى وقاص : أو تنسها بتاء المفتوحة من النسيان ، وعن القاسم بن الربيع
ابن فائق ؛ قال : سمعت سعد بن أبى وقاص يقول : بالنسخ من آية أو ننسها .

قال : فقلت له : إن سعيد بن المسيّب يقرأ : ننسها . قال : إن القرآن لم ينزل على آل
المسيّب .

قال الله تعالى لنيبيه ﷺ : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ، ﴿وَأَذْكُرُتَكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ .

وقرأ مجاهد : (أو ننسها) بفتح النون مخففه أى تركها .

وقرأ عمر بن الخطاب وابن عباس وعبيد بن عمير وعطاء وابن كثير وأبو عمرو والنخعى :

أو ننسأها بفتح النون الأولى وفتح السين مهموزة فلا نؤخرها فلا نبذلها ولا ننسخها ، يقال :
نسا الله فى أجله وأنسا الله أجله ، ومنه النسيئة فى البيع .

وقال أبو عبيد : ننسأها مجازة مخضيتها لذكر ما فيه ، قال طرفة :

أمون كالواح الأران نسأتها
على لاحب كأنه ظهر يرجد

أى لسقتها وأمضيتها ، وقال سعيد بن المسيّب وعطاء : أما ما ننسخ من آية فهو ما قد نزل من

القرآن جعلاه من النسخة ، أو ننسأها نؤخرها فلا يكون وهو ما لم ينزل .

﴿نَأَتْ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ أى بما هو أجدى وأنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم لأن آية خير

من آية ؛ لأن كلام الله عز وجل واحد ولكنّها فى المنفعة المثوبة وكلّه خير .

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قادر . قال الزجاج : لفظه استفهام ومعناه توثيق وتقرير .



﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ﴾ أمر تريدون أن تسألوا رسولاكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر

بالإيمان فقد ضلّ سواء السبيل ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِنْ بَعْدِ

إِيْمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْتَوْا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ
اللَّهُ بِأَمْرٍ رَّهِيْبٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٠﴾

﴿أَمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ﴾ يا معشر الكفار عند نزول العذاب .

﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ قَرِيبٍ وَصَدِيقٍ .

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ناصر يمنعكم من العذاب .

﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ الآية . قال ابن عباس : نزلت في عبد الله بن أمية المخزومي

وربط من قريش قالوا : يا محمد اجعل لنا الصفا ذهاباً ووسع لنا أرض مكة ، وفجر الأنهار
خلالها تفجيراً نؤمن بك .

فأنزل الله عز وجل ﴿أَمْ تَرِيدُونَ﴾ يعنى أتريدون والميم صلة لأن أم إذا كان بمعنى العطف لا

تكون ابتداء ولا تأتى إلا مردودة على استفهام قبلها ، وقيل معناه : بل يريدون كقول الشاعر :

بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى وصورتها أم أنت فى العين أملىح

أى بل أنت .

﴿أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ محمداً .

﴿كَأَسْأَلِ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ سأله قومه فقالوا : أرنا الله جهرة ، وقال مجاهد : لما قالت قريش

هذا لرسول الله ﷺ قال : «نعم وهو كالمائدة لبنى إسرائيل إن لم تؤمنوا عذبتم» فأبوا ورجعوا ،

والصحيح إن شاء الله أنها نزلت فى اليهود حين قالوا : يا محمد اتنا بكتاب من السماء تحمله ،

كما أتى موسى بالتوراة ، لأن هذه السورة مدنية ، وتصديق هذا القول قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُكَ

أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ فى سئل ثلاث

قراءات ؛ بالهمز : وهى قراءة العامة ، و(سئل) بتلين الهمزة وهى قراءة أبى جعفر و(سئل) مثل

(قيل) وهى قراءة الحسن .

﴿وَمَنْ يَبَدِّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ وسط الطريق .

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية نزلت فى نفر من اليهود منهم : فنحاص بن عازورا وزيد

ابن قيس ؛ وذلك أنهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد : ألم تريا ما

أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزتمم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى

منكم سبيلاً . فقالوا لهم : كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا : شديد .

قال : فإنى قد عاهدتُ ألا أكفر بمحمد ﷺ ما عشتُ . فقالت اليهود : أما هذا فقد صبر ،

وقال حذيفة : وأما أنا فقد رضيت بالله رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً ، وبالقرآن إماماً وبالكعبة
قبلة وبالمؤمنين إخواناً .

ثم أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك فقال : «أصبتما الخير وأفلحتما» . فأنزل الله تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أى تمنى وأراد كثير من اليهود .
﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين .

﴿مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ﴾ فى انتصابه وجهان قيل : بالردّ وقيل : بالحال . ﴿حَسَدًا﴾ وفى نصبه
أيضاً وجهان : قيل على المصدر أى يحسدونكم حسداً ، وقيل : بنزع حرف الصلة تقديره
للحسد . وأصل الحسد فى اللغة الإلظاظ بالشىء حتى يخدشه وقيل : للمسحاة محسد وللغراد
حسدل زيدت فيه اللام كما يقال للعبد : عبدل .

﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ أى من تلقاء أنفسهم لم يأمر الله عز وجل بذلك .
﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ فى التوراة أن محمداً صادق ودينه حق .
﴿فَاعْتَبُوا﴾ فاتركوا . ﴿وَأَصْفَحُوا﴾ وتجاوزوا .

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ بعذابه القتل والسبى لبنى قريظة والجلاء والنفى لبني النضير قاله ابن
عبّاس .

وقال قتادة : هو أمره بقتالهم فى قوله تعالى : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إلى ﴿وَهُمْ
صَنِغُرُونَ﴾ .

وقال ابن كيسان : بعلمه وحكمه فيهم حكم بعضهم بالإسلام ولبعضهم بالقتل والسبى
والجزية ، وقيل : أراد به القيامة فيجازيهم بأعمالهم .
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .



﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا
برهانكم إن كنتم صادقين ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ وقالت اليهود ليست النصرى على شىء وقالت النصرى
ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب كذالك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله
يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴿﴾ .

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقَدَّمُوا﴾ تسلفوا.

﴿لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ طاعة وعمل صالح.

﴿تَجِدُوهُ﴾ تجددوا ثوابه ونفعه. ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ وقيل: بالخبر الحال كقوله عز وجل ﴿إِنْ تَرَكَ

خَيْرًا﴾ (البقرة: ١٨٠) ومعناه وما تقدموا لأنفسكم من زكاة وصدقة تجدوه عند الله أى وتجدوا الثمرة واللحمة مثل أحد ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ورد فى الحديث: إذا مات العبد قال الله: ما خلف؟

وقال الملائكة: ما قدم؟

وعن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت رسول الله ﷺ دخل على بن أبى طالب عليه

السلام الدار فأنشأ يقول:

لكل اجتماع من خليلين فرقة

وكل الذى دون الفراق قليل

وإن افتقداى واحداً بعد واحد

دليل على أن لا يدوم خليل

ثم دخل المقابر فقال: السلام عليكم يا أهل القبور أموالكم قسّمت ودوركم سكنت

وأزواجكم نكحت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ فهتف هاتف: وعليكم السلام ما أكلنا ربحنا وما قدمنا وجدنا وما خلفنا خسرنا.

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ قال الفراء: أراد يهودياً فحذف الياء

الزائدة ورجعوا إلى الفعل من اليهودية.

وقال الأخفش: اليهود جمع هايد مثل عائد وعود وحائل وحول وعايط وعوط وعايد

وعوذ، وفى مصحف أبى: إلا من كان يهودياً أو نصرانياً ومعنى الآية وقالت اليهود: لن

يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ولا دين إلا دين اليهودية وقالت النصراني: لن يدخل الجنة إلا

من كان نصرانياً ولا دين إلا النصرانية قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ شهواتهم التى يشتهونها

ويتمنونها على الله عز وجل بغير الحق وقيل أباطيلهم بلغة قريش.

﴿قُلْ﴾ يا محمد. ﴿هَاتُوا﴾ وأصله أتوا فقلبت الهمزة هاءً.

﴿بُرْهَانِكُمْ﴾ حجتكم على ذلك وجمعه براهين مثل قربان وقرايين وسلطان وسلاطين.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ثم قال رداً عليهم وتكديماً لهم ﴿بَلَى﴾ ليس كما قالوا بل يدخل الجنة

﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ مقاتل: أخلص دينه وعمله لله وقيل: فوض أمره إلى الله.

وقيل: خضع وتواضع لله.

وأصل الإسلام والاستسلام: الخضوع والانقياد وإنما خص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه فى

السَّجُودِ لَمْ يَخْلُ بِسَائِرِ جَوَارِحِهِ .

قال زيد بن عمرو بن نفيل :

أسلمتُ وجهى لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرًا ثقلاً
وأسلمت وجهى لمن أسلمت له المزن يحمل عذباً زلالاً

﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ فى عمله ، وقيل : مؤمن ، وقيل : مخلص .

﴿ فَلهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ نزلت فى يهود المدينة ونصارى أهل نجران ؛ وذلك أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت لهم اليهود : ما أنتم على شىء من الدين وكفروا بعيسى والإنجيل ، وقالت لهم النصارى : ما أنتم على شىء من الدين وكفروا بموسى والتوراة . فأنزل الله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ الْنَصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ الْنَصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ .

﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ وكلا الفريقين يقرءون الكتاب أى لتبين فى كتابكم سر الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على أنهم على الباطل .

وقيل : كان سفيان الثورى إذا قرأ هذه الآية قال : صدقوا جميعاً والله كذلك .

﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعنى أبائهم الذين مضوا .

﴿ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ قال مقاتل يعنى مشركى العرب كذلك قالوا فى نبيهم محمد ﷺ وأصحابه ليسوا على شىء من الدين .

وقال ابن جريج : قلت لعطاء : (كذلك قال الذين لا يعلمون) من هم؟

قال : أم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ونحوهم ، قالوا فى نبيهم إنه ليس على شىء وأن الدين ديننا .

﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ يقضى بين الحق والباطل يوم القيامة .

﴿ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ من الدين .



﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيَّمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٤٠﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۚ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قٰنِطٰنٍ ﴿١٤١﴾ بَدِيعَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ

وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وُكِّنْ فَيَكُونُ ﴿١٧٩﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ نزلت في ططايوس بن استيسانوس الرومي وأصحابه؛ وذلك أنهم غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التوراة وخرّبوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير وكان خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب.

قتادة والسدي: هو بخت نصر وأصحابه غزوا اليهود وخرّبوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك النصارى ططايوس وأصحابه من أهل الروم.

قال السدي: من أجل أنهم قتلوا يحيى بن زكريّا، وقال قتادة: حملهم بعض اليهود على معاونة بخت نصر البابلي المجوسى فأنزل الله إخباراً عن ذلك: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أى أكفر وأعتا ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ يعنى بيت المقدس ومحاريبه. (أن يذكر) فى محل نصب المفعول الثانى لأن المنع يتعدى إلى مفعولين تقديره ممن منع مساجد الله الذكر، وإن شئت جعلت نصباً بنزع حرف الصفة أى: من أن يذكر.

﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ أى فى عمل خرابها.

﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ وفى مصحف أبى: إِلَّا خِيَفَاءَ.

قال ابن عباس: لا يدخلها بعد عمارتها رومى إلا خائفاً لو علم به قتل. قتادة ومقاتل: لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متكرراً مشارفه لو قدر عليه عوقب ونهك ضرباً.

السدي: أخيفوا بالجزية، وقال أهل المعانى: هذا خبر فيه معنى للأمر كقول: اجهضوهم بالجهاد كى لا يدخلها أحد منهم إلا خائفاً من القتل والسبى نظيره قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُذُوقُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ إلى ﴿أَبْدَأُ﴾ (الأحزاب: ٥٣) نهاهم عن لفظ الخبر فمعنى الآية: ما ينبغى لهم ولكم وهذا وجه الآية.

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ عذاب وهوان.

قال قتادة: هو القتل للحربى والجزية للذمى.

مقاتل والكلبي: فتح مدائنهم الثلاثة: قسطنطينية ورومية وعمورية.

السدي: هو أنه إذا قام المهدي (فى آخر الزمان) فتحت قسطنطينية فقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم فذلك خزيهم فى الدنيا.

﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو النار.

إسماعيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: لا تقوم الساعة حتى تفتح مدينة هرقل ويؤذن فيها المؤذنون ويقسم فيها المال بالترضية فينقلبون بأكثر أموال رآها الناس قط فينا هم كذلك إذ أتاهم إن الدجال قد خلفكم في أهليكم فيلقون ما في أيديهم ويجيئونهم ويقاثلونه.

وقال عطاء وعبد الرحمن بن عوف: نزلت هذه الآية في مشركي عرب مكة وأراد بالمسجد المسجد الحرام منعوا محمداً ﷺ وأصحابه من حجّه والصلاة فيه عام الحديبية وإذا منعوا من تعمير ذكر الله عز وجل فقد سعوا في خرابه يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ (التوبة: ١٧) الآية ﴿أَوْلَيْتِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ يعني أهل مكة يقول: أفتحها عليكم حتى تدخلوها أو تكونوا أولى بها منهم ففتحها الله عليهم وأمر رسول الله ﷺ: منادياً فنادى: ألا لا يحجّن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفنّ بالبيت عريان فطفق المشركون يقولون: اللهم إنا قد منعنا أن نشرك بهذا لهم في الدنيا خزي الذلّ والقتل والسبى والتقى ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية: اختلفوا في سبب نزولها فقال ابن عباس: خرج نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر وذلك قبل تحويل القبلة إلى الكعبة فأصابهم الضباب فحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلّوا فمنهم من صلّى إلى المشرق ومنهم من صلّى إلى المغرب. فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا. فلما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت هذه الآية بذلك.

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة: كنّا مع رسول الله ﷺ في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا منزلاً فجعل الرجل يتخذ أحجاراً فيعمل مسجداً يُصلّى فيه، فلما أصبحنا إذا نحن قد صلّينا إلى غير القبلة فقلنا يا رسول الله: لقد صلّينا ليلتنا هذه إلى غير القبلة فأنزل الله هذه الآية.

قال عبد الله بن عمر: نزلت في صلاة المسافر يصلّى حيثما توجّهت به راحلته تطوعاً، وكان رسول الله ﷺ يصلّى على راحلته جائياً من مكة إلى المدينة.

وعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يصلّى على راحلته في السفر حيثما توجّهت به.

قال عكرمة: نزلت في تحويل القبلة لما حولت إلى الكعبة. فأنزل الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾.

﴿فَأَيُّمًا تُولُوا﴾ أيها المؤمنون في سفركم وحضركم.

﴿فَتَرَوْهُ وَجْهَ اللَّهِ﴾ قبله الله التي وجهكم إليها فاستقبلوها يعني الكعبة، وقال أبو العالية: لما

غيرت القبلة إلى الكعبة غيرت اليهود المؤمنين في انحرافهم من بيت المقدس . فأنزل الله تعالى هذه الآية جواباً إليهم .

عطاء وقتادة: نزلت في النجاشي وذلك أنه توفى ، فأتى جبرئيل النبي ﷺ فقال : إن أخاكم النجاشي قد مات فصلّوا عليه . فقال أصحاب رسول الله ﷺ : كيف نُصلى على رجل مات وهو يُصلى إلى غير قبلتنا؟ وكان النجاشي يُصلى إلى بيت المقدس حتى مات . فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال مجاهد والحسن والضحاك : لما نزلت : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٠) قالوا أين ندعوه؟ فنزلت ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿ فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا ﴾ تحولوا وجوهكم ﴿ فَتَمَّ ﴾ هناك ﴿ وَجَهَ اللَّهُ ﴾ .

وقال الكلبي والقتيبي : معناه فثمّ الله عليم يرى والوجه صلة كقوله تعالى . ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ أى يريدونه بالدعاء ، وقوله ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (القصص: ٨٨) . أى إلا هو ، وقوله تعالى ﴿ وَيَتَّبِعِ وَجْهَ رَبِّكَ ﴾ (الرحمن: ٢٧) أى ويبقى ربك ، وقوله ﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ (الإنسان: ٩) أى لله .

وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان : فثمّ قبله الله أضافها إلى نفسه تخصيصاً وتفضيلاً ، كما يُقال : بيت الله ، وناقاة الله ، والوجه والجهة والوجهة : القبلة .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ ﴾ قال الكلبي : واسع المغفرة لا يتعاطم مغفرته ذنب دليله قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ (النجم: ٣٢) .

أبو عبيدة : الواسع الغنى يُقال : يُعطى فلان من سعة أى من غنى قال الله : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾ (الطلاق: ٧) قال الفراء : الواسع الجواد الذى يسع عطاؤه كل شىء . دليله قوله تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٥٦) وقيل : الواسع العالم الذى يسع علمه كل شىء . قال الله ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ (البقرة: ٢٥٥) أى علمه .

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنياتهم حيثما صلّوا ودعوا ، وقال بعض السلف : دخلت ديراً فجاء وقت الصلاة فقلت لبعض من فى الدير : دُننى على بقعة طاهرة أصلى فيها . فقال لى : طهر قلبك عمّن سواه ، وقف حيث شئت . قال : فخجلت منه .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وِدًّا ﴾ نزلت فى يهود أهل المدينة حيث قالوا : عزير ابن الله ، وفى نصارى نجران حيث قالوا : المسيح ابن الله وفى مشركى العرب قالوا : الملائكة بنات الله ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ نَزَّهَ وَعَظَمَ نَفْسَهُ .

﴿بَلْ لَهُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عبيداً وملكاً .
 ﴿كُلُّ لَهُ قَدِيتُونَ﴾ مجاهد وعطاء والسدي : مطيعون دليله قوله تعالى ﴿وَالْقَدِيتِينَ
 وَالْقَدِيتَاتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥) .

عكرمة ومقاتل ويان : مقرون بالعبودية .

ابن كيسان : قائمون بالشهادة ، وأصل القنوت : القيام ، وسئل رسول الله ﷺ أى الصلاة
 أفضل ؟ قال : « طول القنوت » ، وقيل : مصلون دليله قوله ﴿أَمْنَ هُوَ قَدِيتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ﴾ (الزمر: ٩)
 وقال رسول الله ﷺ : « مثل المجاهد فى سبيل الله مثل القانت الصائم » أى المصلّى .

وقيل : داعون . دليله قوله تعالى ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَدِيتِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٨) واختلف العلماء فى
 حكم هذه الآية فقال بعضهم : هو خاص ، ثم سلكوا فى تخصيصه طريقين : أحدهما هو
 راجع إلى عزير والمسيح والملائكة ، وهو قول مقاتل ويان .

القول الثانى قالوا : هو راجع إلى أهل طاعته دون الناس أجمعين وهذا قول ابن عباس
 والفراء ، وقال بعضهم : هو عام فى جميع الخلق ثم سلكوا فى الكفار الجاحدين طريقين
 أحدهما : إن ظلالهم تسجد لله وتطيعه ، وهذا قول مجاهد دليله قوله عز وجل : ﴿يَقْنُؤُاْ
 ظِلَالُهُمْ عَنِ الْيَمِينِ﴾ (النحل: ٤٨) الآية . قال الله تعالى : ﴿وَذَلِكُمْ بِالْعَدْوِ وَالْآصَالِ هـ﴾
 (الرعد: ١٥) .

والثانى : هذا يوم القيامة قاله السدي وتصديقه قوله تعالى : ﴿وَعَتَّ أَلْوَجُوهُ لَلْحَيِّ الْقَيُومِ﴾
 (طه: ١١١) .

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى مبتدعها ومنشئها من غير مثال سبق ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أى بيده
 وأراد خلقه وأصل القضاء إتمام الشيء وإحكامه .

قال أبو ذؤيب :

داود أو صنع السوايغ تبع

وعليهما مسرودتان قضاها

﴿فَأَمَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .



﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ
 قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٠١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا
 تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١٠٢﴾ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ

إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ
يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٦﴾ يَلْبِنَىٰ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ
وَأَنَّىٰ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٧٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا
عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٧٨﴾ .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعنى اليهود قاله ابن عباس .

مجاهد: هم النصارى . قتادة: هم مشركو العرب . ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَكْلِمَنَا اللَّهُ﴾ عياناً بأنك
رسوله .

﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ دلالة وعلامة على صدقك .

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أى كفار الأمم الخالية ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ
قُلُوبُهُمْ﴾ أشبه بعضها بعضاً فى الكفر والفرقة والقسوة .

﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ ﴿ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق من قولهم فلان
محقق فى دعواه إذا كان صادقاً دليله قوله تعالى: ﴿وَسَيَسْتَشِئِبُونَكَ أَخَقُّ هُوَ﴾ (يونس: ٥٣) أى صدق .
مقاتل: معناه لن نرسلك عبثاً بغير شىء بل أرسلناك بالحق ، دليله قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الأحقاف: ٣) وهو ضد الباطل .

ابن عباس: بالقرآن دليله قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ (ق: ٥) .

ابن كيسان: بالإسلام دليله قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (الإسراء: ٨١) .

﴿بَشِيرًا﴾ مبشراً لأولياى وأهل طاعتى بالثواب الكريم .

﴿وَنَذِيرًا﴾ منذراً مخوفاً لأعدائى وأهل معصيتى بالعذاب الأليم .

﴿وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ عطاء وابن عباس: وذلك أن النبى ﷺ ، قال ذات يوم:

«ليت شعرى ما فعل أبواى» فنزلت هذه الآية .

وقال مقاتل: هو أن النبى ﷺ قال: «لو أنزل الله بأسه باليهود لآمنوا» . فأنزل الله تعالى:

﴿وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ وفيه قراءتان: بالجزم على النهى وهى قراءة نافع وشيبة
والأعرج ويعقوب ووجهها القول الأول فى سبب نزول الآية .

وقرأ الباقون: بالرفع على النفى يعنى: ولست بمسؤول عنهم دليها قراءة ابن مسعود: ولن

تسأل وقراءة أبى: وما نسألك عن أصحاب الجحيم ولا تؤخذ بذنوبهم والجحيم وهو الجحيم

والجحمة : معظم النار .

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة ويطمعونه ويرون أنه إن هادنهم أتبعوه ووافقوه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس : هذا فى القبلة وذلك أن يهود أهل المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلّى النبي ﷺ إلى قبلتهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله : ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دينهم وقبلتهم ، وزعم الزجاج : أن الملة مأخوذة من التأثير فى الشيء كما تؤثر الملة فى الموضع الذى يختبئ فيه .

﴿وَلَمَّا أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ البيان بأن دين الله هو الإسلام وقبلة إبراهيم عليه السلام هى الكعبة .

﴿مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ قال ابن عباس : نزلت فى أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبى طالب (رضى الله عنه) وكانوا أربعين رجلاً واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا .

وقال الضحاك : من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وأصحابه وسعيّة بن عمرو ويمام بن يهودا وأسيد وأسد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله بن سوريا .

قتادة وعكرمة : هم أصحاب محمد ﷺ .

وقيل : هم المؤمنون عامّة .

﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ الكلبى : يصفونه فى كتبهم حقّ صفته لمن سألهم من الناس وعلى هذا القول الهاء راجعة إلى محمد ﷺ .

وقال آخرون : هى عائدة إلى الكتاب ثم اختلفوا فى معنى قوله ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ سعيد عن قتادة قال : بلغنا عن ابن مسعود فى قوله ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال : يحلّون حلاله ويحرمون حرامه ، ويقرءونه كما أنزل ، ولا يحرفونه عن مواضعه ، وقال الحسن : يعملون بحكمه ، ويؤمنون بمشابهه ، ويكلون علم ما أشكل عليهم منه إلى عالمه .

مجاهد : يتبعونه حقّ اتباعه .

﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنَّى فَضَلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ إلى قوله : ﴿وَإِذْ أَبَتَىٰ إِبراهيمُ ربهٗ﴾ .



﴿ وَإِذْ أَيْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتْمَنَّنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَهِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِن الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٧﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٩﴾ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٠﴾ ﴾

قرأ أبو الشعثاء جابر بن زيد: ﴿إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ﴾ إبراهيم رفعا وربّه نصبا على معنى سأل ودعا فقيل له ومن أين لك هذا؟ فقال: أقرأنيّه ابن عباس. وهذا غير قوى لأجل الباء فى قوله ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ وقرأ الباقون بالنصب، وجعلوا معنى الابتلاء الاختبار والامتحان فى الأمر، وهو الصحيح.

وفى ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ أربع لغات: قرأ ابن الزبير: إبراهيم بألف واحد بين الهاء والميم، وقرأ أبو بكر إبراهيم وكان زيد بن عمر يقول فى صلاته: إني عذت بما عاذ به إبراهيم، إذ قال:

﴿ إني لك اللهم عان راغم ﴾

وقرأ عبد الله بن عامر اليحصبي: إبراهيم بألفين، وقرأ الباقون: إبراهيم... (١) قال يحيى ابن سعيد الأنصارى: أقرأ إبراهيم وإبراهيم. فإن الله عزّ وجلّ أنزلهما كما أنزل يعقوب وإسرائيل، وعيسى والمسيح ومحمداً وأحمد.

الربيع بن عامر: مكتوب فى مصاحف أهل الشام إبراهيم بالألف وفى غيرها بالياء.

وإبراهيم اسم أعجمى ولذلك لا يجرى وهو إبراهيم بن نازح بن ناحور بن ساروخ بن أرخوا بن فالغ بن منابر بن الشالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. فاختلّفوا فى مسكنه، فقال بعضهم: كان بكشكر، وقال قوم: حرّان؛ ولكن أباه نقله إلى بابل أرض نمرود بن كنعان

(١) بياض بالأصل المخطوط.

واختلفوا فى الكلمات التى ابتلى إبراهيم عليه السلام:

عن ابن عباس: هى ثلاثون سهمًا، وهى شرائع الإسلام، ولم يتبل أحد بهذا الدين كله فأقامه كله إلا إبراهيم (عليه الصلاة والسلام).

﴿فَاتَمَّهَنَّ﴾ فكتب له البراءة. فقال: ﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم: ٣٧) وهى عشرة فى براءة ﴿التَّائِبِينَ الْعَلْبِدُونَ﴾ (التوبة: ١١٢) الآية، وعشرة فى الأحزاب ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥) الآية، وعشرة فى «المؤمنون» ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: ١)، وقوله ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (المعارج: ٢٢).

وروى طاوس عن ابن عباس قال: ابتلاه بعشرة أشياء هى من الفطرة والطهارة خمس فى الرأس وخمس فى الجسد فالتى فى الرأس: قصّ الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس، والتى فى الجسد: تقليم الأظافر وتنف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء.

مجاهد: هى الآيات التى فى قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ إلى آخر القصة.

الربيع وقتادة: مناسك الحج.

الحسن: ابتلاه بسبعة أشياء: ابتلاه بالكواكب والقمر والشمس فأحسن فى ذلك وعلم أنّ ربه دائم لا يزول وابتلاه بالنار فصبر على ذلك، وابتلاه بذبح ابنه فصبر على ذلك وبالختان فصبر على ذلك وبالجمرة فصبر عليه.

سعيد بن جبير: هى قول إبراهيم وإسماعيل حين يرفعان البيت ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ (البقرة: ١٢٧) فرفعاه بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

يمان: هى محاجة قومه قال الله: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ (الأنعام: ٨٠) إلى قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ (الأنعام: ٨٣).

أبو روق: هى قوله عليه السلام ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ الآيات.

وقال بعضهم: هى أنّ الله ابتلاه فى ماله وولده ونفسه فسلم ماله إلى الضيفان، وولده إلى القربان، ونفسه إلى النيران، وقلبه إلى الرحمن فاتخذه خليلاً، وقيل: هى سهام الإسلام وهى عشرة: شهادة أن لا إله إلا الله وهى الملة والصلاة وهى القنطرة. . قال: والزكاة وهى الطهارة والصوم وهو الجنة والحج وهو الشريعة، والغزو وهو النصرة، والطاعة وهى العصمة، والجماعة وهى الألفة، والأمر بالمعروف وهو الوفاء والنهى عن المنكر وهو الحجّة.

﴿فَاتَمَّهَنَّ﴾ قال قتادة: أداهن.

الربيع : وقى بهنّ.

الضّحّاك : . . . (١) أيّمانهنّ ، يمان : عمل بهن . قال الله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾ يا إبراهيم ﴿لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ليقْتدى بك وأصله من الأم وهو القصد .

﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ومن أولادى أيضاً . فاجعل أئمةً يُقتدى بهم وأصل الذرية الأولاد الصغار مشتق من الذر لكثرتة ، وقيل : من الذر وهو الخلق فخفف الهمز وأدخل التشديد عوضاً عن الهمز كالبرية .

قيل : من الذرو وفيها ثلاث لغات :

ذرية بكسر الذال ، وهى قراءة زيد بن ثابت ، وذرية بفتحها وهى قراءة أبى جعفر ، وذرية بضمها وهى قراءة العامة .

﴿قَالَ﴾ الله ﴿لَا يَنَالُ﴾ أى لا يصيب .

﴿عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وفيه ثلاث قراءات : عهدى الظالمون ، وهى قراءة ابن مسعود وطلحة ابن مصرف ، وعهدى الظالمين مرتجلة الياء ، وهى قراءة أبى رجاء والأعمش وحمزة ، وعهدى الظالمين بفتح الياء وهى قراءة العامة ، واختلفوا فى هذا العهد فقال عطاء بن أبى رباح : رحمتى .

الضّحّاك : طاعتى دليله قوله : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ (البقرة : ٤٠) .

السّدى : (التوفى) دليله قوله ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ (البقرة : ٢٧) .

مجاهد : ليس الظالم أن يطاع فى ظلمه .

أبو حذيفة : أمانتى دليله قوله ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ (النحل : ٩١) .

أبو عبيد : أمانى دليله قوله : ﴿فَأْتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ (التوبة : ٤) ، وقيل : إيمانى دليله عزّ

وجلّ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ (يونس : ٦٠) .

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ يعنى الكعبة .

﴿مَثَابَةً﴾ مرجعاً والمثاب والمثابة واحد كالمقام والمقامة قال ابن عباس : يعنى معاذاً وملجئاً .

مجاهد وسعيد بن جبير والضّحّاك : (يثبون) إليه من كلّ جانب ويحجّون ولا يملّون منه فما

من أحد قصده إلاّ وهو يتمنى العود إليه .

قتادة وعكرمة : مجمعاً ، وقرأ طلحة بن مصرف : مثابات على الجمع .

(١) بياض بالأصل المخطوط .

﴿لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ مَأْمَنًا يَأْمَنُونَ فِيهِ .

قال ابن عباس: فمن أحدث حدثاً خارج الحرم ثم التجأ إلى الحرم أمن من أن يهاج فيه ولكن لا يؤوى ولا يخالط ولا يبايع ويوكل به فإذا خرج منه أقيم عليه الحد ومن أحدث في الحرم أقيم عليه الحد فيه .

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قرأ شيبه وابن عامر ونافع والأعرج والحسن وابن أبي إسحاق وسلام: واتخذوا بفتح الخاء على الخبر وقرأ الباقون: بالكسر على الأمر .

قال ابن كيسان: ذكروا أن رسول الله ﷺ مر بالمقام ومعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أليس هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: «بلى» قال: أفلا نتخذه مصلى؟ قال: «لم أؤمر بذلك» .

فلم تغب الشمس من يومهم حتى نزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ .

وعن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وافقني ربي في ثلاث . قلت: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقلت يا رسول الله: يدخل عليك البر والفاجر فلو حجبت أمهات المؤمنين فأنزل الله آية الحجاب قال: وبلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي ﷺ فاستنفرنهن فجعلت أقول لهن: لتكفن عن رسول الله أو استبدلته أزواجاً خيراً منكن حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين .

وقالت أم سلمة: يا عمر أما في رسول الله ما يغبط نساءه حتى يعظهن مثلك وأمسكت فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ زَوْجًا خَيْرًا مِّنْكَ مُسَلِّمًا﴾ (التحريم: ٥) الآية . واختلفوا في معنى قوله: ﴿مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال إبراهيم النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم . يمان: المسجد كله مقام إبراهيم .

قتادة ومقاتل والسدي: هو الصلاة عند مقام إبراهيم أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه ولا تقييله .

وأما قصته وبدء أمره .

فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أتى إبراهيم بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة ولبت على ذلك مدة، ونزلها الجرهميون وتزوج إسماعيل امرأة منهم، وماتت هاجر . فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل . فقدم إبراهيم وقد ماتت هاجر فذهب إلى بيت إسماعيل . فقال لامرأته: أين صاحبك؟

قال: ليس هاهنا . ذهب للصيد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع . فقال

لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ هل عندك طعام أو شراب؟ قالت: ليس عندي ولا عندي أحد.

قال إبراهيم: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولى له: فليغير عتبة بابه، وذهب إبراهيم، فجاء إسماعيل ووجد ريح أبيه. فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟

قالت: جاءنى شيخ صفته كذا، كالمستخفة بصفته. قال: فما قال لك؟

قالت: قال لى أقرئى زوجك منى السلام، وقولى له: فليغير عتبة بابه. فطلّقها، وتزوج أخرى. فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، وجاء إبراهيم حتى أتى إلى بيت إسماعيل.

فقال إبراهيم لامرأته: أين صاحبك؟

قالت: ذهب يتصيد وهو يجىء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله.

قال لها: هل عندك ضيافة؟

قالت: نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز بر أو شعير أو تمر لكانت أرض الله برأً وشعيراً وتمرّاً وقالت له: انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاء بالمقام فوضعت تحت شقه الأيمن فوضع قدمه عليه وغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر فبقى أثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيسر فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له: قد استقامت عتبة بابك. فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم، شيخ أحسن الناس شبهاً وأطيبهم ريحاً فقال لى كذا وقلت له كذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال لها: ذلك إبراهيم عليه السلام.

وقال أنس بن مالك: رأيت فى المقام أثر أصابعه وعقبه وأخمص قدميه غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم.

نافع بن شيبه يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: أشهد ثلاث مرّات أتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب».

﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أى أمرناهما وأوصينا إليهما.

﴿أَن طَهَّرْنَا بَيْتِي﴾ الكعبة أى ابناها على الطهارة والتوحيد.

وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمر وعطاء ومقاتل: طهراً بيتى من الأوثان والربيب وقول

الزور، وسمع عمر رضى الله عنه صوت رجل فى المسجد فقال: ما هذا أتدرى أين أنت؟

الأوزاعي عن عهدة بن أبي لبابة عن زر بن حبيش قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن الله أوحى إلى يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين انذر قومك ألا يدخلوا بيتاً من بيوتى إلا بقلوب سليمة وألسن صادقة وأيد نقيّة وفروج طاهرة ولا يدخلوا بيتاً من بيوتى ولأحد عندهم مظلمة فإنّي ألعنه ما دام قائماً بين يديّ يصلّي حتى يردّ تلك الظلمة إلى أهلها فأكون سمعه الذي يسمع به ويكون بصره الذي يبصر به ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

وقال يان بن رثاب : معناه بخراه وخلقه .

مكحول عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال : « جنبوا مساجدكم غلمانكم - يعني صبيانكم ومجانينكم - وسلّ سيوفكم ورفع أصواتكم وحدودكم وخصومكم وبيعكم وشراءكم وجمروها يوم جمعتكم واجعلوا على أبوابها بظاهركم » .
وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق وجعفر وأهل المدينة : (بيتي) بفتح الياء وقرأ الآخرون : بإسكانه وإضافته تعالى إلى نفسه سبحانه تخصيصاً وتفضيلاً .

﴿لَطَائِفِينَ﴾ حوله وهم النزاح إليه من آفاق الأرض . ﴿وَالْعَٰكِفِينَ﴾ أى المقيمين فيه وهم سكّان الحرم . ﴿وَالرَّكْعَ﴾ جمع الرّكع . ﴿السُّجُودَ﴾ جمع الساجد مثل قاعد وقعود .
قال عطاء : إذا كان طائفاً فهو من الطائفين وإذا كان جالساً فهو من العاكفين وإذا كان مصلياً فهو من الرّكع السجود .

الأوزاعي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة ينزل على هذا البيت فستون للطائفين وأربعون للمصلّين وعشرون للناظرين » .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا ﴿﴾ يعنى مكّة أو الحرم .

﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ أى مأموناً فيه يأمن أهله .

﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قال الأخفش : من آمن بدل من أهله على البيان ، كما يُقال : أخذت المال ثلثيه ورأيت القوم ناساً منهم ، وهذا إبدال البعض من الكل كقوله : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران : ٩٧) .

﴿قَالَ﴾ الله . ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا﴾ فسأرزقه إلى منتهى أجله لأنه تعالى وعد الرزق للخلق كافة كافرهم ومؤمنهم وقيد بالقلّة لأن متاع الدنيا قليل . قرأ معاوية وابن عامر : فأمّته بضم الألف وجزم الميم خفيفة ، وقرأ أبى : فتمّته قليلاً ثمّ نظطره بالنون .

﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ موصولة الألف مفتوحة الراء على عهد الدعاء من إبراهيم ﷺ، وقرأ الباقون: فأمتعه بضم الألف مشددة ثم اضطره على الخبر أى الجنة فى الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبَسَّ الْأَصْصِيرُ﴾ أى المرجع تصير إليه.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ روى الرواة من أسانيد مختلفة فى بناء الكعبة جمعت حديثهم ونسقته ليكون أحسن فى المنطق وأقرب إلى الفهم.

قالوا: خلق الله عزّ وجلّ موضع البيت قبل الأرض بألفى عام، فكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها. فلما أهبط الله عزّ وجلّ آدم إلى الأرض كان رأسه يمسّ السّماء حتّى صلح وأورث أولاده الصّلح ونفرت من طوله دواب الأرض فصارت وحشاً من يومئذ، وكان يسمع كلام أهل السّماء ودُعاهم وتسييحهم، يأنس إليهم فهابته الملائكة واشتكت نفسه. فنقصه الله عزّ وجلّ إلى ستين ذراعاً بذراعه. فلما فقد آدم ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسييحهم استوحش، وشكا ذلك إلى الله عزّ وجلّ. فأنزل الله ياقوته من يواقيت الجنّة الكلام مقطوع له بابان من زمرد أخضر باب شرقى وباب غربى فأنزل الله فيه فتاويل من الجنّة. فوضعه على موضع البيت إلى الآن ثمّ قال: يا آدم إنى أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشى، وتصلّى عنده كما يصلّى عند عرشى.

فأنزل عليه الحجر. فمسح به دموعه وكان أبيض فلما لمستّه الحِيض فى الجاهلية اسود.

وقال النّبى ﷺ: «إنما الحجر ياقوته من يواقيت الجنّة ولولا ما مسه المشركون بأنجاسهم ما مسّه ذو عاهة إلاّ شفاه الله تعالى».

فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكّة ماشياً وقبض الله له ملكاً يدله على البيت.

قيل لمجاهد: يا أبا الحجاج ألاّ كان يركب؟

قال: فأى شىء كان يحمله فوالله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيام وكلّ موضع وضع عليه قدمه عمران وما تعدّاه مفاوز وقفار فأتى مكّة وحجّ البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقّته الملائكة فقالوا: برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام.

قال ابن عباس: حجّ آدم أربعين حجّة من الهند إلى مكّة على رجله فهذا بدء أمر الكعبة فكانت على ذلك إلى أيام الطّوفان فرفعه الله إلى السّماء الرابعة فهو البيت المعمور يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ثمّ لا يعودون إليه إلاّ يوم القيامة، وبعث الله جبرائيل حتّى خبأ الحجر الأسود فى جبل أبى قبيس صيانة عن الغرق فكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم عليه السلام ثمّ إنّ الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بعدما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت له

يعبد ويذكر فيه فلم يدر إبراهيم أين خبيّ فسأل الله تعالى أن يبين له موضعه فبعث الله إليه السكنينة ليده على موضع البيت وهي ریح جموح لها رأسان شبه الحية فتبعها إبراهيم إلى أن أتيا مكة فطوّق الله السكنينة على موضع البيت كتطويق الحية الحجة وأمر إبراهيم أن يبنى حيث تستقر السكنينة فبناه وهذا قول على والحسن بن أبي الحسن، وقال ابن عباس: بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشى فى ظلمات إلى أن وافت مكة ووقفت على موضع البيت، ونودي: أن يا إبراهيم ابن على ظلّها لا تزيد ولا تنقص فبنى بحيالها.

وقال بعضهم: أرسل الله جبرائيل ليده على موضع فذلك قوله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ (الحج: ٢٦) فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت، جعل إبراهيم بينه وإسماعيل يناوله الحجارة.

قال الثعلبي: سمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا بكر محمد بن محمد بن أحمد القطان البلخي وكان عالماً بالقرآن يقول: كان إبراهيم يفهم بالسريانية وإسماعيل بالعربية وكل واحد منهما يعرف ما يقول صديقه وما يمكن التفوه به وكان إبراهيم يقول لإسماعيل: هبلى كنيا يعنى: ناولنى الحجر، ويقول إسماعيل: هاك الحجر خذه.

قالوا: فبقى موضع الحجر فذهب إسماعيل إليه فجاء جبرائيل بحجر من السماء فأتى إسماعيل وقد ركّب إبراهيم الحجر فى موضعه فقال له: من آتاك بهذا؟ فقال: آتانى به من لم يتكل على بنائك فأقاما البيت فذلك قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ (البقرة: ١٢٧).

قال ابن عباس: يعنى أصول البيت التى كانت قبل ذلك. الكلبى وأبو عبيدة: أساسه واحده قاعده فبنايه من خمسة أجبل طور سيناء (١) وطور سيناء والجودى، وبنا قواعده من حراء، فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل: جئنى بحجر حسن يكون للناس علماً فاتاه بحجر فقال له: جئنى بحجر أحسن من هذا، فمضى إسماعيل بطلبه فصاح أبو قبيس يا إبراهيم إن لك عندى وديعة فخذها فأخذ الحجر الأسود ووضعها مكانه.

وقيل: إن الله تعالى مد لإبراهيم وإسماعيل بسبعة أملاك يعينونهما على بناء البيت فلما فرغا من بنائه قالوا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ أى تقبل منا بناءنا البيت. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بنياتنا. ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ﴾ موحدين مطيعين مخلصين ﴿لَكَ﴾.

وقرأ عون بن أبي جميلة: مسلمين بكسر الميم على الجمع.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ أولادنا ﴿أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ وَأَرْنَا﴾ علمنا نظيره قوله: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ﴾ (النساء: ١٠٥) أى: علمك الله وفيه أربع قراءات:

عبد الله بن مسعود: وأرهم مناسكهم رده إلى الأمة.

وقرأ عمر بن عبد العزيز وقتادة وابن كثير ورويس بسكون الراء فى كل القرآن.

وقرأ أبو عمرو: باختلاس كسره للواو.

وقرأ الباقون: بكسر الراء والأصل فيها أرانا بالهمز فحذفت استخفافاً.

فمن قرأ بالجزم قال: ذهب الهمزة وذهبت حركتها وبقيت الراء ساكنة على حالها واستدل بقول السدى:

أرنا أداة عبد الله غملاًها من ماء زمزم إن القوم قد ظمئوا

ومن كسر فإنه نقل حركة الهمزة المحذوفة إلى الراء.

وأما أبو عمرو فطلب الحقة.

وأخبرنا القاسم بن سلام عن شجاع بن أبي نصر قال: وكان أميناً صدوقاً: إنه رأى النبي

ﷺ فى المنام فذكره أشياء من حرف أبى عمرو فلم يردّ عليه إلاّ حرفين أحدهما هذا والآخر: ما نسخ من آية أو نساها مهموزة.

﴿مَنَاسِكُنَا﴾ شرائع ديننا وإعلام حجّتنا.

وقال مجاهد: مذابحنا والنسك: الذبيحة، وأصل النسك: العبادة يقال للعابد ناسك قال

الشاعر:

وقد كنت مستوراً كثير تنسك فتهتكت أستارى ولم يبق لى نسكاً

فأجاب الله دعاءهما وبعث جبرائيل فأراهما المناسك فى يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال

لإبراهيم: عرفت يا إبراهيم؟

قال: نعم فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات.

﴿وَتَبَّ عَلَيْنَا﴾ تجاوز عنا وارجع علينا بالرفقة والرحمة.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ﴾ المتجاوز الرجاء بالرحمة على عبادك. ﴿الزَّجِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ﴾ أى فى الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل.

وقيل: فى أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ أى مرسلأ وهو فعول من الرسالة.

وقال ابن الأنبارى: يشبه أن يكون أصله من قولهم ناقة مرسال ورسلة إذا كانت سهلة

السِّير ماضية أمام النواق.

ويقال للجماعة المهملة المرسله: رسل وجمعه أرسال.

ويقال: جاء القوم أرسالاً أى: بعضهم فى أثر بعض، ومنه قيل للبن رسلًا لأنه يرسل من

الضرع.

﴿يَتْلُوا﴾ يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ كتابك جمع الآية وهى العلامة.

وقيل: الآية جماعة الحروف.

وقال الشيبانى: هى قولهم: خرج القوم بما فيهم أى بجماعتهم.

﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ فقال بعضهم: الآية هاهنا الكتاب فنسّق عليه خلاف

اللفظين كقول الخطيئة:

ألا حبّذا هند وأرض بها هند وهند تفصيل أتى من دونها التّأى والبعد
مجاهد: يعنى الحكمة فهم القرآن.

مقاتل: هى مواعظ القرآن وما فيه من أحكام وبيان الحلال والحرام.

ابن قتيبة: هى العلم والعمل ولا يسمّى الرّجل حكيماً حتّى يجمعهما.

وعن أبى بكر محمد بن الحسن البريدى: كل كلمة وعظمتك أو زجرتك أو دعتك إلى

مكرمة أو نهتك عن قبيح فهى حكمة وحكم، ومنه قول النبى ﷺ: «إنّ من الشّعر لحكمة».

وعن أبى جعفر محمد بن يعقوب: الحكمة كل صواب من القول ورث فعلاً صحيحاً أو

حالاً صحيحاً.

يحيى بن معاذ: الحكمة جند من جنود الله يرسلها إلى قلوب العارفين حتّى يروّح عنها وهج

الدنيا، وقيل: هى وضع الأشياء مواضعها، وقيل: الحكمة والحكم كل ما وجب عليك فعله.

قال الشاعر:

قد قلت قولاً لم يعنّف قائله الصمت حكم وقليل فاعله

أى واجب العمل بالصمت.

وقيل: هى الشرك والدّئوب: وقيل: أخذ زكاة أموالهم.

وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذ شهدوا الأنبياء بالبلاغ، دليله قوله

تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

(البقرة: ١٤٣).

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ ابن عباس: العزيز الذي لا يوجد مثله، بيانه قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١).

الكلبي: العزيز المنتقم ممن يشاء بيانه قوله ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (آل عمران: ٤٤).
الكسائي: العزيز الغالب بيانه قوله ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (ص: ٢٣): أى غلبنى.
وقيل فى المثل: من عزيز.

ابن كيسان: العزيز الذى لا يعجزه شىء بيانه قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (فاطر: ٤٤).

المفضل بن سلمة: العزيز المتيع الذى لا تناله الأيدى فلا يرد له أمر ولا يغلب فيما أراد بيانه قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (هود: ١٠٧).

وقيل: بمعنى المعزّ فعيل بمعنى مفعول بيانه قوله ﴿وَعَزُّنَا تَشَاءُ﴾ (آل عمران: ٢٦).
وقيل: هو القوى بيانه قوله ﴿فَعَزَّزْنَا بِبَالِغٍ﴾ (يس: ١٤) أى قوينا. فأصل العزة فى اللغة الشدة يقال تعزز لحم الناقة إذا اشتد ويقال: عزّ على أى شقّ على واشتد، وأنشد أبو عمرو:

أجد إذا ضمرت تعزز لحمها وإذا نشد بتسعتها لا تياس

فاستجاب الله دعاء إبراهيم وبعث فيهم محمداً سيّد الأنبياء ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إنى عبد الله فى أم الكتاب لحاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينة وسوف أنبئكم بذلك دعوة إبراهيم وبشارة عيسى (عليهما السلام) قومه، ورؤيا أمى التى رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام وكذلك ترى أمهات النبيين».

سعید بن سويد عن العرياض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ الآية.

وذلك أن عبد الله بن سلام دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما أن الله عزّ وجلّ قال فى التوراة: إنى باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فأنزل الله تعالى:



﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ، وَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٠﴾ وَوَصَّى بِهَا

إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَلْبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠١﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٣﴾ .
 ﴿وَمَن يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أى يترك دينه وشريعته .

يقال : رغبت فى الشئ إذا أردته ورغبت عنه إذا تركته . وأصل الرغبة : رفع الهمة عن الشئ وإليه يقال : رغب فلان فى فلان وإليه إذا هممت نفسه إليه ، والأصل فيه الكره فمعنى قوله تعالى : ﴿وَمَن يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أى يرفع همته عنها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ .

قال ابن عباس : حير نفسه . وقال حيّان عن الكلبي : ضلّ من (جهة) نفسه . وقال أبو روق : عجز رأيه عن نفسه . وقال يمان : حمق رأيه ، ونفسه منصوب فى هذه الأقاويل بنزع حرف الصفة . وقال الفراء : نصب على التفسير ، والأصل : سفهت نفسه فلما أضاف الفعل إلى صاحبها خرجت النفس مفسرة ليعلم موضع السفه كما يقال : ضقت به ذرعاً معناه : ضاق ذرعى به ، ويقال : ألم زيد رأسه ووجع بطنه . وقال أبو عبيدة : سفه نفسه : أى أوبق نفسه وأهلكها . وقال هشام وابن كيسان : جهل نفسه . وحكى الفضل بن سلمة عن بعضهم سفه : حقر نفسه .

والنفس على هذه الأقوال نصب لوقوع الفعل عليه وهذا كما جاء فى الخبر : «من عرف نفسه فقد عرف ربه» .

وأصل السفه والسفاهة : الخفة والجهل وضعف الرأى يقال سفه يسفه وسفه يسفه .
 ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترناه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ وأصل الطاء فيه تاء حوكت طاء لقرب مخرجيهما ولتطوع اللسان به .

﴿وَأَنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِينَ﴾ الفائزين . قال الزجاج وقال ابن عباس : يعنى مع آباءه الأنبياء فى الجنة بيانه قوله : خطابه عن يوسف ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصّٰلِحِينَ﴾ (يوسف : ١٠١) .
 وقال الحسين بن الفضل : فى الآية تقديم وتأخير تقديرها لقد اصطفيناها فى الدنيا والآخرة بآته لمن الصالحين نظيرها فى سورة النحل .

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ أى استقم على الإسلام أو اثبت عليه لأنه كان مسلماً كقوله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد : ١٩) أى اثبت على علمك .

وقال ابن عباس: إنما قال له ذلك حين ألقى فى النار، وعن ابن كيسان: أخلص دينك الله بالتوحيد، وعن عطاء: أسلم نفسك إلى الله وفوض أمورك لله، وقيل: اخضع واخضع.

﴿قَالَ أَسَلَّمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَوَصَّى ﴿ فى مصحف عبد الله: فوصى، وقال أهل المدينة والشام: وأوصى بالألف، وكذلك هو فى مصحفهم. قال أبو عبيد: وكذلك رأيت فى مصحف عثمان، وقرأ الباقون (ووصى) مشدداً، وهما لغتان، يُقال: أوصيته قد وصيته به إذا أمرته به مثل: أنزل ونزل. قال الله: ﴿قَهَلِ الْكٰفِرِينَ أَهْمَلَهُمْ زُوَيْدًا﴾ (الطارق: ١٧)، وتصديق الإيضاء قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ (النساء: ١١)، وقوله: ﴿يُوصِينَ﴾ (النساء: ١٢)، ودليل التوصية قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (العنكبوت: ٨)، وقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ (يس: ٥٠).

الكلبى ومقاتل: يعنى كلمة الأحاد لا إله إلا الله، وقال أبو عبيدة: إن شئت رددت الكناية إلى الملة لأنه ذكر ملة إبراهيم وإن شئت رددتها إلى الوصية. وقال المفضل: بالطاعة كناية عن غير المذكور، كقوله: ﴿حَتَّى تَوَارَثَ بِالْحِجَابِ﴾ (ص: ٣٢)، وقال طرفة:

على مثلها الحواء إذا قال صاحبه
ألا ليتنى أفديك عنها وأفدى

أى من الفلاة.

﴿بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ التمنية: إسماعيل وأمه هاجر القبطية، وإسحاق وأمه سارة، ومدين و... (١) سراين، ونقشان، وآتون، ويشبق، وشوخ، وأمهم جميعاً - قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة.

وقوله تعالى ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ وسُمى بذلك لأنه والعيص كانا توءمين فتقدم عيص فى الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره فأخذ يعقبه. قاله ابن عباس وقد مضت القصة.

وقيل: سُمى يعقوب لكثرة عقبه، وعن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ عَلَى أُمَّةٍ ثَمَانِيَةِ آلَافٍ نَبِيٌّ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ».

ومعنى الآية: ووصى بها أيضاً، ويعقوب: بنو الاثنى عشر وهم روفيل أكبر ولده وشمعون ولاوى وهودا وفريالون وسجر ودان ومفتالى وجاد واشرب ويوسف وبنيامين.

﴿يَلْبَنِي﴾ معناه أن يا بنى، وكذلك فى قراءة أبى وابن مسعود، وقال الفراء: إنما قال ذلك لأن الوصية قول وكان تقديره وقال: يا بنى كقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٩) أى وقال لهم لأن العبرة بالقول وقال ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ﴾ (النساء: ١١) معناه ويقول للذكر مثل حظ الأنثيين. وقال الشاعر:

(١) بياض بالأصل المخطوط.

إني سأبدي لك فيما أبدى من شجن بنجد وشجن ببلاد الهند

أى وأقول لأن الإبداء فى المعنى كالقول باللسان .

وحكى ابن مجاهد عن بعضهم ويعقوب أيضاً نسقاً على بنيه لأنه فى جملة الموصين .

﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ﴾ اختار لكم الإسلام .

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مؤمنون وقيل : مخلصون وقيل : مفوضون وعن الفضيل بن

عياض فى قوله : ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أى محسنون بربكم الظن .

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ حضوراً .

﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾ الآية نزلت فى اليهود حين قالوا للنبي ﷺ : ألسنت تعلم أن يعقوب

يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ وعلى هذا القول . . . (١) بن الخطاب لليهود .

وقال الكلبي : لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيران فجمع ولده وخاف

عليهم ذلك .

﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ قال عطاء : إن الله لم يقبض نبياً حتى يخيره بين الموت

والحياة فلما خير يعقوب قال : أنظرنى حتى أسأل ولدى وأوصيهم ففعل الله ذلك به ، فجمع

ولده وولد ولده وقال لهم : قد حضر أجلى فما تعبدون من بعدى؟ أى من بعد موتى .

﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهَ أَبَاكَ وَإِبْرَاهِيمَ﴾ الآية ، وقرأ أبى : إلهك وإله إبراهيم وإسماعيل .

وقرأ يحيى بن يعمر الجحدري : وإله أبىك على الواحد ، قالوا : لأن إسماعيل عم يعقوب

لا أبوه . وقرأ العامة : آباءك على الجمع وقالوا : عم الرجل صنو أبيه .

قال النبي ﷺ : «هذا بقية آباءى» ، وقال أيضاً : «ردوا على أبى فىنى أخشى أن يفعل به

قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود» . يعنى العباس .

والعرب تسمى العمّ أباً وتسمى الخالة أمّاً قال الله تعالى : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾

(يوسف : ١٠٠) . يعنى يعقوب ولياً وهى خالة يوسف .

﴿إِلَهِهَا وَاحِدًا﴾ أى نعرفه ونعبده إلهاً واحداً .

﴿وَوَحْنٌ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿فَدَخَلَتْ لَهَا مَا كَبِتْ﴾ من الدين والعمل .

﴿وَأَلَّكُمْ مَا كُتِبْتُمْ﴾ منها .

﴿وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وإنما تسألون عما تعملون أنتم .



(١) بياض بالأصل المخطوط .

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣١﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسُكِّنْهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ قال ابن عباس: نزلت في رؤوس يهود أهل المدينة كعب بن الأشرف ومالك بن المصيف ووهب بن يهودا وأبى ياسر بن أخطب وفي نصارى أهل نجران: السيد والعاقب وأصحابهما وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله من غيرها فقالت اليهود ديننا خير الأديان ونبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب وكفرت بعيسى والإنجيل ومحمد والقرآن.

وقال النصارى: نبينا عيسى أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك دعوهم إلى دينهم إلا الحنيفية. فقال الله تعالى: قل يا محمد ﴿بَلْ مِلَّةٌ﴾ أى بل تتبع ملَّة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وقرأ الأعرج: (بل ملَّة) رفعا على الخبر.

﴿حَنِيفًا﴾ نصب على القطع. أراد بل ملَّة إبراهيم الحنيف فلما أسقطت الألف واللام لم تتبع النكرة المعرفة. فانقطع منه فنصب قاله نُحاة الكوفة، وقال أهل البصرة: نصب على الحال قال ابن عباس: الحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وأصلها من الحنف وهو ميل وعوج في القدم ومنه سُمى أحنف بن قيس.

مقاتل: مُخلصًا.

كثير بن زياد قال: سألت الحسن عن الحنيفية فقال: هى حج هذا البيت.

الضحاك: إذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج، وإذا لم يكن فهو المسلم.

قتادة: من الحنيفية الختان، وترك نكاح الأخت.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ علم المسلمين مجرى التوحيد وطريق الإيمان. فقال ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ يعنى القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهو عشر صحف.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ يعنى أولاد يعقوب واحدهم سبط. سموا بذلك

لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة من الناس وسبط الرجل حافده، ومنه قيل للحسن والحسين

(عليهما السلام) سبط رسول الله ﷺ، والأسباط من بنى إسرائيل كالقبايل من العرب، والشعوب من العجم.

وعن أبي سعيد الضرير: إن أصل السَّبَط في اللغة شجرة ملتفة كثيرة الأغصان فسُمِّي الأسباط بها لكثرتهم. فكما أن الأغصان من شجرة واحدة كذلك الأسباط كانوا من يعقوب، وكان في الأسباط أنبياء، وكذلك قال ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ﴾ وقيل: هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء.

﴿وَمَا أَوْتِي مُوسَى﴾ يعني التوراة.

﴿وَعِيسَى﴾ الإنجيل. ﴿وَمَا أَوْتِي﴾ أعطى.

﴿الَّذِينَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ فلما نزلت هذه الآية قرأها رسول الله ﷺ على اليهود والنصارى وقال: «إن الله أمرني بهذا» فلما سمعت اليهود بذكر عيسى أنكروا وكفروا به وكفرت النصارى وقالوا: لأن عيسى ليس بمنزلة سائر الأنبياء ولكنه ابن الله فأنزل الله تعالى ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ يعني اليهود والنصارى.

﴿بِمَثَلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ أي بجميع ما آمنتم كإيمانكم، وقيل مثل صلة أي بما آمنتم به، وهكذا كان يقرؤها ابن عباس ويقول: اقرءوا (فإن آمنوا بما آمنتم به) فليس لله مثل ونظيره قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١): أي كهو. قال الشاعر:

يا عاذلي دعني من عدلكا مثلي لا يقبل من مثلكا

أي أنا لا أقبل منك.

﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ قال ابن عباس وعطاء والأخفش: في خلاف يقال: شاق يشاق مشاقفة إذا خالف كأن كل واحد أخذ في شق غير شق صاحبه دليله قوله: ﴿وَيَقْوَمُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ (هود: ٨٩) أي خلافي وأنشد:

فكان إليها والذي اصطاد بكرها شقاقاً وبعضهن أو لطم وأهجرا

وقال ابن سلمة والسدي: في عداوة كأن كل واحد منهما أخذ في شق صاحبه أي في جهده وما يشق عليه من قوله: ﴿إِلَّا شِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ (النحل: ٧) دليله قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (الأنفال: ١٣) أي عادوا الله ورسوله.

قال بشر بن أبي خازم:

وإلا فاعلموا أننا وأنتم بغاة ما حيننا في شقاق

أى فى عداوة .

مقاتل وأبو عبيدة : فى ضلال واختلاف بيانه وله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ (النساء: ٣٥) أى

اختلاف بينهما .

قال الشاعر :

إلى كم نقتل العلماء قسراً ونفجر بالشقاق وبالنفاق

أى بالضلال والاختلاف .

الكسائى : هى خلع الطاعة بيانه قوله : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ (النساء: ١١٥) .

الحسن : فى بعاد وفراق إلى يوم القيامة .

﴿يَكْفِيكُمْ اللَّهُ﴾ يا محمد يعنى اليهود والنصارى .

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم .

﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم وكفاهم الله تعالى أمرهم بالقتل والسبى فى بنى قريظة والجلاء والنفى

فى بنى النضير والجزية والذلة فى نصارى نجران .



﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ

رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ

أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ

خَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ : قال أبو العالية : دين الله .

مجاهد : الإسلام .

ابن عباس : هى أن النصارى كانوا إذا ولد لأحدهم ولد ، وأتى عليه سبعة أيام غمسوه فى

ماء لهم يقال له : المعبودى وصبغوه به ؛ ليظهروا بذلك مكان الختان ، وإذا فعلوا ذلك به قالوا :

الآن صار نصرانياً حقاً : فأخبر الله تعالى : أن دينه الإسلام لا ما يفعل النصارى .

ابن كيسان : صبغة الله : وجهة الله يعنى القبلة : ويقال : حجة الله التى احتج بها على

عباده .

أبو عبيدة والزجاج: خلقة الله من صبغت الثوب إذا غيرت لونه وخلقته. فيكون المعنى: إن الله ابتداء الخلق على الإسلام، دليله قول مقاتل في هذه الآية: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠) أي دين الله.

ويوضحه ما روى همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما من مولود إلا وهو على هذه الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، كما تولد البهيمة، فهل تجدون فيها من جدعاء حتى تكون الأم تجدعونها». قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

أبو عبيدة: سنة الله، وقيل: هو الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم، وفي الخبر: الختان سنة للرجال مكرمة للنساء، وهي نصب على الإغراء تقديره: اتبعوا والزموا صبغة الله. وقال الأخفش: هي بدل من قوله: ﴿مَلَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾: ديناً.

﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾: مطيعون.

﴿قُلْ﴾: يا محمد لليهود والنصارى: ﴿أَتَجَادَلُونَنَا وَتَخَاصِمُونَنَا، وَقُرَأَ الْأَعْمَشُ وَالْحَسَنُ وَابْنُ مَحِيصَنٍ: بنون واحدة مشددة.

وقرأ الباقر: بنون خفيفتين اتباعاً للخط.

﴿فِي اللَّهِ﴾: في دين الله وذلك بأن قالوا: يا محمد إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا.

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَأَعْمَالُكُمْ﴾: مقاتل والكلبي: لنا ديننا ولكم دينكم.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾: موحدون، وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

فصل في معنى الإخلاص

سئل الحسن عن الإخلاص ما هو؟

فقال: سألت حذيفة عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت رسول الله ﷺ عن الإخلاص ما هو؟

قال: «سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو؟» قال: «سر من أسرارى استودعته قلب من

أحببت من عبادي».

وعن أبى إدريس الخولانى قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ حَقِّ حَقِيقَةً وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِخْلَاصِ حَتَّى لَا يَحِبَّ أَنْ يَحْمَدَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عَمَلِ اللَّهِ».

وقال سعيد بن جبير: الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله ولا يشرك به فى دينه ولا يرائى بعمله أحدًا.

محمد بن عبد ربه قال: سمعت الفضيل يقول: ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وقال يحيى بن معاذ: الإخلاص تميز العمل من العيوب كتميز اللبن من بين الفرث والدم. أبو الحسن البوشجى: هو ما لا يكتبه الملكان ولا يفسده الشيطان ولا يطلع عليه الإنسان. رؤيم: هو ارتفاع رؤيتك من الظل. وقيل: ما يرى به الحق ويقصد به. وقيل: ما لا يشوبه الآفات ولا تتبعه رخص التأويلات.

وقيل: ما استتر من الخلائق واستصفى من العلائق.

حذيفة الإخلاص: هو أن تستوى أفعال العبد فى الظاهر والباطن.

أبو يعقوب المكفوف: أن يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

سهل بن عبد الله: ألا يرائى.

عن أحمد بن أبى الجمارى قال: سمعت أبا سليمان يقول: للمرائى ثلاث علامات يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان فى الناس، ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه.

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وخلف وحفص: بالتاء واختاره أبو عبيد،

وقرأ الباقر بالياء، واختاره أبو حاتم. فمن قرأ بالتاء فللمخاطبة التى قبلها: ﴿قُلْ أَتَحَاوِنَانِ فِي اللَّهِ﴾ والتى بعدها: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ﴾ ومن قرأ بالياء فهو إخبار عن اليهود والنصارى.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾: قال الله: ﴿قُلْ﴾

يا محمد. ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ﴾: بدينهم.

﴿أَمْ أَلَّه﴾: وقد أخبرنى الله أنه لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾: أخفى.

﴿شَهَادَةٌ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: وهو علمهم أن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين، وأن محمدًا ﷺ حق

ورسول.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: الآية.



﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ
مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥١﴾ ﴾
﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ ﴾ : الجهال .

﴿ مِن النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ ﴾ : صرفهم وحوْلهم .

﴿ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ : من بيت المقدس . نزلت في اليهود ومشركي العرب بمكة
ومناقض المدينة طعنوا في تحويل القبلة وقال مشركو مكة : قد تردد على محمد أمره واشتاق إلى
مولده ومولد آبائه قد توجه نحو قبلتكم وهو راجع إلى دينكم عاجلاً .

قال الله : ﴿ قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ : ملكاً والخلق عبده يحولهم كيف شاء .

﴿ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ : عدلاً خياراً . تقول
العرب : انزل وسط الوادي : أي تخير موضعاً فيه ، ويقال لرسول الله ﷺ هو وسط قریش نسباً
أي خيرهم : قال الله تعالى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ (القلم: ٢٨) ، أي أخيرهم وأعدلهم ، وأصله هو أن
خير الأشياء أوسطها . قال زهير :

هم وسط ترضى الأنام لحكمهم إذا نزلت إحدى الليلالي بمعظم

وقال الكلبي : يعني متوسطة أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في
الدين . قال ثعلب : يُقال جلس وسط القوم ووسط الدار ، وكذلك فيما يُحتمل البيئونة . . . (١)
بافتح وكذلك فيما لا يحتمل البيئونة .

نزلت هذه الآية في مرحب وربيعة وأصحابهما من رؤساء اليهود قالوا المعاذ بن جبل : ما ترك
محمد قبلتنا إلا حسداً ، وإن قبلتنا قبله الأنبياء ، ولقد علم محمد أننا عدل بين الناس . فقال
معاذ : إنا على حق وعدل . فأنزل الله ﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ : أي وهكذا ، وقيل الكاف فيه للتشبيه
تقديره : وكما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم كذلك جعلناكم أمةً وسطاً . مردودة على
قوله : ﴿ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ﴾ (البقرة: ١٣٠) الآية .

﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ : يوم القيامة أن الرُّسل قد أبلغتهم .

﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ﴾ : محمد ﷺ . ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ : معدلاً مزيكياً لكم ؛ وذلك أن الله تعالى جمع الأولين والآخرين فى صعيد واحد يُسمعهم الداعى ، وينقذهم البصر ثم يقول كفّار الأمم . ألم يأتكم نذير فتشكرون ، ويقولون : ما جاءنا من نذير .

فيسأل الأنبياء عن ذلك فيقولون : قد كذبوا ، قد بلغناهم وأعذرنا إليهم : فيسألهم البيّنة ، وهو أعلم بإقامة الحجة . فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم . أنهم قد بلغوا . فتقول الأمم الماضية : من أين علموا بذلك وبيننا وبينهم مدة مديدة ؟

فيقولون : علمنا ذلك بإخبار الله إيانا فى كتابه الناطق على لسان رسوله الصادق . فيؤتى محمد ﷺ فيسأل عن حال أمتّه . فيزكيهم ويشهد لصدقهم .

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ : يعنى التحويل عن القبلة التى كنت عليها وهى بيت المقدس .

وقيل : معناه القبلة التى أنت عليها أى الكعبة كقوله : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ (ال عمران : ١١٠) أى أنتم .

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ : لنرى ونميز : ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ فى القبلة .

﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾ : فيرتد ويرجع إلى قبلته الأولى هذا قول المفسرين وقال أهل المعانى : معناه إلا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه كأنه سبق ذلك فى علمه ، أن تحويل القبلة سبب هداية قوم وضلالة آخرين ، وقد تضع العرب لفظ الاستقبال موضع المضى كقوله : ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ (البقرة : ٩١) أى قتلتهم .

وأنزل بعض أهل اللغة : للعلم منزلتين : علماً بالشيء قبل وجوده وعلماً به بعد وجوده والحكم للعلم الموجود لأنه يوجب الثواب والعقاب فمعنى قوله : ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أى لنعلم العلم الذى يستحق به العامل الثواب والعقاب وهذا على معنى التقدير كرجل قال لصاحبه : النار تحرق الحطب ، وقال الآخر : لا ، فردّ عليه . هات النار والحطب . ليعلم أنها تحرقه أى ليتقرر علم ذلك عندك .

وقوله : لنعلم تقديره ليتقرر علمنا عندكم ، وقيل معناه : ليعلم محمد ﷺ فأضاف علمه ﷺ إلى نفسه سبحانه تخصيصاً وتفصيلاً كقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ (الأحزاب : ٥٧) وقوله : ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا﴾ (الزخرف : ٥٥) ونحوهما : ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ وقد كانت تولية القبلة وتحويلها فأنث الفعل لتأنيث الاسم كقولهم : ذهب بعض أصابعه وقيل : هذه الكناية راجعة إلى القبلة بعينها أراد وإن كانت الكعبة .

﴿كَبِيرَةٌ﴾ : ثقيلة شديدة. ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ : أى هداهم الله وقال سيويه : (وإن) تأكيد منه باليمين ولذلك دخلت اللام فى جوابها .

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ : وذلك أن حى بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين : أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس أكانت هدى أم ضلالة؟ فإن كانت هدى فقد تحولتم عنها وإن كانت ضلالة لقد دنتم الله بها فإن مات منكم عليها لقد مات على الضلالة . قال المسلمون : إنما الهدى ما أمر الله تعالى به والضلالة ما نهى الله عنه .

قالوا : فما شهدتكم على من مات منكم على قبلتنا؟ وكان مات قبل أن تحول القبلة؟ أسعد ابن زرارة من بنى النجار والبراء بن معرور من بنى سلمة وكانا من النباء ومات رجال آخرون . فانطلقت عشائرهم إلى النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله قد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم فكيف إخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أى صلاتكم إلى بيت المقدس .

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ : وفى رؤوف ثلاث قراءات : مهموز مثقل وهى قراءة نافع وابن عامر وحفص واختيار أبى حاتم قال : لأن أكثر أسماء الله على فعول وفعيل . قال الشاعر :

نطيع رسولنا ونطيع رباً

هو الرحمن كان بنا رؤوفا

وروف غير مهموز مثقل قراءة أبى جعفر .

ورؤف مهموز مخفف وهى قراءة الباقيين واختيار أبى عبيد .

قال جرير :

ترى للمسلمين عليك حقاً

كفعل الوالد الرؤف الرحيم

فالرأفة أشد الرحمة .



﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وَلَيْنِ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا

يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١١٥﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٦﴾ ﴿

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ : إنَّ أوَّل ما نسخ من أمور الشرع أمر القبلة وذلك أنَّ رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلُّون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وقدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الأوَّل أمره تعالى أن يصلِّي نحو الصخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إيَّاه إذا صلَّى إلى قبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوراة هذا قول عامَّة المفسِّرين .

وقال عبد الرحمن بن زيد : قال الله لنبيه ﷺ : ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَكَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥) قال رسول الله ﷺ : «هؤلاء يهود يستقبلون بيتاً من بيوت الله ، فلو أننا استقبلنا» فاستقبله النبي ﷺ ، قالوا جميعاً : فصلَّى النبي ﷺ وأصحابه نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً وكانت الأنصار قد صلَّت إلى بيت المقدس سنتين قبل قدوم النبي ﷺ .

وكانت الكعبة أحبَّ القبلتين إلى النبي ﷺ ، واختلفوا في السبب الذي كان ﷺ يكره من أجله قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة .

فقال ابن عباس : لأنها كانت قبلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

مجاهد : من أجل أن اليهود قالوا : يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا .

مقاتل بن حيان : لما أمر رسول الله ﷺ أن يصلِّي نحو بيت المقدس قالت اليهود : زعم محمد أنه نبي وما يراه أحد إلا في ديننا ، أليس يصلِّي إلى قبلتنا ويستن بسنتنا فإن كانت هذه نبوة فنحن أقدم وأوفر نصيباً فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فشقَّ عليه وزاده شوقاً إلى الكعبة .

ابن زيد : لما استقبل النبي ﷺ بيت المقدس بلغه أن اليهود تقول : والله ما ندرى محمداً وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم .

قالوا جميعاً فقال رسول الله ﷺ لجبرائيل : «وددت أن الله صرفني من قبلة اليهود إلى غيرها فأنتي أبغضهم وأبغض توافقهم» . فقال جبرائيل : إنما أنا عبد مثلك ليس إليّ من الأمر شيء فاسأل ربك؟

فخرج جبرائيل وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء أن ينزل عليه جبرائيل بما يجيء من أمر القبلة .

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ : تحوّل وتصرف وجهك يا محمد في السماء .

﴿فَلَوْلَيْتَنَّكَ﴾ : فلنحوّلتك ولنصرفك .

﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ : تحبها وترضاها .

﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ : أى نحوه وقصده . قال الشاعر :

واطن بالقوم شطر الملوك حتى إذا خفق المخدج

أى : نحوهم وهو نصب على الظرف .

والمسجد الحرام : الحرم كالكتاب بمعنى المكتوب والحساب بمعنى المحسوب .

﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ : فى برأ أو بحر أو سهل أو جبل شرق أو غرب : ﴿فَوَلُّوا

وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ فحوّل القبلة فى رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين .

مجاهد وغيره : نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ فى مسجد بنى سلمة ، وقد صلّى بأصحابه

كعتين من صلاة الظهر فتحوّل فى الصلاة واستقبل الميزاب ، وحوّل الرجال مكان النساء

والنساء مكان الرجال فسّمى ذلك المسجد مسجد القبليتين .

قال ابن عباس : البيت كلّه قبلة وقبلة البيت الباب والبيت قبلة أهل المسجد والمسجد قبلة

أهل الحرم والحرم قبلة أهل الأرض كلّها فلما حوّلت القبلة إلى الكعبة قالت اليهود : يا محمد

ما أمرت بهذا . يعنون القبلة . وما هو إلاّ شىء تبتدعه من تلقاء نفسك .

قتادة : فصلّى إلى بيت المقدس وتارة يصلّى إلى الكعبة ولو ثبتّ على قبلتنا لكننا نرجو أن

تكون صاحبنا الذى ننظره ورأيانكم تطوفون بالكعبة وهى حجارة مبنية فأنزل الله :

﴿وإنّ الذين أوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أنّه الحقُّ﴾ : يعنى أمر الكعبة الحقّ . ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ : وإنّها

قبلة إبراهيم ثم هددهم فقال : ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ قرأ أبو جعفر وابن . . . والكسائى

بالتاء وقال بريد : إنكم يا معشر . . . تطلبون وصالى وما . . . عن ثوابكم وجوابكم . وقرأ

الباقون . . . يعنى ما الله بغافل عما يعمل اليهود فأجازيهم فى الدنيا والآخرة . ﴿وَلَيْنَ أَنْتَ

الَّذِينَ أوْتُوا الْكِتَابَ﴾ : يعنى يهود المدينة ، ونصارى نجران . قالوا للنبي ﷺ أتنا بآية كما أتى

بها الأنبياء قبلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَلَيْنَ أَنْتَ الَّذِينَ أوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ :

يعنى الكعبة ، وقال الأخفش ، والزجاج : أجيئت لئن بما لأنّها بمعنى لو ، وقيل : إنّها أجيبت بما

لما فيه من معنى اليمين كأنه قال : والله لئن أتيت الذين أوْتوا الكتاب بكل آية إلى : ﴿وَمَا أَنْتَ

بِتَابِعِ قِبْلَتَهُمْ﴾ ؛ لأن اليهود تستقبل بيت المقدس ، والنصارى تستقبل المشرق .

﴿وَلَيْنَ اتَّبَعَتْ أهْوَاءَهُمْ﴾ : مرادهم فى أمر القبلة .

﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ : إِنَّهَا حَقٌّ وَإِنَّهَا قِبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ .

﴿إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ : الجاحدين الضارين أنفسهم .

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ : يعنى مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه .

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ : يعنى محمداً ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ : من بين النصارى .

الكلبى عن الربيع عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال عمر لعبد الله بن

سلام : لقد أنزل الله على نبيه : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ فكيف يا

عبد الله هذه المعرفة ؟

فقال عبد الله بن سلام : يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابنى إذا رأيته مع

الصبيان يلعب ، وأنا أشد معرفة بمحمد منى لابنى ، فقال عمر : وكيف ذلك ؟

فقال : أشهد أنه رسول حق من الله ، وقد نعته الله فى كتابنا وما أدرى ما تصنع النساء ،

فقال له عمر : وفكك الله يا بن سلام فقد صدقت وأصبحت . ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ :

يعنى صفة محمد ﷺ وأمر الكعبة .

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ : ثم قال : ﴿الْحَقُّ﴾ أى هذا الحقّ خبر ابتداء مضمّر .

وقيل : رفع بإضمار فعل أى جاءك الحقّ كما قال : ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ (هود : ١٢٠)

وقرأ على بن أبى طالب كرم الله وجهه : ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ نصباً على الإغراء .

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْفِرِينَ﴾ : الشاكين مفتعل من المربة والخطاب فى هذه الآية : وفى ما قبلها

للنبي ﷺ والمراد به غيره وكلّ ما ورد عليك من هذا النحو فهو سبيله .



﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّئُهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٧﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ

مِنَ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ

ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَإِلَٰهَ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٩﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا

فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم

مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٦١﴾ ﴿

﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ﴾ : أى ولكل أهل ملة قبله .
 ﴿هُوَ مَوْلَاهَا﴾ : مستقبلها ومقبل إليها يُقال : ووليت إليه ، ووليت إليه . إذا أقبلت إليه ووليت عنه
 إذا أدبرت عنه .

وأصل التولية : الانصراف ، وقرأ ابن عباس وابن عامر وأبو رجاء وسليمان بن عبد الملك :
 هو مولاها : أى مصروف إليها .

وفى حرف أبى : ولكل قبله هو موليها ، وفى حرف عبد الله : ولكل جعلنا قبله هو موليها .
 ﴿فَأَسْتَفِهُوا الْحَيْرَاتِ﴾ : وبادروا فعل الحيريات ، ومجازه فاستبقوا إلى الحيريات : أى يسبق
 بعضكم بعضاً ؛ فحذف حرف الخبر . كقول الشاعر :

وهو الداعى . . . (١) عليكم بالحرب
 ومن يمل سواكم فإنى منه غير مائل

أراد من يمل إلى سواكم .

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾ : يريد أهل الكتاب .

﴿يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾ : يوم القيامة ؛ فيجزىكم بأعمالكم .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ : حيث حرف يدل على الموضع ، وفيه
 ثلاث لغات : بالياء وحرف التاء وهى لغة قریش ، وقراءة العامة ، واختلفوا فى وضع رفعها
 فقيل : هو مبنى على الضم مثل : منذ وقط ، وقيل : رفع على الغاية كقوله : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ
 وَمِنْ بَعْدُ﴾ (الروم : ٤) .

وحيث : بالياء ونصب التاء وهى قراءة عبيد بن عمير .

قال الكسائى : إنما نصب بسبب الياء لأنها ساكنة وإذا اجتمع ساكنان فى حرف حركوا
 الثانى إلى الفتح ؛ لأنه أخف الحركات مثل : ليت وكيف .

وحوث : بالواو والضم وهى لغة ابن عمر .

يروى أنه سئل أين يضع المصلّى يده فى الصلاة ، فقال : ارم بهما حوثٌ وقعتا .

﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ : إلى : ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ أيها

المؤمنون .

﴿قُولُوا وَجْهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ : هى لام كى دخلت على أن فكتبت
 بالكسرة ما قبلها ، وترك بعضهم همزها تخفيفاً ، والحجة فعلة من الحج وهو الفصل ، ومنه
 المحجة وهى الطريق الواضح المسلوک ؛ لأنه مقصود ، ويُقال للمخاصمة : محاجة لقصد كل

(١) بياض بالأصل المخطوط .

واحد من الخصمين إلى إقامة بينته، وإبطال ما فى يد صاحبه .

واختلفوا فى تأويل هذه الآية ووجه قوله : ﴿إِلَّا﴾ فقال بعض أهل التأويل : ومعنى الآية حوّلت القبلة إلى الكعبة لثلاً يكون للناس عليكم حجة إذا صليتم إليها فيحتجون عليكم ويقولون : لم تركم التوجه إلى الكعبة وتوجهتم إلى غيرها لولا أنه ليست لكم قبلة؟

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ : وهم قريش واليهود وأما قريش فتقول إنما رجع إلى الكعبة لأنه عليم أنها قبلة آبائه وهى الحق وكذا يرجع إلى ديننا ويعلم أنه الحق ، وأما اليهود فيقولون لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق إلا أنه يفعل برأيه فيزعم أنه أمر به ، وهذا القول اختيار المفضل بن سلمة الضبى وهو قول صحيح مرضى .

وقال قوم : معنى الآية : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يعنى لأهل الكتاب عليكم حجة وكانت حجّتهم على رسول الله ﷺ وأصحابه فى صلاتهم نحو بيت المقدس أنهم كانوا يقولون : ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن ، وقولهم : يخالفنا محمد فى ديننا ويتبع قبلتنا فهذه الحجة التى كانوا يحتجون بها على المؤمنين على وجه الخصومة والتمويه بها على الجهال من المشركين ثم قال : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم مشركو مكة وحجّتهم أنهم قالوا لما صرفت القبلة إلى الكعبة أن محمداً قد تحيّر فى دينه فتوجه إلى قبلتنا وعلم أنا أهدى سبيلاً منه وأنه لا يستغنى عنا ويوشك إن يرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا ، وهذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والربيع والسدى واختيار محمد بن جرير .

وعلى هذين القولين إلا استثناء صحيح على وجه نحو قولك : ما سافر أحد من الناس إلا أخوك فهو إثبات للأخ من السفر ، وما هو منفى عن كل أحد من الناس ، وكذلك قوله تعالى : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من قريش نفى عن أن يكون لأحد حجة قبل رسول الله ﷺ وأصحابه بسبب تحولهم إلى الكعبة ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ : من قريش فإن لهم قبلهم حجة لما ذكرنا .

ومعنى الحجة فى هذين القولين : الخصومة والجدل ، والدعوى بالباطل كقوله : ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ (الشورى : ١٥) : أى لا خصومة ، وقوله : ﴿أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ (البقرة : ١٣٩) وليحاجوكم وتحاجون وحاججتم كلها بمعنى المجادلة . والخاصمة لا بمعنى الدليل والبرهان ، وموضع الذين خفض كأنه قال : إلا للذين ظلموا . فلما سقطت اللام حلت الذين محلها قاله الكسائى .

قال الفراء: موضعه نصب بالاستثناء، وإنما... (١) منهم ردّ إلى لفظ الناس؛ لأنه عام، وإن كان كل واحد منهم غير الآخر والله أعلم، وقال بعضهم: هو استثناء منقطع من الكلام الأول ومعناه ألا يكون للناس عليكم حجة اللهم إلا الذين ظلموا فإنهم يحاجونكم في الباطل ويجادلونكم بالظلم، وهذا كما يقول للرجل: الناس كلهم لك سامرون إلا الظالم لك: يعني لا... (١) ذلك بتركه حمدك لعداوته لك، وكقولك للرجل: ما لك عندي حق إلا أن تظلم، وما لك حجة إلا الباطل والباطل لا يكون حجة، وهذا استثناء من غير الحسن. كقول القائل: ليس في الدار أحد إلا الوحش. كقول النابغة:

وما بالربع من أحد إلا وأرى لأياماً
أمنّها ونوى كالحوض بالملومة الجلد

وهذا قول الفراء والمؤرج.

وقال أبو روق: ﴿لئلا يكون للناس﴾ يعني اليهود عليكم حجة؛ وذلك أنهم كانوا قد عرفوا أن الكعبة قبله إبراهيم وقد كانوا وجدوا في التوراة أن محمداً سيحوّل إليها. فحوّله الله إليها لئلا يكون لهم حجة فيحتجون. بأن هذا النبي الذي نجاه في كتابنا سيحوّل إليها ولم تحوّل أنت فلما حول النبي ﷺ ذهب حجتهم ثم قال: ﴿إلا الذين ظلموا﴾ منهم يعني إلا أن يظلموكم فيكتموا ما عرفوا.

وقال الأخفش: معناه لكفى الذين ظلموا ما لهم به من علم إلا اتباع الظن يعني: لكن يتبعون الظن، قوله: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ إلا أبتغاء وجه ربه (الليل: ١٩) يعني لكن تبتغي وجه ربك فيكون منفرداً من الكلام الأول.

وروى أبو عبيد عن أبي عبيدة أنه قال: ليس موضع إلا ههنا موضع الاستثناء لأنه لا يكون للظالم حجة إنما هو في موضع واو العطف كأنه قال: ولا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا لا يكون لهم أيضاً حجة.

وأنشد المفضل:

ما بالمدينة دار غير واحدة
دار الخليفة إلا دار مروانا

وأنشد أيضاً:

وكلّ أخ مفارقه أخوه
لعمر أبيك إلا الفرقدان

يعني والفرقدان أيضاً متفرقان.

وأنشد الأخفش:

(١) بياض بالأصل المخطوط.

وارى لها داراً بأغدرة السيد لدان لم يدرس لها رسم
إلا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحم

أى: وأرى داراً ورماداً، يؤيد هذا القول ما روى أبو بكر بن مجاهد عن بعضهم أنه قرأ بعضهم: (إلى الذين ظلموا) مخففاً يعنى مع الذين ظلموا.

ومعنى الآية: لثلا يكون للناس، يعنى اليهود عليكم حجة فى أمر الكعبة حيث لا يستقبلونها وهى قبله إبراهيم فيقولون لكم تزعمون أنكم على دين إبراهيم ولم تستقبلوا قبلته ولا للذين ظلموا وهم مشركو مكة لأنهم قالوا: إن الكعبة قبله جدنا إبراهيم فما بال محمد تحول عنها فلا يصلى إليها ويصلى إلى قبله اليهود.

وقال قطرب: معناها إلا على الذين ظلموا فيكون رده على الكاف والميم أى إلا على الذين ظلموا فإن عليهم الحجة فحذف حرف الجر وهذا اختيار أبى منصور الأزهرى.

قال الثعلبى: سمعت أبا القاسم الحبيبي يحكيها عنه وحكى محمد بن جرير عن بعضهم أنه قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هاهنا ناس من العرب كانوا يهوداً ونصارى وكانوا يحتجون على النبى ﷺ فأما سائر العرب فلم يكن لهم حجة وكانت حجة من احتج أيضاً داحضة باطلة لأنك تقول لمن تريد أن تكسر حجته عليه: إن لك على حجة ولكن منكسرة إنك لتحتج بلا حجة وحجتك ضعيفة، فمعنى الآية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب فإن لهم عليكم حجة واهية.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: فى انصرافكم إلى الكعبة وفى تظاهرهم عليكم فى المحاجة والمجاوبة فأتى وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة.

﴿وَأَخْشَوْنِي﴾: فى تركها ومخالفتها.

﴿وَلَا تَرْتَمِي عَالِيَكُمْ﴾: عليكم عطف على قوله: ﴿لِثَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ ولكن أتم نعمتى بهدايتى إياكم إلى قبله إبراهيم فتمم لكم الملة الحنيفية وقال على (كرم الله وجهه): تمام النعمة: الموت على الإسلام، وروى عنه أيضاً أنه قال: النعم ستة: الإسلام والقرآن ومحمد والستر والعافية والغنى مما فى أيدى الناس.

﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: فى لعل ست لغات: علّ ولعلّ ولعنّ وعنّ ولعاً.

ولها ستة أوجه هى من الله عزّ وجلّ واجب، ومن الناس على معانٍ قد تكون بمعنى الاستفهام كقول القائل: لعلك فعلت ذلك مستفهماً.

وتكون بمعنى الظن كقول القائل: قدم فلان فردّ عليه الراد: لعل ذلك.

بمعنى أظنّ وأرى ذلك.

وتكون بمعنى الإيجاب بمنزلة ما أخلقه كقوله: قد وجبت الصلاة فيرد الرّاد: لعلّ ذلك أى ما أخلقه .
وأُنشد الفراء:

لعلّ المنيا مرّة ستعود وآخر عهد الزائرين جديد
وتكون بمعنى التّرجى والتّمنى كقولك: لعلّ الله أن يرزقنى مالاً، ولعلّنى أحجّ.
وأُنشد الفراء:

لعلّى فى هدى أفى وجودى وتقطيعى التّنوقة واختيالى
سيوشك أن يتيح إلى كريم ينالك بالذّرى قبل السّؤال
ويكون بمعنى عسى تكون ما يراد ولا يكون كقوله: ﴿يَهْتَمُنْ أَبْنِي لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغَ
الْأَسْتَبْ﴾ (غافر: ٣٦). أى عسى أبلغ.
وقال أبو داود:

فأبلونى بليتكم لعلّى أصالحكم وأستدرج نوى
أى نوى ويكون بمعنى كى على الجزاء كقوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾
(الأنعام: ٦٥) بمعنى لكى يفقهوا ونظائرها كثيرة وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أى لكى تهتدوا من
الضّلالة.

قال الربيع: خاصم يهودى أبا العالية فقال: إنّ موسى كان يصلّى إلى صخرة بيت
المقدس، فقال أبو العالية: كان يصلّى عند الصخرة إلى البيت الحرام فقال لى: بينى وبينك
مسجد صالح فإنه نحتته من الجبل فقال أبو العالية: قد صلّيت فيه وقبلته إلى البيت الحرام.

قال: فأخبر أبو العالية أنّه مرّ على مسجد ذى القرنين وقبلته الكعبة.
﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾: هنا الكاف للتشبيه ويحتاج إلى شىء يرجع إليه واختلفوا فيه فقال بعضهم:
هو راجع إلى ما قبلها والكاف مما قبلها تقديره: فلا تخشوهم واخشونى ولأتمّ نعمتى كما
أرسلت فيكم رسولا فيكون إرسال الرسول شرطاً للخشية مزديا بإتمام النعمة.

وقيل: معناه ولعلّكم تهتدون كما أرسلنا.

وقال محمد بن جرير: إنّ إبراهيم دعا بدعوتين فقال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا
أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (البقرة: ١٢٨) فهذه الدعوة الأولى .

والثانية: قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٨) فبعث الله الرسول وهو محمد
ﷺ ووعد فى هذه الآية أن يجيب الدّعوة الثانية أن يجعل من ذريّته أمة مسلمة لك فمعنى

الآية : ولأنتم نعمتى عليكم : بيان شرائع ملتكم الحنيفية وأهديكم لدين خليلي إبراهيم .
﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ : يعنى فكما أوجبته دعوته بانبعث الرسول كذلك أوجبته دعوته بأن أهدىكم لدينه وأجعلكم مسلمين وهذا على قول من يجعله متصلاً بما قبله وجواباً للآية الأولى وهو اختيار الفراء .

وقال بعضهم : إنها متعلقة بما بعدها وهو قوله : ﴿فَأذْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ﴾ تقديرها : كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني أذكركم فيكون جزاء له جوابان مقدّم ومؤخّر كما تقول : إذا جاءك فلان فآته ترضه . فقوله : فآته وترضه جوابان لقوله إذا جاءك وكقولك : إن تأتني أحسن إليك أكرمك وهذا قول مجاهد وعطاء والكلبي ومقاتل والأخفش وابن كيسان واختيار الزجاج ، وهذه الآية خطاب للعرب وأهل مكة يعنى : كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب رسولا منكم محمداً ﷺ .

﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ : يعنى القرآن .

﴿وَيُرَكِّبْكُمْ﴾ : أى يعلمون من الأحكام وشرائع الإسلام .

﴿فَأذْكُرُونِي أَذْكَرْكُمْ﴾ : قال ابن عباس : اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي بيانه قوله :
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ (العنكبوت: ٦٩) الآية .

سعيد بن جبیر : ﴿فَأذْكُرُونِي﴾ بطاعتي أذكركم بمغفرتي بيانه : ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٢) .

فضيل بن عياض : فاذكروني بطاعتي أذكركم بشوابي بيانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ أَوْلَيْكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ ﴿ (الكهف: ٣٠ ، ٣١) وروى عن النبي ﷺ : «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن» .

وقيل : اذكروني بالتوحيد والإيمان أذكركم بالجنت والدرجات بيانه : ﴿وَشَرِّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ (البقرة: ٢٥) .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : كفى بالتوحيد عبادة وكفى بالجنت ثواباً .

ابن كيسان : اذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة : بيانه قوله : ﴿لِيَن شُكْرَهُمْ لِأَزِيدَنَّهُمْ﴾ (إبراهيم: ٧) .

وقيل : اذكروني على ظهر الأرض أذكركم فى بطنها .

قال الأصمى : رأيت أعرابياً واقفاً يوم عرفة بالموقف وهو يقول : ضجّت إليك الأصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات وحاجتى إليك أن تذكرنى عند البلى إذا نسينى أهل الدنيا .

وقيل : اذكروني بالطاعات اذكركم بالمعافاة ودليله : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ (النحل : ٩٧) .

وقيل : اذكروني في الخلاء والملاء اذكركم في الجلاء والملاء بيانه ما روى في بعض الكتب أن الله قال : أنا عند ظن عبدي ، فليظن بي ما شاء ، وأنا معه إذا ذكرني ، فمن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في الملاء ذكرته في ملاء خير منه ، ومن تقرب إلي شبراً تقربت له ذراعاً ، ومن تقرب إلي ذراعاً ، تقربت إليه باعاً ومن أتاني مشياً أتيته هرولة ، ومن أتاني بقراب الأرض فضة أتيته بمثلها مغفرة بعد أن لا يُشرك بي شيئاً .

وقيل : اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء بيانه قوله : ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (الصفات : ١٤٣ ، ١٤٤) .

قال سلمان الفارسي : إن العبد إذا كان له دُعاء في السر ؛ فإذا نزل به البلاء قالت الملائكة : عبدك نزل به البلاء فيشفعون له فينجيه الله ، فإذا لم يكن له دُعاء قالوا : الآن فلا تشفعون له . بيانه لفظه فرعون : ﴿ءَأَلْتَنُ وَقد عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس : ٩١) .

وقيل : اذكروني بالتسليم والتفويض اذكركم بأصلح الاختبار . بيانه : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق : ٣) .

وقيل : اذكروني بالشوق والمحبة اذكركم بالوصل والقربة .

وقيل : اذكروني بالحمد والثناء اذكركم بالجزاء ، وقيل : اذكروني بالأوبة اذكركم بغفران الحوبة ، وقيل : اذكروني بالدُعاء اذكركم بالعطاء ، اذكروني بالسؤال اذكركم بالنوال ، اذكروني بلا غفلة اذكركم بلا مهلة ، اذكروني بالندم اذكركم بالكرم ، اذكروني بالمعذرة اذكركم بالمغفرة ، اذكروني بالإرادة اذكركم بالإفادة ، اذكروني بالتنصل اذكركم بالتفضل اذكروني بالإخلاص اذكركم بالخلاص ، اذكروني بالقلوب اذكركم بكشف الكروب ، اذكروني بلا نسيان اذكركم بالأمان ، اذكروني بالافتقار اذكركم بالاعتقاد ، اذكروني بالإعدام والاستغفار اذكركم بالرحمة والاعتذار ، اذكروني بالإيمان اذكركم بالجنان ، اذكروني بالإسلام اذكركم بالإكرام ، اذكروني بالقلب اذكركم برفع التعجب ، اذكروني ذكراً فانياً اذكركم ذكراً باقياً ، اذكروني بالابتهال اذكركم بالإفضال ، اذكروني بالظل اذكركم بعفو الزلل ، اذكروني بالاعتراف اذكركم بمحو الاقتراف ، اذكروني بصفاء السر اذكركم بخالص البر ، اذكروني بالصدق اذكركم بالرفق ، اذكروني بالصفو اذكركم بالعفو ، اذكروني بالتعظيم اذكركم بالتكريم ، اذكروني بالتكبير اذكركم بالتطهير ، اذكروني بالتمجيد اذكركم بالمزيد ، اذكروني

بالمنجاة أذكركم بالنجاة، اذكروني بترك الجفاء اذكركم بحفظ الوفاء، اذكروني بترك الخطأ أذكركم بحفظ الوفاء، اذكروني بالجهد بالخلقة أذكركم بإتمام النعمة، اذكروني من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا ولذكر الله أكبر.

الربيع في هذه الآية: إن الله ذاكر من ذكره، وزائد من شكره، ومعذب من كفره.
وقال السدي فيها: ليس من عبد يذكر الله إلا ذكره الله. لا يذكره مؤمن إلا ذكره بالرحمة، ولا يذكره كافر إلا يذكره بعذاب.

وقال سفيان بن عيينة: بلغنا أن الله عز وجل قال: أعطيت عبادي ما لو أعطيته جبرائيل وميكائيل كنت قد أجزلت لهما قلت: اذكروني أذكركم، وقلت لموسى: قل للظلمة لا يذكروني فإني أذكر من ذكرني، فإن ذكرى إياهم أن العنهم.

وقال أبو عثمان النهدي: إني لأعلم حين يذكرني ربي عز وجل، قيل: كيف ذلك؟ قال: إن الله عز وجل قال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ﴾ وإذا ذكرت الله تعالى ذكرني.
﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾: نعمتي.
﴿وَلَا تَكْفُرُون﴾.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿وَلَنَبَلِّغُنَّكُمْ شَيْءٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: بالعون والنصرة.
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾.

نزلت هذه في قتلى بدر من المسلمين، وكانوا أربعة عشر رجلاً منهم ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين؛ وذلك أن الناس كانوا يقولون للرجل يقتل في سبيل الله: مات فلان، وذهب منه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ أي هم ليس أمواتاً بل إنهم أحياء.

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: إنهم كذلك قال رسول الله ﷺ: «إن أرواح الشهداء في

أجواف طير خضر تسرح فى ثمار الجنة، وتشرب من أنهارها، وتأوى بالليل إلى قناديل من نور معلقة تحت العرش».

وقال الحسن: إن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرواحهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غداة وعشيًا فيصل إليهم الوجع.

وقال أبو سنان السلمى: أرواح الشهداء فى قباب بيض من باب الجنة فى كل قبة زوجتان، رزقهم فى كل يوم طلعت فيه الشمس نور وحوث، فأما النور: ففيه طعم كل ثمرة فى الجنة وأما الحوث: ففيه طعم كل شراب فى الجنة.

قال قتادة فى هذه الآية: كنّا نحدّث أنّ أرواح الشهداء تعارف فى طير بيض يأكلن من ثمار الجنة وإنّ مساكنهم السدرة المنتهى، وإنّ للمجاهد فى سبيل الله عزّ وجلّ ثلاث خصال: من قتل فى سبيل الله منهم صار حيًّا مرزوقًا، ومن غلب أتاه الله أجرًا عظيمًا، ومن مات رزقه الله رزقًا حسنًا.

عن النبى ﷺ قال: «يعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه يكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويؤمن من الفرع الأكبر ومن عذاب القبر ويحلّى بحلية الإيمان».

﴿وَلَتَبْلُوَنَكُمْ﴾ : ولنختبرنكم يا أمة محمد.

﴿بَشِيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ : الآية، قال ابن عباس: الخوف يعنى خوف العدو، والجوع

يعنى المجاعة والقحط.

﴿رَقَصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ : يعنى الخسران والنقصان فى المال، وهلاك المواشى ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ :

يعنى الموت والقتل، وقيل: المرض وقيل: الشيب.

﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ : يعنى (الحوائج)، وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج، وقال الشافعى:

﴿وَلَتَبْلُوَنَكُمْ بَشِيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ : يعنى خوف الله عزّ وجلّ، ﴿وَالْجُوعِ﴾ : صيام شهر رمضان،

﴿وَقَصِّ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ : أداء الزكاة والصدقات، ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ : الأمراض، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ : موت

الأولاد؛ لأن ولد الرجل ثمرة قلبه يدلّ عليه ما روى عبد الله بن المبارك عن حماد بن سلمة عن

أبى سنان قال: دفنت ابنى سنانًا، وأبو طلحة الخولانى على شفير القبر جالس، فلما أردت

الخروج أخذ بيدى فأنشطنى وقال: ألا أبشرك يا أبا سنان؟

قلت: بلى. قال: حدّثنا الضحّاك بن عبد الرحمن بن عرزب عن أبى موسى الأشعري:

أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله عزّ وجلّ للملائكة: أقبضتم ولد عبدى؟

فيقولون: نعم فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدى؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله عز وجل: ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسمّوه بيت الحمد».

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾: على البلايا والرزايا ثمّ نعتهم فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ عبيداً تجمّع وملكاً.

﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: فى الآخرة أمان نصير التّون فى قوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾، فأمال قتيبة النون واللام جميعاً فخمها الباقون، وقال أبو بكر الوراق: إنّ الله: إقرار منّا له بالملك وإنّا إليه راجعون: فى الآخرة إقرار على أنفسنا بالهلاك.

قال عكرمة: طفئ سراج النبى ﷺ فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فقيل: يا رسول الله أمصيبة هى؟

قال: «نعم كل شىء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة».

قال سعيد بن جبیر: ما أعطى أحد فى المصيبة ما أعطى هذه الأمة يعنى الاسترجاع ولو أعطى لأحد لأعطى يعقوب عليه السلام ألاّ تسمع إلى قوله فى فقد يوسف: ﴿يَتَأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ (يوسف: ٨٤).

وقال رسول الله ﷺ: «من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقابه، وجعل له خلقاً صالحاً يرضاه».

وعن فاطمة بنت الحسين عن أمّها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أصيب بمصيبة فأحدث استرجاعاً وإن تقادم عهدا كتب الله له من الأجر مثل يوم أُصيب».

﴿أُولَئِكَ﴾: أى أهل هذه الصفة.

﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾: قال ابن عباس: مغفرة ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾: ونعمة.

ابن كيسان: الصلوات هاهنا الشاء والرحمة والتزكية وإنّما ذكر الصلاة والرحمة ومعناهما واحد لاختلاف اللفظين كقول الخطيئة:

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد

وجمع الصلوات لأنّه عنى به أنها رحمة بعد رحمة.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾: إلى الاسترجاع، وقيل: إلى الجنة والثواب.

وقيل: إلى الحقّ والصواب وكان عمر بن الخطاب إذا قرأ هذه الآية قال: نعم العبدان ونعم العلاوة.

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْنَا أُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ﴿

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ : الصفا جمع الصفاة وهى الصخرة الصلبة المسماة ، قال

امرؤ القيس :

لها كفل كصفا المسيل أبرز عنها جحاف مضر

يقال : صفاة وصفاء مثل حصاة وحصا وقطا وقطا ونواة ونوى ، وقيل : إن الصفا واحد وتثنيته صفوان مثل عصا وعصوان وجمعه أصفاء مثل رجا وأرجاء ، وصفا وصفى مثل عصا وعصى ، قال الراجز :

كأن متنيه من النفى مواقع الطير على الصفى

والمروة من الحجارة ما لان وصغر . قال أبو ذؤيب الهذلى :

حتى كأتى للحوادث مروة بصفا المشرق كل يوم تفرع

أى صخرة رخوة صغيرة ، وجمع المروة مروان وجمعها للكبير مرو مثل ثمرة وثمرات وثمر وحمرة حمرات وحمرة . قال الأعشى ميمون بن قيس يصف ناقته :

وترى الأرض خفا زائلاً فإذا (ما) صادف المروضخ

وإنما عنى الله تعالى بهما الجبلين المعروفين بمكة دون سائر الصفا والمروة فلذلك أدخل فيهما الألف واللام ، وشعائر الله : أعلام دينه واحدها شعيرة وكل ما كان معلما لقربان يتقرب به إلى الله عز وجل من دعاء وصلاة من ذبيحة وأداء فرض وغير ذلك فهو شعيرة . قال الكميت بن زيد :

نقتلهم جيلاً فجيلاً تراهم شعائر قربان بهم يتقرب

وأصلها من الأشعار وهى الأعلام على الشىء .

وفى الحديث إن قائلاً قال : حين شجّ عمر فى الحجّ : أشعر أمير المؤمنين دمًا ، وأراد

بالشعائر ههنا مناسك الحج التي جعلها الله عزّ وجلّ إعلماً لطاعته، وقال مجاهد: يعنى من الخبير الذى أخبركم عنه وأصل الكلمة على هذا القول من شعرت أى: علمت كأنه إعلام الله عباده أمر الصفا والمروة.

وتقدير الآية: إنّ الصّفا والمروة من شعائر الله، فترك ذكر الطّواف واكتفى بذكرهما (وذلك) معلوماً عند المخاطبين.

﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ﴾: أصل الحجّ فى اللغة: القصد.

قال الشاعر:

كراهب يحجّ بيت المقدس ذى موحد ومنقل وبرنس

وقال محمد بن جرير: من أكثر الاختلاف إلى شىء فهو حاج.

وقال المحمل السعدى:

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون بيت الزبرقان المزعفرا

أى يكثرون التردد إليه لوده ورئاسته.

وقيل للحاج: حاج لأنه يأتى البيت من عرفة ثم يعود إليه للطواف يوم النحر ثم ينصرف

عنه إلى منى ثم يعود إليه لطواف الصدر. فبتكرار العود إليه مرة بعد أخرى قيل له حاج:

﴿أَوْ اعْتَمَرَ﴾: من العمرة وهى الزيارة.

قال العجاج:

لقد سما ابن معمر حين اعتمر معزى بعيداً من بعيد وضبر

أى من قصده وزاره، وقال المفضل بن سلمة: ﴿أَوْ اعْتَمَرَ﴾ أى حلّ بمكة بعد الطواف

والسعى ففعل ما يفعل الحلال.

والعمرة: لإقامة الموضع والعمارة: إصلاحه ومرمته.

وعن عبد الله بن عامر بن رفاعة قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحجّ والعمرة فإن

متابعة ما بينهما يزيدان فى العمر والرّزق وينفيان الذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد».

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾: الجناح الإثم وأصله من جناح إذا مال عن القصد.

يقال: جناح الليل إذا مال بظلمته.

وجنحت السفينة: إذا مالت إلى الأرض. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾

(الأنفال: ٦١) ومنه جناح الطائر.

﴿أَنْ يَطُوفَ﴾: أى يدور وأصله يتطوف فأدغمت التاء فى الطاء.

وقرأ أبو حيوة الشّامي: يطوف مخفّفة الطاء واختلفوا في وجه الآية وتأويلها وسبب تنزيلها.

قال أنس بن مالك: كنّا نكره الطواف بين الصفا والمروة لأنهما كانا من مشاعر قريش في الجاهلية، فتركناه في الإسلام، فأنزل الله هذه الآية.

وقال عمر بن حبيش: سألت ابن عمر عن هذه الآية فقال: انطلق إلى ابن عبّاس فإنه أعلم من بقى بما أنزل على محمّد ﷺ، فأتيته فسألته فقال ابن عبّاس: كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له إساف، وعلى المروة صنم على صورة امرأة تدعى نائلة، وإنّما ذكروا الصفا لتذكير الإساف وذكروا المروة لتأنيث نائلة.

وزعم أهل الكتاب أنّهما زنيا في الحرم فمسخهما الله عزّ وجل حجّرين فوضعهما على الصفا والمروة ليعتبر بهما فلما طالت المدّة عبداً دون الله، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بينهما مسحوا الوثنيين فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وروى السّدي عن أبي مالك عن ابن عبّاس قال: كان في الجاهلية شياطين تعزف بالليل بين الصفا والمروة وكان بينهما آلهة فلما ظهر الإسلام قال المسلمون لرسول الله لا تطوفنّ بين الصفا والمروة فإنّه شرك كنّا نصنعه في الجاهلية فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قتادة: كان ناس من تهامة في الجاهلية يسعون بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام تحوّبوا السعى بينهما كما كانوا يتحوّبونه في الجاهلية فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قتادة: كان (حى من تهامة لا يسعون بينهما) فأخبرهم أنّها كانت سنّة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وروى الزهري عن عروة بن الزبير قال: قلت لعائشة ما الصفا والمروة؟ قالت: قول الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية، والله ما على أحد جناح ألا يطوف بين الصفا والمروة فقالت: عائشة ليس ما قلت يا ابن أختي إن هذه لو كانت على ما أولّها ما كان عليه جناح أن لا يطوف بهما، ولكنها إنّما نزلت في الأنصار وذلك أنهم كانوا قبل أن يسلموا يصلون لمناة الطاغية وهي صنم من مكّة والمدينة بالمثل، وكان من أهل لها تحرّج أن يطوف بين الصفا والمروة. فلما أسلموا سألهم رسول الله ﷺ عن ذلك. فقالوا: يا رسول الله إنّنا كنا لا نطوف بين الصفا والمروة لأنّهما صنمان. فهل علينا حرج أن نطوف بهما؟

فأنزل الله تعالى هذه الآية: ثمّ قالت عائشة (رضى الله عنها) قد سنّ رسول الله ﷺ الطواف

بينهما . فليس لأحد تركه .

قال الزهري : قد ذكرت ذلك لأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

فقال : هذا العلم .

وقال مقاتل بن حيان : إن الناس كانوا قد تركوا الطواف بين الصفا والمروة ، غير الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وعامر بن صعصعة سموا حمساً لتشددهم في دينهم والحماسة الشجاعة والصلابة ، فسألت الحمس رسول الله ﷺ عن السعى بين الصفا والمروة أمن شعائر الله أم لا ؟ ، فإنه لا يطوف بهما غيرنا فنزلت هذه الآية .

واختلف العلماء في هذه الآية فقال الشافعي ومالك : الطواف بين الصفا والمروة فرض واحد ومن تركه لزمه القضاء والإعادة فلا تجزيه فدية ولا شيء إلا العود إلى مكة والطواف بينهما كما لا يجزى تارك طواف الإفاضة إلا قضاؤه بعينه .

وقالا : هما طوافان واجبان أمر بهما أحدهما بالبيت والآخر بين الصفا والمروة وحكما واحد .

وقال الثوري وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد : إن عاد تارك الطواف بينهما لقضائه فحسن وإن لم يعد فعليه دم ورأوا أن حكم الطواف منهما حكم رمي بعض الجمرات والوقوف بالمشعر وطواف الصدر وما أشبه ذلك مما يجزى تاركة بتركة فدية ولا يلزمه العود لقضائه بعينه .

وقال أنس بن مالك وعبد الله بن الزبير ومجاهد وعطاء : الطواف بهما تطوع إن فعله فاعل يكن محسناً ، وإن تركه تارك لم يلزمه بتركة شيء ، واحتج من لم يوجب السعى والطواف بينهما بقراءة ابن عباس وأنس وشهر بن حوشب وابن سيرين : فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما بإثبات لا ، وكذلك هو في مصحف عبد الله والجواب عنه أن (لا) : زيادة صلة كقوله : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ (الأعراف: ١٢) ، وكقوله : ﴿ أَنْتُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (الأنبياء: ٩٥) ، و﴿ لَا أَقْسِرُ ﴾ (القيامة: ١) ، البلد: ١) ، وقال الشاعر :

فلا ألوم البيض ألا تسخرا لما رأين الشمط القفندرا

إذا كان رسم المصحف كذلك لم يكن فيه تمجج حجة مع احتمال الكلام ما وصفناه فكيف وهو خلاف رسوم الشيخ الإمام ومصاحف الإسلام .

ثمّ الدليل على أن السعى بينهما واجب وعلى تاركة إعادة الحج ناسياً تركه أو عامداً بظاهر الأخبار . أن رسول الله ﷺ فعل ذلك وأمر به .

روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال : لما دنا رسول الله ﷺ من الصفا في حجته

قال: «إنّ الصفا والمروة من شعائر الله ابدءوا بما بدء الله به فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت ثم مشى حتى إذا تصوّبت قدماه فى الوادى سعى».

وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لعمرى ما حجّ من لم يسع بين الصفا والمروة، مفروض فى كتاب الله والسنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾. وقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس كتب عليكم السعى فاسعوا».

قال كليب: رأى ابن عباس قوماً يطوفون بين الصفا والمروة فقال: هذا ما أورثتكم أمكم أم إسماعيل انطلقت حين عطش ابنها وجاع فوجدت الصفا أقرب جبل إلى الأرض فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الوادى، ورفعت طرف درعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة وقامت عليها تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرّات.

وقال محمد: حجّ موسى ﷺ على جمل أحمر وعليه عباءتان قطرايتان فطاف بالبيت ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط إلى السعى وهو ملبّ فقال: لبيك اللهم لبيك، فقال الله عزّ وجلّ لبيك عبدى وأنا معك، فخرّ موسى ساجداً.

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: قرأ حمزة والكسائى تطوَّع بالتاء وتشديد الطاء وجزم العين وكذلك التاء فى بمعنى يتطوع واختاره أبو عبيد وأبو حاتم اعتباراً بقرءة عبد الله ومن تطوع بالتاء. وقرأ الباقون: تطوَّع بالتاء وضعف العين على المضى.

قال مجاهد: فمن تطوع بالطواف بالصفا والمروة، وقال: تطوَّع رسول الله وكان من النبيين.

وقال مقاتل والكلبي: ومن تطوَّع خير زاد فى الطواف ففيه الواجب.

وقال ابن زيد: ومن تطوَّع خيراً فاعتمر، والحج فريضة والعمرة تطوَّع.

وقيل: فمن تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجته الواجبة عليه.

وقال الحسن وغيره: ومن تطوع خيراً يعنى به للدين كلّه. أى فعل غير المفترض عليه من طواف وصلاة وزكاة أو نوع من أنواع الطاعات كلّها.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾: مجاز بعمله.

﴿عَلِيمٌ﴾: بنية من يشكر اليسير ويعطى الكثير ويغفر الكبير وأصل الشكر من قول العرب:

دابة شكور إذا كان يظهر عليها من السمن فوق ما يعلف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنزِلْنَا مِنْ آيَاتِنَا﴾: يعنى الرجم والحدود والأحكام والحلال والحرام.

﴿وَالْهُدَى﴾ : يعنى وأمر محمد ﷺ ونعته .

﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ : لبنى إسرائيل .

﴿فِي الْكِتَابِ﴾ : فى التوراة نزلت فى علماء اليهود ورؤسائهم كتموا صفة محمد ﷺ

وآية الرجم .

﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ : أصل اللعن فى اللغة الطرد ولعن الله إبليس بطرده إياه حين قال له :

﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَأَنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (الحجر: ٣٤، ص: ٧٧) . قال الشماخ : وذكر ما ورده :

ذعرت به القطا وبقيت فيه مقام الذئب كالرجل اللعين

وقال النابغة :

فبت كأتنى خرج لعين نفاه الناس أو دنف طعين

فمعنى قولنا: لعنه الله: أى طرده وأبعده وأصل اللعنة ما ذكرنا ثم كثر ذلك حتى صار قولاً .

﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ : أى يسألون الله أن يلعنهم ويقولون: اللهم العنهم واختلف المفسرون

فى هؤلاء اللعنين .

قال قتادة : هم الملائكة .

عطاء : الجنّ والإنس .

الحسن : عباد الله أجمعون .

ابن عباس : كلّ شىء إلا الجنّ والإنس .

الضحّاك : إن الكافر إذا وضع فى حفرة قيل له من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيقول :

لا أدرى . فيقول له : لا دريت ، ثم يضره ضربة بمطرق فيصيح صيحة يسمعا كل شىء إلا

الثقلان الإنس والجنّ فلا يسمع صوته شىء إلا لعنه فذلك قوله : ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ .

البراء بن عازب : إن الكافر إذا وضع فى قبره أتته دابة كأنّ عينها قدران من نحاس معها

عمود من حديد فتضربه ضربة بين كتفيه فيصيح فلا يسمع أحد صوته إلا لعنه ولا يبقى شىء

إلا يسمع صوته غير الثقلين .

ابن مسعود : هو الرجل يلعن صاحبه فترفع اللعنة فى السماء ثم تنحدر فلا تجد صاحبها

الذى قيلت له أهلاً لذلك فترجع إلى الذى يحكم بها فلا تجده لها أهلاً فتنتطلق فتقع على

اليهود فهو قوله عزّ وجلّ : ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ . فمن تاب منهم ارتفعت اللعنة عنه وكانت

فيمن لقى من اليهود .

مجاهد: اللّاعنون البهائم تلعن عصاة بنى آدم إذا أسنت السنّة وأمسك المطر قالت: هذا بشؤم ذنوب بنى آدم.

عكرمة: دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا القطر بذنوب بنى آدم وإنّما قال لهذه الأشياء اللّاعنون ولم يقل اللاعنات؛ لأن من شأن العرب إذا وصفت شيئاً من الجمادات والبهائم. وغيرها سوى النّاس بما هو صفة للنّاس من فعل أو قول لم يخرجوه على مذهب بنى آدم وجمعهم كقولهم: ﴿وَأَلْشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: ٤) ولم يقل ساجدات، وقوله للأصنام: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٣)، وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾ (النمل: ١٨)، وقوله: ﴿وَقَالُوا الْجُلُودُ دِهْرٌ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ (فصّلت: ٢١) الآية ثمّ استثنى فقال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: من الكفر.

﴿وَأَصْلَحُوا﴾: الأعمال فيما بينهم وبين ربّهم.

﴿وَيُنَبِّئُ﴾: صفة محمد ﷺ وآية الرجم.

﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم.

﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾: الرجاء بقلوب عباده المنصرفة عني.

﴿الرَّحِيمُ﴾: بهم بعد إقبالهم عليّ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا﴾: واو حال.

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾: أى ولعنة الملائكة.

﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: قتادة والربيع: يعنى بالنّاس أجمعين: المؤمنین.

أبو العالية: هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله عزّ وجلّ ثمّ تلعه الملائكة ثمّ يلعه

النّاس أجمعين.

السّدى: لا يتلاعن اثنان مؤمنان ولا كافرين فيقول أحدهما لعن الله الظالم إلاّ وجبت تلك

اللعنة على الكافر لأنّه ظالم فكل أحد من الخلق يلعن.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: مقيمین فى اللعنة والنّار.

﴿لَا يُخَفَّفُ﴾: لا يرفقه عنهم العذاب.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يمهلون ويؤجلون.

وقال أبو العالية: لا ينظرون: فيعذرون كقوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ ولا يؤذّن لهم

فَيَعْتَدِرُونَ ﴿ (المرسلات: ٣٥، ٣٦).

﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ
وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ : الكلبى عن أبى صالح عن ابن
عبّاس : نزلت فى كفّار قريش قالوا : يا محمد صف وانسب لنا ربك فأنزل الله تعالى سورة
الإخلاص وهذه الآية .

جوير عن الضحّاك عن ابن عبّاس قال : كان للمشركين فى الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً
يعبدون من دون الله إفاكاً وشراً فبيّن الله تعالى لهم أنّه واحد فأنزل : ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ .

سعيد بن أبى الضحى : قال : لما نزلت هذه الآية عجب المشركون وقالوا : إنّ محمداً يقول
إلهكم إله واحد فليأتنا بآية إن كان من الصادقين فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أى تعاقبهما فى الذهاب والحجىء والاختلاف : الافتعال من
خلف يخلف خلوقاً يعنى أنّ كل واحد منهما إذا ذهب أحدهما جاء آخر خلفه أى : بعده ،
نظير قوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ (الفرقان : ٦٢) .

عطاء وابن كيسان : أراد فى اختلاف الليل والنهار فى اللون والطول والقصر والنور
والظلمة والزيادة والنقصان يكون أحدهما على الآخر ، والليل جمع ليلة مثل تمرّة وتمر ونحلة
ونحل . والليالى جمع الجمع والنهار واحد وجمعه نهر . قال الشاعر :

لولا الثريدان هلكنا بالضمّر
ثريد ليل وثرید بالنّهر

وقدّم الليل على النهار بالذكر لأنّه الأصل والأقدم قال الله تعالى : ﴿وَأَيُّ لَيْلٍ سَأَلْتَهُ مِنْهُ
النَّهَارُ﴾ (يس : ٣٧) . خلق الله تعالى الأرض مظلمة ثم خلق الشمس والقمر وهذا كتقديمه
الصّوامع والبيع والصلوات على المساجد .

﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ : يعنى السفن واحدة وجمعه سواء ، قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ
يُؤَسِّرْ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ أُنقِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٥٨﴾ (الصفات : ١٣٩ ، ١٤٠) .

وقال فى الجمع : ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِنَّ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (يونس : ٢٢) يذكر ويؤثّ قال
الله تعالى : ﴿الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ وقال فى التائيت : ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ فالتذكير على

اللفظ الواحد والتأنيث على معنى الجمع .

﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾: يعنى ركوبها والحمل عليها فى التجارات والمكاسب وأنواع المطلب .

﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ﴾: يعنى المطر .

﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بعد يبوستها وجدوبتها .

﴿وَبَثَّ﴾: نشر وفرق .

﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاتٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾: أى يقلبها قبولاً ودبوراً وشمالاً وجنوباً .

وقيل : تصريفها مرّة بالرحمة ومرّة بالعذاب .

وقرأ حمزة والأعمش والكسائى وخلف : الرِّيح بغير ألف على الواحد وقرأ الباقون :

الرياح بالجمع .

قال ابن عباس : الرِّيح للرحمة والريح للعذاب ، وعن النبى ﷺ : إذا هاجت الريح يقول :

«اللَّهُمَّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» .

والريح يذكر ويؤنث .

﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾: أى الغيم المنزل ، ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: سمى سحاباً لأنه يسحب

أى يسير فى سرعته كأنه يسحب : أى يجرّ .

﴿لَا يَلِيكَ﴾: دلالات وعلامات .

﴿لَيَوْمٍ يَقُولُونَ﴾: فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً .

قال رسول الله ﷺ : «ويل لمن قرأ هذه الآية فمَجَّبَ بها» . أى لم يتفكّر فيها ولم يعتبر بها .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ﴾: يعنى الأصنام المعبودة من دون الله قاله أكثر

المفسرين .

وقال السدى : ساداتهم وقاداتهم الذين كانوا يطيعونهم فى معصية الله فيحبونهم : ﴿كُحْبِ

اللَّهِ﴾ أى كحبّ المؤمنين لله ، وهذا كما يقال : بعث غلامى كبيع غلامك يعنى : كبيعك

غلامك .

وأنشده الفراء :

ولستُ مسلماً ما دمت حياً على زيد كتسليم الأمير

أى كتسليمى على الأمير هذا قول أكثر العلماء ، وقال ابن كيسان والزجاج : تقدير الآية :

يحبونهم كحبهم الله يعنى أنهم يسوون بين هذه الأصنام وبين الله فى المحبة ثم قال :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾: قال ابن عباس : أثبت وأدوم وذلك أن المشركين كانوا يعبدون

صنماً فإذا رأوا شيئاً أحسن منه تركوا ذلك الوثن وأقبلوا على عبادة الأحسن .
عكرمة : أشدّ حبا في الآخرة .

قتادة : إنّ الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على الله عزّ وجلّ لقوله : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٥) .
قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٦٧) .
والمؤمن لا يعرض عن الله في الضراء والسراء والرّخاء والبلاء ولا يختار عليه سواه .
الحسن : إنّ الكافرين عبدوا الله بالواسطة وذلك قولهم للأصنام : ﴿هَتُوْلَاءِ شُفَعَاتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (يونس: ١٨) .

وقوله : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر: ٣) .

والمؤمنون يعبدونه بلا واسطة ولذلك قال عزّ من قائل : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ .

سعيد بن جبیر : إنّ الله يأمر يوم القيامة من أحرف نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام أن يدخلوا جهنّم مع أصنامهم فيأتون لعلمهم أنّ عذاب جهنم على الدوام ثمّ يقول للمؤمنين بين أيدي الكافرين : إنّ كنتم أحبائي لا تحبّون النّار فينادى مناد من تحت العرش : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ .

وقيل : لأنّ حبّ المشركين لأوثانهم مشترك لأنّهم يحبّون الأنداد الكثيرة وحبّ المؤمنين لربّهم غير مشترك لأنّهم يحبّون ربّاً واحداً ، وقيل : لأنّ حبّهم هوأى وحبّ المؤمنين عقلى .
وقيل : إنّ حبّهم للأصنام بالتقليد وحبّ المؤمنين لله تعالى بالدليل والتمييز .
وقيل : لأنّ الكافرين يرون معبودهم ومصنوعهم والمؤمنين يرون الله تعالى صانعهم ،
وقيل : لأنّ المشركين أحبّوا الأصنام وعابنوها والمؤمنين يحبّون الله ولم يعابنوه بل آمنوا بالغيب في الغيب للغيب .

وقيل : إنّما قال : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ لأنّ الله أحبّهم أولاً ثمّ أحبّوه ومن شهد له المعبود بالمحبّة كان محبّته أتمّ وأصحّ .

قال الله تعالى : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة: ٥٤) .

وقرأ أبو رجاء العطاردي : يحبّونهم بفتح الياء وهي لغة يقال : حببت الرجل فهو محبوب قال الفراء أنشدني أبو تراب :

أحبّ لحبّها السّودان حتّى حببت لحبّها سود الكلاب

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ : قرأ أبو عبد الرحمن وأبو رجاء والحسن وأبو جعفر وشيبة ونافع

وقتادة والأعرج وعمرو بن ميمون وسلام ويعقوب وأيوب وابن عباس ولو ترى بالتاء: أى تبصر يا محمد وقرأ الباقون بالياء .

فمن قرأ بالتاء فهو خطاب للنبي ﷺ والجواب محذوف تقديرها ولو ترى: أى تبصر يا محمد الذين ظلموا: أشركوا .

﴿إذ يرون العذاب﴾: لرأيت أمراً عظيماً ولعلمت ما يصيرون إليه أو لتعجبت منه، ومن قرأ بالياء فمعناه: ولو ترى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب لعلموا: ﴿إذ يرون العذاب﴾ أو لآمنوا أو لعلموا مضرّة الكفر ونظير هذه الآية من المحذوف الجواب قوله تعالى: ﴿ولو أن قرءنا سيرة به الجبال﴾ (الرعد: ٣١) الآية: يعنى لكان هذا القرآن وهو كما يقول: لو رأيت فلاناً والسيّاط تأخذه. فتستغنى عن الجواب؛ لأنّ المعنى مفهوم: ﴿إذ يرون العذاب﴾ .

وقرأ أبو البرختم وابن عامر: يرون بضم الياء على التعدى، وقرأ الآخرون بفتحها على اللزوم .

﴿أنّ القوّة لله جميعاً﴾: قرأ الحسن وقتادة وأبو جعفر وشيبة وسلام ويعقوب: (إنّ القوّة وإنّ الله) بكسر الألف فيهما على الاستئناف . والكلام تام عند قوله: ﴿إذ يرون العذاب﴾ مع إضمار الجواب، كما ذكرنا .

وقرأ الباقون: بفتحها على معنى بأنّ القوّة وبأنّ الله، وقيل: معناه ليروا أنّ القوّة لله . أى لا يقنوا وعانوا .

قال عطاء: ولو يرى الذين ظلموا يوم القيامة إذ يرون العذاب حين تخرج إليهم جهنم من مسيرة خمسمائة عام لتلتقطهم كما يلتقط الحمام الحبة؛ لعلموا أنّ القوّة والقدرة والملكوت والجبروت لله جميعاً .

﴿وأنّ الله شديد العذاب﴾ .



﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبّ الله والذين آمنوا أشدّ حُباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أنّ القوّة لله جميعاً وأنّ الله شديد العذاب﴾ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾

﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: قرأ مجاهد: بتقديم الفاعل على المفعول.

وقرأ الباقر: بالضدّ، والمتبوعون هم الجبابرة والقادة فى الشرك والشرّ، والتابعون هم الأتباع والضعفاء والسفلة قاله أكثر أهل التفسير.

السدى: هم الشياطين يتبرءون من الإنس.

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾: أى عنهم، والباء بمعنى عن.

﴿الْأَسْبَابُ﴾: قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: يعنى المودّة والوصلة التى صارت بينهم فى

الدُّنيا، أو صارت مخالفتهم عداوة.

ربيع: يعنى بالأسباب: المنازل التى كانت لهم من أهل الدنيا، ابن جريج والكلبى: يعنى

الأنساب والأرحام كقوله تعالى: ﴿فَلَا أَسْبَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ (المؤمنون: ١٠١).

السدى: يعنى الأعمال التى كانوا يعملونها فى الدنيا. بيانه قوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ

عَمَلٍ فَبَجَلْنَاهُ حَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣) وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

(محمد: ١).

فأهل التقوى أعطوا الأسباب أعمال وثيقة فيأخذون بها وينجون، الآخرون يعطون أسباب

أعمالهم الخبيثة فتقطع بهم أعمالهم فيذهبون إلى النار.

أبرورق: العهود التى كانت بينهم فى الدنيا، وأصل السبب كل شىء يتوصل به إلى شىء

من ذريعة أو قرابة أو مودّة، ومنه قيل للجهد: سبب وللطريق سبب وللسلم سبب. قال

زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ظلته
لورام أن يرقى السماء بسلم

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: يعنى الأتباع.

﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رجعة إلى الدنيا.

﴿فَتَتَّبِعُوا مِنْهُمْ﴾: أى من المتبوعين.

﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾: أجاب للتمنى بالفعل.

قال الله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ﴾ أى كما أراهم العذاب كذلك.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾: وقيل: ليتبرأوا بعضهم من بعضهم يريدهم الله ﴿أَعْمَلَهُمْ حَسْرَاتٍ﴾: ندامات.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: قيل: أراد أعمالهم الصالحة التى ضيعوها.

قال السدى: ترفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فسألوا قيل: أراد أعمالهم لو

أطاعوا الله، فيقال لهم: تلك مساكنكم لو أطعتم الله. ثم تقسم بين المؤمنين فيرثوهم فذلك

حين يندمون .

ربيع : أراد به أعمالهم السيئة لم عملوها وهلاّ عملوا بغيرها مما يرضى الله تعالى .
ابن كيسان : إنهم أشركوا بالله الأوثان رجاء أن يُقربهم إلى الله فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا والحسرات جمع حسرة وكذلك كل اسم كان واحده على فعلة مفتوح الأول ساكن الثاني فإن جمعه على فعلات مثل ثمرة وثمرات وشهوة وشهوات فأما إذا كان نعتاً فإنك تسكن ثانيه مثل ضخمة وضخمت وعيلة وعيلات ، وكذلك ما كان من الأسماء مكسور الأول مثل نعمة وسدرة .
﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ .



﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٠١﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانِ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَسْهَتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ : نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبنى مدلج فيما حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام فقال : ﴿كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ للتبعيض لأنه ليس كل ما في الأرض يمكن أكله يحلّ أكله ، ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ طاهراً وهما منصوبان على الحال .

وقيل : على المفعول تقديره : كلوا حلالاً طيباً كما في الأرض .

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ : قرأ شيبه ونافع وعاصم والأعمش وحمزة خطوات : بسكون الطاء في جميع القرآن وهي أكثر الروايات عن أبي عمرو .
وقرأ أبو جعفر وأبو مجلز وأبو عمرو في بعض الروايات والزهرى وابن عامر والكسائي : بضم الخاء والطاء .

وقرأ على وعمرو بن ميمون وسلام : بضم الخاء والطاء وهمزة بعد الطاء .

وقرأ أبو السّمّاك العدوى وعبيد بن عمير : خطوات بفتح الخاء والطاء فمن خفّف فإنه أبقاه على الأصل ، وطلب الخفّة لأنها جمع خطوة ساكنة الطاء ، ومن ضم الطاء فيه أتبعها ضمة

الحاء، وكل ما كان من الأسماء وزن فعله فجمع على التاء فإن الأغلب والأكثر فى جمعه التثنية وتحريك من الفعل بالحركة التى فى فاء الفعل فى الواحد مثل ظلمة وظلمات، وقربة وقربات، وحجرة وحجرات، وقد يخفف أيضاً.

ومن ضمّ الحاء والطاء مع الهمز.

فقال الأخفش: أراد ذهب بها مذهب الخطيئة فجعل ذلك على مثال خطه من الخطأ.

وقال أبو حاتم: أرادوا إشباع الضمة فى الواو فانقلبت همزة وهذا شائع فى كلّ واو مضمومة ومن نصب الحاء والطاء فإنه أراد جمع خطوة مثل تمرّة وتمرّات واختلفوا فى معنى قوله: ﴿خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾ فروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس: خطوات الشيطان: عمله.

مجاهد وقتادة والضحاك: خطاياهم.

السدى والكلبي: طاعته.

عطاء عن ابن عباس: زلاته وشهواته.

أبو مجلز: هى البذور فى المعاصى.

المورج: آثاره.

أبو عبيد: هى المحقرات من الذنوب.

القتيبى والزجاج: طريقه.

والخطوة ما بين القدمين، والخطوة بالفتح الفعلة الواحدة من قول القائل: خطوات خطوة

واحدة.

﴿إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بينّ العداوة، وقيل: مظهر العداوة، قد أبان عداوته لكم بإبائه

السجود لأبيكم آدم عليه السلام وغروره إياه حين أخرجه من الجنة، وأبان: يكون لازماً ومتعدياً، ثم بينّ عداوته فقال: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ يعنى الإثم، وأصل السوء كل ما يسوء صاحبه، وهو مصدر: ساءه - يسؤه - سوءاً ومساءة إذا حزنه وسوءه شىء أى حزنه فحزن:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الملك: ٢٧). قال الشاعر:

إن يك هذا الدهر قد ساءنى فطالما قد سرّنى الدهر

الأمر عندى فيهما واحد لذلك صبر ولذا شكر

﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾: يعنى المعاصى، وما قبح من القول والفعل وهو مصدر كالبأساء والضراء

واللأواء، ويجوز أن يكون نعتاً لا فعل له كالعذراء والحسنة، وقال متمم بن نويرة:

لا يضمّر للحشا تحت ثيابه خُلِقَ شمائله عفيف المبرر

واختلف المفسرون في معنى الفحشاء المذكور في هذه الآية .

روى باذان عن ابن عباس قال : الفحشاء كل ما فيه حدّ في الدنيا من المعاصي فيكون من القول والفعل ، والسوء من الذنوب ما لا حدّ فيه .
طاوس عنه : فهو ما لا يُعرف في شريعة ولا سنة .
عطاء عنه : البخل . السدى : الزنا .

وزعم مقاتل أنّ جميع ما في القرآن من ذكر الفحشاء فإنّه الزنا إلا قوله : ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ (البقرة: ٢٦٨) فإنه منع الزكاة .

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ : من تحريم الحرث والأنعام .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ : اختلفوا في وجه هذه الآية ، قال بعضهم : إنها قصة مستأنفة وإنها في اليهود على هذا القول تكون الهاء والميم في قوله : ﴿لَهُمْ﴾ كناية عن غير مذكور .

وروى محمد بن إسحاق بن يسار عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد ابن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال : دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام ورجبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته فقال له نافع بن خازم ومالك بن عوف : ﴿قَالُوا بَلْ تَتَّبِعُ مَا آتَيْنَا عَلَيْهِمْ آيَاتًا﴾ فهم كانوا خيراً وأعلم منا فأنزل الله هذه الآية ، وقال قوم : بل هذه الآية صلة بما قبلها وهي نازلة في مشركي العرب وكفّار قريش واختلفوا فيه فقال الضحّاك عن ابن عباس : فإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله يعنى كفّار قريش من بنى عبد الدار ، قالوا : بل تتبّع ما آلفينا عليه آباءنا من عبادة الأصنام .

فقال الله : ﴿أُولَئِكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ من التوحيد ومعرفة الرحمن : ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ للحجة البالغة وعلى هذا القول تكون الهاء والميم عائدة على من في قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَخْذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ وقال الآخرون : إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله في تحليل ما حرّمه على أنفسهم من الحرث والأنعام والسائبة والوصيلة والبحيرة والحام وسائر الشرائع والأحكام : ﴿قَالُوا بَلْ تَتَّبِعُ مَا آتَيْنَا﴾ وجدنا عليه آباءنا من التحريم والتحليل والدين والمنهاج وعلى هذا القول تكون الهاء والميم راجعة إلى الناس في قوله تعالى : ﴿يَتَّبِعُهَا النَّاسُ كَلْبًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا﴾ (البقرة: ١٦٨) .

ويكون الرجوع عن الخطاب إلى الخبر ، كقوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ رِيحٌ

طَبِيَّةٌ ﴿يونس: ٢٢﴾. وهذا أولى الأقاويل لأن هذه القصة عقب قوله: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ﴾ فهو أولى أن يكون خبراً عنهم من أن يكون خبراً عن المتخذين الأنداد بما فيهما من الآيات لطول الكلام. وأدغم على بن حمزة الكسائي لام هل وبل في ثمانية أحرف التاء كقوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ (الأعلى: ١٦) و﴿هَلْ تَعْلَمُ﴾ (مريم: ٦٥) والتاء كقوله: ﴿هَلْ تُؤْتِي﴾ (المطففين: ٣٦)، والسين في قوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾ (يوسف: ١٨). والزاي كقوله: ﴿بَلْ زُيِّنَ﴾ (الرعد: ٣٣)، والضاد كقوله: ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ (الأحقاف: ٢٨)، والطاء كقوله: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ﴾ (الفتح: ١٢)، والطاء كقوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ﴾ (النساء: ١٥٥)، والنون نحو قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ (الواقعة: ٦٧، القلم: ٢٧)، ﴿بَلْ نَنْبَغُ مَا الْقَبِيْنَا عَلَيْهِ﴾ (آبَاءَنَا) وإنما خص به لام هل وبل دون سائر اللامات: لأنها ساكنة بتا، وسائر اللامات ساكنة بعلل متى ما زالت تلك العلل زال سكونها.

فقال الله: ﴿أُولَؤْكَانَ آبَاءُؤُمْ﴾ واو العطف، ويُقال أيضاً واو التعجب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ والتقرير؛ فلذلك نصبت، والمعنى يتبعون آباءهم وإن كانوا جهالاً، وترك جوابه لأنه معروف.

قوله تعالى: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ لفظ عام ومعناه الخصوص لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا (ومعناه) لا يعقلون شيئاً من أمر الدين ولا يهتدون.

ثم ضرب لهم مثلاً فقال عز من قائل: ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وسلكت العلماء في هذه الآية طريقين، وأولوها على وجهين: فقال قوم: أراد بما لا يسمع إلا دعاء مثل البهائم التي لا تعقل، مثل الإبل والغنم والبقر والحمير ونحوها، وعلى هذا القول: ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع والسدى وأكثر المفسرين: ثم اختلف أهل المعاني في وجه هذا القول وتقدير الآية.

فقال بعضهم: معنى الآية: ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعائهم إلى الله عز وجل قاله الأخفش والزجاج.

وقال الباقون: مثل واعظ الذين كفروا وداعيتهم.

﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُو﴾: فترك ذلك وأضاف المثل إلى الذين كفروا لدلالة الكلام عليه ويسمى

هذا النوع من الخطاب المضمرة ومثله في القرآن كثير كقوله: ﴿وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢) قال الشاعر:

حسبت بغام راحلتي عناقاً وما هي وثبت غيرك بالعناق

يعنى حسبت بغام راحلتي بغام عناق، وقال الرأجز:

ولست مسلماً ما دمت حياً على زيد كتسليم الأمير
 أى كتسليمى على الأمير. فشبّه الله عزّ وجلّ واعظ الكفار بالرّاعى الذى ينق بالغنم أى
 يصيح ويصوت بها. يُقال: ينق نعيقاً ونعاقاً ونعقاً إذا صاح وزجر، قال الأخطل:
 فانق بضأنك يا جرير فإنما متتكَ نفسك فى الخلاء ضلالاً
 فكما أنّ هذه البهائم تسمع الصّوت ولا تفهمه ولا تنتفع به ولا تعقل ما يُقال لها، وكذلك
 الكافر لا ينتفع بوعظك إن أمرته بخير أو زجرته عن سوء، غير أنّه يسمع صوتك.
 قال الحسن: يقول مثلهم فيما قبلوا من آبائهم وفيما أتيتهم به حيث لا يسمعون ولا
 يعقلونه، كمثّل راعى الغنم الذى نعق بها فإذا سمعت الصّوت رفعت رءوسها فاستمعت إلى
 الصّوت والدُّعاء ولا تعقل منه شيئاً.

ثمّ تعود بعد إلى مراتعها لم تفقه ما يُراد لها به، وقال بعضهم: معنى الآية: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
 كَفَرُوا﴾ فى قلة عقلهم وفهمهم عن الله عزّ وجلّ وعن رسوله وسوء قبولهم عنهما كمثّل
 المنعوق به من البهائم التى لا تفقه من الأمر والنهى غير الصّوت فكذلك الكافر فى قلة فهمه
 وسوء تفكيره وتدبره فيما أمر به ونهى عنه فيكون المعنى للمنعوق به. الكلام خارج على النّاعق
 وهو فاش فى كلام العرب، يفعلون ذلك ويقبلون الكلام لاتّضح المعنى عندهم. فيقولون:
 فلان يخافك كخوف الأسد: أى كخوفه الأسد.

ويقولون: أعرض الحوض على النّاقة، وإنّما هو أعرض النّاقة على الحوض. قال الله عزّ
 وجلّ: ﴿إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنَتَأْتُوا بِالعُصْبَةِ أُولَى القُوَّةِ﴾ (القصص: ٧٦) وإنّما العصبة تنوء بالمفاتيح، وقال
 الشاعر:

وقد خفت حتّى ما تزيد مخافتى على وعل فى ذى المطارة عاقل
 والمعنى: حتّى ما يزيد مخافتى وجل على مخافتى، وقال الآخر:

كانت فريضة ما تقول كما إنّ الزنى فريضة الرّجم
 والمعنى: كما إنّ الرّجم فريضة الرّنا، وأنشد الفراء:

إن سراجاً لكريم مفخره تُجلى به العين إذا ما تجمره
 والمعنى: يحلى بالعين، ونظائره كثيرة.

وعلى هذا القول أبو عبيدة والفراء وجماعة من العلماء، وقال بعضهم: معنى الآية: ومثّل
 الكفّار فى قله فهمهم وعقلهم، كمثّل الرّعاة يكلمون البهم، والبهم لا تعقل عنهم، وعلى
 هذا التفسير لا تحوّل الآية إلى الضمير، وقال بعضهم: معناها ومثّل الذين كفروا فى دعائمهم

الأصنام التي لا تفقه دعاءهم كمثل النّاعق بغنمه؛ فلا ينتفع من نعيقه بشيء غير أنّه في عناء من دُعاء ونداء، فكذلك الكافر ليس له من دعائه الآلهة وعبادته الأوثان إلاّ العناء والبلاء، ولا ينتفع منها بشيء، يدل عليه قوله تعالى في صفة الأصنام: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ (فاطر: ١٤). فهذا وجه صحيح.

وأما الوجه الآخر، فقال قوم: معنى الآية ومثل الكفّار في دعائهم الأوثان وعبادتهم الأصنام كمثل الرّجل الذي يصيح في جوف الجبال فيجيب فيها صوت يقال له: الصدى يجيبه ولا ينفعه. فيكون تأويل الآية على هذا القول، ومثل الكفّار في عبادتهم الأصنام كمثل الناعق بما لا يسمع منه إلاّ دعاء ونداء.

ثمّ قال ﴿صُمُّ﴾ أى هم صمّ، والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمعه كأنّه أصم. قال الشاعر:

❖ أصم عما يساء سمع ❖

﴿بَكَرُ﴾: عن الخير فلا يقولونه. ﴿عَمَى﴾: عن الهدى فلا يبصرونه ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.



﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^١
 إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنَ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
 فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُكْفُرُونَ مَا أَنزَلْنَا اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ
 بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا
 يُرَكِّبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَاةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا
 أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي
 الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٤﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾: من حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ من الحرث والأنعام

وسائر المأكولات والنعم.

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنّه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمْرُ
 الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ. فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِن الطَّيِّبَاتِ﴾ (المؤمنون: ٥١) وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ثمّ ذكر الرّجل يطيل السفر أشعر أغبر يمدّ يديه إلى

السماء يا ربّ يا ربّ ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذّي في حرام فأنتي يستجاب له .

﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ : على نعمته .

﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ : قال النبي ﷺ : يقول : «يقول الله جلّ جلاله إني والجنّ والإنس

في نيا عظيم وأخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري» .

ثم بين ما حرّم عليكم فقال : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ قرأ أبو عبد الرحمن السلمي : إنّما حرم خفيفة الرأء مضمومة .

﴿الْمَيْتَةَ وَالذَّمَّ وَالْحَمَّ الْخَزِيرَ﴾ : رفعا على أنّ الفعل لها ، وروى عن أبي جعفر : أنّه قرأ حرّم

بضم الحاء وكسر الرأء وتشديدها ورفع ما بعده وله وجهان :

أحدهما : أنّ الفاعل غير مسمّى .

والثاني : أنّ الذي حرّم عليكم الميت على خبر إنّ .

وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة : حرّم بنصب الحاء والرأء مشدداً ورفع ما بعده جعل ما بمعنى الذي منفصله عن قوله : إنّ وحينئذ تكون ما نصباً باسم إنّ وما بعدها رفعا على خبرها كما يقول : إنّ ما أخذت مالك وإنّ ما ركبت دابّتك أي : إنّ الذي قال الله : ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ (طه : ٦٩) .

وقرأ الباقر : حرّم عليكم الميتة نصباً على إيقاع الفعل وجعلوا إنّما كلمة واحدة تأكيدا وتحقّقا .

وقرأ أبو جعفر : الميتة وأخواتها بالتشديد في كلّ القرآن ، وأمّا الآخرون فخففوا بعضاً وشدّدوا بعضاُ فمن شدّد قال أصله : ميوت فعل من الموت فأدغمت الياء في الواو وجعلت الواو ياءاً مشدّدة للكسرة كما فعلوا في سيّد وجيّد وصيّب ومن لم يشدّد فعلى طلب الحفّة وهما لغتان مثل : هيّن وهيّن ، وليّن وليّن . قال الشاعر :

ليس من مات واستراح بميتٍ إنّما الميت ميت الأحياء

فجمع بين اللّغتين .

وحكى أبو معاذ عن النحويين وقال : إنّ الميت بالتخفيف الذي فارقه الرّوح ، والميت بالتشديد الذي لم يميت بعد وهو يموت قال الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر : ٣٠) : لم يختلفوا في تشديده والله أعلم . والميتة : كلّ ما لم تدرك ذكاته وهو ممّا يذبح ، والدّم : أراد به الدّم الجاري يدلّ عليه قوله عزّ وجلّ : ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ (الأنعام : ١٤٥) مقيد .

وهذه الآية مخصوصة بالسنة وهو قول النبي ﷺ: «حَلَّتْ لَنَا مَيْتَانِ وَدَمَانِ فَأَمَّا الْمَيْتَانِ فَالْحَوْتُ وَالْجِرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانُ فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ» .
 وقوله: ﴿وَأَحْمَرُ الْخَزِيرِ﴾ أراد به جميع أجزائه وكلّ بدنه فعبر بذلك عن اللحم لأنّه معظمه وقوامه .

﴿وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾: أى ما ذُبح عن الأصنام والطواغيت . كما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك ، وأصل الإهلال رفع الصّوت ومنه الإهلال بالحج وهو رفع الصّوت بالتلبية . قال ابن أحمر يصف فلاة:

يهلّ بالفرقد ركبائها كما يهلّ الراكب المعتمر

وقال آخر:

أو ذرة صدفية غواصها يهيج متى يرها تهلّ وتسجد

ومنه أهل الصبى واستهلاله: وهو ضياحه عند خروجه من بطن أمّه ، وفى الحديث: «كيف أدى من لا نطق ولا استهلّ ولا شرب ولا أكل فمثل ذلك يُطل» ومثل إهلال المطر واستهلاله وانهلاله وهو صوت وقوعه على الأرض .

قال عمر بن قميّة:

ظلم البطاح له انهلال حريصة فصفا التّطاف له بعيد الملقع

وإنما قال: وما أهلّ به لأنهم كانوا إذا ذبحوا لآلهتهم التى ربّوها جهروا به أصواتهم فجرى ذلك من أمرهم حتّى قيل؟ لكل ذابح سمى أو لم يسمّ جهر بالصّوت أو لم يجهر مهلّ .

الربيع بن أنس وغيره: وما أهلّ به لغير الله ما ذكر عليه غير اسم الله . وقال الزهرى: الإهلال لغير الله أن تقول باسم المسيح وهذه الآية مخصوصة بأهل الكتاب وهو قوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٥) .

وروى حيوة عن عقبة بن مسلم التجيبى وقيس بن رافع الأشجعى أنهما قالا: إنّما أحلّ لنا ما ذبح لعيد الكنائس وما أهدى لها من خبز أو لحم فإنّما هو طعام أهل الكتاب ، وقال حيوة: قلت رأيت قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ فقال: إنّما ذلك المجوس وأهل الأوثان والمشركون .

﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾: قرأ عاصم وحزمة ويعقوب وأبو عمرو: فمن اضطرّ بكسر النون فيه وفى أخواته مثل: أن اقتلوا أو اخرجوا ونحوها لأنّ الجزم يحرك إلى الكسر وقرأ الآخرون بضمّ النون لما سكتوا آخر الفعل الذى يليه لأجل الوصل نقلوا ضمّته إلى النون ، وقرأ ابن محيصن:

(فمن اضطر) بادغام الضاد في الطاء حتى تكون طاء خالصة، قرأ أبو جعفر بكسر الطاء رد إلى الطاء كسرت الراء المدغمة لأن أصله اضطرر على وزن افتعل من الضرورة.
 قرأ الباقون: بضم الطاء على الأصل ومعناه أخرج وأجهد وأجئ إلى ذلك.
 وقال مجاهد: أكره عليه كالرجل يأخذه العدو فيكرهه على أكل لحم الخنزير وغيره من معصية الله.

﴿غَيْرٌ﴾: نصب على الحال، وقيل على الاستثناء فإذا رأيت (غير) لا يصلح في موضعها إلا فهي حال وإذا صلح في موضعها إلا، فهي: استثناء فقس على هذا ما ورد عليك من هذا الباب.

﴿بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾: أصل البغي في اللغة قصد الفساد يقال: بغى الجرح يبغى بغياً إذا ترامى إلى الفساد ومنه قيل: للزنا بغاء.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْرَهُوا قَتْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (النور: ٢٣) والزانية بغى.

قال الله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمَّكُ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٨).

وأصل العدوان الظلم ومجاوزة الحد يقال: عدا عليه عدواً وعدواً وعدواناً وعداء إذا ظلم، واختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿غَيْرٌ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ فقال بعضهم: غير باغ: أي غير قاطع للطريق، ولا عاد: مفرق للأئمة شاق للأمة خارج عليهم بسيفه فمن خرج يقطع الرحم أو يخيف ابن السبيل أو يفسد في الأرض أو أبق من سيده أو فر من غريمه أو خرج عاصياً بأى وجه كان فاضطر إلى ميتة لم يحل له أكلها أو اضطر إلى الخمر عند العطش لم يحل له شربه ولا رخصة له ولا كرامة فأماً إذا خرج مطيعاً ومباحاً له ذلك فإنه يرخص فيه له وهذا قول: مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والكلبي ويان وهو مذهب الشافعي، قال: إذا أبحننا له ذلك فقد أعناه على فساده وظلمه إلى أن يتوب ولا يستبيح ذلك وقال آخرون: هذا البغي والعدوان راجعان إلى الأكل وإليه ذهب أبو حنيفة وأباح تناول الميتة للمضطر وإن كان عاصياً.
 ثم اختلف أهل التأويل في تفصيل هذا التفسير:

فقال: الحسن وقتادة والربيع وابن زيد: غير باغ: يأكله من غير اضطرار، ولا عاد: متعد يتعدى الحلال إلى الحرام فيأكلها وهو غنى عنها.

مقاتل بن حيان: غير باغ: أي مستحل لها، ولا عاد: متزود منها.

السدي: غير باغ في أكله شهوة فيأكلها مُلذذاً، ولا عاد يأكل حتى يشبع منه؛ ولكن يأكل منها قوتاً مقدار ما يمكس رمقاً.

شهر بن حوشب: غير باغ: أى مجاوز للقدر الذى يحلّ له، ولا عاد ولا يقصر فيما يحلُّ له فيدعه ولا يأكله.

قال مسروق: بلغنى أنّه من اضطر إلى الميتة فلم يأكلها حتى مات دخل النار، وقد اختلف الفقهاء فى مقدار ما يحلُّ للمضطر أكله من الميتة.

فقال بعضهم: مقدار ما يُمسك به رمقه، وهو أحد قولى الشافعى واختيار المزنى. والقول الآخر: يأكل منها حتى يشبع، وقال مقاتل بن حيان: لا يزداد على ثلاث لقم. وقال سهل بن عبد الله: غير باغ مفارق لجماعة، ولا عاد مبتدع مخالف لسنة، ولم يرخص للمبتدع تناول المحرمات عند الضرورات.

﴿فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ﴾: فلا حرج عليه فى أكلها.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لما أكل من الحرام فى حال الاضطرار.

﴿رَّحِيمٌ﴾: به حيث رخص له فى ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الآية.

قال جوير عن الضحّاك عن ابن عباس: سألت الملوك اليهود قبل مبعث محمد ﷺ عن الذى يجدونه فى التوراة فقالت اليهود: إنّنا لنجد فى التوراة أنّ الله عزّ وجل يبعث نبياً من بعد المسيح يُقال له: محمد، يُحرّم الزنى والخمر والملاهى وسفك الدماء، فلما بعث الله محمداً ﷺ ونزل المدينة قال الملوك لليهود: أهذا الذى تجدون فى كتابكم؟ فقالت اليهود طمعاً فى أموال الماوك: ليس هذا بذلك النبىّ، فأعطاهم الملوك الأموال، فأنزل الله تعالى هذه الآية إكذاباً لليهود.

الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس: نزلت فى رؤساء اليهود وعلمائهم؛ كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول، وكانوا يرجون أن يكون النبىّ المبعث منهم، فلما بعث الله محمداً ﷺ من غيرهم خافوا ذهاب ملكهم وزوال رئاستهم، فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ فغيروها ثم أخرجوها إليهم، وقالوا: هذا نعت النبىّ الذى يخرج فى آخر الزمان ولا يشبه نعت هذا النبىّ الذى بمكة.

فلما نظرت السفلة إلى النعت المُعَيَّر وجدوه مخالفاً لصفة محمد ﷺ فلا يتبعونه.

فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعنى صفة محمد ﷺ ونبوته.

﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ﴾: بالمكثوم.

﴿ثُمَّ قَلِيلًا﴾: عرضاً يسيراً يعنى المآكل التى كانوا يصيبونها من سفلتهم.

﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾: ذكر البطن هاهنا للتوكيد؛ لأن الإنسان قد يقول أكل فلان مالى إذا أفسده وبذره، ويُقال: كلمه من فيه؛ لأنه قد يكلمه مراسلة ومكاتبة، وناوله من يده ونحوها.

قال الشاعر:

❖ نظرت فلم تنظر بعينك منظرا ❖

﴿إِلَّا النَّارَ﴾: يعنى إلا ما يوردهم النار، وهو الرشوة والحرام وثمر الدين والإسلام. لما كانت عاقبته النار، سماه فى الحال ناراً.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ (النساء: ١٠) يعنى إن عاقبته تؤول إلى النار، وقوله ﷺ فى الذى يشرب فى آنية الذهب والفضة: «إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم»، أخبر عن المال بالحال.

﴿وَلَا يَكْتُمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: كلاماً ينفعهم ويسرهم هذا قول أهل التفسير، وقال أهل المعانى: أراد به أنه يغضب عليهم كما يقول فلان لا يكلم فلاناً: أى هو عليه غضبان.

﴿وَلَا يَزَكِيهِمْ﴾: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَاةَ: أى استبدلوا الضلالة.

﴿بِالْهَدَىٰ وَالْعَذَابِ بِالْمَعْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾: اختلفوا فى «ما».

فقال قوم: هى «ما» التعجب، واختلفوا فى معناها.

فقال الحسن وقتادة والربيع: والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما أجرهم على العمل الذى يقربهم إلى النار قال: وهذه لغة يمانية.

وقال الفراء: أخبرنى الكسائى، أخبرنى قاضى اليمن: إن خصمين اختصما إليه فوجبت اليمن على أحدهما فحلف، فقال خصمه: ما أصبرك على الله . . . ! أى ما أجرأك عليه.

وقال المؤرج: فما أصبرهم على عمل يؤديهم إلى النار؛ لأن هؤلاء كانوا علماء.

فإن من عاند النبى ﷺ صار من أهل النار.

الكسائى وقطرب: معناه ما أصبرهم على عمل أهل النار أى ما أدومهم عليه . . . كما

تقول: ما أشبه سخاك بحاتم: أى بسخاء حاتم.

مجاهد: ما أعلمهم بأعمال أهل النار، وقيل: ما أبقاهم فى النار! كما يُقال: ما أصبر

فلاناً على الضرب والحبس!

عطاء والسدى وابن زيد وأبو بكر بن عباس: هى «ما» الاستفهام ومعناه: ما الذى صبرهم

وَأَيُّ شَيْءٍ صَبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ حِينَ تَرَكُوا الْحَقَّ وَاتَّبَعُوا الْبَاطِلَ .
فَقِيلَ هَذَا عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِهَانَةِ .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ : قال بعضهم معناه ﴿ذَلِكَ﴾ : العذاب ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ : واختلفوا فيه ، وحينئذ تكون «ذلك» فى محل الرفع ، وقال بعضهم محله نصب . معناه : فعلنا ذلك بهم بأن الله عز وجل ، أو لأن الله نزل الكتاب بالحق ، واختلفوا فيه ، وكفروا به فنزع حرف الصفة .

وقال الأخفش : خبر ذلك مضمرة معناه : ذلك معلوم لهم بأن الله نزل الكتاب بالحق .
وقال بعضهم : معناه «ذلك» : أى فعلهم الذى يفعلون من الكفر والاختلاف والاجترار على الله تعالى من أجل أن الله نزل الكتاب بالحق ، وتنزيله الكتاب بالحق هو إخباره عنهم :
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴿البقرة: ٦﴾ .
﴿وَأَنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ فآمنوا ببعض وكفروا ببعض .
﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ لفى خلاف وضلال طويل .



﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ
وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءِ إِلَيْهِ
بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨﴾
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ : قرأ حمزة وحفص : ليس البر بنصب الرأس
وقرأ الباقون : بالرفع فمن رفع البر جعله اسم ليس ، وجعل خبره فى قوله : ﴿أَنْ تُولُوا﴾ تقديره :
ليس البر توليتكم وجوهكم ، ومن نصب جعل أن وصلتها فى موضع الرفع على اسم ليس
تقديره : ليس توليتكم وجوهكم البر كله ، كقوله : ﴿مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ (الجاثية: ٢٥) ،

وقوله ﴿فَكَانَ عَنَقِبَهُمَا أَنهَمَا فِي النَّارِ﴾ (الحشر: ١٧).

هارون عن عبد الله وأبي بن كعب: أنهما قرءا. ليس البرّ بأن تولوا وجوهكم، واختلف المفسرون في هذه الآية:

فقال قوم: عنى الله بهذه الآية اليهود والنصارى؛ وذلك أن اليهود كانت تُصَلِّي قبل المغرب إلى بيت المقدس، والنصارى قبل المشرق، وزعم كل فريق منهم أن البرّ فى ذلك، فأخبر الله أن البرّ غير دينهم وعملهم، ولكنه ما بينه فى هذه الآية، وعلى هذا القول: قتادة والربيع ومقاتل بن حيان وعوف الأعرابي.

وقال الآخرون: المراد بهذه الآية المؤمنون؛ وذلك أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن البرّ، فأنزل الله هذه الآية فدعا رسول الله ﷺ ذلك الرجل فتلاها عليه.

وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وصلى الصلاة إلى أى ناحية ثم مات على ذلك وجبت له الجنة، فلما هاجر رسول الله ﷺ ونزلت الفرائض وحدد الحدود، وصرفت القبلة إلى الكعبة. أنزل الله هذه الآية فقال: ليس البرّ كله أن تصلّوا وتعملوا غير ذلك.

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾: جعل من وهى اسم خيراً للبرّ وهو فعل ولا يُقال: البرّ زيد، واختلفوا فى وجه الآية:

فقال بعضهم: لما وقع من فى موضع المصدر جعله مضمراً للبرّ. كأنه قال: ولكن البرّ الإيمان بالله، والعرب تجعل الاسم خيراً للفعل كقولهم: إنّما البرّ الصادق الذى يصلّ من رحمه ويخفى صدقته: يريدون صلة الرّحم، وإخفاء الصدقة، وعلى هذا القول الفراء والمفضل بن سلمة وأنشد الفراء:

لعمرك ما الفتیان أن تنبت اللحي
ولكنّما الفتیان كل فتى ندى

فجعل نبات اللحية خيراً للفتى.

وقيل: معناه ولكن البرّ من آمن بالله واستغنى عن الناس، كقولهم: الجود حاتم، والشجاعة عنتره، والشعر زهير: أى جود حاتم وشجاعة عنتره وشعر زهير، وتقول العرب: بنو فلان يطأهم الطريق، أى أهل الطريق. قال الله تعالى: ﴿وَسئَلُ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢)، وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفٍ وَاحِدَةً﴾ (لقمان: ٢٨) قال النابغة الجعدي:

وكيف نواصل من أصبحت
جلالته كأبى مرحب

أى كجلالة أبى مرحب، وعلى هذا القول قطرب والفراء والزجاج أيضاً.

وقال أبو عبيدة: معناه ولكن البار من آمن بالله كقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه: ١٣٢) أى المتقى.

وقيل: معنى ذو البر من آمن بالله حكاة الزجاج، كقوله: ﴿هُرْدَزَجَلْتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (ال عمران: ١٦٣) أى ذوو درجات.

قال المبرد: لو كنت ممن قرأ القرآن لقرأت: لكن البر من آمن بالله بفتح الباء تقول العرب رجل بر وبار والجمع بررة وأبرار، والبر: العطف والإحسان، والبر أيضاً: الصدق، والبر هنا الإيمان والتقوى، وهو المراد فى هذه الآية بذلك عليه قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. ﴿وَالْمَلَكَةِ﴾: كلهم.

﴿وَالْكِتَابِ﴾ (يعنى الكتب). ﴿وَالنَّبِيِّنَ﴾ أجمع.

﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ واختلّفوا فى هذه الحكاية:

فقال أكثر المفسرين: فى حبه راجعة إلى المال يعنى أعطى المال فى حال صحته ومحبه إياه ونفسه به يدل عليه قول ابن مسعود فى هذه الآية قال: هو أن توصيه وأنت صحيح، تأمل العيش وتخش الفقر ولا تمهل، حتى إذا بلغت الخلقوم قلت لفلان كذا، ورفع هذا الحديث بعضهم.

وقيل: هى عائدة على الله عز وجل أى حب الله سبحانه.

قال الحسين بن أبى الفضل: على حب الإيتاء، وقيل: الهاء راجعة إلى المعطى أى حب المعطى.

﴿ذَوَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾: أهل القرابة. عن أم رابع بنت صليح عن سليمان بن عامر عن النبى ﷺ قال: «صدقتك على مسكين صدقة واحدة وعلى ذى الرّحم اثنتين لأنها صدقة وصلة».

الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أفضل الصدقة على ذى الرّحم الكاشح».

سليمان بن يسار عن ميمونة زوج النبى ﷺ قالت: أعتقت جارية لى فدخلت على النبى ﷺ فأخبرته بعقتها فقال: «أجرك الله أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك».

﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: سمى المجاز واختلّفوا فيه فقال أبو جعفر البارقي ومجاهد: يعنى المسافر المنقطع عن أهله يمر عليك.

قتادة: هو الصّيف ينزل بالرجل: قال: وذكرنا أن النبى ﷺ كان يقول: «من كان يؤمن بالله

واليوم الآخر فليكرم ضيفه» .

وكان يقول: «حقّ الضيافة ثلاث ليال فكل شيء أضافه فهو صدقة» .

وإنما قيل للمسافر والضيف الذي يحلّ ويرتحل ابن السبيل لملازمته الطريق كما قيل للرجل الذي أتت عليه الدهور ابن الأيام والليالي ، ولطير الماء: ابن الماء لملازمته إياه . قال ذو الرمة:

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلّق

﴿وَالسَّالِبِينَ﴾ : المستطعمين الطالبيين .

عبد الله بن الحسين عن أمّه فاطمة بنت الحسين قالت: قال رسول الله ﷺ: «للسائل حقّ وإن جاء على فرس» .

مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «هدية الله إلى المؤمن السائل على بابه» .

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ : يعنى المكاتبين قاله أكثر المفسرين ، وقيل: فداء الأسارى ، وقيل: عتق النسمة وفك الرقبة .

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ : المفروضة .

﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾ : الواجبة .

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ : فيما بينهم وبين الناس إذا وعدوا أنجزوا وإذا حلفوا أوفوا ، وإذا قالوا صدقوا وإذا اتتمنوا أدّوا .

قال الربيع بن أنس: فمن أعطى عهد الله ثمّ نقضه فالله سبحانه مطعم منه ومن أعطى دمه النبي ﷺ ثمّ غدر فالنبي ﷺ خصمه يوم القيامة .

وفى وجه ارتفاع الموقين قولان: قال الفراء والأخفش: هو عطف على محل (من) فى قوله: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ (من) فى موضع جمع ومحلّه رفع كأنه قال: ولكن البرّ المؤمنون والموفون .

وقيل: رفع على الابتداء والخبر تقديره همّ الموفون ، ثمّ قال:

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ : وفى نصبها أربعة أقاويل . قال أبو عبيد: نصب على تناول الكلام ومن شأن العرب أن تغير الإعراب إذا طال الكلام والنسق .

وقال الكسائى: نصبه نسقاً على قوله: ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ الصابرين .

وقال بعضهم: معناه وأعنى الصابرين .

وقال الخليل بن أحمد والفراء: نصب على المدح والعرب تنصب على المدح وعلى الدّم

كأنهم يريدون بذلك أفراد المدح والمذموم ولا يتبعونه بأول الكلام فينصبونه .
فأما المدح فقوله تعالى : ﴿وَالْمُتَمِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ (النساء: ١٦٢) وأنشد الكسائي :

وكل قوم أطاعوا أمر مرشدهم إلا غميراً طاعت أمر غاويها
والطاعين ولما يطعنوا أحداً والقائلين لمن دار يخليها
وأنشد أبو عبيدة لحزنق بن عفان :

(لا يبعدن) قومي الذين هم سم العداة وأنه الجزل
النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الأزل

وأما الذم ، فقوله تعالى : ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا﴾ أخذوا .

وقال عروة بن الورد :

تسقوني الخمر ثم تكفوني عداة الله من كذب وزور

﴿فِي الْبِئْسَاءِ﴾ يعنى الشدة والفقر ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ : المرض والزمانة وهما اسمان بنيا على فعلاء

ولا أفعل لهما لأنهما اسمان وليسا بنعت .

﴿وَحِينَ الْبِئْسِ﴾ : وقت القتال : وقال على (رضى الله عنه) : كنا إذا احمر البأس اتقينا

برسول الله ﷺ فكان أقربنا إلى العدو إذا اشتد الحرب .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ : فى دماهم .

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَشَوُّونَ﴾ : روى القاسم : إن أبا ذر سئل عن الإيمان؟ فقرأ هذه الآية فقال

السائل : إنما سألنا عن الإيمان وتخبرنا عن البر ، فقال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله
عن الإيمان فقرأ هذه الآية .

وقال أبو ميسرة : وقرأ هذه الآية ومن عمل بهذه الآية فقد استكمل البر .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فِي الْقَتْلِ﴾ : الآية : قال الشعبي والكلبي وقتادة

ومقاتل بن حيان وأبو الجوزاء وسعيد بن جبير : نزلت هذه الآية فى حين من أحياء العرب

اقتتلوا فى الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكانت بينهما قتلى وجراحات لم يأخذها بعضهم من
بعض حتى جاء الإسلام .

قال سعيد بن جبير : إنهما كانا حين الأوس والخزرج .

وقال ابن كيسان : قريظة والنضير ، قال : وكان لأحد الحيين حول على الآخر فى الكرم

والشرف ، وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور . فأقسموا ليقتلن بالعبد من الحر منهم ، وبالمراة

من الرجل منهم ، وبالرجل من الرجلين منهم ، وجعلوا جراحاتهم ضعفى جراحات أولئك

وهم كذا يعاملونهم فى الجاهلية. فرفعوا أمرهم إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمرهم بالمساواة فرضوا وسلموا.

السدى وجماعة: نزلت هذه فى الدييات؛ وذلك أن أهل حزين من العرب اقتتلوا؛ أحدهما مسلم والآخر معاهد. فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يصلح بينهم بأن يجعل دييات النساء، من كل واحد من الفريقين قصاصاً بدييات النساء من الفريق الآخر، ودييات الرجال بالرجال، والعبيد بالعبيد، فأنزل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كِتَابٌ﴾ فرض وكتب عليكم فى القتلى، والقصاص: المساواة والمماثلة فى النفوس والجروح والدييات، وأصله من قص الأثر إذا اتبعه فكان المفعول به يتبع ما عمل به فيعمل مثله، ثم بين فقال: ﴿الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾.

❖ ذكر حكم الآيات:

إذا تكافأ الدمان من الأحرار المسلمين أو لعبيد من المسلمين، أو الأحرار من المعاهدين أو العبيد منه قُتل من كل صنف منهم: الذكر إذا قُتل منهم بالذكر، والأنثى إذا قُتلت بالأنثى والذكر، والإجماع واقع أن الرجل يُقتل بالمرأة لأنهما يتساويان فى الحرمة والميراث وحد الزنى والقذف وغير ذلك؛ فلذلك يجب أن يستويا فى القصاص ولا يُقتل الحرّ بالعبد وعليه قيمته وإن بلغت ثلث؛ لما بينهما من المفاضلة، ولا يُقتل مؤمن بكافر. بدليل ما روى الشعبى عن أبى جحيفة قال: سألت علياً كرم الله وجهه هل عندكم من النبى ﷺ سوى القرآن؟

فقال: لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطى الله عز وجلّ عبداً فهماً فى كتابه وما فى الصحيفة. قلت: وما فى الصحيفة؟

قال: العقل وفكاك الأسير، وأن لا يُقتل مسلم بكافر، ولا يُقتل سيد بعبده، ولا والد بولده.

يدلّ عليه ما روى أن رجلاً اسمه قتادة رمى ابنه بسيف فأصاب رجله فنزف فمات. فقال عمر (رضى الله عنه): لولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يُقاد والد بولده، وإلاّ قَدْتُهُ به».

﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾: أى ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص، وروى عن على (رضى الله عنه) أنه قتل ثلاثة بواحد فى قتل العمد هذا قول أكثر المفسرين قالوا: العفو أن يقبل الدية فى قتل العمد، وقال السدى: هو أن يبقى له بقية من دية أخيه أو من أرش جراحته.

﴿فَاتَّبَاعٌ﴾: أى فعلية اتباع ﴿بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾: أمر الطالب أن يطلب بالمعروف ويتبع حق الواجب له عليه من غير أن يطالبه بالزيادة أو يكلفه ما لم يوجهه الله له أو يُشدد عليه كما قال النبي ﷺ: «من زاد بغيراً فى إبل الديات وفرائضها فمن أمر الجاهلية».

❖ حكم الآية:

اعلم أن أنواع القتل ثلاثة العمد، وشبه العمد، والخطأ: فالعمد: أن يُقصد ضربه، بما أن الأغلب أنه يموت منه مثل الحديد والخشبة العظيمة والحجر الكبير ونحوها أو حرقه أو غرقه أو الشدة من جبل أو سطح أو فى بئر وما يشبه ذلك مما يتعمد قلبه. ففى هذا القصاص أو الدية. فدية المسلم ألف دينار ومن الورق اثنا عشر ألف درهم ومن الإبل مائة منها أربعون خلفه فى بطونها أولادها. وثلاثون حقة، وثلاثون جذعة، الأصل فى الرجل الإبل وديات النساء على النصف من ذلك.

وأما شبه العمد: فهو أن يقصد ضربه بما الأغلب أنه لا يموت منه مثل: حصى صغير أو عود صغير أو لطمه أو وكزه أو بكسره أو صفعه أو ضربه بالسيف عمداً أو ما أشبه ذلك فمات منه، فهاهنا يجب الدية مغلظة على العاقلة، كما وصفنا فى دية العمد.

وأما الخطأ: فهو أن يقصد شيئاً فيخطئ ويصوب غيره. كالرجل يرمى الهدف أو الصيد فيخطئ السهم فيقع بإنسان فيقتله فهو الخطأ المحض وفيه الدية المحققة على العاقلة فى ثلاث سنين أخماساً: عشرون بنات مخاض وعشرون بنات لبون وعشرون ابن لبون، وعشرون خناق، وعشرون جذعاً، ولا يتعين الورق والذهب، كما تنقص الإبل الذى ذكرت من العفو والدية.

﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكَ وَرَحْمَةٌ﴾: وذلك أن الله تعالى كتب على أهل التوراة فى النفس والجرح أن يقيدوا ولا يأخذوا الدية ولا يعفوا وعلى أهل الإنجيل أن يعفوا ولا يقيدوا ولا يأخذوا الدية. فخير الله تعالى هذه الأمة بين القصاص والدية والعفو.

كما روى سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى شريح: أن رسول الله ﷺ قال: «ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتل من هذيل، وأنا والله عاقله فمن قتل قتيلاً بعده فأهله بين خيرتين: إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا العقل».

﴿فَمَنْ أَعْتَدَى﴾: ظلم وتجاوز الحد.

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: فقيل بعد أخذ الدية، وقال الحسن: كان الرجل فى الجاهلية إذا قتل قتيلاً فرَّ

إلى قومه فيجىء قومه فيصالحون الدية فذلك الاعتداء .

﴿قُلْ عَذَابُ أَيْمٍ﴾ : يُقْتَلُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يُعْفَى عَنْهُ .

قال النبي ﷺ : « لا أعاफी رجلاً قتل بعد أخذه الدية منه » ، وفي الآخرة عذاب النار ، وفي هذه الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافراً ولا يبقى خالداً في النار ؛ لأن الله تعالى . خاطبهم فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ ولا خلاف أن القصاص واقع في العمد فلم يسقط عنه اسم الإيمان بارتكاب هذه الكبيرة ، وقال في آخر الآية : ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ فسمى القاتل أخا المقتول ، وقال : ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ وهما يخصان المؤمنين دون الكافرين .

يروى أن مسروقاً سئل هل للقاتل توبة؟

فقال : لا أغلق باباً فتحه الله .

﴿وَأَكْمَرُ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ : بقاء لأنه إذا علم أنه إن قتل أمسك وارتدع عن القتل . ففيه حياة للذي يهمل بقتله ، وحياة للهامل ولهذا قيل في المثل : القتل قلل القتل .
وقال قتادة : كم رجل قد همَّ بداهية لولا مخافة القصاص لوقع بها ولكن الله تعالى حجر عباده بعضهم عن بعض هذا قول أكثر المفسرين .

وقال السدي : كانوا يقتلون بالواحد الاثنین والعشرة والمائة فلما قصروا بالواحد على الواحد كان في ذلك حياة وقيل : أراد في الآخرة لأن من أقيد منه في الدنيا حيى في الآخرة ، وإذا لم يقنص منه في الدنيا اقتنص منه في الآخرة ويعنى الحياة سلامته من قصاص الآخرة ، وقرأ أبو الجوزاء : ولكم في القصاص حياة أراد القرآن فيه حياة القلوب .

قال : ﴿يَتَأُولَى الْأَيْبِ﴾ يا ذوى العقول .

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ : القتل مخافة القود .



﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿كُتِبَ﴾ : فُرِضَ وَوَجِبَ . ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ﴾ : جَاء .

﴿أَحَدَكُمْ أَلْمُوتُ﴾: يعنى أسباب الموت وآثاره ومقدماته من العلل والأمراض ولم يُرد

المعانيه .

﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾: مالا، نظيره قوله: ﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ (البقرة: ٢٧٢) ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ فى رفعها وجهان: أحدهما: اسم ما لم يسم فاعله وهو قوله «كتب»، والثانى: خبر حرف الصفة، وهو اللام فى قوله ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: يعنى لا يزيد على الثلث ولا يُوصى للغنى ويدع الفقير. كما قال ابن مسعود: الوصية للأهل فالأهل أى الأهل فالأهل حوج.

﴿حَقًّا﴾: واجبا، وهو نصب على المصدر أى حق ذلك حقا وقيل: على المفعول أى جعل الوصية حقا، وقيل: على القطع من الوصية.

﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: المؤمنين، واختلف العلماء فى معنى هذه الآية:

فقال قوم: كانت الوصية للوالدين والأقربين، فرضا واجبا على من مات، وله مال حتى نزلت آية الموارث فى سورة النساء. فنسخت الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون، وبقي فرض الوصية للأقرباء الذين لا يرثون والوالدين الذين لا يرثان بكفر أو رق على من كان له مال. فخطب رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية فقال: «الآن الله تعالى قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث فين أن الميراث والوصية لا يجتمعان».

فأية الموارث هى لنا حجة وقال رسول الله ﷺ هو المبيّن هذا قول ابن عباس وطاووس وقتادة والحسن ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد والربيع وابن زيد.

قال الضحاك: من مات ولم يوص لذى قرابته فقد ختم عمله بمعصية، وقال طاووس: من أوصى لقوم وسماهم، وترك ذوى قرابته محتاجين (أنتزعت) منهم وردت إلى ذوى قرابته. وقال آخرون: بل نُسخ ذلك كله بالميراث فهذه الآية منسوخة. ولا يجب لأحد وصية على أحد قريب ولا بعيد. فإن أوصى فحسن، وإن لم يوص فلا شىء عليه، وهذا قول على وابن عمر وعائشة وعكرمة ومجاهد والسدى.

قال شريح فى هذه الآية. كان الرجل يوصى بماله كله حتى نزلت آية الموارث.

وقال عروة بن الزبير: دخل على (رضى الله عنه) على مريض يعوده فقال: إني أريد أن أوصى. فقال على عليه السلام: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ وإنما يدع شيئا يسيرا فدعه لعيالك إنه أفضل.

وروى أيوب عن نافع عن ابن عمر: أنه لم يوص فقال: أما مالى والله أعلم ما كنت أصنع به فى الخلوة وأما رباعى لن يشرك ولدى فيها أحد.

وروى ابن أبي مليكة: أن رجلاً قال لعائشة: إنني أريد أن أوصي، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف. قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة. قالت: إنما قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك.

وروى سفيان بن بشير بن دحلق قال: قال عروة بن ثابت للربيع بن خيثم: أوص لي بمصحفك. قال: فنظر إلى أبيه فقال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ (الأحزاب: ٦).
وروى سفيان عن الحسين بن عبد الله عن إبراهيم قال: ذكر لنا أن زبيراً وطلحة كانا يُشددان في الوصية. فقال: ما كان عليهما أن لا يفعلا. مات النبي ﷺ ولم يوص وأوصى أبو بكر، أي ذلك فعلت فحسن.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾: أي فمن غير الوصية من الأوصياء والأولياء أو الشهود.
﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾: من الميت فإنما ذكر الكناية عن الوصية وهي مؤنثة لأنها في معنى الإيصال لقوله: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ (البقرة: ٢٧٥) رده إلى الوعظ ونحوها كثيرة.
وقال المفضل: لأن الوصية قول فذهب إلى المعنى وترك اللفظ.
كقول امرئ القيس:

برهرة رودة رخصة كخرعوبة اليانة المنقطر

المنقطر: المنفخ بالورق وهو أنعم ما يكون فذهب إلى القضب فترك لفظ الخرعوبة.

﴿فَأَنبَأَ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ﴾: وصى الميت.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لوصاياكم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتكم.

﴿فَمَنْ خَافَ﴾: أي خشى، وقيل: علم وهو الأجود كقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَ إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

وقال أبو محجن الثقفي:

فلا تدعني بالفلاة فإنني أخاف إذا مات أن لا أذوقها

أراد: أعلم.

﴿مُؤْصٍ﴾: قرأ مجاهد وعطاء وحמיד وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر وشيبة

ونافع: بالتخفيف واختاره أبو حاتم.

لقول الناس: أوصيكم بتقوى الله.

قال أبو حاتم: قرأتها بمكة بالتشديد أول ليلة أقمت فعاوبها على.

وقرأ الباقر: موصى بالتشديد واختاره أبو عبيد كقوله: ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ (الشورى: ١٣).

﴿حَقًّا﴾: جوراً وعدولاً من الحق والجنف: الميل فى الكلام والأخذ كلُّها يقال جنف وأجنف وتجانف إذا مال. قال لييد:

إنى امرؤ منعت أرومة عامر ضيمى وقد جنفت على خصوم

وقال آخر:

هم أقول وقد جنفوا علينا وأنا من لقائهم أزور

وقال على عليه السلام: حيقاً بالحاء والياء أى ظلماً.

قال الفراء: الفرق بين الجنف والحيف: أن الجنف عدول عن الشيء والحيف: حمل الشيء حتى ينتقصه وعلى الرجل حتى ينتقص حقه.

يقال: فلان يتحوف ماله أى ينتقصه متى حافاته.

وقال المفسرون: الجنفة: الخطأ، والإثم: العمد، واختلفوا فى معنى الآية وحكمها فقال قوم: تأويلها من حضر مريضاً وهو يوصى فخاف أن (يحيف) فى وصيته فيفعل ما ليس له أو تعمد جوراً فيها فيأمر بما ليس له، فلا حرج على من حضره أن يصلح بينه وبين ورثته بأن يأمره بالعدل فى وصيته، وينهاه عن الجنف فينظر للموصى وللورثة، وهذا قول مجاهد: هذا ممن يحضر الرجل وهو يموت. فإذا أسرف أمره بالعدل وإذا قصر قال: افعل كذا أعط فلاناً كذا.

وقال آخرون: هو أنه إذا أخطأ الميت وصيته أو خاف فيها متعمداً فلا حرج على وليه أو وصيه أو والى أمر المسلمين أن يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم، ويرد الوصية إلى العدل والحق، وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وإبراهيم والربيع.

وروى ابن جريج عن عطاء قال: هو أن يعطى عند حضور أجله بعض ورثته دون بعض مما سيرثونه بعد موته. فلا إثم على من أصلح بين الورثة.

طاووس: (الحيف) وهو أن يوصى لبنى ابنه يريد ابنه أو ولد ابنته يريد ابنته، ويوصى لزوج ابنته ويريد ابنته، فلا حرج على من أصلح بين الورثة.

السدى وابن زيد: هو فى الوصية للأبء والأقربين بالأثرة يميل إلى بعضهم ويحيف لبعضهم على بعض فى الوصية. فإن أعظم الأجر أن لا ينفذها، ولكن يصلح ما بينهم على ما يرى أنه الحق فينتقص بعضاً ويزيد بعضاً.

قال ابن زيد: فعجز الموصى أن يوصى للوالدين والأقربين كما أمره الله، وعجز الوصى أن يصلح فيوزع الله ذلك منه بفرض الفرائض لذلك قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى لم يوص بملك مقرب ولا نبى مرسل حتى تولى قسم موارثكم».

وقال: «فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ» ولم يجز للورثة ولا للمختلفين فى الوصية ذكر لأن سياق الآية وما تقدم من ذكر الوصية يدل عليه.

قال الكلبي: كان الأولياء والأوصياء يمضون وصية الميت بعد نزول الآية: «فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ» الآية وإن استغرق المال كله ويبقى الورثة بغير شيء، ثم نسختها هذه الآية: «فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا» الآية.

وروى عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبىه: قال كنت مع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع فمرضت مرضاً أشرفت على الموت. فعادنى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن لى مالاً كثيراً وليس يرثنى إلا بنت لى أفأوصى بثلثى مالى؟ قال: «لا».

قلت: فبشطر مالى؟

قال: «لا».

قلت: بثلث مالى؟

قال: «نعم الثلث والثلث كثير إنك يا سعد أن تترك ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس».

وقال مسلم بن صبيح: أوصى جار لمسروق فدعا مسروقاً ليشهده فوجده قد بذر وأكثر.

فقال: لا أشهد أن الله عز وجل قسم بينكم فأحسن القسمة فمن يرغب برأيه عن أمر الله فقد ضل، أوص لقربانتك الذين لا يرثون ودع المال على قسم الله.

وعن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حاف فى وصيته ألقى فى اللوى - واللوى واد فى جهنم».

شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصى حاف فى وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة. فإذا أوصى لم يحف فى وصيته فيختم له بخير عمله. فيدخل الجنة».

ثم قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (البقرة: ٢٢٩).

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿٤﴾ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالَّذِينَ بَشِرُوا هُنَّ وَأَتَعُوا مَا كُتِبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوا هُنَّ وَأَنتُمْ عَنكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَٰلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥﴾

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ : قال الحسن : إذا سمعت الله تعالى : يقول : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

فارع لها سمعك فإنها لأمر يؤمر به أو لنهى تُنهى عنه .

وقال جعفر الصادق (رضى الله عنه) : لذة «يا» فى النداء أزال تعب العبادة والعناء .

﴿كُتِبَ﴾ فرض واجب .

﴿عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ﴾ : وهو مصدر قولك : صمتُ صيامًا ، كما تقول : قمتُ قيامًا ، وأصل

الصيام فى اللغة : الإمساك ، يُقال : صامت الرِّيح إذا سكنت وأمسكت عن الهبوب ، وصامت الخيل إذا وقعت وأمسكت عن السير . قال النابغة :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلق اللجما

فقال : صام النهار إذا اعتدل ، وقام قائم الظهيرة ؛ لأن الشمس إذا طلعت فى كبد السماء

وقفت فأمسكت عن السير سريعة . قال امرؤ القيس :

فدع ذا وسلّ الهمّ عنك بحسرة ذمول إذا صام النهار وهجرًا

وقال الراجز :

حتى إذا صام النهار واعتدل وسال للشمس لعاب فنزل
ويقال للرجل إذا صمت وأمسك عن الكلام: صام.

قال الله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ (مريم: ٢٦): أى صمتاً.

فالصوم: هو الإمساك عن المعتاد من الطعام والشرب والجماع.

﴿كَمَا كَتَبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: من الأنبياء والأئم وأولهم آدم عليه السلام، وهو ما روى عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده عن علي (رضى الله عنه) قال: أتيت رسول الله ﷺ ذات يوم عند انتصاف النهار وهو في الحجر، فسلمت عليه فرد علي النبي ﷺ ثم قال: «يا علي هذا جبرئيل يُقرئك السلام. فقلت: عليك وعليه السلام يا رسول الله لم؟ قال ادن مني، فدنوت منه فقال: يا علي يقول لك جبرئيل: صم كل شهر ثلاثة أيام يكتب لك بأول يوم عشرة آلاف (سنة) وباليوم الثاني ثلاثين ألف (سنة) وباليوم الثالث مائة ألف (سنة).

فقلت: يا رسول الله هذا ثواب لي خاصة أم للناس عامة؟ قال: يا علي يُعطيك الله هذا الثواب ولمن يعمل مثل عملك بعدك. قلت: يا رسول الله وما هي؟ قال: أيام البيض: ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر».

قال عنترة: قلت لعلي (رضى الله عنه): لأى شيء سُميت هذه الأيام البيض؟

قال: لما أهبط آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض أحرقت الشمس، فاسودَّ جسده ثم صام اليوم الثالث. فأتاه جبرئيل فقال: يا آدم أتحب أن يبيض جسديك؟ قال: نعم، قال: فصم من الشهر ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر فصام آدم عليه السلام أول يوم فايبيض ثلث جسده، ثم صام اليوم الثاني فايبيض ثلثا جسده، ثم صام اليوم الثالث فايبيض جسده كله. فسُميت أيام البيض.

وقال المفسرون: فرض الله على رسوله محمد وعلى المؤمنين صوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر حين قدم المدينة فكانوا يصومونها إلى أن نزل صيام شهر رمضان قبل قتال بدر بشهر وأيام.

وقال الحسن وجماعة من العلماء: أراد بالذين من قبلنا: النصارى شبه صيامنا بصيامهم لاتفاقهم بالوقت والقدر؛ وذلك أن الله فرض على النصارى صيام شهر رمضان. فاشتد ذلك عليهم؛ لأنه ربما كان في الحر الشديد والبرد الشديد فكان يضرّ بهم في أسفارهم ومعاشهم، واجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء

والصَّيْف فجعَلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كَفَّارَةً لما صنعوا فصار أربعين ثم إنَّ ملكاً لهم اشتكى فمه فجعل الله عليه إن هو برأ من وجعه أن يزيد في صومه أسبوعاً فبرأ فزاد فيه أسبوع ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال: أتموا خمسين يوماً فأتموه خمسين يوماً. وقال مجاهد أصابهم موتان فقالوا: زيدوا في صيامكم فزادوا عشرًا قبل وعشرًا بعد.

روى أبو أمية الطَّنَافِسي عن الشعبي قال: لو صمت السنَّة كلَّها وأفطرت اليوم الذي يشك فيه فيقال من شعبان ويقال من رمضان، وذلك أنَّ النَّصَارَى فرض عليهم شهر رمضان كما فرض علينا فحولوه إلى الفصل وذلك أنَّهم ربما كانوا صاموه في القيظ فعدوا ثلاثين يوماً ثم جاء بعدهم قرن منهم فأخذوا بالثقة في أنفسهم فصاموا قبل الثلاثين يوماً وبعدها يوماً ثم لم يزل الآخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يوماً فذلك قوله عز وجل:

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾.

﴿أَعْلَمُكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لكي تتقوا الأكل والشرب والجماع.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: يعني شهر رمضان ثلاثون يوماً أو تسعة وعشرون يوماً لما روى سعيد ابن العاص أنه سمع ابن عمر يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا تَحْسَبُ وَلَا تَكْتَبُ الشَّهْرَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» وعقد الإبهام في الثالثة والشَّهر هَكَذَا وَهَكَذَا تمام ثلاثين. ونصب أَيَّامًا على الظرف أي: في أَيَّام، وقيل: على التفسير.

وقيل: على خبر ما لم يسمَّ فاعله، وقيل: بإضمار فعل أي صوموا أَيَّامًا معدودات.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ﴾: أي فأفطر فَعِدَّةً كقوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَعِدَّةٌ﴾ (البقرة: ١٩٦): أي فحلَّق أو قصرَّ ففدية واقصر وقوله: ﴿فَعِدَّةٌ﴾ أي فعليه عِدَّةٌ ولذلك رفع.

وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة: فعدة نصباً أي فليصم عِدَّة.

﴿مِن أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: غير أَيَّام مرضه أو سفره والعِدَّة العدد وأخر في موضع خفض ولكنها لا تنصرف فلذلك نصبت لأنها معدولة عن جهتها كأنَّ حقَّها أو آخر وأخريات فلما عدلت إلى فعل لم تجر مثل عمر وزفر.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾: قرأ ابن عباس وعائشة وعطاء بن رباح وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد: يُطِيقُونَهُ بضمَّ الياء وبفتح الطَّاء وتخفيفه وفتح الواو وتشديده أي يكلفونه ويتحملونه.

وروى عن مجاهد وعكرمة: أيضاً يطوِّقونه بفتح الياء وتشديد الطَّاء أراد يتطوقونه أي

يتكلفونه .

وروى ابن الأنبارى عن ابن عباس يطيقونه بفتح الياء الأولى وتشديد الطاء والياء الثانية وفتحهما بمعنى يطيقوه . يقال : طاق وأطاق وأطبق بمعنى واحد .

﴿فَدْيَةٌ طَعَامٌ مَسْكِينٍ﴾ : قرأ أهل المدينة والشَّام : فدية طعام مضافاً مساكين جمعاً أضافوا الطعام إلى الفدية وإن كان واحداً لاختلاف اللفظين كقوله : ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (ق: ٩) وقولهم : المسجد الجامع وبين الأوّل ونحوها وهى قراءة أبى عمرو ومجاهد ، وروى يحيى بن سعيد عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر أنّه قرأها : طعام مساكين على الجمع ، وروى مروان بن معاوية الفزارى عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قرأها كذلك : مساكين .

وقرأ الباقر : فدية منصوبة ، إطعام رفعاً ، مسكين خفض على الواحد وهى قراءة ابن عباس .

(روى ابن أبى نجیح) عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنّه قرأها طعام مسكين ، على الواحد ، فمن وحد فمعناه : لكل يوم طعام مسكين واحد ، ومن جمع رده إلى الجميع ، وهو اختيار أبى عبيد وأبى حاتم .

﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ : قرأ عيسى بن عمر ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائى : يتطوع بالتاء وتشديد الطاء وجزم العين على معنى يتطوع ، وقرأ الآخرون : تطوع بالتاء وفتح العين وتخفيف الطاء على الفعل الماضى .

واختلف العلماء فى تأويل هذه الآية وحكمها :

فقالوا قوم : كان ذلك أول ما فرض الصّوم ؛ وذلك أن الله تعالى لما أنزل فرض صيام شهر رمضان على رسوله ﷺ وأمر أصحابه بذلك شق عليهم ، وكانوا قوماً لم يتعودوا الصّيام فخيرهم الله بين الصيام والإطعام . فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وافتدى بالطعام ، ثم نسخ الله تعالى ذلك بقوله : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ونزلت العزيمة فى إيجاب الصّوم وعلى هذا القول معاذ بن جبل وأنس بن مالك ، وسلمة بن الأكوع وابن عمر وعلقمة وعمرو ابن مرّة والشعبى والزهرى وإبراهيم وعبيدة والضحاك ، وإحدى الروايات عن ابن عباس .

وقال آخرون : بل هو خاص للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة واللذين يطيقان الصّوم ولم يشقّ عليهما رخص لهما : إن شاء أن يفطرا مع القدرة ويطعما لكل يوم مسكيناً ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وثبت الرخصة للذين لا يطيقون ، وهذا قول قتادة والرّبيع بن أنس ، ورواية سعيد بن جبیر عن ابن عباس .

وقال الحسن: هذا في المريض كان إذا وقع عليه اسم المرض وإن كان يستطيع الصيام الخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر وأطعم حتى تُسَخ ذلك. فعلى هذه الأقاويل الآية منسوخة وهو (قول) أكثر الفقهاء المفسرين.

قال قوم: لم تُسَخ هذه الآية ولا شيء منها، وإنما تأويل ذلك أو على الذين يطبقونه في حال شبابهم وفي حال صحتهم وقوتهم، ثم عجزوا عن الصوم فدية طعام مساكين؛ لأنّ القوم كان رخص لهم في الإفطار وهم على الصوم (قادرين إذا اقتدروا، وآخرون أضمرنا) في الآية وقالوا: هذه عبارة عن أول حالهم وجعلوا الآية محكمة، وهذا قول سعيد بن المسيب والسدي، وإحدى الروایتين عن ابن عباس، فحمله ما ذكرنا من هذه الأقاويل على قراءة من قرأ يطبقونه: من الإطاقة وهي القراءة الصحيحة التي عليها عامة أهل القرآن ومصاحف البلدان، وأمّا الذين قرءوا يطبقونه: فتأولوا بهم الشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض الذي لا يُرجى برؤه فهم يكلفون الصوم ولا يطبقونه فلهم أن يفطروا ويطعموا مكان كل يوم أفطروا مسكيناً.

قالوا: الآية محكمة غير منسوخة، والفدية: الجزاء والبدل من قولك: فديت هذا بهذا أى حرمته وأعطيته بدلاً منه، يُقال: فديتُ فدية كما يُقال: مشيتُ مشية. ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: فزاد على مسكين واحد وأطعم مسكينين فصاعداً. قاله مجاهد وعطاء وطاوس والسدي.

وقال بعضهم: فمن زاد على القدر الواجب من الإطعام. يُزاد الطعام. رواه ابن جريج وخطيف عن مجاهد، قال ابن شهاب: يريد فمن صام مع الفدية وجمع بين الصيام والطعام فهو خير له.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَنْ تَصُومُوا﴾: (أن) صلة تعنى والصوم، ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من الإفطار والفدية ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

❖ فصل في حكم الآية:

اعلم أنه لا رخصة لأحد من المؤمنين البالغين في إفطار شهر رمضان إلا لأربعة:

أحدهم: عليه القضاء والكفارة.

والثاني: عليه القضاء دون الكفارة.

والثالث: عليه الكفارة دون القضاء.

والرابع: لا قضاء عليه ولا كفارة.

وأما الذي عليه القضاء والكفارة فمن فرط في قضاء رمضان حتى دخل رمضان آخر،

والحامل والمرضع إذا خافتا على أولادهما أفطرتا وعليهما القضاء والكفارة، وإن خافتا على أنفسهما فهما كالمريض حكمهما كحكمه هذا قول ابن عمر ومجاهد ومذهب الشافعي .

وقال بعضهم: في الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما وولدهما أن عليهما الكفارة ولا قضاء وهو قول ابن عباس .

وقال قوم: عليهما القضاء ولا كفارة وهو قول إبراهيم والحسن وعطاء والضحاك ومذهب أهل العراق ومالك والأوزاعي .

وأما الذي عليه القضاء دون الكفارة للمريض والمسافر والحائض والنفساء عليهم القضاء دون الكفارة .

قال أنس: أتيت إلى رسول الله وهو يتغذى فقال: «اجلس» فقلت: إني صائم . فقال: «اجلس أحدثك: إن الله وضع على المسافر الصوم وشطر الصلاة» .

وأما الذي عليه الكفارة دون القضاء فالشيخ الهرم والشيخة الكبيرة ومن به مرض دائم لا يرجى برؤه وصاحب العطاش الذي يخاف منه الموت، عليهم الكفارة ولا قضاء هذا قول عامة الفقهاء .

وروى عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن وخالد بن الدريك أنهما قالا في الشيخ والشيخة: إن استطاعا صاماً وإلا فلا كفارة عليهما وليس عليهما شيء إذا أفطرا .

وقال مالك: لا أرى ذلك واجباً عليهما وأحب أن يفعلاً فأما الذي لا قضاء عليه ولا كفارة فالمجنون .

واختلف العلماء في حد الإطعام في كفارة الصيام فقال بعضهم: القدر الواجب نصف صاع عن كل يوم يفطره وهذا قول أهل العراق .

وقال قوم منهم: نصف صاع من قمح أو صاع من تمر أو زبيب أو سائر الحبوب .

وقال بعض الفقهاء: ما كان المفطر يتقوته يومه الذي أفطره .

وقال محمد بن الحنفية (رضى الله عنه): يطعم مكان كل يوم مد الطعام ومد الإدامة .

وقال ابن عباس: يعطى مسكيناً واحداً عشاءه حين يفطر وسحوره حين سحره .

وقال بعضهم: يطعم كل يوم واحداً مداً وهو قول ابن أبي هريرة وعطاء ومحمد بن عمرو

ابن حزم والليث بن سعد ومالك بن أنس والشافعي وعامة فقهاء الحجاز وبالله التوفيق، ثم بين

أيام الصيام فقال:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾: قرأه العامة رفع على معنى أتاكم شهر رمضان .

وقال الفراء : ذلكم شهر رمضان .

الأخفش : هو شهر رمضان .

الكسائي : كتب عليكم شهر رمضان ، وقيل : ابتداء وما بعده خبره .

وقرأ الحسن ومجاهد وشهر بن حوشب : شهر رمضان نصباً على هو يعنى صوموا شهر

رمضان قاله المورج .

وقال الأخفش : نصب على الظرف أى كتب عليكم الصيام فى شهر رمضان .

أبو عبيدة : نصب على الإغراء ، وقرأ أبو عمرو : مدغماً شهر رمضان على مذهب فى

إدغام كل حرفين يلتقيان من جنس واحد ومخرج واحد أو قريبي المخرج طلباً للخفة وسمى

الشهر شهراً لشهرته .

وقال الفراء : هو مأخوذ من الشهرة وهى البياض ومنه يقال : شهرت السيف إذا سللته

وشهر الهلال إذا طلع ، واختلفوا فى معنى قوله : رمضان فقال بعضهم : رمضان اسم من

أسماء الله فيقال شهر رمضان كما يقال : شهر الله وروى جعفر الصادق عن آبائه (رضى الله

عنهم) عن النبى ﷺ قال : «شهر رمضان شهر الله» .

ويدلّ عليه أيضاً ما روى هشيم عن أبان عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تقولوا

رمضان ، انسبه كما نسبه الله تعالى فى القرآن فقال : شهر رمضان» .

وعن الأصمعى قال : قال أبو عمرو : إنما سمى رمضان لأنه رمضت فيه الفعال من الخير .

وقال غيره : لأن الحجارة كانت ترمض فيه من الحرارة والرّمضاء الحجارة المحماة .

وقيل : سمى بذلك لأنه يرمض الذنوب أى يحرق .

وقيل : لأن القلوب تأخذ فيه من حرارة الموعظة والحكمة والفكرة فى أمر الآخرة كما يأخذ

الرمل والحجارة من حرّ الشمس .

وقال الخليل : مأخوذة من الرمض وهو مطر يأتى فى الخريف فسمى هذا الشهر رمضان لأنه

يغسل الأبدان من الآثام غسلاً وتطهر قلوبهم تطهيراً .

﴿الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ : روى هشيم عن داود عن عكرمة عن ابن عباس والسدى عن

محمد بن أبى المجالد عن مقسم عن ابن عباس أن ابن عطية الأسود سأله : فقال : إنه وقع

الشك فى قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ وقوله : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾

(القدر: ١) وقوله : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ (الدخان: ٣) وقد نزل فى سائر الشهور .

قال الله : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ﴾ (الإسراء: ١٠٦) الآية ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ

الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴿﴾ (الفرقان: ٣٢).

فقال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان. فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا، ثم نزل به جبرئيل عليه السلام على محمد ﷺ نجومًا نجومًا عشرين سنة، فذلك قوله: ﴿فَلَا أَسْمِعُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ (الواقعة: ٥٧).
داود بن أبي هند قال: قلت للشعبي: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ أما كان ينزل عليه في سائر السنة؟ قال: بلى ولكن جبرئيل كان يعارض محمداً ﷺ في رمضان ما نزل الله، فيحكم ما يشاء ويثبت ما يشاء ويُنسيه ما يشاء.

شهاب بن طارق عن أبي ذر الغفاري عن النبي ﷺ قال: أنزلت صُحف إبراهيم في ثلاثة ليال مضين من رمضان، وأنزلت توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان، وأنزل إنجيل عيسى في ثلاثة عشر مضت من رمضان، وأنزل زيور داود في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان، وأنزل الفرقان على محمد في الرابع والعشرين لست مضين بعدها، ثم وصف القرآن فقال:

﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾: من الضلالة وهو في محل النصب على القطع لأن القرآن معرفة والهدى نكرة.

﴿وَيَنْتِ﴾: من الحلال والحرام والحدود والأحكام.

﴿مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾: الفصل بين الحق والباطل.

سعيد بن المسيب عن سلمان قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، وشهر مبارك، وشهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن، شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء. قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم. فقال رسول الله ﷺ: «يعطى الله هذا الثواب، من فطر صائماً على مذقة لبن أو تمر أو شربة ماء، ومن أشبع فيه صائماً سقاه الله تعالى من حوضي شربة لا يظلم حتى يدخل الجنة، وكان كمن أعتق رقبة، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتان ترضون بهما ربكم، وخصلتان لا غنى عنهما: فأما الخصلتان

اللتان ترضون بهما ريكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه ، وأما التي لا غنى بكم عنها فتسألون الله عز وجل الجنة وتعوذون به من النار» .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أبواب السماء وأبواب الجنة لتفتح لأول ليلة من شهر رمضان ، فلا تغلق إلى آخر ليلة منها ، وليس لعبد يصلى فى ليلة منها إلا كتب الله عز وجل بكل سجدة ألفاً وسبعمائة حسنة ، وبنى له بيتاً فى الجنة من ياقوتة حمراء لها سبعون ألف باب لكل باب مصراعان من ذهب موشح من ياقوتة حمراء ، فإذا صام أول يوم من شهر رمضان غفر الله له كل ذنب إلى آخر يوم من رمضان وكان كفارة إلى مثلها ، وكان له بكل يوم يصومه قصر فى الجنة له ألف باب من ذهب واستغفر له سبعون ألف ملك من غدوة إلى أن توارت بالحجاب ، وكان له بكل سجدة يسجدها من ليل أو نهار شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها» .

محمد بن يونس الحارثى عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نادى الجليل جلت عظمتة رضوان خازن الجنان فيقول : لبيك وسعديك فيقول : جدّ جنتى وزينها من أمة أحمد ثم لا تغلقها عليهم حتى ينقضى شهرهم ، ثم ينادى مالكا خازن النار : أن يا مالك ، فيقول : لبيك ربى وسعديك فيقول : اغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة أحمد ثم لا تفتحها عليهم حتى ينقضى شهرهم ثم ينادى جبرئيل فيقول : لبيك ربى وسعديك فيقول : انزل إلى الأرض وغلّ مردة الشياطين لا يفسدوا عليهم صيامهم وإفطارهم ، ولله فى كل يوم من شهر رمضان عند طلوع الشمس وعند وقت الإفطار عتقاء يعتقهم من النار عبيداً وإماءً ، وله فى كل سماء مناد فيهم ، ملك عرفه تحت عرش رب العالمين وفرائضه فى تخوم الأرض السابعة السفلى ، جناح له بالمشرق مكلل بالمرجان والدرّ والجوهر ، وجناح له بالمغرب مكلل بالمرجان والدرّ والجوهر ينادى : هل تائب يتاب عليه؟ هل من داع يستجاب له؟ هل من مظلوم ينصره الله؟ هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يُعطى سؤله؟ قال : وينادى الربّ تعالى ذكره الشهر كله : عبادى وإمائى أبشروا واصبروا (وداوموا) أوشك أن يرفع عنكم فى المؤونات ، ويفضوا إلى رحمتى وكرامتى . فإذا كان ليلة القدر ، نزل جبرئيل فى كبكبة من الملائكة يصلون (ويسلمون) على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل» .

إبراهيم بن هدبة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «لو أذن الله للسّموات والأرض أن يتكلما بشرا بمن صام رمضان : الجنة» .

عبد الملك بن عمر عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: «نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف».

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾: قرأه العامة بجزم اللام، وقرأ الحسن والأعرج: بكسر اللام وهى لام الأمر، وحقها الكسر إذا أفردت، وإذا وصلت بشيء ففيه وجهان: الجزم والكسر، وإنما توصل بثلاثة أحرف الفاء كقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (قريش: ٣) والواو كقوله: ﴿وَأَيُّوْفُوا نُدُورَهُمْ وَاَلْيُطَوِّفُوا﴾ (الحج: ٢٩) وثم كقوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ (الحج: ٢٩).
واختلف العلماء فى معنى هذه الآية وحكمها:

فقال بعضهم: معناها فمن شهده عاقلاً بالغاً مقيماً صحيحاً مكلفاً فليصمه قاله أبو حنيفة وأصحابه، وقال قوم: معناها: إذا دخل عليه شهر رمضان وهو مقيم فى داره فليصم الشهر كله. حتى لو غاب بعد فسافر أو أقام فلم يبرح قاله النخعي والسدى.
وقال قتادة: إن علياً -رضى الله عنه- كان يقول: إذا أدركه رمضان وهو مقيم ثم سافر فعليه الصوم.

وقال محمد بن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن الرجل يدركه رمضان ثم يسافر فقال: إذا شهدت أوله فصم آخره ألا تراه يقول: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ قالوا: والمستحب له ألا يسافر إذا أدركه رمضان مقيماً. إن أدركه. حتى يقضى الشهر، وروى فى ذلك عن إبراهيم ابن طلحة أنه جاء إلى عائشة رضى الله عنها يسلم عليها قالت: وأين تريد؟

قال: أردت العمرة، قالت: جلست حتى إذا دخل عليك شهر رمضان خرجت فيه؟
قال: قد خرج ثقلى، قالت: اجلس حتى إذا أفطرت فاخرج، فلو أدركنى رمضان وأنا ببعض الطريق لأقمت له. وقال الآخرون معنى الآية: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ما شهد منه وكان حاضراً وإن سافر فله الإفطار إن يشأ، قاله ابن عباس وعمامة أهل التأويل، وهو أصح الأقاويل يدل عليه ما روى الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: خرج رسول الله ﷺ عام الفتح صائماً فى رمضان حتى إذا بلغ القنطرة دعا بجماء فشرب.

وعن الشعبي: أنه سافر فى رمضان فأفطر عند باب الجسر.
ثم ذكر فقال: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا﴾ اختلف العلماء فى الزمن الذى أباح الله تعالى معه الإفطار، فقال قوم: هو كل مرض يسمى مريضاً.

وقال (طريف بن تمام) العطاردي: دخلت على محمد بن سيرين يوماً فى شهر رمضان وهو يأكل فلماً فرغ قال لى: توجعت أصبغى هذه.

وقال آخرون: فكل مرض كان الأغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة فى علته زيادة غير محتملة، وهو اختيار الشافعى .

وقال الحسن وإبراهيم: إذا لم يستطع المريض أن يصلى قائماً أفطر، والأصل أنه إذا لم يمكنه الصيام وأجهدته أفطر فإذا لم يجهد الصوم فهو بمعنى الصحيح الذى يطبق الصوم .
 ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ قَعْدَةً مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ : اختلف العلماء فى صيام المسافر فقال قوم: الإفطار فى السفر عزيمة واجبة وليس برخصة فمن صام فى السفر فعليه القضاء إذا أقام، وهو قول عمر وأبى هريرة وابن عباس وعلى بن الحسين وعروة بن الزبير والضحاك، واعتلوا بما روت أم الدرداء عن كعب بن عاصم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس من البر الصيام فى السفر» .

الزهري عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال: الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر .

وقال آخرون: الإفطار فى السفر رخصة من الله عز وجل والفرص الصوم فمن صام ففرضه أدى ومن أفطر فبرخصة الله أخذ ولا قضاء على من صام إذا أقام، وهذا هو الصحيح وعليه عامة الفقهاء . ويدل عليه: ما روى عاصم بن الأحول عن أبى نضرة عن جابر قال: كنا مع النبى ﷺ فى سفر فمنا الصائم ومنا المفطر فلم يكن بعضنا يعيب على بعض .

وروى يحيى بن سعيد عن هشام عن أبيه عن عائشة: إن حمزة بن عمرو قال: يا رسول الله ﷺ «إنى كنت أتعود الصيام أفأصوم فى السفر قال: «إن شئت فصم وإن شئت فأفطر» .

وعن عروة بن أبى قراح عن حمزة بن عمرو أنه قال: يا رسول الله أجد بى قوة على الصيام فى السفر فهل على جناح قال: «هى رخصة من الله عز وجل فمن أخذها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه» .

وأما قوله ﷺ: «ليس من البر الصيام فى السفر» . فإن تمام الخبر يدل على تأويله وهو ما روى محمد بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ مر برجل فى ظل شجرة يرش عليه الماء فقال: «ما بال صاحبكم هذا؟» قالوا: يا رسول الله صام، قال: «إنه ليس من البر أن تصوموا فى السفر، وعليكم برخصة الله تعالى التى رخص لكم فاقبلوها»، وكذلك تأويل قوله ﷺ: «الصائم من السفر كالمفطر فى الحضر» .

يدل عليه حديث مجاهد عن ابن عمر: إنه مرّ برجل ينضح الماء على وجهه وهو صائم، فقال: أفطر ويحك فإنى أراك لو مت على هذا دخلت النار .

والجامع لهذه الأخبار والمؤيد لما قلنا ما روى أيوب عن عروة وسالم أنهما كانا عند عمر بن عبد العزيز، إذ هو أمير على المدينة. فتذاكروا الصوم في السفر. فقال سالم: كان ابن عمر لا يصوم في السفر، وقال عروة: كانت عائشة تصوم في السفر. فقال سالم: إنما أحدث عن ابن عمر، وقال عروة: إنما أحدث عن عائشة، فارتفعت أصواتهما، فقال عمر بن عبد العزيز: اللهم اغفر إذا كان يسراً فصوموا وإذا كان عسراً فأفطروا.

ثم اختلفوا في المستحب منه، فقال قوم: الصوم أفضل، وهو قول معاذ بن جبل وأنس وإبراهيم ومجاهد.

ويروى أن أنس بن مالك أمر غلاماً له بالصوم في السفر، فقليل له في هذه الآية، فقال: نزلت ونحن يومئذ نرحل جياً ونزل على غير شعيب، فمن أفطر فبرخصة، ومن صام فالصوم أفضل.

وقال آخرون: المستحب الإفطار لما روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى إذا بلغ كراع الغميم فصام الناس، فبلغه أن الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدر ماء وشرب بعد العصر والناس ينظرون فأفطر بعض الناس وصام بعضهم فبلغه أن الناس صاموا فقال: «أولئك العصاة».

عاصم الأحول عن (بريد) العجلي عن أنس بن مالك قال: كنا مع رسول الله فمنا الصائم ومنا المفطر فنزلنا في يوم حار واتخذنا ظلالاً فسقط الصوم وقام المفطرون فسقوا الركاب فقال رسول الله ﷺ: «ذهب المفطرون اليوم بالأجر».

وروى شعبة عن معلى عن يوسف بن الحكم قال: سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال: رأيت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك ألم يفضيك؟.

قال: نعم، قال: فإنها صدقة من الله عز وجل تصدق بها عليكم، وحدّ الأسفار التي يجوز فيها الإفطار ستة عشر فرسخاً فصاعداً.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ : حين أرخص في الأسفار للمريض والمسافر.

﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ : وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع: العسر واليسر مثقلين في جميع

القرآن.

وقرأ الباقون: بتخفيفهما وهما لغتان جيدتان ولا حجة للقدرية في هذه الآيات لأنها مبنية على أول الكلام في إيجاب الصيام فهي خاص في الأحكام لأهل الإسلام.

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ : قرأ أبو بكر ورويس: بتشديد الميم.

وقرأ الباقون بالتخفيف وهو الاختيار لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣) والواو فى قوله ﴿وَلِتُكْمَلُوا﴾ واو النسق واللام لام كى تقديره: ويريد لتكملوا العدة.

وقال الزجاج: معناه فعل الله ذلك ليسهل عليكم وتكملوا العدة.

وقال عطاء: وتكملوا عدة أيام الشهر.

وقال سائر المفسرين: وتكملوا عدة ما أفطرتم فى مرضكم وسفركم إذا برأتم وأقمتهم وقضيتموها.

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾: ولتعظموا الله.

﴿عَلَىٰ مَا هَدَّكُمْ﴾: لدينه وفقكم ورزقكم شهر رمضان مخففاً عليكم وخصكم به دون سائر أهل الملل.

وقال أكثر العلماء: أراد به التكبير ليلة الفطر.

وقال الشافعى روى عن ابن المسيب وعروة بن سلمة: أنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر ويجهرون بالتكبير قال: وشبهه... (١) لنحرها.

قال ابن عباس وزيد بن أسلم: فى هذه الآية حق على المسلمين إذا رأى هلال شوال أن يكبروا إلى أن يخرج الإمام فى الطريق والمسجد فإذا حضر الإمام كف فلا يكبر إلا بتكبيره والاختيار فى لفظ التكبير ثلاثاً نسقا.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: على نعمه.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾: الآية: اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية فقال

ابن عباس: نزلت فى عمر بن الخطاب وأصحابه حين أصابوا من أهاليهم فى ليالى شهر رمضان وستأتى قصتهم فيما بعد إن شاء الله.

وروى الكلبى عن أبى صالح عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت

تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام وأن غلظ كل سماء مثل ذلك»؟ فنزلت هذه الآية.

وقال الحسن: سأل أصحاب النبى ﷺ رسول الله أين ربنا؟ فأنزل الله هذه الآية.

وقال قتادة وعطاء: لما نزلت: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠).

فقال: يا رسول الله كيف ندعور ربنا؟ ومتى ندعوه؟ فأنزل الله هذه الآية.

قال الضحاك: سأل بعض الصحابة النبى ﷺ: أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد؟ فسأل ربه فأنزل

(١) بياض بالأصل المخطوط.

الله: وإذا سألك يا محمد عبادي عنى فإني قريب.

وقال أهل المعانى: فيه إضمار كأنه فعل هم وما علمهم أنى قريب منهم بالعلم.

وقال أهل الإشارة: رفع الواسطة إظهاراً للقدرة.

﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلَيْسَ جَبِيًّا﴾: فليجيئوا ﴿إلى﴾ بالطاعة يقال أجب وأستجاب

بمعنى واحد.

وقال كعب بن سعد الغنوى:

وداع دعا يا مَنْ يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وقال أبو رجاء الخراسانى: يعنى فليدعونى للإجابة وفى اللغة الطاعة وإعطاء ما يسأل، يقال: أجابت السماء بالمطر، وأجابت الأرض بالنبات، كأن الأرض سألت السماء المطر فأعطت، وسألت السماء الأرض فأعطت.

وقال زهير

وغيث من الأسمى حق قلاعه أجابت رواسيه النجا هو اطله

يريد أجابت تجمع رواسيه النجا حين سألتها المطر وأعطته ذلك.

والإجابة من الله تعالى الإعطاء ومن العبد الطاعة.

﴿وَأَلِيُّمُنْوَإِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: لكى يهتدوا فإن قيل ما وجه قوله: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ وقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠) وقد يدعى كثيراً فلا يستجيب،

قلنا: اختلف العلماء فى وجه الآيتين وتأويلهما.

فقال بعضهم: معنى الدعاء هاهنا الطاعة ومعنى الإجابة الثواب كأنه قال: أجب دعوة

الداعى بالثواب إذا أطاعنى.

وقال بعضهم: معنى الآيتين خاص، وإن كان لفظهما عاماً، تقديرها أجب دعوة الداعى

إذا شئت وأجب الداعى إذا وافق القضاء، وأجب دعوة الداعى إذا لم يسأل محالاً، وأجب

دعوة الداعى إذا كانت الإجابة له خيراً، يدل عليه ما روى أبو المتوكل عن أبى سعيد قال: قال

رسول الله ﷺ: «ما من مسلم دعا الله عز وجل بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه

الله بها إحدى خصال ثلاث: إما أن تعجل دعوته، وإما أن يدخر له فى الآخرة، وإما أن يدفع

عنه من السوء مثلها». قالوا: يا رسول الله إذا نكثرت قال: «الله أكثر».

وقال بعضهم: هو عام وليس فى الآية أكثر من إجابة الدعوة، فأما إعطاء المنية وقضاء

الحاجة فليس مذكور فى الآية، وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤله فالإجابة

كائنة لا محالة عند حصول الدعوة لمن قوله: أجيّب وأستجيب خبر والخبر لا يعترض عليه، لأنه إذا نسخ صار الخبر كذاباً وتعالى الله عن ذلك، ودليل هذا التأويل: ما روى نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الإجابة، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قل للظلمة لا تدعونى فإنى أوجبت على نفسى أن أجيّب من دعانى وإنى إذا أجيبت الظالمين لعنتهم».

وقيل: إن الله يجيب دعاء المؤمن فى الوقت إلا أنه يؤخر إعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته، يدل عليه ما روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليدعو الله وهو يحبه فيقول يا جبرئيل: اقض لعبدى هذا حاجته وأخرها فإنى أحب أن لا أزال أسمع صوته، وإن العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول لجبرئيل اقض لعبد حاجته بإخلاصه وعجلها فإنى أكره أن أسمع صوته. وبلغنا (عن يحيى ذبيح الله) أنه قال: سألت رب العزة فى المنام فقلت: يا رب كم أدعوك فلا تستجيب لى؟ فقال: يا يحيى إنى أحب أن أسمع صوتك».

قال بعضهم: إنّ للدعاء آداباً وشرائط هى أسباب الإجابة ونيل الأمنية فمن راعاها واستكملها كان من أهل الإجابة ومن أغفلها وأخلّ بها... (١) فى الدعاء.

وحكى أن إبراهيم بن أدهم قيل له: ما بالناس ندعو الله فلا يستجيب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه، وأكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم وتركتهم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس.

وقوله: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ أَصْيَامٍ أَرَفْتُ﴾ الآية: قال المفسرون: كان الرجل فى ابتداء الأمر إذا أفطر حل له الطعام والشراب والجماع إلى أن يأتى العشاء الأخيرة أو يرقد قبلها فإذا صلى العشاء الأخيرة أو رقد قبل الصلاة ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب ومنع ذلك إلى مثلها فى القابل.

ثم إن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) واقع أهله بعدما صلى العشاء الأخيرة فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إنى أعتذر إلى الله وإليك من نفسى هذه الخطيئة إنى رجعت إلى أهلى بعد أن صليت العشاء الأخيرة فوجدت رائحة طيبة فسولت

(١) بياض بالأصل المخطوط.

لى نفسى فجامعت أهلى فهل تجدى لى من رخصة ، فقال النبى ﷺ : ما كنت جديراً بهذا يا عمر ، فقام رجال فاعترفوا بالذى كانوا صنعوا بعد العشاء الأخيرة ، فنزل فى عمر وأصحابه ﴿أَحِلَّ لَكُمْ﴾ أى أطلق وأبيح لكم ﴿لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ فى ليلة الصيام ﴿الزَّفْتُ﴾ .

قرأ ابن مسعود والأعمش : الرفوث : ﴿إِلَّا نِسَائِكُمْ﴾ والرفث والرفوث كناية عن الجماع قال ابن عباس : إن الله تعالى حىى كريم يكنى فما ذكر الله فى القرآن من المباشرة والملاسة والإفشاء والدخول والرفث فإنما يعنى به الجماع .

قال الشاعر :

فظلنا هنالك فى نعمٍ وكل اللذاذة غير الرفث

قال القتيبى : الرفث هو الإفصاح بما يجب أن يكنى به من ذكر النكاح وأصله الفحش وقول القبيح . قال الحجاج :

ورب أسراب حجاج كظلم عن اللغا ورفث التكلم

وقال الزجاج : الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من النساء .

قال الشاعر :

ويزين من أنس الحديث راويا وهن من رفث الرجال نفاً

﴿هُنَّ لِيَأْسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسٌ لَهُنَّ﴾ : هن سكن لكم وأتم سكن لهن قاله أكثر المفسرين نظيره قوله : ﴿وَجَعَلْنَا الْإِيلَ لِيَأْسًا﴾ (النبا: ١٠) أى سكناً دليله قوله ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (الأعراف: ١٨٩) ليسكن إليه .

وقال أصحاب المعانى : اللباس الشعار الذى يلى الجهار من الثياب فسمى كل واحد من الزوجين لباساً لتجردهما عند النوم واجتماعهما فى ثوب واحد وانضمام جسد كل واحد منهما إلى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذى يلىه . قال نابغة بنى جعدة :

إذا ما الضجيج ثنى جيدها تشتت وكانت لباساً

فكنى عن اجتماعهما متجردين فى فراش واحد باللباس يدل على صحة هذا التأويل قول الربيع بن أنس فى هذه الآية : هن لحاف لكم وأتم لحاف لهن .

وقال بعضهم : يقال لما ستر الشىء وواراه لباس فجائز أن يكون كل واحد منهما سترأ لصاحبه عما لا يحل كما جاء فى الخبر : من تزوج فقد أحرز دينه ، وسترأ أيضاً فيما يكون بينهما من الجماع عن أبصار الناس ، يدل عليه : قول أبى زيد فى قوله تعالى : ﴿هُنَّ لِيَأْسٌ لَكُمْ﴾

وَأَسْتَرِ لِبَاسٍ لَّهُنَّ ﴿٢٠٤﴾ قال: للمواقعة.

وقال أبو عبيدة وغيره: يقال للمرأة هي لباسك وفراشك وإزارك، وقال رجل لعمر بن

الخطاب:

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فذى لك من أخى ثقة إزارى

قال أبو عبيدة: أى نسائى.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَاوُنَ أَنفُسَكُمْ﴾: تخونونها وتظلمونها بعد العشاء الآخرة فى ليالى

الصوم.

﴿قَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: فتجاوز عنكم.

﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾: محا ذنوبكم.

﴿فَالَّذِينَ﴾: وجه حكم زمانين ماض وآت.

﴿بَشِيرُونَ﴾: جامعوهن حلالاً سميت المجامعة مباشرة لتلاصق كل واحد منهما ببشرة

صاحبه.

﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أى افعلوه وقرأه العامة الصحيحة وابتغوا أى اطلبوا يقال:

يبغى الشىء يبغيه بغيه وبغاً وابتغاه يبتغيه ابتغاء طلبه. ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قضى الله لكم،

وقيل: كتب فى اللوح المحفوظ.

وقال أكثر المفسرين: يعنى الولد.

قال مجاهد: ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه.

قال ابن زيد: وابتغوا ما أحل الله لكم من الجماع.

قتادة: وابتغوا الرخصة التى كتبت لكم.

وقال معاذ بن جبل: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يعنى ليلة القدر وكذلك روى أبو الجوزاء

عن ابن عباس وأشبهه الأقاويل بظاهر الآية قول من تأوله على الولد لأنه عقيب قوله: ﴿فَالَّذِينَ

بَشِيرُونَ﴾ وهو أمر بإباحة وندب كقولہ ﷺ: «تناكحوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة

حتى بالسقط».

وقال أهل الظاهر: هو أمر بإيجاب وحتم، يدل عليه ما روى زياد بن ميمون عن أنس بن

مالك: أن امرأة كانت يقال لها: الحولاء عطارة من أهل المدينة، وحلت على عائشة فقالت:

يا أم المؤمنين زوجى فلان أتزين له كل ليلة وأتطيب كأنى عروس زفت إليه فإذا أوى إلى فراشه

دخلت عليه فى لحافه ألتمس بذلك رضا الله عز وجل حول وجهه عنى أراه قد أبغضنى،

قالت: اجلسى حتى يدخل النبى ﷺ قالت: فبينما إنا كذلك إذ دخل النبى ﷺ فقال: ما هذه الريح التى أجدها أتتكم الحولاء أبتعمن منها شيئاً؟

فقالت عائشة: لا والله يا رسول الله. فقصت الحولاء قصتها. فقال لها: اذهبي واسمعى له وأطيعي، فقالت: أفعل يا رسول الله، فما لى من الأجر؟

قال: «ما من امرأة رفعت فى بيت زوجها شيئاً ووضعته مكاناً تريد الإصلاح إلا كتب الله لها حسنة ومحا عنها سيئة، ورفع لها درجة، وما من امرأة حملت من زوجها حين تحمل إلا لها من الأجر مثل القائم الصائم نهاره الغازى فى سبيل الله، وما من امرأة يأتيها الطلق إلا لها بكل طلقة عتق نسمة وبكل رضعة عتق رقبة فإذا فطمت ولدها ناداها مناد من السماء أيتها المرأة قد كفيت العمل فيما مضى فاستأنفى فيما بقى».

قالت عائشة: قد أعطى الله النساء خيراً كثيراً فما بالكم يا معشر الرجال، فضحك النبى ﷺ ثم قال: «ما من رجل أخذ بيد امرأته يراودها إلا كساه نوراً وله حسنة، وإن عانقها فعشر حسنات وإن قبلها فعشرون، وإن أتاها كان خيراً من الدنيا وما فيها، فإذا قام يغتسل لم يمر الماء على شىء من جسده إلا يحى عنه سيئة، ويعطى له (١) يعطى بغسله خيراً من الدنيا وما فيها، وإن الله عز وجل يباهى الملائكة يقول: انظروا إلى عبدى قام فى ليلة مرة باردة يغتسل من الجنابة يتيقن بأنى ربه أشهدكم بأنى غفرت له».

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ إلى: ﴿الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾.

نزلت فى رجل من الأنصار: واختلف فى اسمه. فقال معاذ بن جبل: أبو صرمة البراء قيس بن صرمة.

عكرمة والسدى: أبو قيس بن صرمة.

مقاتل بن حيان: صرمة بن إياس.

الكلبى: أبو قيس صرمة بن أنس بن أبى صرمة بن مالك بن عدى النّجار؛ وذلك أنه ظل نهاره يعمل فى أرض له، وهو صائم، فلما أمسى رجع إلى أهله بتمر وقال: قدمى الطعام، وأرادت المرأة أن تطعمه عشاءً سخناً، وأخذت تعمل له سخينة، وكان فى الصوم الأول من صلى العشاء الآخرة أو نام، حرم عليه الطعام والشراب الجماع، فلما فرغت من طعامه إذا هى به قد نام، وكان متداعياً وكلاً فأيقظته فكره أن يعصى الله ورسوله وأبى أن يأكل، وأصبح صائماً مجهوداً، فلم ينتصف النهار حتى غشى عليه، فلما أفاق، أتى رسول الله ﷺ فلما رآه

(١) بياض بالأصل المخطوط.

رسول الله قال: «يا أبا قيس ما لك أمسيت طليقاً؟» قال: ظللت أمس في النخيل ونهارى كله أجر بالحرير حتى أمسيت، فأتيت فأرادت امرأتى أن تطعمنى شيئاً سخناً فأبطأت على، فنمت فأيقظونى وقد حرم على الطعام والشراب، فطويت وأمسيت وقد أجهدنى الصوم، فاغتم لذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَكُلُوا﴾ يعنى فى لىالى الصوم واشربوا فيها ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ أى بياض النهار وضوءه من سواد الليل وظلمته، كذا قال المفسرون. قال الشاعر:

الخيط الأبيض وقت الصبح منصدع والخيط الأسود لون الليل مكموع

وإنما سمى بذلك تشبيهاً بالخيط؛ لابتداء الضوء والظلمة لامتدادهما. وقال أبو داود:

فلما أضاءت لنا غدوة ولاح من الصبح خيط أنارا

وقد ورد النص عن رسول الله ﷺ فى تفسير هذه الآية.

وروى عن مخالده عن عامر عن عدى بن حاتم قال: علمنى رسول الله ﷺ الصلوة والصيام قال: صل كذا، وصم كذا، فإذا غابت الشمس: فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وصم ثلاثين يوماً إلى أن ترى الهلال قبل ذلك، قال: فأخذت خيطتين من شعر أبيض وأسود، وكنت أنظر فيهما فلا يتبين لى.

فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فضحك رسول الله ﷺ: حتى بدت نواجذه وقال: «يا ابن حاتم

إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل».

وروى أبو حازم عن سهل بن سعد قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾: ولم يقل: من الفجر.

كان رجال إذا أرادوا الصوم يضع أحدهم فى رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين لهم فأنزل الله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فعلموا أنما يعنى بذلك الليل والنهار.

والفجر انشقاق عمود الصبح وابتداء ضوئه، وهو مصدر من قولك فجر الماء يفجر فجراً إذا انبعث وجرى شبه شق الضوء بظلمة الفجر، الماء الحوض إذا شقه وخرج منه وهما فجران، أحدهما: يسطع فى السماء مستطيلاً كذب السرحان ولا ينتشر فذلك لا يحل الصلاة ولا يحرم الطعام على الصائم وهو الفجر الكاذب.

والثانى: هو المستطير الذى ينتشر ويأخذ الأفق ضوء الفجر الصادق الذى يحل الصلاة

ويحرم الطعام على الصائم وهو المعنى بهذه الآية.

عن سمرة بن جندب قال: قال النبي ﷺ: «لا يمنعكم من السحور أذان بلال ولا الصبح المستطيل ولكن الصبح المستطير فى الأفق». ثم ذكر وقت الإفطار فقال: «ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ».

قال عبد الله بن أبى أوفى: كنا مع النبي ﷺ فى مسيرة وهو صائم فلما غربت الشمس قال لرجل: انزل فاجرح لى، فقال الرجل: يا رسول الله أمسيت؟ فقال: انزل فاجرح لى، فقال الرجل: لو أمسيت، فقال: انزل فاجرح لى، قال: يا رسول الله إن علينا نهاراً فقال له الثالثة فنزل فجرح له. ثم قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ ههنا وَأَدْبَرَ النَّهَارَ وَغَابَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ».

وفى بعض الألفاظ: أكل أو لم تأكل.

﴿وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾: كان مجاهد يقرأ فى المسجد، وأصل العكوف والاعتكاف الثبات والإقامة.

فقال: عكفت بالمكان إذا عكفت، قال الله عز وجل: ﴿فَأَتُوا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ (الأعراف: ١٣٨) أى يقيمون.

قال الفرزدق يصف القدور:

يرى حولهن معتفين كأنهم
على صنم فى الجالية عكف
وقال الطرماح:

فبات بنات الليل حولى عكفا
عكوف البواكى بينهن صريع
وقال آخر:

تصدى لها والدجى قد عكف
خيال هداه إليه الشغف

والاعتكاف هو حبس النفس فى المسجد على عبادة الله تعالى.

واختلف العلماء فى معنى المباشرة التى نهى المعتكف عنها.

فقال قوم: هى الجامعة خاصة معناه لا تجامعوها ما دمتم معتكفين فى المساجد، فإن

الجماع يفسد الاعتكاف وبه قال ابن عباس والضحاك والربيع.

وقال قتادة ومقاتل والكلبي: نزلت هذه الآية فى نفر من أصحاب النبي ﷺ كانوا يعتكفون

فى المسجد وإذا عرضت للرجل منهم الحاجة إلى أهله خرج إليها فجامعها ثم يغتسل ويرجع إلى المسجد فنهوا أن يجامعوا ليلاً ونهاراً حتى يفرغوا من اعتكافهم.

وقال أبو زيد: المباشرة الجماع وغير الجماع؛ من اللمس والقُبلة وأنواع التلذذ، والجماع

مفسد للاعتكاف بالإجماع، والمباشرة غير الجماع، فهو على ضربين: ضرب يقصد به التلذذ بالمرأة فهو مكروه ولا يفسد الاعتكاف عند أكثر الفقهاء.

وقال مالك بن أنس: يفسده.

قال ابن جريج: قلت لعطاء المباشرة هو الجماع؟ قال: الجماع نفسه، قلت له: القبلة في المسجد والمسنة؟

قال: أما الذى حُرِّمَ فالجماع وأنا أكره كل شيء من ذلك فى المسجد.

والضرب الثانى: ضرب يقصد به التلذذ بالمرأة فهو مباح كما جاء فى الخبر عن عائشة رضى الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يخرج إليها رأسه من المسجد فترجله وهو معتكف.

فرقد السبخى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال فى المعتكف: «هو معتكف الذنوب وتجري له من الحسنات كعامل الحسنات كلها».

عن على بن الحسين عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اعتكف عشراً فى رمضان كان

بحجتين وعمرتين».

﴿تَلْكَ﴾: الأحكام التى ذكرنا فى الصيام والاعتكاف ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾.

قال السدى: شروط الله.

شهر بن حوشب: فرائض الله.

الضحاك: معصية الله.

المفضل بن سلمة: الحد الموقف الذى يقف الإنسان عليه ويصف له حتى يميز من سائر

الموصوفات والحد فصل بين الشئين، والحد منتهى الشئ.

وقال الخليل: الحد الجامع المانع.

قال الزجاج: بحدود ما منع الله تعالى من مخالفتها.

قلت: وأصل الحد فى اللغة: المنع ومنه قيل للبواب حداد.

قال الأعشى:

إلى جونة عند حدادها

فقمنا ولما يصح ديكننا

يعنى صاحبها الذى يحفظها ويمنعها.

قال النابغة:

قُم فى البرية فاحددها عن الفند

إلا سليمان إذ قال المليك له

ومنه حدود الأرض، والدار هى ما منع غيره أن يدخل فيها، وسمى الحديد حديداً لأنه

يتمتع من الأحداء، ويقال إحدمت المرأة على زوجها وحدت إذا منعت نفسها من الزينة، فحدود الله هي ما منع فيها أو منع من مخالفتها والتعدى إلى غيرها.

﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ : فلا تأتوها، يقال : قربت الشيء أقربه وقربت منه بضم الراء إذا دنوت منه .

﴿كَذَلِكَ﴾ : هكذا ﴿يَبِينُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لكى يتقوها فنجوا من السخطة

والعذاب .



﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتُّوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٨﴾

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ الآية .

قال ابن حيان وابن السائب : نزلت هذه فى امرئ القيس بن عابس الكندى وفى عبدان بن أشرح الحضرمى ، وذلك أنهما اختصما إلى النبى ﷺ فى أرض فأراد امرؤ القيس أن يحلف فأنزل الله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ (آل عمران : ٧٧) فقرأها النبى ﷺ فأبى أن يحلف وحكم عبدان فى أرضه ولا يخاصمه .

فقرأها النبى ﷺ وكان امرؤ القيس المطلوب وعبدان الطالب فأنزل الله عز وجل : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ الآية أى لا يأكل بعضكم مال بعض ، (الباطل) أى من غير الوجه الذى أباحه الله تعالى له ، وأصل الباطل الشيء الذاهب الزائل يقال : بطل يبطل بطولاً وبطلاناً إذا ذهب .

﴿وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ : أى تلقون أمور تلك الأموال بينكم وبين أربابها إلى الحكام ، وأصل الإدلاء إرسال الدلو والقائه فى البئر ، يقال أدلى دلوه إذا أرسلها .

قال الله تعالى : ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ (يوسف : ١٩) ودلاها إذا أخرجها ثم جعل كل إلقاء قول أو فعل إدلاء ، ومنه قيل للمحتج بدعواه : أدلى بحجته إذا كانت سبباً له يتعلق به فى خصومته كتعلق المسقى بدلو قد أرسلها هو سبب وصوله إلى الماء ، ويقال : أدلى فلان إلى فلان إذا تناول منه وأنشد يعقوب :

باب دارك أدلوها أيا قوم

فقد جعلت إذا حاجة عرضت

ومنه يقال أيضاً: دلا ركابه يدلوها إذا ساقها سوقاً رفقاً قال الراجز:

يا ذا الذى يدللو المطىّ دلوا
ويمنع العين الرقادا المرا
واختلف النحاة فى محل قوله: ﴿وَتَدْلُوا﴾.

فقال بعضهم: جزم بتكرير حرف النهى المعنى ولا تأكلوا ولا تدلوا وكذلك هى فى حرف
أبى يثبت لا.

وقيل: وهو نصب على الظرف.

كقول الشاعر:

لا تنه عن خُلُق وتأتى مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم
وقيل: نصب بإضمار أن الخفية.

قال الأخفش: نصب على الجواب بالواو.

﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾: بالباطل.

وقال المفضل: أصل الإثم التقصير فى الأمر.

قال الأعشى:

جمالية تعتلى بالرداف
إذا كذب الإثمان الهجيرا

أى المقصرات يصف (١) ثم جعل التقصير فى أمر الله عز وجل والذنب إثماً.
﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إنكم مبطلون.

قال ابن عباس: هذا فى الرجل يكون عليه مال وليس له فيه بينة فيجحدهم ويخاصمهم فيه
إلى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه ويعلم أنه آثم أكل حراماً.

قال مجاهد فى هذه الآية: لا يخاصم وليست ظالم.

الحسن: هو أن يكون على الرجل لصاحبه حق فإذا طالبه به دعاه إلى الحكام فيحلف له
ويذهب بحقه.

الكلبى: هو أن يقيم شهادة الزور.

قتادة: لا تدل بمال أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فإن قضاءه لا يحل حرامه ومن
قضى له بالباطل فإن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله عز وجل يوم القيامة بينه وبين خصيمه
فيقضى بينهما بالحق.

وقال شريح: إنى لأقضى لك، وإنى لأظنك ظالماً، ولكن لا يسعنى إلا أن أقضى بما

(١) بياض بالأصل المخطوط.

يحضرني من البينة، وإن قضائي لا يحل لك حراماً.

محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له فممن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار».

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْآهْلِ﴾: نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة الأنصاريين قالوا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الْآهْلِ﴾ وهي جمع هلال مثل رداء وأردية واشتقاق الهلال من قولهم استهل الصبي إذا صرخ حين يولد. وأهل القوم بالحج والعمرة إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية. قال الشاعر:

يهل بالفرقد ركبائها كما يهل الراكب المعتمر

فسمى هلالاً لأنه حين يرى يهل الناس بذكر الله ويذكره.

﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ﴾: وهو الزمان المحدود للشيء ﴿لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾: أخبر الله عن الحكمة في زيادة القمر ونقصانه واختلاف أحواله، اعلم أنه فعل ذلك: ليعلم الناس أوقاتهم في حجتهم وعمرتهم وحل ديونهم و وعد حلفائهم وأجور أجرائهم ومحيط الحائض ومدة الحامل ووقت الصوم والإفطار وغير ذلك، فلذلك خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حالة واحدة.

﴿وَلَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾: قال المفسرون: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطاً ولا بيتاً ولا داراً من بابه فإن كان من أهل المدن نقب نقباً في ظهر بيته منه يدخل ويخرج، أو يتخذ سلماً فيصعد منه وإن كان من أهل الدير خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل من الباب ولا يخرج منه حتى يحل من إحرامه، ويرون ذلك براً إلا أن يكون من الخمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة وبنو النضر بن معاوية، سموهم حماً لتشدهم في دينهم والحماسة: الشدة والصلابة قالوا: فدخل رسول الله ﷺ ذات يوم بيتاً لبعض الأنصار فدخل من الأنصار رجل يقال له زعامة بن أيوب، وقال الكلبى: قطبة بن عامر بن حذيفة أحد بنى سلمة فدخل على أثره من الباب وهو محرم فأنكروا عليه، فقال له رسول الله ﷺ: لم دخلت من الباب وأنت محرم؟

قال: رأيتك دخلت فدخلت على أترك، فقال رسول الله ﷺ: إلى أحمس، قال الرجل: إن كنت أحمس: فإن أحمس ديننا واحد، رضيت بهديك وهمتك ودينك، فأنزل الله هذه الآية.

الزهري: كان ناس من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء ويتخرجون من ذلك وكان الرجل يخرج مهلاً بالعمرة فتبدوا له الحاجة بعدما يخرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجر من أجل سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته فيخرج إليه من بيته، حتى بلغنا أن رسول الله ﷺ أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجره ودخل رجل على أثره من الأنصار من بنى سلمة، فقال له النبي ﷺ: لم فعلت ذلك؟

قال: لأنى رأيتك دخلت، فقال: لأنى أحمس. قال الزهري: وكانت الحمس لا يبالون بذلك.

فقال الأنصارى: وأنا أحمس. يقول: وأنا على دينك فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾.

قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر ونافع برواية (تأتوا البيوت) بكسر الباء في جميع القرآن لمكان الباء.

وقرأ الباقون: بالضم على الأصل.

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾: أى بر من اتقى كقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ (البقرة: ١٧٧) وقد مر ذكره ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَوْبَاهَا﴾ فى حال الإحرام ﴿وَأْتُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾.



﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾
 ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَاتَلْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ﴾ فَإِنْ أَتَيْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَتَيْتُمْ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دين الله وطاعته ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾.

قال الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هذه أول آية نزلت فى القتال فلما نزلت

كان رسول الله ﷺ يقاتل من يقاتله ويكف عن كفه عنه حتى نزلت: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة: ٥) فنسخت هذه الآية: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أى لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده فإن فعلتم ذلك فقد اعتديتم وهو قول ابن عباس ومجاهد.

وقال يحيى بن عامر كتبت إلى عمر بن عبد العزيز أسأله عن قوله: ﴿وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ . فكتب إلى: إن ذلك فى النساء والذرية والرهبان ومن لم ينصب الحرب منهم .

وقال الحسن: لا تعتدوا أى لا تأتوا ما نهيتم عنه .

وقال بعضهم: الاعتداء ترك قتالهم .

علقمة بن مرثد عن سليمان بن يزيد عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش أوصى فى خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً وقال: «اغزوا باسم الله، وفى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً» .

وعن عطاء بن أبى رباح قال: لما استعمل أبو بكر يزيد بن أبى سفيان على الشام خرج معه يشيعه أبو بكر ماشياً وهو راكب فقال له يزيد: يا خليفة رسول الله ﷺ إما أن تركب وإما أن أنزل، فقال أبو بكر: ما أنت بنازل ولا أنا براكب إني أحسب خطاى هذه فى سبيل الله، إني أوصيك وصية إن أنت حفظتها ستمر على قوم قد حبسوا أنفسهم فى الصوامع زعموا لله فزعهم وما حبسوا له أنفسهم، وستر على قوم قد فحصوا عن أوساط رءوسهم وتركوا من شعورهم أمثال العصائب، فاضرب ما فحصوا منه بالسيف .

ثم قال: «لا تقتلوا امرأة ولا صبياً ولا شيخاً فانياً ولا تعقروا شجراً مثمراً ولا تغرقوا نخلاً ولا تحرقوه ولا تذبحوا بقرة ولا شاة إلا لما أكل ولا تخربوا عامراً» .

الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية فى صلح الحديبية وذلك أن رسول الله ﷺ لما خرج هو وأصحابه فى العام الذى أرادوا فيه العمرة وكانوا ألقاً وأربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصددهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهدى بالحديبية ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه ذلك على أن يخلى له بكل عام قابل ثلاثة أيام فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء، فصالحهم رسول الله ﷺ ثم رجع من فوره ذلك إلى المدينة فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا يفى لهم قريش وأن يصدوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره رسول الله ﷺ وأصحابه قتالهم فى الشهر الحرام فى الحرم فأنزل الله: ﴿وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ محرمين ﴿الَّذِينَ يَفْتَلُونَكُمْ﴾: يعنى قريشاً

﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: ولا تظلموا فبتدءوا في الحرم بالقتال محرمين .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: ثم قال: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم وأصل يثقف يحذق والبصر بالأمر، يقال: رجل ثقف لقف إذا كان حاذقاً في الحرب بصيراً بمواضعها جيد الحذر فيه، فمعنى الآية: واقتلوهم حيث أبصرتهم مقابلتهم وتمكنتم من قتلهم .
﴿وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمْ﴾: يعنى مكة ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾: يعنى الشرك ﴿أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾: يعنى وشركهم بالله عز وجل أعظم من قتلكم إياهم في الحرم والحرم الإجماع، قاله عامة المفسرين .

وقال الكسائى: الفتنة هاهنا العذاب وكانوا يعذبون من أسلم .

﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ﴾.

قرأ عيسى بن عمر وطلحة بن مطرف ويحيى بن رثاب والأعمش وحمزة والكسائى:
﴿يُقْتَلُونَ﴾: بغير ألف من القتل على معنى لا تقتلوا بعضهم .

تقول العرب: قتلنا بنى فلان وإنما قتلوا بعضهم، لفظه عام ومعناه خاص .

وقرأ الباقر: كلها بالألف من القتال، واختلفوا فى حكم هذه الآيات .

فقال قوم: هى منسوخة ونهوا عن الابتداء بالقتال، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَقَتَلُوا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ هذا قول قتادة والربيع .

مقاتل بن حيان: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أى حيث أدركتم فى الحل والحرم، لما نزلت هذه الآية نسخها قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ثم نسخها آية السيف فى براءة فهى ناسخة ومنسوخة .

وقال آخرون: هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال فى الحرم، وهو قول مجاهد

وأكثر المفسرين .

﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾: فَإِنْ أَتَاهَا: عن القتال والكفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما سلف ﴿رَجِيمٌ﴾ بعباده، نظيرها فى الأنفال ﴿وَقَتَلُوا﴾ يعنى المشركين ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ شرك يعنى قاتلوهم حتى يسلموا فليس يقبل من المشرك الوثنى جزية ولا يرضى منه إلا بالإسلام وليسوا كأهل الكتاب بالذين يؤخذ منهم الجزية والحكمة فيه على ما قال المفضل بن سلمة أن مع أهل الكتاب كتباً منزلة فيها الحق وإن كانوا قد حرفوها فأمهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وإيواء صغارهم بالجزية، ولينظروا فى كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها ويمنعوه كفعل مؤمنى أهل الكتاب ولم يكن لأهل الأوثان من يرشدهم إلى الحق وكان إمهالهم

زائداً في إشراكهم فإن الله تعالى لن يرضى منهم إلا بالإسلام أو القتل عليه .

﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ﴾ : الإسلام ﴿لِلَّهِ﴾ : وحده فلا يعبد دونه شيء ، قال المقداد بن الأسود : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله عز وجل كلمة الإسلام ، إما بعز عزيز أو بذل ذليل ، إما أن يعزهم فيجعلهم الله من أهله فيعزوا به ، وإما أن يذلهم فيدينون لها .

﴿فَإِنْ أَتَيْتُمْ﴾ : عن الكفر والقتال ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ : فلا سبيل ولا حجة ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ . قال ابن عباس : يدل عليه قوله عز وجل : ﴿قَالَ ذَاكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيُّهَا الَّذِينَ قُضِيَتْ لَكُمْ عُدْوَانٌ عَلَىٰ﴾ (القصص: ٢٨) أى فلا سبيل على وقال أهل المعاني : العدوان الظلم ، دليله قوله تعالى : ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢) ولم يرد الله تعالى بهذا أمراً بالظلم أو إباحة له وإنما حملة على اللفظ الأول على ظهر المجادلة فسمى الجزاء على الفعل فعلاً كقوله تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠) وقوله : ﴿فَمَنْ آغْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آغْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤) .

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

قتادة وعكرمة : فى هذه الآية ، الظالم الذى يأبى أن يقول لا إله إلا الله ، وإنما سمي الكافر ظالماً ، لوضعه العبادة فى غير موضعها .



﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ آغْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آغْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَأْتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا

فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ
وَأَتَّقُوا نِيَّأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٤﴾

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: نزلت في عمرة القضاء وذلك أن رسول الله ﷺ صالح أهل مكة عام الحديبية على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع العام القابل على أن يخلوا له مكة ثلاثة أيام فيدخلها هو وأصحابه ويعمرون ويطوفون بالبيت ويفعلون ما أحبوا، على أن لا يدخلوها إلا بسلاح الراكب في عمرة ولا يخرجوا بأحد معهم من أهل مكة، فانصرف رسول الله ﷺ ذلك العام ورجع العام القابل في ذى القعدة ودخلوا مكة واعتمرُوا وطاقوا ونحروا وقاموا ثلاثة أيام فأنزل الله: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ ذى القعدة الذى دخلتم فيه مكة واعتمرتم وقضيتم مناسككم وطوافكم فى سنة سبع: ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ ذى القعدة الذى صدتم فيه عن البيت ومنعتم من مرادكم فى سنة ست.

والشهر مرفوع بالابتداء وخبره فى قوله: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ ﴿وَالْحُرْمَتُ﴾ جمع الحرمة كالظلمات جمع الظلمة والحجرات جمع الحجرة والحرمة ما يجب حفظه وترك انتهاكه وإنما جمع الحرمات لأنه أراد الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام ﴿قِصَاصٌ﴾ والقصاص المساواة والمماثلة: وهو أن يفعل بالفاعل كما فعل ﴿فَمَنْ آعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَآعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ قاتلوه ﴿بِمِثْلِ مَا آعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فسمى الجزاء باسم الابتداء على مقابلة الشرط ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَآعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ وَأَتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الآية، اعلم أن التهلكة: مصدر بمعنى الإهلاك وهو تفعلة من الهلاك.

قال الثعلبى: وسمعت أبا القاسم الحبيبى يقول: سمعت أبا حامد الخازرنجى يقول: لا أعلم فى كلام العرب مصدراً على تفعلة بضم العين إلا هذا. وقال بعضهم: التهلكة كل شىء تصير عاقبته إلى الهلاك. ومعنى قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ لا تأخذوا فى ذلك. ويقال: لكل من بدأ بعمل: قد ألقى يديه فيه. قال لبيد يذكر الشمس:

حتى إذا ألفت يداً فى كافر وأجن عورات الثغور ظلامها

أى بدأت فى المغيب.

قال المبرد: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أراد أنفسكم فعبّر بالبعض عن الكل كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ

بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴿ (الحج: ١٠) ﴿فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠) والباء فى قوله بأيديكم زائدة كقوله: ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ (المؤمنون: ٢٠) قال الشاعر:

ولقد ملأت على نصيب جلده مساء إن الصديق يعاتب
يريد ملأت جلده مساء.

قالوا: والعرب لا تقول للإنسان ألقى بيده إلا فى الشر.
واختلف العلماء فى تأويل هذه الآية.

فقال بعضهم: هذا فى البخل وترك النفقة، يقول: وأنفقوا فى سبيل الله ولا تمسكوا الإنفاق فى سبيل الله فإن الإمساك عند الإنفاق فى سبيل الله هو الهلاك وهو قول حذيفة والحسن وقتادة وعكرمة والضحاك وابن كيسان.

قال ابن عباس: فى هذه الآية: أنفق فى سبيل الله وإن لم تكن لك إلا سهم أو مشقص ولا يقولن أحدكم إنى لا أجد شيئاً.

وقال السدى: فيما أنفق فى سبيل الله ولو بمثقال. ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ لا تقل ليس عندى شىء.

مجاهد: لا تمنعكم نفقة فى حق خيفة العيلة.

الحسن: إنهم كانوا يسافرون ويغزون ولا ينفقون من أموالهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ لما أمر الناس بالجهاز إلى الحج، وقيل: إلى العمرة عام الحديبية، وكان إذا أراد سفراً نادى مناديه فيعلمهم فيعدوا أهبة السفر، فلما أمرهم بالتجهيز قام إليه الناس من أعراب حاضرى المدينة فقالوا: يا رسول الله بماذا نتجهز فوالله لا من زاد ولا مال نتجهز به ولا يطعمنا أحد، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال سعيد بن المسيب ومقاتل بن حيان: لما أمر الله بالإنفاق قال رجال: أمرنا بالنفقة فى سبيل الله فإن أنفقنا أموالنا بقينا فقراء ذوى مسكنة، فقال الله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ يعنى أنفقوا ولا تخشوا العيلة فإنى رازقكم ومخلف عليكم.

الخليل بن عبد الله عن على وأبى الدرداء وأبى هريرة وأبى أمامة الباهلى وعبد الله بن عمرو وجابر وعمران بن حصين كلهم يحدثون عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أرسل نفقة فى سبيل الله وأقام فى بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم، ومن غزا بنفسه فى سبيل الله وأنفق فى وجهه ذلك فله بكل درهم يوم القيامة سبعمائة ألف درهم». ثم تلا هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٦١).

وروى النضر بن عزيز عن عكرمة: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قال: لا تتيتموا الخبيث منه: تُتفقون.

قال زيد بن أسلم: إن رجالاً كانوا يخرجون في بعوث بعثها رسول الله ﷺ بغير نفقة فإما أن يقطع بهم، وإما كانوا عيالاً فأمرهم الله بالإفناق على أنفسهم في سبيل الله، وإذا لم يكن عندك ما ينفق فلا تخرج بنفسك بغير نفقة ولا قوة فتلقى بيدك إلى التهلكة، والتهلكة: أن يهلك من الجوع أو من العطش ثم قال لمن بيده وينخل ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال محمد بن كعب القرظي: كان القوم يكونون في سبيل الله فيتزود الرجل فيكون أفضل زاداً من الآخر فينفق الناس من زاده حتى لا يبقى منه شيء يحب أن يواسى صاحبه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال بعضهم: هذه الآية نزلت في ترك الجهاد.

زيد بن أبي حبيب عن أسلم بن عمران قال: غزونا القسطنطينية، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر صاحب رسول الله، وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، قال: فوقفنا صفين لم أرقط أعرض ولا أطول منها والروم ملصقون ظهورهم بحائط المدينة قال: فحمل رجل منا على صف الروم حتى خرقة ثم خرج إلينا مقبلاً فصاح الناس وقالوا: سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة.

وقال أيوب الأنصاري: إنكم لتؤولون هذه الآية على هذا التأويل إن حمل رجل يقاتل يلمس الشهادة أو بلى من نفسه، نحن أعلم بهذه الآية، إنها نزلت فينا معشر الأنصار، إننا لما أعز الله دينه ونصر رسوله قلنا بيننا معاشر الأنصار سراً من رسول الله ﷺ، إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الإسلام ونصر الله عز وجل نبيه، وقد وضعت الحرب أوزارها فلورجعنا إلى أهلنا وأولادنا وأقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى فينا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

والتهلكة: الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد.

قال أبو عمران: فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية.

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس قال: التهلكة عذاب الله عز وجل يقول: لا تتركوا الجهاد فتعذبوا دليله قوله ﴿إِلَّا تَتَفَرُّوا فَعَذَابُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (التوبة: ٣٩).

عن يزيد بن أبي أنيسة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمّن قال لا إله إلا الله لا تكفره بذنوب ولا تخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماضٍ منذ بعثني

الله عز وجل إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يطله جور ولا عدل ، والإيمان بالأقدار» .
أبو صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزوات على شعبة من النفاق» .

وقال أبو هريرة وأبو سفيان : هو الرجل يستقبل بين الصفيين فيحمل على القوم وحده .
وقال محمد بن سيرين وعبيد السلماني : الإلقاء في التهلكة هو القنوط من رحمة الله .
قال أبو قلابة : هو الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليست لى توبة فيأس من رحمة الله وينهمك فى المعاصى فنهاهم الله عن ذلك .
قال يمان بن رثاب والمفضل بن سلمة الرجل ألقى بيديه إذا استسلم للهلاك ويئس من النجاة .

عن شعبة عن أبي إسحاق عن أبيه فى هذه الآية : «وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» قيل له :
أهو الرجل يحمل على الكتيبة وهم ألف بالسيف؟
قال : لا ولكنه الرجل يصيب الذنب فيلقى بيديه ويقول لا توبة لى .

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : جاء حبيب بن الحارث إلى رسول الله ﷺ فقال :
يا رسول الله إنى رجل معراض الذنوب . قال : «فتب إلى الله يا حبيب» قال : يا رسول الله إنى
أتوب ثم أعود . قال : «فكلما أذنبت فتب» قال : إذا يا رسول الله تكثر ذنوبى .
قال : «عفو الله أكثر من ذنوبك يا حبيب بن الحارث» .

فقال فضيل بن عياض : فى هذه الآية «وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» بإساءة الظن بالله
وأحسنوا الظن بالله «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» الظن به .

وعن محمد بن إبراهيم الكاتب قال : دخلنا على أبى نواس الحسن بن هانئ نعوذه فى
مرضه الذى مات فيه ومعنا صالح بن على الهاشمى فقال له صالح : تب إلى الله يا أبا على
فإنك فى أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وبينك وبين الله هناة ، فقال :
أسندونى ، إياى تخوف بالله ، فقد حدثنى حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشى عن أنس عن النبى
ﷺ قال : «إنما جعلت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى أترانى لا أكون منهم» .

وحدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن النبى ﷺ قال : «يخرج رجلان من النار فيعرضان على
الله عز وجل ثم يؤمر بهما إلى النار فيلتفت أحدهما فيقول : أى رب ما كان هذا رجائى ، قال
الله وما كان رجائك؟ قال : كان رجائى إذا أخرجتنى منها لا تعيدنى إليها ، فيرحمه الله عز
وجل فيدخله الجنة» .

﴿وَأْتُوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ﴾ .

قرأ ابن أبي إسحاق: (الحج) بكسر الحاء في جميع القرآن وهي لغة تميم وقيس بن غيلان .
وذكر عن طلحة بن مصرف: بالكسر ههنا . وفي سورة آل عمران، وبالفتح في سائر القرآن .

وقرأ أبو جعفر والأعمش وحزمة والكسائي وعاصم، برواية حفص: بالكسر في آل عمران وبالفتح في سائر القرآن .

وقرأ الباقون: بالفتح كل القرآن وهي لغة أهل الحجاز . قال الكسائي: هما لغتان ليس بينهما في المعنى شيء مثل رَطَل ورَطَل . . . (١) بنصب وكسر .

وقال أبو معاذ: (الحج) بالفتح مصدر والحج بالكسر الاسم مثل قَسَم وقَسِم وشَرِب وشَرِب وسَقَى وسَقَى وفي مصحف عبد الله ﴿وَأْتُوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ﴾ بالبيت .
وقرأ علقمة وإبراهيم: وأتيموا الحج والعمرة .
واختلف المفسرون في إتمامهما .

فقال بعضهم: معنى ذلك وأتموا الحج والعمرة بمناسكهما وحدودهما وستتهما وهو قول ابن عباس وعلقمة وإبراهيم ومجاهد .

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قال: من أحرم بحج أو عمرة ليس له أن يحل حتى يتمها، وتمام الحج يوم النحر إذا رمى جمرة العقبة فطاف بالبيت وقد حل من إحرامه كله بتمام العمرة، إذا طاف بالبيت وبالصفا والمروة فقد حلّ، وفرائض الحج أربعة: الإحرام، والوقوف بعرفة، وطواف الإفاضة، والطواف والسعى بين الصفا والمروة، وأعمال العمرة كلها أربعة: فرض الإحرام، والطواف، والسعى، والحلق أو التقصير، وأقله ثلاث شعرات .

روى سعيد بن جبير وطاوس: تمام الحج والعمرة أن يحرم بهما مفردين

وروى شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال جاء رجل إلى علي فقال: أ رأيت قول الله عز وجل ﴿وَأْتُوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ﴾ قال: أن تحرم من دويرة أهلك .

قال قتادة إتمام العمرة أن يعتمر في غير أشهر الحج، وما كان في أشهر الحج ثم أقام حتى يحج فهي متعة، وعليه فيها الهدى إن وجد، أو الصيام، وتمام الحج أن يأتي بمناسكه كلها حتى لا يلزم عامله دم بسبب قران ولا متعة .

(١) بياض بالأصل المخطوط .

ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «عمرة في رمضان تعدل حجة».

وقال الضحاك: تمامها أن يكون النفقة حلالاً وينتهي عما نهى الله عنه.

وقال سفيان: تمامها أن يخرج من بلده لهما لا يريد غيرهما ولا يخرج لتجارة ولا حاجة حتى إذا كنت قريباً من مكة قلت: لو حججت أو اعتمرت، وذلك يجزئ ولكن التمام أن يخرج له ولا يخرج لغيره.

وروى جعفر بن سليمان البيهقي عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان يحج أغنياء الناس للنزهة، وسائلهم للتجارة وقرأؤهم للرياء والسمعة وقرأؤهم للمسألة».

وفى هذا المعنى كان يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: الوفاة كثير والحجاج قليل.
❖ حكم الآية:

اختلف الفقهاء فى العمرة، فقال قوم: هى سنة حسنة وليست بفريضة واجبة وهو مذهب أحمد ومالك بن أنس وأبى ثور وقول الشافعى فى القديم وهو اختيار جرير بن محمد الطبرى، واحتجوا بقراءة الشعبى ﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ لله رفعا.

وبما روى محمد بن المنكدر عن جابر عن النبى ﷺ أنه سأل عن العمرة أواجبة هى أم لا؟ وأن تعتمروا خير لكم؟ وفى مهاجر الحج فريضة والعمرة تطوع قالوا أيضاً لما ذكر الله فرض الحج لم يذكر معه العمرة، وقال عز من قائل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ (آل عمران: ٩٧).

وقال الآخرون: إن العمرة فريضة وهى الحج الأصغر، وهو قول على وابن عباس وزيد بن ثابت وعلى بن الحسين وعطاء وقتادة وسفيان الثورى وسفيان بن عيينة وقول الشافعى فى الجديد والأصح من مذهبه واختيار أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، واحتجوا فى ذلك بقراءة العامة والعمرة، نصباً على معنى وأتموا فرض الحج والعمرة.

وبما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة».

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: والله إن العمرة لفريضة الحج، فى كتاب الله ﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وقال ابن عمر: ليس من خلق الله أحد إلا وعليه حجة وعمرة واجبتان إن استطاع إلى ذلك سبيلاً، كما قال الله تعالى. فمن زاد بعد ذلك فهو خير وتطوع.

وقال مسروق: أمرنا فى كتاب الله بأربعة: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والعمرة فنزلت

العمرة من الحج منزلة الزكاة من الصلاة، ثم تلا هذه الآية ﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.

وقال عبد الملك بن سليمان: سأل رجل سعيد بن جبير عن النبي ﷺ أن العمرة فريضة هي أم تطوع؟ فقال: فريضة، قال: فإن الشعبي يقول هي تطوع، قال: كذب الشعبي، ثم قرأ ﴿وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، فمن قال: إن العمرة ليست بفرض يؤول الآية على معنى: أتموها إذا دخلتم فيها ولم يرد ابتداء الدخول فيه فرضاً عليه، وذلك كالمطوع بالحج لا خلاف فيه إذا أحرم أن عليه المضي فيه وإتمامه فإن لم يكن فرضاً عليه ابتداء الدخول فيه وكذلك العمرة.

ومثله روى ابن وهب عن زيد قال: ليست العمرة واجبة على أحد من الناس. قال: فقلت له: قول الله ﴿وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ قال: ليس من الخلق أحد ينبغي له إذا شرع في أمر إلا أن يتمه وإذا خرج فيها لم ينبغ له أن يحل يوماً ثم يرجع كما لو صام يوماً لم ينبغ له أن يفطر في نصف النهار، ودليل هذا التأويل قوله: ﴿فَأْتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ (التوبة: ٤) لم يرد به الابتداء وإنما أراد به إتمام ما مضى من العهد والعقد، ومن أوجب العمرة تأول الإتمام على معنى الابتداء والإلزام أى أقيموا وافعلوها يدل عليه قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رِئَسَهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٢٤) أى فعلهن وقام بهن، وقوله: ﴿ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ الْآيِلِ﴾ (البقرة: ١٨٧) أى ثم ابتداءوا الصيام وأتموه لأنه ذكره عقيب الأكل والشرب والصبح، وهذا هو الأصح والأوضح لأنه جمع بين الاثنين، وحمل الآية على عمومها فمعناه ابتداءوا العمرة فإذا دخلتم فيها فأتوها، فيكون جامع بين وجهى الإتمام، ولأن من أوجهها أكثر، والأخبار فى إيجاب الحج والعمرة مقتربين أظهر وأشهر.

عن أبى رزين العقيلي أنه قال: يا رسول الله إن أبى شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ولا الطعن، قال: «حج عن أبيك واعتمر».

وقال أبو المشفق: لقيت النبي ﷺ بعرفة فدنوت منه حتى اختلفت عنق راحلتى وعنق راحلته فقلت: يا رسول الله أبنيتى بعمل ينجنى من عذاب الله ويدخلنى الجنة؟ قال: «اعبد الله ولا تشرك به شيئاً وأقم الصلاة المكتوبة وأد الزكاة المفروضة وحج واعتمر وصم رمضان وانظر ما تحب من الناس أن يأتوه إليك فافعله بهم وما تكره من الناس أن يأتوه إليك فذرهم منه».

عاصم عن شفيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما لينفيا الفقر والفاقة والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ليس للحج المبرور ثواب دون الجنة».

❖ فى إفراد الحج:

عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ أفرد الحج.

إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ لا نرى إلا الحج .
حماد عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله ﷺ موافين هلال ذى الحجة
فقال رسول الله ﷺ : « من شاء أن يهل بالحج فليهل ومن شاء أن يهل بعمرة فليهل بعمرة
والإفراد أن يحرم بالحج من الميقات ويفرغ منه ثم يحرم بالعمرة من مكة » وهو اختيار الشافعي
وأصحابه .

❖ في القرآن :

عبد العزيز بن صهيب وحميد الطويل ويحيى بن إسحاق كلهم عن أنس بن مالك قال :
سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لبيك عمرةً وحجاً لبيك عمرةً وحجاً » . حميد بن هلال قال :
سمعت مطرفاً يقول : قال لى عمران بن الحصين : جمع رسول الله ﷺ بين حجة و عمرة ثم
توفى قبل أن ينهى عنهما وقبل أن ينزل القرآن بتحريمه .

وعن أبي وائل قال : قال قيس بن معبد : كنت أعرابياً نصرانياً فأسلمت فكنت حريصاً على
الجهاد فوجدت الحج والعمرة مكتوبين على فأتيت رجلاً من عشيرتى يقال له ، هريم بن عبد الله
فسألته فقال : اجمعهما ثم اذبح ما استيسر من الهدى ، فأهللت بهما ، ثم أتيت العذيب
فيلقيني سليمان بن ربيعة وزيد بن صوحان وأنا أهل بهما ، فقال أحدهما للآخر : ما هذا بأفقه
من بعيره ، فأتيت عمر بن الخطاب فقلت : يا أمير المؤمنين إنى أسلمت وأنا حريص على الجهاد
وإنى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على فأتيت هريم بن عبد الله ، فقال : اجمعهما ثم اذبح ما
استيسر من الهدى ، وأهللت بهما ، فلما أتيت العذيب لقيني سليمان بن ربيعة وزيد فقال
أحدهما للآخر : ما هذا بأفقه من بعيره فقال عمر : هديت سنة نبيك ﷺ .

على بن الحسن عن عثمان بن الحكم أن عثمان نهى عن المتعة وأن يجمع الحج والعمرة .
فقال على : لبيك بحج و عمرة معاً ، وقال عثمان : أتفعلها وأنا أنهى عنها؟ فقال على : لم
أكن لأدع سنة رسول الله ﷺ لأحد من الناس .

والقرآن لم يحرم الحج والعمرة معاً من الميقات ، وهو اختيار أبي حنيفة وأصحابه .
﴿قَالَ أَحْمَدُ رَوَاهُ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ . واختلف العلماء فى معنى الإحصار الذى جعل الله
على من ابتلى به فى حجته و عمرته ما استيسر من الهدى .

وقال قوم : هو كل مانع أو حابس منع المحرم وحبسه عن العمل الذى فرضه الله تعالى عليه
فى إحرامه و وصوله إلى البيت الحرام أى شىء كان من مرض أو جرح أو كسر أو خوف أو
عدو أو لدغ أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلته أو غيرها من الأعذار ، فإنه يقيم مكانه على

إحرامه ويبعث بهديه أو من الهدى فإذا نحر الهدى حل من إحرامه ، هذا قول إبراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير ومقاتل والكلبي ومذهب أهل العراق ، واحتجوا فى أن الإحصار فى كلام العرب هو صنع العلة من المرض وأشباهه غير القهر والغلبة ، فأما منع العدو بالحبس والقهر من سلطان قاهر فإن ذلك حصر لا إحصار ، كذا قال الكسائى وأبو عبيدة والفراء قالوا : ما كان من مرض وذهاب نفقة قيل فيه حصر فهو محصر ، وما كان من خشية عدو أو سجن قيل فيه حصر فهو محصور ، يدلّ عليه قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٨) أى محبساً ، قالوا : وإنما جعلنا حبس العدو إحصاراً قياساً على المرض ، إذ كان فى حكمه فلا دلالة ظاهرة .

وقال الآخرون : بالأخرى أن يمنع عدو أو قاهر من بنى آدم من الوصول إلى البيت ، وأما المرض وسائر الأعداء فغير داخل فى هذه الآية .

هذا قول ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن الزبير وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشهر ابن حوشب ومذهب الشافعى وأهل المدينة فاحتجوا بأن نزول هذه الآية فى قصة الحديبية وذلك إحصار عدو ، يدلّ عليه قوله فى سياق الآية ﴿فَإِذَا أُمِنْتُمْ﴾ ولا يكون إلا من الخوف وفى الحديث : «لا حصر إلا من حبس عدو» .

وقال ثعلب : تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور ، وأحصره العدو إذا منعه من السير فهو محصر ، وذكر يونس عن أبى عمرو قال : إذا منعت من كل وجه فقد أحصرتة .

قال الشافعى : فإذا أحصر بعدو كافر أو مسلم أو سلطان يحبسه فى سجن نحر هدياً لإحصاره حيث أحصر فى حلّ أو حرم وحلّ من إحرامه ولا شىء إلا أن يكون واجباً فيقتضى فإذا لم يجد هدياً يشتريه أو كان فقيراً ففيه قولان أحدهما : لا حلّ إلا لهدى . والآخر : حلّ إذا لم يقدر عليه وأتى به إذا قدر عليه .

وقال بعض الفقهاء إذا لم يعتبر أجزاءه وعليه طعام أو صيام وكلما وجب على المحرم فى ماله من بدنه وجزء وهدى وصدقة فلا يجزئ إلا فى الحرم لمساكين أهلها إلا فى موضعين أحدهما : دم المحصر فى العدو فإنه ينحر حيث حبس ويحل .

والآخر : من ساق هدياً لغرض فعطب فى طريقه فذبحه وخلقى بينه وبين المساكين لم يجز له ولا لرؤسائه أن يأكلوا منه شيئاً وإن كانوا مساكين .

وإن كان ما ساقه لغرض مثل أن يكون قارئاً أو متمتعاً جاز له أن يأكل ويطعم غيره ، فهذا

معنى الإحصار وحكمه ، فأما المرض وما أشبهه فإن له أن يتداوى فيما لا بد منه ويفدى ثم يجعلها عمرة ويحج عام قابل ويهدى ، وقوله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ أَيُّ عَلَيْهِ مَا تيسر ، محله رفع ، وإن شئت جعلت بها في محل النصب أى قاهر ، وأما ما استيسر من الهدى مثل جدية السرج - وجمعها جدى - قاله أبو عمرو . قال : لا أعلم فى الكلام ثالثهما .

وقرأ الأعرج : (الهدى) بكسر الدال وتشديد الياء فى جميع القرآن على معنى المفعول . وروى عصمة عن عاصم : بتشديد الهدى فى محل الرفع والجر وتخفيفه فى حال النصب نحو قوله : ﴿هَدْيًا بَلَغَ الْكَعْبَةَ﴾ (المائدة: ٩٥) ﴿وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَئِدَ﴾ (المائدة: ٢) وهما جميعاً ما يهدى إلى بيوت الله سمي بذلك لأنه تقرب إلى الله بمنزلة الهدية يهديها الإنسان إلى غيره متقرباً بما بعث إليه .

واختلفوا فى تأويل قوله : ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ . فقال على وابن عباس : شاة . وقال ابن عمر : فما استيسر من الهدى : الإبل والبقر ناقة دون ناقة وبقرة دون بقرة سن دون سن وأنكر أن يكون الشاة من الهدى ، وأقوى الأقوال بالصواب قول من قال إنه شاة ، لأنه أقرب إلى التيسر ، ولأن الله سمي الشاة هدياً فى قوله : ﴿هَدْيًا بَلَغَ الْكَعْبَةَ﴾ (المائدة: ٩٥) وفى الظبى شاة ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ ، واختلفوا فى المحل الذى يحل المحصر بلوغ هديه إليه فقال بعضهم : هو ذبحه أو نحره بالموضع الذى يحصر فيه سواء كان فى الحل أو الحرم ومعنى محله : حين يحل ذبحه وأكله والانتفاع به كقوله ﷺ فى اللحم الذى تصدقت به عليه بريرة قال : «قربوه فقد بلغ محله» يعنى فقد بلغ محل طيبه وحلاله بالهدية إلينا بعد أن كانت صدقة على بريرة : وهذا على قول من جعل الإحصار إحصار العدو .

يدلّ عليه فعل النبى ﷺ وأصحابه بالحديبية حتى صدروا عن البيت ونحروا هديهم بها والحديبية ليست من الحرم .

وروى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة فى قصة الحديبية قال : لما كتب رسول الله ﷺ كتاب القضية بينه وبين مشركى قريش عام الحديبية فقال لأصحابه : «قوموا فانحروا واحلقوا» قال : فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد منهم قام فدخل على أم سلمة فذكر ذلك لها ، فقالت أم سلمة : يا رسول الله اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم بكلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فتحلق فلم يتكلم حتى فعل ذلك ، فلما رأوا ذلك قاموا ونحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً . وقال بعضهم : محل هدى المحصر لا يحل له غيره فإن كان حاجاً فمحله يوم النحر وإن كان

معتماً يوم مبلغ هديه الحرم .

روى إبراهيم الجعفي عن عبد الرحمن بن زيد قال : خرجنا مهلين بعمره وفينا الأسود بن يزيد حتى نزلنا ذات السقوف فلدغ صاحب لنا فشق ذلك عليه ولم يدر كيف يصنع ، فخرج بعضنا إلى الطريق يتشوف فإذا بركب فيهم عبد الله بن مسعود فسأله عن ذلك فقال : ليعث بهدى إلى مكة ، واجعلوا بينكم وبينه أمانة فإذا ذبح الهدى فليحل وعليه قضاء عمرته .

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ : معنى الآية ولا تخلقوا رءوسكم حال الإحرام إلا أن يضطر الرجل حلقه إما لمرض يحتاج إلى مداواته .

﴿أَوْ بِهِ أذى مِنْ رَأْسِهِ﴾ : من هوام وصداع فحلق أو فدى ﴿فَقِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾ نزلت هذه الآية فى كعب بن حجر قال : مرّ بى رسول الله ﷺ زمن الحديبية ولى وفره من شعر فيها القمل والصئبان وهو يتناثر على وجهى (وأنا أقبح) فدبر إلى .

فقال رسول الله ﷺ : «أيؤذيك هوام رأسك؟ قلت : نعم يا رسول الله» .

قال : «فاحلق رأسك» فأنزل الله : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أذى مِنْ رَأْسِهِ فَقِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾ ثلاثة أيام .

﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ : على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع ، ﴿أَوْ نُسْكِ﴾ : أو ذبيحة واحدا نسكة .

وقرأ الحسن : أو نسك تخفيفاً وهى لغة تميم .

قال العلماء : أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة وهو مخير بين هذه الثلاثة إن شاء فعل .

وقال أنس وعكرمة : ﴿فَقِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾ عشرة أيام ، ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ : على عشرة مساكين لكل مسكين مدٌّ من بر أو مدٌّ من تمر أو نسك وهى الشاة والقول الأول هو الصحيح وهو المشهور وهذه الفريضة أن يأتى بها أجمعوا على أن يصوم حيث شاء من البلاد .

وأما النسك والطعام ، فقال بعضهم : يجب أن تكون مكّة .

وقال بعضهم : أى موضع شاء وهو الصواب لأنه أبهم فى الآية ولم يخص مكاناً دون مكان .

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ : من خوفكم وبرأتكم من مرضكم .

﴿فَمَنْ تَتَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ : اختلفوا فى هذه المتعة .

فقال بعضهم : معناه فمن أحصر حتى (عام) الحج ثم قدم مكة فخرج من إحرامه بعمل

عمرة واستمتع بإحلاله ذلك ، فيكمل العمرة إلى السنة المقبلة ثم يحج ويهدى فيكون جميعاً بذلك الإحلال من الذي حل إلى إحرامه الثاني من القابل . وهذا قول عبد الله بن الزبير .

وقال بعضهم : معناه ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ وقد حللتكم من إحرامكم بعد الإحصار ولم يقولوا عمرة يخرجون بها من إحرامكم لحجتكم ولئن حللتكم حين أخبرتم بالهدى وأخرتم العمرة إلى السنة القابلة فاعتمرتم في أشهر الحج حللتكم فاستمتعتم بإحلالكم إلى حجكم فعليكم ما استيسر من الهدى ، وهذا قول علقمة وإبراهيم وسعيد بن جبيرة .

وكذلك روى عبد الله بن سلمة عن علي بن رضى الله عنه : ﴿فَمَنْ تَمَعَ بِالْعَمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ الآية فإن أخرج العمرة حتى يجمعها مع الحج فعليه الهدى .
وقال السدي : معناه فمن فسح حجة بعمرة فجعله عمرة واستمتع بعمرته إلى حجة فعليها ما استيسر من الهدى .

وقال ابن عباس وعطاء وجماعة : هو الرجل يقدم معتمراً من أفق من الآفاق في أشهر الحج فإذا قضى عمرته أقام حلالاً بمكة حتى حان وقت الحج فيحج من عامه ذلك فيكون مستمتعاً بالإحلال إلى إحرامه بالحج فمعنى التمتع بالإحلال بالعمرة فيقيم حلالاً فيفعل ما يفعل الحلال ثم يحج بعد إحلاله من العمرة من غير رجوع إلى الميقات ومعنى التمتع التلذذ وأصله من التزود ، والمتاع الزاد ثم جعل كل تلذذ تمتعاً .

قال الفقهاء : فالتمتع الذي يجب عليه الهدى هو أن يجتمع فيه أربع شرائط وهي : أن يحرم في أشهر الحج ، ويحل من العمرة في أشهر الحج ، وأن يحرم بالحج من عامه ذلك من مكة ولا يرجع إلى الميقات ، وزاد بعض أصحابنا : أن يكون من غير الحرم ، فمن يحرم بشيء من هذه الشرائط سقط عنه الدم ولا يكون متمتعاً .

﴿فَمَنْ أُرِيحِدَ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ : إلى أهلكم .

قال المفسرون : يصوم يوماً قبل التروية ويوم عرفة ولا تجاوز بأخرهن يوم عرفة .

وقال طاوس ومجاهد : إذا صامهن في أشهر الحج أجزين .

﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ : ذكر الكمال على التأكيد .

كقول الأعشى :

وست حين يدركني العشاء

ثلاث بالغداة فذاك حسبي

وشرب المرء فوق الرى داء

فذلك تسعة في اليوم ربي

وقال الفرزدق :

ثلاث واثنتان وهى خمس وسادسة تميل إلى سهامى

وقال بعضهم: كاملة بالهدى، وقيل بالثواب، وقيل كاملة بشروطها وحدودها، وقيل: لفظه خبر وحكمه أمر، أى: فأكملوها ولا تنقصوها.

﴿ذَلِكَ﴾: التمتع، ﴿لَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أى كمن لم يكن من أهل الحرم.

عكرمة: هو ما دون المواقيت إلى مكة.

وقال ابن جريج: حاضرى المسجد الحرام أهل عرفة والرجيع يضحيان ويهديان.

﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ﴾: قال الفراء: تقديرها وقسط الحج أشهر معلومات، فهذا كما يقال: البرد شهران والحرج شهران، أى وفيهما شهران، وسمعت الكسائى يقول: إنما الصيد شهران والطيلسان شهران وقت الصيد ووقت ليس الطيلسان.

وقال الزجاج: معناه أشهر الحج أشهر معلومات وهو شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة.

قال ابن عباس: جعلهن الله للحج، وسائر الشهور للعمرة فلا يصلح لأحد أن يحرم بالحج إلا فى أشهر الحج وأما العمرة فإنه يحرم بها فى كل شهر. فأخر هذه الأشهر يوم عرفة وقد جاء فى بعض الأخبار فى تفسير أشهر الحج وعشر من ذى الحجة وفى بعضها تسع من ذى الحجة فمن قال تسع فإنما عبر به عن الأيام لأن النبى ﷺ قال: «الحج عرفة» فمن وقف بعرفة فى يوم عرفة من ليل أو نهار فقد تم حجّه. ومن قال عشرة عبر به عن الليالى فمن لم يدركه إلى طلوع الفجر من يوم النحر، فقد فاتته الحج والشهور وإنما يؤرخ بالليالى.

وحكى الفراء: أن العرب تقول صمنا عشراً يذهبون بها إلى الليالى والصوم لا يكون إلا بالنهار فلا تضاد فى هذه الأخبار وإنما قال أشهر وهى شهران وبعض الثالث، لأنها وقت والعرب تسمى الوقت بقليله وكثيره فيقولون: أتيتك يوم الخميس، وإنما أتاه فى ساعة منه، ويقولون: اليوم يومان منذ لم أراه، وإنما هو يوم وبعض آخر ويقولون: زرتك العام.

وقال بعض أصحابنا: الاثنان فما فوقهما جماعة لأن الجمع ضم الشئ إلى شئ، قلنا: جاز أن يسمى الاثنان بانفرادهما جماعة وجاز أن يسمى الاثنان وبعض الثالث جماعة، وقد سمي الله الاثنان جمعاً فى قوله: ﴿صَعَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (التحريم: ٤) ولم يقل قلبا كما.

وقال عروة بن الزبير وغيره: أراد بالأشهر شوالاً وذو القعدة وذو الحجة كاملاً لأنه يبقى على

الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه فعلها مثل الرمي والحلق والنحر والبيتوتة بمنى ، فكأنها فى حكم الحج .

❖ حكم الآية:

فمن أحرم بالحجّ قبل أشهر الحجّ لم يجزه ذلك عن حجه ويكون ذلك عمرة ، كمن دخل فى صلاة قبل وقتها فتكون نافلة ، وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد ومذهب الأوزاعي والشافعى .

وقال مالك والثورى وأبو حنيفة ومحمد : يكره له ذلك وإن فعل أجزاءه ، ودليل الشافعى وأصحابه قوله : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ﴾ فنخصّ هذه الأشهر بفرض الحج فيها فلو كان الإحرام بالحج فى غير هذه الأشهر منعقداً جائزاً لما كان بهذا التخصيص فائدة مثل الصلوات علقها بمواقيت لم يجز تقديمها عليها .

﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾ : أى فمن أوجب على نفسه فيهن الحجّ والإحرام والتلبية : ﴿ فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب : الرفث الفسوق بالرفع والتنوين ، وجدال بالنصب .

كقول أمية :

فلا لغو ولا تأثيم فيها وما قاموا به لهم مقيم

وقرأ أبو رجاء العطاردى ، فلا رث ولا فسوق نصباً ولا جدال يرفع بالتنوين .

كقول الأخفش :

هذا وجدكم الصغار بعينه لا أم لى إن كان ذاك ولا أب

وقرأ أبو جعفر : كلها بالرفع والتنوين : وقرأ الباقون : كلها بالنصب من غير تنوين .

والعرب تقول فى البرية هذان الوجهان ومن رفع بعضاً ونصب بعضاً كان جامعاً للوجهين .

وقرأ الأعمش : فلا رفوث على الجميع .

واختلف أهل التأويل فى تفسير الرفث .

فقال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر والحسن وعمرو بن دينار وقتادة وإبراهيم والربيع

والزهري والسدى وعطاء بن أبى رباح وعكرمة والضحاك : الرفث الجُماع .

وقال طاوس وأبو العالية : الرفث التعريض بالنساء بالجماع ويذكره بين . . . (١) .

عطاء : الرفث قول الرجل للمرأة فى حال الإحرام إذا حللت أصبتك .

(١) يياض بالأصل المخطوط .

قال أبو حصين بن قيس: أصعدت ابن عباس فى الحاج وكنت له خليلاً فلما كان بعدما أحرمتنا قال ابن عباس بذنب بعيره فجعل يلويه وهو يرتجز ويقول:

وهن يمشين بنا همياً
إن تصدق الطير نك لميسنا

فقلت له: أترفت وأنت محرم؟

فقال: إنما الرفت ما قيل عند النساء.

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: الرفت غشيان النساء القبل، والغمز، وأن يعرض لها بالفحشاء من الكلام هو كذلك.

وقال بعضهم: الرفت الفحش وقول القبيح.

وأما الفسوق: فقال ابن عباس وطاوس والحسن وسعيد بن جبيرة وقتادة والربيع والزهرى والقرظى: الفسوق معاصى الله كلها.

الضحاك: هو التنايز بالألقاب، دليله قوله: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ﴾

(الحجرات: ١١).

ابن زيد: هو... (١) بالأصنام، منع ذلك بالنبي ﷺ حين حج فعلم أمته المناسك دليله قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ (الأنعام: ١٢١) وقوله: ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّعَتْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ (المائدة: ٣، النحل: ١١٥).

إبراهيم ومجاهد وعطاء: هو السباب. يدل عليه قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

ابن عمر: هو ما نهى الله عنه المحرم فى حال الإحرام من قبيل الصيد وتقليم الأظفار وحلق الشعر وما أشبهه.

وأما الجدال: فقال ابن مسعود وابن عباس وعمرو بن محمد وسعيد بن جبيرة وعكرمة والزهرى وعطاء بن يسار ومعاذ بن أبى رباح وقتادة: الجدال أن تمارى صاحبك وتخاصمه حتى تقضيه.

ابن عمر: هو السبابة والمنازعة.

القرظى: كانت قریش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم، فقال هؤلاء:

حجنا أتم من حجكم.

القاسم بن محمد: هو أن يقول بعضهم الحج اليوم، ويقول بعضهم الحج غداً.

(١) يياض بالأصل المخطوط.

ابن زيد: كانوا يقفون مواقف مختلفة يتجادلون، كلهم يدعى أنه موقف إبراهيم عليه السلام، فقطعه الله حين علم نبيه ﷺ بمناسكه.

قال مقاتل: قال النبي ﷺ في حجة الوداع: «من لم يكن معه هدى فليحل من إحرامه وليجعلها عمرة». فقالوا للنبي ﷺ: «إنا أهلنا بالحج، فذلك جداهم».

مجاهد: معناه: ولا شك في الحج أنه في ذى الحجة فأبطل النسى واستقام الحج كما هو اليوم.

قال أهل المعاني: لفظه نفى ومعناه نهى أى لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا، لقوله تعالى: ﴿لَا زَيْبَ فِيهِ﴾ (البقرة: ٢) أى لا ترتابوا فيه.

عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

وعن وهيب بن الورد قال: كنت أطوف أنا وسفيان الثوري فانقلب سفيان وبقيت في الطواف فدخلت الحجر فصليت عند الميزاب فبينما أنا ساجد إذ سمعت كلاماً بين أستار البيت والحجارة وهو يقول (١) إلى الله ثم إليك ما يفعل، ولا الطوافون من حولى من تفكهم في الحديث ولغظهم وشوقهم. وقال وهيب: فأولت أن البيت يشكو إلى جبرائيل.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ : فيجازكم به.

﴿وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ .

قال المفسرون: كان ناس من أهل اليمن يحجون بغير زاد ويقولون: نحن متوكلون، ويقولون: نحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا (١) بدء بما ظلموا الناس وغصبواهم الله، فأمرهم الله أن يتزودوا ولا يظلموا وأن لا يكونوا وبالاً على الناس فقال: ﴿وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ويكفون به وجوههم.

قال المفسرون: الكعك والزيت والسويق والتمر ونحوها.

وروى نافع عن ابن عمر قال: كانوا إذا أحرموا ومعهم أزودة رموها واستبقوا زاد الآخرة، فأنزل الله ﴿وَتَزُودُوا﴾ نهاهم عن ذلك وأمرهم بالتحفظ للزاد، والزود لمن لم يتزود فأمرهم بالتقوى بكف الظلم قال: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ .

قال أهل الإشارة ذكرهم الله سفر الآخرة وحثهم على التزود بالدارين فإن التقوى زاد الآخرة.

(١) بياض بالأصل المخطوط.

قال الشاعر:

الموت بحر طامح موجه تذهب فيه حيلة المسابح

قال آخر:

لا يصحب الإنسان في قبره إلا التقى والعمل الصالح

قال الأعشى:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولا قيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على ألا تكون كمثلته وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

قال مالك بن دينار: مات بعض قراء البصرة فمزحنا في جنازة وانصرفنا، فصعد سعدون المجنون وتلا في المقبرة ونادى المتصوفين فأنشأ يقول:

أجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظرو الكبرى ألا يا عسكر الأحياء هذا عسكر الموتى

يقولون لكم جهزوا فهذا غاية الدنيا يحنون على الزاد وما الزاد سوى القرى

قال الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا أُوْلِىَ الْآلَابِيبِ﴾ ذوى العقول.



﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٥٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿١٦٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٦٢﴾ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: الآية قال المفسرون: كان ناس من العرب لا يتجرون في أيام الحج فإذا دخل العشر كفوا عن الشراء والبيع فلم يقيم لهم سوق وكانوا يسمون من يخرج إلى الحج ومعه تجارة: الداج، فأنزل الله تعالى هذه الآية وأباح التجارة في الحج.

فقال ابن عباس: كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقاً في الجاهلية كانوا يتجرون فيها في الموسم وكان أكثر معاشهم منها فلما جاء الإسلام كأنهم تأثموا منها فسألوا النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية.

وقال أبو أمامة التيمي: قلت لابن عمر: إنا قوم نكرى فيدعمون المؤمنين في الحج.

فقال: أستم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون الحجارة كما يرمون؟ قلت: بلى. قال: أنتم حاج، جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه فلم يدر ما يقول له حتى نزل جبرائيل بهذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني التجارة وكان ابن عباس يقرأها: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج.

الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم عرفة غفر الله للحاج به الخاص فإذا كان ليلة المزدلفة غفر الله للجار، وإذا كان يوم منى غفر الله للجمالين، وإذا كان عند جمرة العقبة (غفر الله للسؤال) ولا شهد ذلك الموقف خلق ممن قال لا إله إلا الله إلا غفر له».

﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ﴾: رجعتم ودعيتم بكرة.

يقال: أفاض القوم في الحديث إذا اندفعوا فيه وأكثروا التصرف.

قال الشاعر:

فلما أفضنا في الحديث وأسمحت أتتنا عيون بالنميمة تضرب

وأصلها من قول العرب أفاض الرجل ماءه إذا صبه، وأفاض البعير تجرعه إذا رمى ودفع بها من كرشه.

قال الراعي:

فأفضن بعد كظومهن بجرة من ذى الأبارق إذا رعين حقيلاً

ويقال: أفاض الرجل بالقдах إذا ضرب بها لأنها موضع بقع متفرقة.

قال أبو ذؤيب:

يصف الحمار والأنف وأتته ربابة وكأنه يسر يفيض على القдах ويصدع

ولا تكون الإفاضة فى اللغة إلا عن تفرق وكثرة قال عمر بن الخطاب: الإفاضة الانصداع. ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾: القراءة بالكسر والتنوين لأنه جمع عرفة مثل مسلمات ومؤمنات، فسميت بها بقعة واحدة مثل قولهم: أرض سباسب وثوب أخلاق يجمع بها حولها، فلما سميت بها البقعة الواحدة صرفت إذا كانت مصروفة قبل أن يسمى بها البقعة تركباً منهم لها على أصلها فإذا كانت فى الأصل بقعة واحدة ولم يكن جمعاً تركوا أجزاءها ونصبوا تاءها فى حال الخفض مثل عانات وأذرعَات فرقاً بين الاسم وبين الجمع، واختلف العلماء فى المعنى الذى لأجله قيل للموقف عرفات وليوم الوقوف بها عرفة.

فقال الضحاك: إن آدم لما أهبط وقع فى الهند وحواء بجدة فجعل آدم يطلب حواء وهى تطلبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا فسمى اليوم عرفة والموضع عرفات. وأبو حمزة الثمالى عن السدى قال: إنها سميت عرفات لأن هاجر حملت إسماعيل عليه السلام فأخرجته من عند سارة وكان إبراهيم غائباً فلما قدم لم ير إسماعيل فحدثته سارة بالذى صنعت هاجر فانطلق فى طلب إسماعيل فوجده مع هاجر بعرفات فعرفه فسميت عرفات.

وعن على بن الأشدق عن عبد الله بن حراد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم غدا من فلسطين فحلفت سارة أن لا ينزل عن ظهر دابته حتى يرجع إليها من الغيرة فأتى إسماعيل ثم رجع فحبسته سارة سنة ثم استأذنها فأذنت له فخرج حتى بلغ مكة وجبالها فبات ليلة يسير ويسعى حتى أذن الله عز وجل له فى ثلث الليل الأخير عند سند جبل عرفة، فلما أصبح عرف البلاد والطريق فجعل الله عز وجل عرفة حيث عرف فقال: اجعل بيتك أحب بلادك إليك حتى يهوى الله قلوب المسلمين من كل فج عميق».

عبد الملك عن عطاء قال: إنما سميت عرفات لأن جبرائيل عليه السلام كان يرى إبراهيم المناسك ويقول: عرفت ثم يريه فيقول: عرفت فسميت عرفات.

وروى سعيد بن المسيب عن على رضى الله عنه قال: بعث الله عز وجل جبرائيل إلى إبراهيم فحج به حتى إذا جاء عرفات قال: قد عرفت، وكان قد أتاها مرة قبل ذلك فسميت عرفات.

وروى أبو الطفيل عن ابن عباس قال: إنما سمي عرفة لأن جبرائيل عليه السلام أرى إبراهيم فيه بقاع مكة ومشاهدها وكان يقول يا إبراهيم هذا موضع كذا وهذا موضع كذا ويقول قد عرفت، قد عرفت.

وروى أسباط عن السدي قال : لما أذن إبراهيم بالناس فأجابوه بالتلبية وأتاه من أتاه أمره الله أن يخرج إلى عرفات فنعتها له فلما خرج وبلغ الشجرة المستقبلة للشيطان فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقه على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقه على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فلما رأى أنه لا يطيقه ذهب ، فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا المجاز فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز فكذلك سمي ذو المجاز فانطلق حتى وقف بعرفات ، فلما نظر إليها عرفها بالنعث فقال : عرفت ، فسمى عرفات بذلك وسمى ذلك اليوم عرفة لأن إبراهيم رأى ليلة التروية في منامه أن يؤمر بذبح ابنه فلما أصبح يومه أجمع أى فكر أمن الله هذا الحكم أم من الشيطان وسمى اليوم من فكرته تروية ثم رأى ليلة عرفة ذلك ثانياً فلما أصبح عرف أن ذلك من الله فسمى اليوم يوم عرفة .

وقال بعضهم : سميت بذلك لأن الناس يعترفون في هذا اليوم على ذلك الموقف بالذنوب والأصل نسيان آدم عليه السلام لما أمر بالحج وقف بعرفات يوم عرفة قال : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣) .

وقيل : هي مأخوذة من العرف ، قال الله تعالى : ﴿وَيَدْخُلُهَا الْجَنَّةُ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ (محمد: ٦) أى طيبها ، قالوا : فمنى موضع بمنى وفيه الدم أى يصب فلذلك سمي منى ففيه يكون الفروث والأنذار والدماء وليست بطيبة ، وعرفات ليس فيها وهى طيبة فلذلك سميت عرفات ويوم الوقوف بها عرفة . وقيل : لأن الناس يتعارفون بها .

وقال بعضهم : أصل هذين الاسمين من الصبر ، يقال : رجل عارف إذا كان صابراً خاضعاً خاشعاً ويقال فى المثل : النفس عروف وما حملتها تتحمل .
قال الشاعر :

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو إذا نفس الجنان تطلع
أى نفساً صابرة .
وقال ذو الرمة :

❖ عروف لما خطت عليه المقادر ❖

أى صبور على قضاء الله ، فسميا بهذا الاسم لخضوع الحاج وتذللهم وصرْفهم على الدعاء وأنواع البلاء واحتمالهم الشدائد والميقات لإقامة هذه العبادة .
﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ : بالتلبية والدعاء ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ وهو ما بين جبلى المزدلفة من مازمى عرفة إلى محسّر ، وليس مازما عرفة من المشعر ، وإنما سمي مشعراً من الشعار وهو

العلامة ، لأنه معلم للحج ، والصلاة والمقام والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج ، والمبيت بالمشعر الحرام فرض واجب ومن تركه كان عليه شاة ، والدليل عليه أن النبي ﷺ بات بها وقال انحروا عنى بمناسككم .

وقال المفضل : سمي مشعراً لأنها شعر المؤمنون أنه حرم كالبيت ومكة ، أى اعلموا ذلك ، وأصل الحرام المنع ، قال الله تعالى (١) أى الممنوع من المكاسب والشئ المنهى عنه حرام لأنه منع من إتيانه .
وقال زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب ما لى ولا حرام

أى ولا ممنوع ، والمشعر الحرام من أن يفعل فيه ما حرم ولم يرض فى إتيانه ، ويقال له المشعر الحرام والمزدلفة وقدم (١) بغيرهما والجميع ، سمي بذلك لأنه يجمع فيها بين صلاتى العشاء ، والإفاضة من عرفات بعد غروب الشمس وكان أهل الجاهلية يفيضون منهما قبل غروب الشمس ومن جمع بعد طلوعها ، وكانوا يقولون : أشرق ثبير كيما نغير فأمر الله مخالفتهم فى الدفتين جميعاً .

وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه نظر إلى الناس ليلاً جمع فقال : لقد أدركت الناس هذه الليلة ما ينامون تأولوا قول الله تعالى : ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ .
﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾ : لدينه ومناسك حجه ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ : يعنى وما كنتم من قبله إلا من الضالين كقوله : ﴿وَأِنَّا لَنظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (الأعراف: ٦٦) : يعنى وإن نزنك إلا من الكاذبين .

قال الشاعر :

ثكلتك أمك إن قتلت مسلماً حلت عليك عقوبة الرحمن
أى ما قتلت إلا مسلماً .

والهاء فى قوله (من قبله) عائدة إلى الهدى ، وإن شئت على الرسول ﷺ ، كناية عن غير مذكور .

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ الآية .

قال عامة المفسرين : كانت قريش وحلفاؤها ومن دان بدينها وهم الحمس لا يخرجون من الحرم إلى عرفات وكانوا يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمه فلا يخلو الحرم

(١) بياض بالأصل المخطوط .

ولا نخرج منها، فلسنا كسائر الناس وكانوا يتعاضمون أن يقفوا مع سائر العرب بعرفات، ويقول بعضهم لبعض ألا تعظموا إلا الحرم فإنكم إن عظمتهم غير الحرم تهاون الناس بحرمتكم فوقفوا الجميع فإذا أفاض الناس من عرفات أفاضوا من المشعر وهو المزدلفة وأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفضوا منها إلى جمع مع سائر الناس وأخبرهم أنها سنة إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليه السلام.

وقال بعضهم: المخاطبون بهذه الآية المسلمون كلهم والمعنى بقوله: ﴿مَنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ جمع أي أفيضوا من جمع إلى منى، وهذا القول أشبه بظاهر القرآن، لأن الإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من جمع بلا شك فكيف يسوغ أن يقول: ﴿فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ وأما الناس في هذه الآية فهم العرب كلهم غير الحمس. الكلبى بإسناده: هم أهل اليمن وربيعة.

الضحاك: الناس ههنا إبراهيم وحده، يدل عليه قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ (النساء: ٥٤) يعنى محمداً ﷺ وحده وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ (آل عمران: ١٧٣) يعنى نعيم بن مسعود الأشجعي ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ (آل عمران: ١٧٣) يعنى أبا سفيان وإنما يقال هذا للذى يقتدى به ويكون لسان قومه وإمامهم كقوله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (النحل: ١٢٠) فذكر الواحد بلفظ الجمع ومثله كثير وقيل: الناس ههنا آدم عليه السلام، دليله قول سعيد بن جبير: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، وقيل: هو آدم نسي ما عهد إليه والله أعلم.

الحكم بن عيينة عن مقسم عن ابن عباس قال: أفاض رسول الله ﷺ من عرفة وعليه السكينة والوقار ورديفه أمامه وقال: «أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بإيجاف الخيل والإبل، قال: فما رأيها رافعة يديها عادية - الخيل فالإبل - حتى أتى جمعاً».

وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال: أمر رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضى الله عنه على الحج وأمره أن يخرج بالناس جميعاً إلى عرفات فيقف بها فإذا غربت الشمس أفاض بالناس منها حتى يأتى بهم جمعاً فيبيت بها حتى إذا أصبح بها وصلى الفجر ووقف الناس بالمشعر الحرام ثم يفيض منها إلى منى قال: فتوجه أبو بكر نحو عرفات فمر بالحمس وهم وقوف بجمع فلما ذهب يتجاوزهم قالت له الحمس: يا أبا بكر أين تُجاوزنا إلى غيرنا هذا مفيض آبائك فلا تذهب حتى تفيض أهل اليمن وربيعة من عرفات فمضى أبو بكر لأمر الله وأمر رسوله حتى أتى عرفات وبها أهل اليمن وربيعة وهم الناس في هذه الآية فوقف بها حتى غربت الشمس، ثم أفاض بالناس إلى المشعر الحرام حتى وقف بها حتى إذا كان عند طلوع

الشمس أفاض منها .

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

عن أبي رباح عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «الحجاج والعمار وفد الله عز وجل إن دعوهم أجابهم وإن استغفروه غفر لهم» .

عن مجاهد أن النبي ﷺ قال: «اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج» .

وعن علي بن عبد العزيز يقول: كنت عديلاً لأبي عبيد بن سلام لسنة من السنين فلما صرت إلى الموقف تصدق إلى نفسي حب النخل فتطهرت ونسيت نفقتى عنده، فلما صرت إلى المارقين قال لي أبو عبيدة: لو اشتريت لنا زبداً وتماً، فخرجت لأبتاعه فذكرت النفقة فرجعت عودي على بدئي إلى أن وافيت الموضع فإذا نفقتى بحالها فأخذتها ورجعت وكنت قد صادفت الوادي مملوءة قردهً وخنازير وغير ذلك فجزعت عنه، ثم إنى رجعت فإذا هم على حالهم حتى دخلت على أبي عبيدة قبيل الصبح فسألني عن أمرى فخبرته وذكرت القرده، قال: تلك ذنوب بني آدم تركوها وانصرفوا .

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ﴾: فرغتم من حجكم وذبحتم مناسككم يقال منه نسك الرجل ينسك نَسْكَاً ونُسْكَاً ونَسِيكاً ونَسِيكَةً ومنسكاً إذا ذبح نسكه، والمنسك المذبح مثل المشرق والمغرب، ويقال من العهد نسك ومنسك ومونسكاً ونسكاً ونسাকে إذا (١) نظر، وأبو عمرو يدغم الكاف في انكاف فيه وفي أخواته في كل القرآن مثل قوله: ﴿مَا سَأَلَكُمْ﴾ (المدثر: ٤٢) لأنهما مثلان .

قال الشاعر:

ولا نشار لك عندي بعد واحدة لا والذي أصبحت عندي له نعم
﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ .

قال أكثر المفسرين في هذه الآية: كانت العرب إذا فرغوا من حجهم وقفوا عند البيت وذكروا مآثر آبائهم ومفاخرهم فكان الرجل يقول: إن أبي كان يُقرى الضيف ويضرب بالسيف ويُطعم الطعام وينحر الجزور ويفك العاني ويجز النواصي ويفعل كذا وكذا فيتفاخرون بذلك فأمرهم الله بذكره فقال: فاذكروني فأنا الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم وأحسنتم إليكم وإليهم .

قال السدي: كانت العرب إذا قضيت مناسكها وأقاموا بمنى يقوم الرجل فيسأل الله ويقول اللهم إن أبي كان عظيم الحجة عظيم القبة كثير المال فأعطني كلما أعطيت أبي ليس يذكر الله

إنما يذكر ويسأل أن يعطى فى دنياه فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال ابن عباس وعطاء والربيع والضحاك : معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وهو قول الصبى أول ما يفصح ويفقه الكلام (أبه أمه) ثم يلهج بأبيه وأمه .

عن أبى الجوزاء قال : قلت لابن عباس أخبرنا عن قوله : ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ وقد يأتى على الرجل اليوم لا يذكر أباه فيه . فقال ابن عباس : ليس كذلك ولكن من يغضب الله إذا عصى بأشد من غضبك لوالديك إذا أهنتهما .

القرطبي : فى قوله : ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ قال كذكركم آباءكم إياكم .

﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ : يعنى أشد وبل أشد كقوله : ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (الصافات: ١٤٧) مقاتل : ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ أى أكثر ذكراً كقوله ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة: ٧٤) ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ (النساء: ٧٧) وأما وجه انتصاب (أشد) ، فقال الأخفش : اذكروه أشد .

وقال الزجاج : فى محل الخفض لكنه لا ينصرف لأنه صفة على مفعول أفعل وصفته ذكراً على التمييز .

﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ : أى أعطنا إبلاً وغنماً وبقراً وعبيداً وإماءً فحذف المفعول .

قال أنس : كانوا يطوفون بالبيت عراة فيدعون ويقولون اللهم اسقنا المطر وأعطنا على عدونا الظفر وردنا صالحين إلى صالحين .

قتادة : هذا عبد نوى الدنيا لها أنفق ولها عمل ولها قضت فهى همه وأمنيته وطلبتة .

﴿وَمَا لَهُمْ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ : حظ ونصيب ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ : وهم النبى والمؤمنون .

واختلفوا فى معنى الحسنتين .

فقال على رضى الله عنه : فى الدنيا حسنة امرأة صالحة وفى الآخرة الحسنة الحور العين .

﴿وَقَتَا عَذَابَ النَّارِ﴾ : المرأة السوء .

قال الحسن : فى الدنيا حسنة : العلم والعبادة وفى الآخرة حسنة : الجنة والرضوان .

السدى وابن حيان : فى الدنيا حسنة رزقاً حلالاً واسعاً وعملاً صالحاً وفى الآخرة حسنة

الثواب والمغفرة .

عطية : فى الدنيا حسنة العلم والعمل وفى الآخرة حسنة تيسير الحساب ودخول الجنة .

وقيل : فى الدنيا حسنة التوفيق والعصمة وفى الآخرة حسنة النجاة والرحمة . وقيل : فى

الدنيا حسنة أولاداً أبراراً وفي الآخرة حسنة موافقة الأنبياء .

وقيل : فى الدنيا حسنة المال والنعمة وفى الآخرة حسنة تمام النعمة وهو الفوز والخلاص من النار ودخول الجنة .

وقيل : فى الدنيا حسنة الدين واليقين وفى الآخرة حسنة اللقاء والرضا .

وقيل : فى الدنيا حسنة الثبات على الإيمان وفى الآخرة حسنة السلامة والرضوان .

وقيل : فى الدنيا حسنة الإخلاص وفى الآخرة حسنة الخلاص .

وقيل : فى الدنيا حسنة حلاوة الطاعة وفى الآخرة حسنة لذة الرؤية .

قتادة : فى الدنيا عافية وفى الآخرة عافية .

دليل هذا التأويل ما روى حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً قد صار مثل الفرخ المنتوف فقال رسول الله ﷺ : «هل كنت تدعوه بشيء أو تسأله شيئاً؟» قال : كنت أقول اللهم ما كنت معاتبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا . فقال : «سبحان الله إذا لا تستطيعه ولا تطيقه فهلا قلت : اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» .
فدعا الله به فشفاه الله .

سهل بن عبد الله : فى الدنيا حسنة السنّة وفى الآخرة حسنة الجنة .

المسيب عن عوف فى هذه الآية قال : من آتاه الله الإسلام والقرآن وأهلاً ومالاً وولداً فقد أولى فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة .

حماد عن ثابت أنهم قالوا لأنس بن مالك : ادع الله لنا ، فقال : اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

قالوا : زدنا ، فأعادها ، قالوا : زدنا ، قال : «ما تريدون قد سألت الله تعالى لكم خير الدنيا والآخرة» .

قال أنس : وكان رسول الله ﷺ يكثر أن يدعو بها اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

سفيان الثورى فى هذه الآية : فى الدنيا حسنة الرزق الطيب والعلم ، وفى الآخرة حسنة الجنة .

مجاهد عن ابن عباس قال : عند الركن اليمانى ملك قائم منذ خلق الله السموات والأرض يقول آمين ، فقولوا : «ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» .

وقال ابن جريج : بلغنى أنه كان يؤمر أن يكون أكثر دعاء المسلم فى الوقف : اللهم ربنا آتنا

فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ : يعنى من حج عن ميت كان الأجر بينه وبين الميت .

عن الفضل بن عباس أنه كان ردف النبى ﷺ أتاه رجل فقال : إن أمى عجوز كبيرة لا تستمسك على الرجل وإن ربطتها (خشيت) أن أقتلها .

فقال له : «أرأيت لو كان على أمك دين كنت قاضيه؟» قال : نعم قال : «فحج عنها» .

أبو سلمة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال فى رجل أوصى بحجة : «كتب له أربع حججات : حجة الذى كتبها ، وحجة الذى نفذها ، وحجة الذى أخذها ، وحجة الذى أمر بها» .

وقال سعيد بن جبير : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إن أجرت نفسى واشترطت عليهم الحج معهم فهل يجزئنى ذلك؟

قال : أنت من الذين قال الله ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ .

﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ : يعنى إذا حاسب فحسابه سريع لأنه لا يحتاج إلى تمديد ولا وعى منه ولا روية ولا فكرة .

وقال الحسن : أسرع من لمح البصر .

وفى الحديث أن الله تعالى يحاسب فى قدر حلب شاة وقيل هو أنه إذا حاسب (١)

واحداً واحداً حاسب جميع الخلق فمعنى الحساب تعريف الله عبادته مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكره إياهم ما نسوه من ذلك ، يدل عليه قوله : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المجادلة : ٦) .

﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ﴾ : يعنى التكبير فى الصلوات وعند الجمرات يكبر مع كل حصاة وغيرها من الأوقات .

﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ : وهى أيام التشريق وأيام منى ورمى الجمار والأيام المعلومات عشر ذى الحجة ، نافع عن ابن عمر : الأيام المعدودات ثلاثة أيام يوم النحر ويومان بعده .

أبو حنيفة عن حماد بن إبراهيم فى قوله : ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ قال المعدودات أيام العشر والمعلومات أيام النحر ، والصحيح أن المعدودات أيام التشريق ، وعليه أكثر العلماء يدل عليه قوله : ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أى منها وإنما يكون الصدر فى أيام التشريق .

قال الزجاج : ويستعمل المعدودات فى اللغة الشئ القليل فسميت بذلك لأنها ثلاثة أيام والأيام المعدودات : أيام التشريق والذكر المأمور فيها التكبير .

(١) بياض بالأصل المخطوط .

قال نافع: كان عمرو وابنه عبد الله يكبران بمنى تلك الأيام جميعاً وخلف الصلوات وفي المجلس وعلى الفراش والفسطاط وفي الطريق ويكبر الناس بتكبيرهم ويناولان هذه الآية قلت: وأجمعوا على أن التكبير في هذه الأيام سنة إلا أنهم اختلفوا في قدرها ووقتها . . . فكان عبد الله بن مسعود يكبر من صلاة الغداة من يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق وإليه ذهب أبو يوسف ومحمد بن الحسن وهو أجمع الأفاويل .

كان ابن عباس وزيد بن ثابت يكبران من صلاة الظهر من يوم النحر إلى مدة العصر من آخر أيام التشريق وهو قول عطاء وهو الأظهر والأشهر من مذهب الشافعى أنه يبدأ التكبير من صلاة الظهر من يوم النحر إلى صلاة الفجر من آخر أيام التشريق هذا بالحاج آخر صلاة يصلها الحاج بمنى والناس لهم تبع .

وأما لفظ التكبير فكان سعيد بن جبير يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر نسقاً وهو مذهب الشافعى وأهل المدينة وكان ابن مسعود يكبر اثنتين وهو مذهب أبى حنيفة وأهل العراق .
وروى مالك أنه كان يقول الله أكبر الله أكبر ثم يقطع فيقول الله أكبر لا إله إلا الله .
وروى عن قتادة أنه كان يقول الله أكبر كبيراً الله أكبر على ما هدانا الله أكبر والله الحمد .
وروى عمر بن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أيام منى أيام أكل وشرب وذكر الله» .

عن جعفر بن محمد: أن رسول الله ﷺ بعث منادياً فنادى فى أيام التشريق: إنها أيام أكل وشرب، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ يعنى من أيام التشريق فنفر فى اليوم الثانى من أيام التشريق .

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ : فى تعجله ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ : عن النفر فى اليوم الثانى من أيام التشريق إلى اليوم الثالث حتى ينفر فى اليوم الثالث ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فى تأخره فإن لم ينفر فى اليوم الثانى وأقام حتى تغرب الشمس فليقم إلى الغد من اليوم الثالث فيرمى الجمار ثم ينفر مع الناس، هذا قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك والنخعى والسدى قال بعضهم: معناه فمن تعجل فى يومين فهو مغفور له لا إثم ولا ذنب عليه ومن تأخر فكذلك، وهكذا قول على وأبى ذر وابن مسعود والشعبى ومطرف بن الشخير .

قال معاوية بن مرة: خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

قال إسحاق بن يحيى بن طلحة: سألت مجاهداً عن ذلك قال: فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه إلى قابل ومن تأخر فلا إثم عليه أيضاً إلى قابل .

وقال سعيد بن المسيب: توفي رجل بمنى فى آخر أيام التشريق فقيل لعمر: توفي ابن الخنساء أفلا نشهر دفته، فقال عمر: وما يمنعنى أن أدفن رجلاً لم يذنب منذ غفر له. ﴿لَمَنْ اتَّقَى﴾: اختلفوا فى معناه.

فقال ابن عباس فى رواية العوفى والكلبى: لمن اتقى قتل الصيد لا يحل له أن يقتل صيداً حتى ينقضى أيام التشريق.

قتادة: لمن اتقى أن يصيب فى حجر شيئاً نهاه الله عز وجل عنه فيه. أبو العالية: ذهب إثمه كله إن اتقى فيما بقى من عمره، وكان ابن مسعود يقول إنما حطت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله فى حجّه.

ابن جريج: وهو فى مصحف عبد الله لمن اتقى الله، جوبر عن الضحاك عن ابن عباس لمن اتقى عبادة الأوثان.

وروى عن ابن عباس أيضاً: لمن اتقى معاصى الله قال: ووددت أنى من هؤلاء الذين يصيبهم اسم التقوى.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: يجمعون فى الآخرة فىجزىكم بأعمالكم.



﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ الَّذِي الْخِصَامِ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿١٠١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٠٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٠٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٤﴾ فَإِن زَلَلْتُمْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَىٰ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية.

الكلبى والسدى ومقاتل وعطاء: قالوا نزلت هذه الآية فى الأخنس بن شريق الثقفى حليف بنى أبى زهرة واسمه أبى، وسمى بالأخنس لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بنى زهرة عن قتال النبى ﷺ وقد تولوا الجحفة وقال لهم: يا بنى زهرة إن محمداً ابن أخيكم، فإن يك

صادقاً فلن تغلبوه وكنتم أسعد الناس بصدقه ، وإن يك كاذباً فإنكم أحق من كف عنه لقرابتكم وكفتكم إياه أوباش العرب .

قالوا : نعمَ الرأي رأيتَ فسر لما شئتَ فنتبعك . فقال : إذا نودى الناس فى الرحيل فإنى أخس بكم فاتبعونى ، ففعلَ وفعلوا وسمى لذلك الأخنس ، وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتى رسول الله ﷺ يواله ويظهر الإسلام ويخبره بأنه يحبه ويحلف بالله عز وجل على ذلك ، وكان منافقاً فكان رسول الله ﷺ يدنى مجلسه ويقبل عليه ولا يعلم أنه يضمّر خلاف ما يظهر ثم إنه كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلاً وأهلك مواشيهم وأحرق زرعهم وكان حسن العلانية سيئ السريرة .

قال السدى : مر بزراع للمسلمين وحمّر فأحرق الزرع وعقر الحمّر .

مقاتل : خرج إلى الطائف مقتضياً حلاله على غريم فأحرق له (١) أرضاً وعقر له (١) أتانا فأنزل الله فيه هذه الآيات .

ابن عباس والضحاك : نزلت هذه الآيات إلى قوله ﴿والله رؤوف بالعباد﴾ فى سرية الرجيع وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة ، أنا أسلمنا فابعث إلينا نفرًا من علماء أصحابك يعلموننا دينك ، وكان ذلك مكرًا منهم فبعث رسول الله ﷺ خبيب بن عدى الأنصارى ومرثد بن أبى مرثد الغنوى وخالد بن بكر وعبد الله بن طارق بن شهاب البادى وزيد بن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن الأقلح الأنصارى فساروا يريدون مكة فنزلوا بطن الرجيع بين مكة والمدينة ومعهم تمر عجرة فأكلوا فمرت عجوزة وأبصرت النوى فرجعت إلى قومها بمكة وقالت : قد سلك الطريق أهل يثرب من أصحاب محمد ، فركب سبعون رجلاً ومعهم الرماح حتى أحاطوا بهم فحاربوهم فقتلوا مرثداً وخالدًا وعبد الله بن طارق ونثر عاصم ابن ثابت كتابته وفيها سبعة أسهم فقتل منهم رجلاً من عظماء المشركين ثم قال اللهم إنى حميت دينك صدر النهار فاحمى لحمى آخر الليل ، ثم أحاط به المشركون فقتلوه فلما أرادوا جز رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن عهيد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فيه قحفة الخمر ، فأرسل الله رجلاً من الدبر وهى الزناير فحمت عاصمًا ولم يقدروا عليه فسمى حمى الدبر فلما حالت بينهم وبينه قال : دعوه حتى يمسى تذهب عنه فأنأخذه فجاءت سحابة سوداء ومطرت مطراً كالعزالى فبعث الله الوادى فاحتمل عاصمًا فذهب به (١) وحملته (١) خمسين من المشركين إلى النار قال :

(١) بياض بالأصل المخطوط .

وكان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك أبداً تنجساً منه وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول حين بلغه الخبر إن الدبر منعتة، عجباً لحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمس مشرك ولا يمس مشركاً أبداً فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع من حياته، فأسر المشركون خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما إلى مكة فأما حبيب فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناة ليقتلوه بأيديهم وكان خبيب هو الذى قتل الحارث بن عامر بأحد فينما خبيب عند بنت الحارث إذ استعار من إحداهن موسى يستحل بها للقتل فما راع المرأة ولها صبى يدرج إلا بخبيب قد أجلس الصبى على فخذه والموسى فى يده فصاحت المرأة فقال خبيب: أتخافين أن أقتله، إن الغدر ليس من شأننا، فقالت المرأة: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب لقد رأيت ما بمكة من تمرة وإن فى يده لقطفاً من عنب يأكله إن كان إلا رزقاً رزقه الله خيباً، ثم إنهم خرجوا به من الحرم ليقتلوه وأرادوا أن يصلبوه فقال: ذرونى أصلى ركعتين فتركوه فصلى ركعتين فجرت سنة لمن قتل صبراً أن يصلى ركعتين، ثم قال: لولا أن يقولوا جزع خبيب لزدت وأنشأ يقول:

ولست أبالى حين أقتل مسلماً على أى شق كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك فى أوصال شلو ممزع
أى مقطوع.

ثم قال: اللهم أحصهم عدداً وخذهم بدداً فصلبوه حياً، فقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد حولى يبلغ رسولك سلامى فأبلغه لأمى، قال: ثم جاء به رجل من المشركين يقال له: أبو سروعة ومعه رمح فوضعه بين ثدى خبيب فقال له خبيب: اتق الله فما زاده إلا عتواً قطعنه فأنفذه.

فذلك قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ الآية.

يعنى سلامان وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف الجحى ثم بعته مع مولى له يسمى قسطاس إلى التنعيم ليقتله فاجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان ابن حرب، فقال أبو سفيان لزيد حين قدم ليقتل أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن بمكانك نضرب عنقه وإنك فى أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن بمكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس فى أهلى.

فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، ثم قتله قسطاس، فلما بلغ النبى ﷺ هذا الخبر قال لأصحابه: أيكم يحتمل خيباً عن خشبته فله

الجنة؟ قال الزبير بن العوام: أنا يا رسول الله وصاحبى المقداد بن الأسود فخرجا يمسيان بالليل ويكتمان بالنهار حتى أتيا التعيم ليلاً فإذا حول الخشبة أربعون من المشركين نيام نشاوى فأنزلاه فإذا هو رطب ينثى لم يتغير منه شىء بعد أربعين يوماً ويده على جراحتة تخضب دمًا، اللون لون الدم والريح ريح المسك فحملة الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيياً فأخبر بذلك قريشاً فركب منهم سبعون فلما لحقوهما قذف الزبير خبيياً فابتلعتة الأرض فسمى بليع الأرض.

فقال الزبير: ما جرأكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن رأسه فقال: أنا الزبير بن العوام وأمى صفية بنت عبد المطلب وصاحبى المقداد بن الأسود أسدان رابضان يدفعان عن شبلهما فإن شتمنا ضلناكم وإن شتمنا نزلتكم وإن شتمنا انصرفتم، فانصرفوا إلى مكة، وقدم على رسول الله ﷺ وجبرائيل عنده فقال: يا محمد إن الملائكة لتباهى بهذين من أصحابك فقال رجال من المنافقين فى أصحاب خبيب يا ويح لهؤلاء المقتولين الذين هلكوا لأنهم قعدوا فى بيوتهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله فى الزبير والمقداد بن الأسود وخبيب وأصحابه المؤمنين وفيمن طعن عليهم من المنافقين ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجَبُكَ﴾ يا محمد ﴿قَوْلُهُ رَفِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أى تستحسنه ويعظم فى قلبك ومنه العجب لأنه تعظم فى النفس.

فقال فى الخبر الاستحسان والمحبة: أعجبنى كذا، وفى الإنكار والكرهية: عجبت من كذا، وأصل العجب ما لم يكن مثله قاله المفضل.

﴿وَيُشْهِدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾: يعنى قول المنافق والله إنى بك لمؤمن ولك محب.

وقرأ ابن محيصة: ويشهد الله بفتح الياء والهاء ورفع الهاء من قوله أى يظهر أمراً ويقول قولاً ويعلم الله خلاف ذلك منه وفى مصحف أبى ويستشهد الله وهى حجة لقراءة العامة.

﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾: أى شديد الخصومة.

يقال منه لددت يا هذا وأنت تلد لداً ولداد، وإذا أردت أنه غلب خصمه قلت لده يلبه لداً.

ويقال: رجل ألد وامرأة لداً ورجال ونساء لداً.

قال الله تعالى: ﴿وَتُنذِرِيهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ (مريم: ٩٧).

وقال النبى ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم».

قال الشاعر:

وخصيماً ألدّ ذا مغلاق

إن تحت الأحجار حزمًا وجودًا

وقال الراجز: تلدّ أقران الرجال اللدّ.

وقال الزجاج: اشتقاقه من لديدى العنق وهما صفحتاه وتأويله أنه فى أى وجه أخذ من يمين أو شمال فى أبواب الخصومة غلب فى ذلك.

والخصام: مصدر خاصمته خصاماً ومخاصمة قاله أبو عبيدة وقال الزجاج: هو جمع خصم يقال: خصم وخصام وخصوم مثل بحر وبحار وبحور، وحقيقة الخصومة التعمق فى البحث عن الشئ والمضايقة فيه ولذلك قيل لزوايا الأوعية خصوم. قال السدى: ألدّ الخصام أعوج الخصام.

مجاهد: الأخير المستقيم على خصومة.

الحسن: هو كاذب القول. قتادة: هو شديد القسوة فى معصية الله جدل بالباطل عالم باللسان جاهل بالعمل متكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾: أدبر وأعرض عنك.

الحسن: تولى عن قوله الذى أعطاه.

ابن جريج: غضب. الضحاك: ملك الأمر وصار والياً ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾ أى عمل فيها يقال: فلان يسعى لعياله أى يعمل بما يعود عليهم نفقه.

ومنه قول الأعشى:

وسعى لكندة سعى غير مواكل قيس، فضر عدوها وبنى لها

وقيل سار ومشى.

﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾.

قال ابن جريج: قطع الرحم وسفك دماء المسلمين، والفساد اسم لجميع المعاصى.

﴿وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾.

قرأ الحسن وابن أبى إسحاق: ويهلك برفع الكاف على الابتداء.

وقرأ العامة: بالنصب، ويصدقها قراءة أبى: وليهلك.

قال المفسرون: الحرث ما تحرثون من النبات، والنسل نسل كل دابة والناس منهم.

النضر بن عدى عن مجاهد فى قوله: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى﴾ الآية قال: إذا ولى خاف فعمل

بالعدوان والعالم فأمسك الله المطر وأهلك الحرث والنسل.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ عن سعيد بن المسيب قال: قطع الدرهم من الفساد فى الأرض.

قتادة عن عطاء: أن رجلاً يقال له العلاء بن منبه أحرم فى جبة فأمره النبى ﷺ أن ينزعها.

قال قتادة: فقلت لعطاء: إنا كنا نسمع أن شقها فقال عطاء: إن الله لا يحب الفساد.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾: خف الله، تكبر ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾: أى حملته العزة وحمية الجاهلية على الفعل بالإثم والعزة والقوة والمنعة: ويقال: معناه أخذته العزة بالإثم الذى فى قلبه كما قام الهاء مقام اللام كقول عنترة يشبهه بالرب:

وكان رياً أو كحياً معقداً
حش الوقود به جوانب قمقم

أى خلق الإمالة خشية جهنم أن كفاه عذاب جهنم.

﴿وَلَيْسَ الْمَهَادُ﴾: الفراش.

قال عبد الله بن مسعود: إن من أكبر الذنب عند الله أن يقال للعبد: اتق الله فيقول: عليك بنفسك.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي﴾: يبيع ﴿نَفْسَهُ أَتَيْتَاءً مَّرَضَاتِ اللَّهِ﴾: أى يطلب رضا الله.

والكسائى: يميل مرضاة الله كل القرآن.

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

قال ابن عباس والضحاك: نزلت هذه الآية فى الزبير والمقداد بن الأسود حين شربا أنفسهما لإنزال خبيب من خشبته التى صُلب عليها، وقد مضت القصة.

وقال أكثر المفسرين: نزلت فى صهيب بن سنان المخزومى مولى عبد الله بن جدعان التيمى

أخذه المشركون فى رهط من المؤمنين فضربوهم فقال لهم صهيب: إني شيخ كبير لا يضركم أمكنكم كنت، أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالى وتذرونى ودينى، ففعلوا ذلك، وكان قد شرط عليهم راحلة ونفقة فأقام بمكة ما شاء الله ثم خرج إلى المدينة فتلقاه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فى رجال.

قال له أبو بكر: ربح بيعك أبا يحيى فقال صهيب: وبيعك فلا تخسر بأذاك.

قال: أنزل الله تعالى فيك كذا، وقرأ عليه هذه الآية.

قال سعيد بن المسيب وعطاء: أقبل صهيب مهاجراً نحو النبى ﷺ فأتبعه نفر من مشركى

قريش فنزل عن راحلته وهو ما فى كنانته ثم قال: يا معاشر قريش لقد علمتم أنى من أركم رجلاً، والله لا أضع سهماً مما فى كنانتى إلا فى قلب رجل، وإيم الله لا يصلون إلى حتى أرمى كل سهم فى كنانتى، ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدي، ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دلتكم على مالى وضيعتى بمكة وخليتم سبيلى.

قالوا: نعم. ففعل ذلك، فأنزل الله هذه الآية.

وقال قتادة: ما هم بأهل الحرور المراق من دين الله تعالى، ولكن هم المهاجرون والأنصار.

وقال الحسن: أتدرون فيمن نزلت هذه الآية، في أن مسلماً لقي كافراً فقال له: قل لا إله إلا الله وإذا قتلها عصمت مالك ودمك إلا بحقها فأبى أن يقولها، قال المسلم: والله لأشرين نفسى لله فتقدم فقاتل حتى قُتل.

وقال المغيرة: بعث عمر جيشاً فحاصروا حصناً فتقدم رجل من بجيلة فقاتل وحده حتى قتل، فقال الناس: ألقى بيده إلى التهلكة فبلغ ذلك عمر فقال: كذبوا أليس الله يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ الآية.

وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال ابن عباس: أرى هاهنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم. قال: هذا وأنا أشرى نفسى وأرى من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل أخذته العزة بالإثم ثم قال: هذا وأنا أشرى نفسى لمقاتلته فاقتل الرجلان لذلك، وكان على رضى الله عنه إذا قرأ هذه الآية يقول: اقتتلا ورب الكعبة.

وقال الخليل: سمع عمر بن الخطاب إنساناً يقرأ هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ الآية.

فقال عمر: إن لله وإنا إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل.

حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر».

عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: قال النبي ﷺ: «سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله».

وقال الثعلبي: ورأيت في الكتب أن رسول الله ﷺ لما أراد الهجرة خلف على بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده فأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه ﷺ وقال له: «اتشح ببرد الحضرى الأخضر، ونم على فراشى، فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله، ففعل ذلك على، فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل أنى قد أخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالبقاء والحياة؟ فاختر كلاهما الحياة فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل على بن أبي طالب عليه السلام أخيت بينه وبين محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه نفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرائيل عند رأس على وميكائيل عند رجليه، وجبرائيل ينادى: بخ بخ من مثلك يا بن أبى طالب، فنادى الله عز وجل الملائكة

وأنزل الله على رسوله ﷺ وهو متوجه إلى المدينة في شأن على عليه السلام ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: نزلت في على بن أبي طالب حين هرب النبي ﷺ من المشركين إلى الغار مع أبي بكر الصديق ونام على^١ على فراش النبي ﷺ.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾: نزلت في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام النضرى وأصحابه وذلك أنهم عظموا السبب وكرهوا لحم الإبل وألبانها بعدما أسلموا وقالوا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها في صلاتنا بالليل فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ أى فى الإسلام قاله قتادة والضحاك والسدى وابن زيد، يدلّ عليه قول الكندى:

دعوت عشيرتى للسلم لما رأيتهم تولوا مدبرينا

أى دعوتهم إلى الإسلام لما ارتدوا، قال ذلك حين ارتدت كندة مع الأشعث بن قيس بعد وفاة رسول الله ﷺ. وقال طاوس: فى الدين.

مجاهد: فى أحكام أهل الإسلام وأعمالهم كافة أى جميعها.

ربيع: فى الطاعة.

سفيان الثورى: فى أنواع البر كلها، وكلها متقاربة فى المعنى وأصله من الاستسلام والانقياد ولذلك قيل للصالح سلم وقال زهير:

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً بمال ومعروف من الأمر نسلم

قال حذيفة بن اليمان: فى هذه الآية الإسلام ثمانية أسهم: الصلاة سهم، والزكاة سهم، والصوم سهم، والحج سهم، والعمرة سهم، والجهد سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهى عن المنكر سهم، وقد خاب من لا سهم له.

واختلف القراء فى السلم.

فقرأ الأعمش وابن عباس: بكسر السين هاهنا وفى الأنفال وسورة محمد ﷺ.

وقرأها أهل الحجاز والكسائى: كلها بالفتح وهو اختيار أبى عبيد. لما روى عبد الرحمن ابن أبزى أن النبى ﷺ كان يقرؤها كلها بالفتح.

وقرأ حمزة وخلف فى الأنفال بالفتح وسائرهما بالكسر.

وقرأ الباقون: هاهنا بالكسر والباقي بالفتح وهو اختيار أبى حاتم، وهما لغتان.

عاصم الأحول عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الإسلام كمثل الشجرة الثابتة

الإيمان بالله، أصلها الصلوات الخمس جذوعها، وصيام شهر رمضان لحاؤها، والحج والعمرة جناها، والوضوء وغسل الجنابة شربها، وبر الوالدين وصلة الرحم غصونها، والكف عمّا حرم الله ورقها، والأعمال الصالحة ثمرها، وذكر الله تعالى عروقتها.

قال رسول الله ﷺ: «كما لا تحسن الشجرة ولا تصلح إلا بالورق الأخضر، كذلك الإسلام لا يصلح إلا بالكف عن محارم الله تعالى والأعمال الصالحة».

﴿كَافَّةٌ﴾: جميعاً وهي مأخوذة من كفت الشيء إذا منعتة وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قيل لحاشية القميص كفة، لأنها تمنعه من أن ينتشر وكل مستطيل فحرفه كفة بالضم وكل مستدير فحرفه كفة بالكسر، نحو كفة الميزان، ومنه قيل للراحة مع الأصابع كفة لأنه يكفّ بها عن سائر البدن، ورجل مكفوف أى كفّ بصره من النظر فمعنى الكافة هو أن ينتهى إليه ويكفه من أن يجاوزه.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: أى آثاره ونزعاته فيما بين لكم من تحريم السبت ولحم الجمل وغيره ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

الشعبي عن جابر بن عبد الله: أن عمر أتى رسول الله ﷺ فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود لا تقرأ أن نكتب بعضها؟ فقال: «أمتهوكون أتم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي».

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾: قال ابن حيان: أخطأتم. السدى: ضللتهم. يمان: ملتهم.

قال ابن عباس: يعنى الشرك.

قتادة: أنزل الله هذه الآية وقد علم أنه سيزل زالون من الناس، فتقدّم فى ذلك وأوعد فيه فيكون لله حجة على خلقه.

وقرأ أبو السماك العذرى: زللتهم بكسر اللام وهما لغتان وأصل الحرف من الزلق.

﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾: يعنى الإيمان والقرآن والأمر والنهى ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: فى نعمته ﴿حَكِيمٌ﴾: فى أمره ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾: أى هل ينظر التاركون الدخول فى السلم كافة والمتبعون خطوات الشيطان؟ يقال نظرته وانتظرته بمعنى واحد.

قال الشاعر:

فبينما نحن ننظره أتانا
معلق شكوة وزناد راع

أى ننظره ونتوقعه فإذا كان النظر مقروناً بذكر الوجه فلا يكون إلا بمعنى الرؤية.

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ﴾: جمع ظلة وقرأ قتادة: فى ظلال ولها وجهان

أحدهما: جمع ظلة فقال: ظلة وظلال مثل جلة وجلال، وظل ظلال كثر حلة وحلل، والثاني: جمع ظل من الغمام وهو السحاب الأبيض الرقيق سمي بذلك لأنه يغم أى يستتر. عكرمة عن ابن عباس فى قوله ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ قال: يأتى الله فى ظلل من الغمام قد قطعت طاقات، ورفع بعضهم.

سلمة بن وهرام أن عكرمة أخبره أن ابن عباس أخبره عن النبى ﷺ قال: «إن من الغمام طاقات يأتى الله عز وجل فيها محفوفة بالملائكة» وذلك قوله ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾.

قال الحسن: فى ستره من الغمام، فلا ينظر إليهم أهل الأرض، الضحاك: فى ضلع من السحاب.

مجاهد: هو غير من السحاب ولم يكن إلا بنى إسرائيل فى تيههم.

مقاتل: كهية الظبابة أبيض، وذلك قوله: ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ (الفرقان: ٢٥).
﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾.

قرأ ابن جعفر بالخفض: عطفاً على الغمام وتقديره مع الملائكة، تقول العرب: أقبل الأمير فى العسكر أى مع العسكر.

وقرأها الباقون: بالرفع على معنى إلا أن يأتىهم الله والملائكة فى ظلل من الغمام، يدل عليه قراءة أبى حاتم وعبد الله (هل ينظرون إلا أن يأتىهم الله والملائكة).
﴿فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾.

أبو العالية والربيع: تأتىهم الملائكة فى ظلل من الغمام ويأتى الله تعالى فيما يشاء.

قرأ معاذ: فى ظلل مع الغمام وقضاء الأمر بالمد أراد المصدر ذكر البيان عن معنى الإتيان. واختلف الناس فى ذلك. فقال بعضهم: فى بمعنى الباء، وتعاقب حروف الصفات شائع مشهور فى كلام العرب، تقدير الآية: إلا أن يأتىهم الله بظلل من الغمام وبالملائكة أو مع الملائكة، وبهذا التأويل زال الإشكال وسهل الأمر وأجرى الباقون للآية فهى ظاهرة.

ثم اختلفوا فى تأويلها ففسره قوم على الإتيان الذى هو الانتقال من مكان إلى مكان وأدخلوا فيه بلا كيف يدل عليه ظواهر أخبار وردت لم يعرفوا تأويلها وهذا غير مرضى من القول لأنه إثبات المكان لله سبحانه، وإذا كان متمكناً وجب أن يكون محدوداً متناهيًا ومحتاجاً وفقيراً، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقال بعض المحققين الموقنين أظنه على بن أبى طالب عليه السلام: «من زعم أن الله تعالى

من شيء أو فى شيء أو على شيء فقد أُلْحِدَ ، لأنه لو كان من شيء لكان محدثاً ، ولو كان فى شيء لكان محصوراً ، ولو كان على شيء لكان محمولاً .

وسكت قومٌ عن الخوض فى معنى الإتيان فقالوا : نؤمن بظاهره ونقف عن تفسيره ؛ لأننا قد نُهينا أن نقول فى كتاب الله تعالى لما لا نعلم ولم ينبهنا الله تعالى ولا رسوله على حقيقة معناه .

قال يحيى : هذا من المكتوم الذى لا يفسر ، وكان مالك والأوزاعى ومحمد وإسحاق وجماعة من المشايخ يقولون فيه وفى أمثاله أمرّوها كما جاءت بلا كيف .

وزعم قوم أن فى الآية إضماراً أو اختصاراً تقديرها : إلا أن يأتيهم أمر الله وهو الحساب والعذاب ، دلّ عليه قوله : ﴿ وَفُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ (هود: ٤٤) الآية وجب العذاب وفرغ من الحساب ، قالوا هذا كقوله : ﴿ وَسئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ (يوسف: ٨٢) ويقول العرب : قطع الوالى اللّصّ يعنى يده ، وإنما فعل ذلك آخر لأنه بأمره .

ويقال : خطبتان ماتينا بنو أمية أى حكمهم .

وعلى هذا يحمل قوله : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (الأفقال: ١٧) لأن الله تعالى قال ذلك ، وهذا

معنى قول الحسن البصرى .

وقال طائفة من أهل الحقائق : إن الله يحدث فعلاً يسميه إتياناً كما سمعت فهلاً سمّاه نزولاً

وأفعاله بلا آلة ولا علة .

قال الثعلبي : قلت : ويحتمل أن يكون معنى الإتيان ههنا راجعاً إلى الجزاء ؛ فسمّى الجزاء

إتياناً كما سمى التخويف والتعذيب فى قصة نمرود إتياناً فقال عزّ من قائل : ﴿ فَأَنَّى آلِهَةٌ بُنِيَتْ لَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ قَوَائِمِهِمْ وَأَتَتْهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النحل: ٢٦) .

وقال فى قصة بنى النضير : ﴿ فَأَتَتْهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ (الحشر: ٢) ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ

خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى ﴾ (الأنبياء: ٤٧) : وإنما احتمل الإتيان هذه المعانى لأن أصل الإتيان عند أهل

اللسان هو القصد إلى المشى فى الآية فهل ينظرون إلا أن يظهر الله خلاف أفعاله مع خلق من

خلقه فيقصد إلى مجازاتهم ويقضى فى لعنهم ما هو قاض ومجازيهم على فعل ويمضى فيهم

ما أراد ، يدلّ عليه ما روى صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة قال : رسول الله ﷺ : « إذا كان

يوم القيامة فإنّ الله عزّ وجلّ فى ظلال من الغمام والملائكة فيتكلم بكلام طلق ذلق فيقول :

أنصتوا فظالما أنصت لكم منذ خلقتكم أرى أعمالكم وأسمع أقوالكم وإنما من عصابتكم بقى

أهليكم ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك لا يلومنّ إلا نفسه » .



﴿سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ كَرَّمَاءَ آتَيْنَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَمَنْ يَدِدْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢٠٠﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٠١﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٠٢﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢٠٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَنْ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٠٤﴾

﴿سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أى سل يا محمد يهود أهل المدينة ﴿كَرَّمَاءَ آتَيْنَهُمْ﴾ أعطيناهم، آباءهم وأسلافهم ﴿مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ علامة واضحة مثل العصا واليد البيضاء وقلق البحر وغيرها. ﴿وَمَنْ يَدِدْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الآية، قال بعضهم: نزلت هذه الآية فى مشركى العرب أبى جهل وأصحابه كانوا يتنعمون بما ينقل لهم فى الدنيا من المال ونسوا يوم المعاد ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ من المؤمنين الذين يعزفون عن الدنيا، ويقبلون على الطاعة والعبادة، ويقولون: لو كان محمد نبياً لاتبعه أشرافنا وإنما اتبعه الفقراء مثل أبى عمارة وصهيب وعمار وجابر بن عبد الله وأبى عبيدة بن الجراح وبلال وخباب وأمثالهم، وهذا معنى رواية الكلبي عن ابن عباس.

وقال مقاتل: نزلت فى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه، وكانوا يتنعمون فى الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم.

وقال عطاء: نزلت فى رؤساء اليهود ووفدهم من بنى قريظة والنضير والقينقاع سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بنى قريظة والنضير بغير قتال أسهل شئ وأيسره. فقال: أين الذين كفروا فى الحياة الدنيا، فى قول مجاهد، وحمل زين بفتح الزاى والياء على معنى زينها الله وإنما ذكر الفعل بمعنيين أحدهما أن تأنيث الحياة ليس بحقيقى لأن

معنى الحياة والبقاء والعيش واحد، والآخر أنه فصل بين اسم المؤنث والفعل فأعمل المذكور، كقول الشاعر:

إن امرأ غرّه منكن واحدة
بعدى وبعذك فى الدنيا مغرور
﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ : لفقروهم .

عن على بن الحسين عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله ﷺ : « من استذلّ مؤمناً أو مؤمنة أو حقره لفقره وقلّة ذات يده شهّره الله يوم القيامة ثم فضحه ، ومن بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه ، أقامه الله على تل من نار حتى يخرج مما قال فيه ، وإن المؤمن أعظم عند الله وأكرم عليه من ملك مقرب ، وليس شيء أحبّ إلى الله من مؤمن تائب أو مؤمنة تائبة ، وإن الرجل المؤمن ليُعرف فى السماء كما يعرف الرجل أهله وولده » .

وعن إبراهيم بن أدهم قال : حدثنا عباد بن كثير بن قيس ، قال : جاء رجل عليه بزة له فقعد إلى رسول الله ﷺ فجاء رجل عليه الممار له فقعد إلى رسول الله ﷺ ، قال : ألقى بشيابه فضمّها إليه ، فقال رسول الله ﷺ : « أكلُ هذا تقزراً من أخيك المسلم ، أكنت تخشى أن يصيبه من غناك أو يصيبك من فقره شيء » فقال للنبي معذرة إلى الله وإلى رسوله ، إن النفس لأمارّة وشيطان يكيدي ، أشهد يا رسول الله أن نصف مالى له ، فقال الرجل : ما أريد ذلك ، فقال له النبي ﷺ : « وكم ؟ » قال : لا يفسد قلبى كما أفسد قلبه » .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لا تحقرن أحداً من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير . وقال يحيى بن معاذ : بئس القوم قوم إن استغنى بينهم المؤمن حسدوه ، وإذا افتقر بينهم استذلّوه ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ عن أبى ذر قال : قال لى رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر ارفع بصرك إلى أرفع رجل تراه فى المسجد » . فنظرت فإذا رجل جالس وعليه حلّة فقلت : هذا . فقال : « يا أبا ذر ارفع بصرك إلى أوضع رجل تراه فى المسجد » فنظرت فإذا رجل ضعيف عليه أخلاق فقلت : هذا ، فقال ﷺ : « والذى نفسى بيده لهذا عند الله يوم القيامة أفضل من قراب الأرض من هذا » .

﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ : قال ابن عباس : يعنى كثيراً بغير فوت ولا هتداز لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل .

وقال الضحاك : يعنى من غير تبعة ، يرزقه فى الدنيا ولا يحاسبه ولا يعاقبه فى الآخرة . وقيل إن هذا راجع إلى الله ثم هو يحتمل على هذا القول معنيين : أحدهما أنه لا يُفترض عليه ، ولا يُحاسب فيما يرزق ، ولا يقال له : لما أعطيت هذا ، وحرمت هذا؟ ولم أعطيت هذا

أكثر مما أعطيت ذاك؟ لأنه لا شريك له بما عنده ، ولا قسيم ينازعه .

والمعنى الآخر أنه لا يخاف نفاذ خزائنه فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها إذا كان الحساب من المعطى ، وإنما يكون ليعمّ أقدر العطاء لئلا يتجاوز فى عطائه إلى ما يجحف به فهو لا يحتاج إلى الحساب ؛ لأنه عالم غنى لا يخاف نفاذ خزائنه لأنها بين الكاف والنون .

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ : الآية ، قال الحسن وعطاء : كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح عليه السلام أمة واحدة على ملّة واحدة وهى الكفر ، كانوا كفاراً كلّهم أمثال البهائم فبعث الله نوحاً وإبراهيم وغيرهما من النبيين .

قتادة وعكرمة : كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة ، وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلّهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ، ثم اختلفوا فى زمن نوح عليه السلام ؛ فبعث الله إليهم نوحاً وكان أول نبي بُعث ثم بعث بعده النبيين .

وقال الكلبي ، والواقدي : أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين كلّهم ثم اختلفوا بعد وفاة نوح .
﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ : وروى عن ابن عباس قال : كان الناس على عهد إبراهيم أمة واحدة كفاراً كلّهم ، وولد إبراهيم فى جاهلية فبعث الله إليهم إبراهيم وغيره من النبيين .

روى الربيع عن أبي العالية عن أبي قال : كان الناس حين عُرضوا على آدم وأُخرجوا من ظهره وأقروا بالعبودية أمة واحدة مسلمين كلّهم ، ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم ، ثم اختلفوا بعد آدم فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ، فى قراءة أبى وعبد الله بن إسحاق : فاختلفوا فبعث الله النبيين .

وقال محمد بن يسار ومجاهد : كان الناس أمة واحدة يعنى آدم وحده ، سُمى الواحد بهذا لأنه يحمل النسل وأبو البشر ، ثم خلق الله حواء ونشر منهما الناس فانتشروا وكثروا وكانوا مسلمين كلّهم إلى أن قتل قابيل هايل فاختلفوا حينئذ فبعث الله حينئذ .

قال الثعلبي : ورأيت فى بعض التفاسير : كان الناس أمة واحدة فى الجنة لا أمرٌ عليهم ولا نهى فبعث الله النبيين وجملتهم مائة وأربعة وعشرون ألفاً ، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والمذكور فى القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبياً .

﴿مُبَشِّرِينَ﴾ : بالثواب من آمن وأطاع . ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ : محذّرين بالعذاب من كفر وعصى .
موسى بن عبيد عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «صَلُّوا عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَهُمْ كَمَا بَعَثَنِي» .

﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ : أى الكتب فأنزل معهم الكتاب . ﴿بِالْحَقِّ﴾ : بالعدل والصدق

﴿لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾: قراءة العامة بفتح الياء وضم الكاف وهو فى القرآن فى أربعة مواضع: هنا وفى آل عمران وفى النور موضعان. وقرأها كلها أبو جعفر القارئ وعاصم الجحدري بضم الياء وفتح الكاف لأن الكتاب الحكم على الحقيقة إنما يُحْكَمُ به، ولقراءة العامة وجهان: أحدهما على سعة الكلام كقوله ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ (الجنات: ٢٩). والآخر أن معناه: ليحكم كل نبي بكتابه، وإذا حكم بالكتاب فكأنما حكم الكتاب ﴿فِيمَا اختلفوا فيه وما اختلف فيه﴾: أى فى الكتاب ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: أعطوه وهم اليهود والنصارى ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾: يعنى أحكام التوراة والإنجيل.

قال الفراء: لاختلافهم معنيين: أحدهما كفر بعضهم بكتاب بعض كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ (النساء: ١٥٠) الآية... (١) وتكفير ببعض، والآخر تحريفهم وتبديلهم كتاب الله تعالى كقوله: ﴿يُحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٦).

وقيل: هذه الآية راجعة إلى محمد ﷺ وكتابه ﴿اختلف فيه﴾ أهل الكتاب ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ صفة محمد ﷺ فى كتبهم ﴿بغياً﴾ ظلماً وحسداً ﴿ينهمر فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه﴾ كقوله: ﴿هدننا لهذا﴾ (الأعراف: ٤٣) وقوله: ﴿من الحق بإذنه﴾ بعلمه وإرادته فيهم.

وقال ابن زيد فى هذه الآية: اختلفوا فى الصلاة؛ فمنهم من يصلى إلى المشرق، ومنهم من يصلى إلى المغرب، ومنهم من يصلى إلى بيت المقدس؛ فهدانا الله للكعبة، واختلفوا فى الصيام، فمنهم من يصوم بعض يوم، ومنهم من يصوم بعض ليلة، فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا فى يوم الجمعة، أخذت اليهود السبت وأخذت النصارى الأحد، فهدانا الله له، واختلفوا فى إبراهيم، فقالت اليهود: كان يهودياً، وقال النصارى: كان نصرانياً، فهدانا الله للحق من ذلك، واختلفوا فى عيسى فجعلته اليهود ابناً، وجعلته النصارى رباً، فهدانا الله منه للحق.

﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أمر حبيتم أن تدخلوا الجنة الآية، قال قتادة والسدى: نزلت هذه الآية فى غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والمشقة والحر والبرد وضيق العيش، وأنواع الأذى كما قال: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ (الأحزاب: ١٠) وقيل: إنها نزلت فى حرب أحد ونظيرها فى آل عمران.

وقال: إن عبد الله بن أبى وأصحابه قالوا لأصحاب رسول الله ﷺ: إلى متى تقتلون أنفسكم ولا تملكون أموالكم، ولو كان محمد نبياً لما سلط عليه الأسر والقتل، فقالوا: لا جرم

(١) بياض بالأصل المخطوط.

أَنَّ مَنْ قُتِلَ مَنَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، فقالوا: إلى متى تمنون أنفسكم الباطل وقد استمتمت إلى هذه الآية .
 وقال عطاء: لما دخل رسول الله ﷺ المدينة اشتدَّ الضرُّ عليهم لأنهم خرجوا بلا مال فتكون
 أرضهم وأموالهم في أيدي المشركين؛ فأثروا رضا الله عزَّ وجلَّ ورضا رسوله ﷺ، وأظهر
 اليهود العداوة لرسول الله ﷺ، وأسروا قوم من الأغنياء النفاق فأنزل الله تطيباً لقلوبهم ﴿أَمْ
 حَسِبْتُمْ﴾ وهو ابتداء بأم من غير استفهام، فالألف والميم صلة معناه: أحسبتم، قاله الفراء .
 وقال الزجاج: معناه: بل حسبتهم، كقول الشاعر:

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنِقِ الضُّحَى وَصَوْرَتِهَا أَمْ أَنْتَ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ
 أَى بَلٍ وَأَنْتَ، وَكُلِّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنْ هَذَا النَّحْوِ فَهَذَا سَبِيلُهُ وَتَأْوِيلُهُ، وَمَعْنَى الْآيَةِ أَظَنَنْتُمْ
 وَالرَّسُولَ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾ يَعْنِي وَلَمْ يَأْتِكُمْ وَحَاصِلُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرَجَ
 مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٣) وَقَالَ النَّابِغَةُ:

أَزْفَ التَّرْحَلْ غَيْرَ أَنْ رَكَابِنَا لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدْ

أَى لَمْ تَزَلْ ﴿مِثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ مَضَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَسَتَّهَمُوا .
 ثُمَّ ذَكَرَ مَا أَصَابَهُمْ فَقَالَ: ﴿سَتَّهَمُوا الْبِئْسَاءُ﴾ يَعْنِي الْفَقْرَ وَالضَّرَّ وَالشَّدَّةَ وَالْبَلَاءَ ﴿وَالضَّرَّاءُ﴾
 الْمَرَضُ وَالزَّمَانَةُ ﴿وَزُلْزَلُوا﴾ حُرِّكَوا بِأَنْوَاعِ الْبَلَايَا وَالرِّزَايَا وَخُوفُوا ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 مَعَهُ رَمَقُوا نَصْرَ اللَّهِ﴾ مَا تَلَّكَ الْبَلَايَا حَتَّى اسْتَبَطَّوْا الرِّزْقَ، قَالَ اللَّهُ: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾
 وَاخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ فَقَرَأَ مُجَاهِدٌ بفتح وضمّة .

الأعرج: يقول رفعا، وقرأها الآخرون نصبا، فمن نصب فعلى ظاهر الكلام لأن حتى
 تنصب الفعل المستقبل، ومن رفع لأن معناه حتى قال الرسول، وإذا كان الفعل الذي يلي حتى
 فى معنى الماضى ولفظه لفظ المستقبل، فلك فيه دون الرفع والنصب، فالرفع لأن حتى لا
 تعمل فى الماضى، والنصب بإضمار أن الخفيفة عند البصريين، وبالصرف عند الكوفيين، مثل
 قولك: سرنا حتى ندخل مكة بالرفع أى حتى دخلناها، فإذا كان بمعنى المستقبل فالنصب لا
 غير .

وقال وهب بن منبه: يوجد فيما بين مكة والطائف سبعون نبيا ميتين كان سبب موتهم الجوع
 والعمل، وقال وهب أيضا: قرأت فى كتاب رجل من الحواريين إذا سلَّك بك سبيل البلاء فقرَّ
 عينا، فإنه سلَّك بك سبيل الأنبياء والصالحين . وإذا سلَّك بك سبيل الرخاء فابك على نفسك
 لأنه حاد بك عن سبيلهم .

شعبة عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه سأل النبي ﷺ: أى الناس أشدَّ

بلاء فقال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل من الناس، فيتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان صلب الدين اشتدّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقة فهي على حسب ذلك، ولا يبرح البلاء عن العبد حتى يدعه يمشى على الأرض وليس عليه خطية».

وعن عبد الرحمن بن زهل قال: كان وزير عيسى عليه الصلاة والسلام ركب يوماً فأخذه السبع فأكله فقال عيسى: يا رب! وزيرى فى دينك، وعونى على بنى إسرائيل، وخليفتى من سلطت عليه كلبك فأكله، قال: نعم كانت له عندى منزلة رفيعة، لم أجد عمله بلغها فابتليته بذلك لأبلغه تلك المنزلة.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾: الآية، نزلت فى عمرو بن الجموح، وكان شيخاً كبيراً ذا مال، فقال: يا رسول الله بماذا أتصدق وعلى من أتصدق؟ فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ وفى قوله (ذا) وجهان من الإعراب: أحدهما أن يكون ماذا بمعنى أى شىء وهو متعلق بقوله ينفقون وتقديره: يسألونك أى شىء ينفقون، والآخر أن يكون رفعاً بما والمعنى: ويسألونك ما الذى ينفقون؟ ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أى مال ﴿فَلِللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّ السَّبِيلَ وَمَا تَقَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ عالم به بتعاليم الدين، هذا قبل أن تفرض الزكاة فنسخت الزكاة هذه الآية.



﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطعوا ومن يردد منكم عن دينه قيمت وهو كافر فأولئك حطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ فرض عليكم القتال، واختلف العلماء فى حكم هذه الآية، فقال بعضهم: عنى بذلك أصحاب رسول الله ﷺ خاصة دون غيرهم، وقال ابن جريج قلت لعطاء: قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ أوجب الغزو على الناس من أجلها أو كتب

على أولئك حينئذ؟ وأجرى بعضهم الآية على ظاهرها فقال: الغزو فرض واجب على المسلمين كلهم إلى قيام الساعة.

روى ابن أبي أنيسة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان: الكفّ عمّن قال: لا إله إلا الله ما لم يره بذنب، ولا يخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله ظن ولا شك، والإيمان بالأقدار».

أبو صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزوات على شعبة من النفاق» وقال بعضهم: هو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين.

عن أحمد بن أمار: ورد السلام وتشميت العاطس وهو القول الصحيح المشهور الذي عليه الجمهور.

وقال الزهري والأوزاعي: كتب الله الجهاد على الناس غزوا أو قعدوا، فمن غزا فيها ونعمت، ومن قعد فهو حرّ، إن استعين به أعان وإن استنفر نفر وإن استغنى عنه قعد، فإنما يرجع عليه عطاء الواجب المال وإلا فلا، من شاء غزا ومن شاء لم يغز، ويدل على صحة هذا القول قول الله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (النساء: ٩٥)، ولو كان القاعدون مضيعين فرضاً لكان لهم السوأى لا الحسنى والله أعلم. ﴿وَهُوَ كَرِهٌ لَكُمْ﴾ شاق عليكم، واتفق القراء على ضم الكاف ههنا إلا أبا عبد الرحمن السلمى، فإنه قرأها (وهو كره) بفتح الكاف وهما لغتان بمعنى واحد، مثل الغسل والغسل، والضعف والضعف، والرهب والرهب، وقال أكثر أهل اللغة: الكره بالضم المشقة وبالفتح الإجهاد. بعضهم: الكره بالفتح المصدر، وبالضم الاسم.

وقال أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما يدخل فيه على المال من المؤونة وعلى النفس من المشقة وعلى الروح من الخطر لأنهم أظهروا الكراهة أو كرهوا أمر الله عز وجل.

قال عكرمة: نسختها هذه الآية ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (البقرة: ٢٨٥) يعنى أنهم كرهوه ثم أحبوه ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ قال الله عز وجل: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لأن فى الغزو إحدى الحسنين إما الظفر والغنيمة، وإما الشهادة والجنة ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ يعنى القعود عن الغزو ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لما فيه من الذل والصغر وحرمان الغنيمة والأجر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال ابن عباس : كنت ردف النبي ﷺ فقال : «يا بن عباس ارض عن الله بما قدر وإن كان خلاف هواك إنه مثبت في كتاب الله» .

قلت : يا رسول الله أين وقد قرأت القرآن ، قال : «مكانيين» ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

عاصم بن علي المسعودي قال : قال الحسن : لا تكره الملمات الواقعة والبلايا الحادثة فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك ، ولرب أمر ترجوه فيه عطبك ، وأنشد أبو سعيد الضرير :

رباً أمر تتقيه جرّاً أمراً ترتضيه خفى المحبوب منه وبدا المكروه فيه

وأنشد محمد بن عرفة لعبد الله بن المعتز :

لا تكره المكروه عند نزوله إن الحوادث لم تزل متباينه
كم نعمة لا تستقل بشكرها لله في درج الحوادث كامنه

عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه قال : بعث المتوكل إلى محمد بن الليث رسولاً وقد كان بقي مدة في منزله فلما أتاه الرسول امتثل فركب بلا روح خوفاً فمر به رجل وهو يقول :

كم مرة حفت بك المكاره خارا لك الله وأنت كاره

فلما دخل على المتوكل ولآه مصر وأمر له بمائة ألف وجميع ما يحتاج إليه من الآلات والدواب والغلمان .

قال الثعلبي : أنشدني الحسن بن محمد قال : أنشدني أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح قال : أنشدني محمد بن الفرحان :

كم فرحة مطوية لك بين أثناء النوائب ومضرة قد أقبلت من حيث تنتظر المصائب

قال : وأنشدنا أبو القاسم الحبيبي قال : أنشدنا أبو عبد الله الواحشي :

ربما خير الفتى وهو للخير كاره ثم يأتي السرور من حيث تأتي المكاره

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ : الآية ، قال المفسرون : بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش وهو ابن عمّة النبي ﷺ في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس ستة عشر شهراً من مقدمه المدينة ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين : سعد بن أبي وقاص الزهري وعكاشة بن محصن الأسدي وعتبة بن غزوان السلمى وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل ابن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكر وكتب بإمرة عبد الله بن جحش كتاباً وقال : سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين ، فإذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقراه على أصحابك ، ثم امض لما أمرتك ، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على السير

معك ، فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها غير قريش لعلك أن تأتينا منه بخير ، فلما نظر عبد الله بن جحش قال : سمعاً وطاعة ثم قال ذلك لأصحابه وقال : إنه قد نهاني أن استكره أحداً منكم ، فمن كان يريد الشهادة فليطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فإني ماض لأمر رسول الله ﷺ .

ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه أحد حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له : نجوان أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يتعقبانه فاستأذنا أن يتخلفا في طلب بعيرهما ، فأذن لهما فتخلفا في طلبه ، ومضى عبد الله ببقيتهم حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف ، فبينما هم كذلك إذ مرّ بهم غير لقريش تحمل زبيياً وأديماً وتجارة من تجار الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله الحزوميان ، فلما رأوا أصحاب رسول الله ﷺ خافوهم ، فقال عبد الله بن جحش : إن القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم فليتعرض لهم فإذا رأوه مخلوقاً أمناً ، وقالوا : قوم عمار ، فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم وقالوا : قوم عمار لا بأس عليكم فأمنواهم .

وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون أنه من جمادى وهو من رجب ، فتشاور القوم بينهم وقالوا : لئن تركتموهم هذه الليلة لتدخلن الحرم فليمنعن منكم فأجمعوا أمرهم في مواجهة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، فكان أول قتيل من المشركين واستأسروا الحكم وعثمان فكانا أول أسيرين في الإسلام وأفلت الآخران فأعجزاهم ، واستاق المؤمنون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة ، فقالت قريش : قد استحل محمد الشهر الحرام ، شهراً يأمن فيه الخائف ويندعر فيه الناس لمعايشهم ، فسفك فيه الدماء ، وأخذ فيه الحرائر ، وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين ، وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه ، وتفاءلت اليهود بذلك وقالوا : واقد : وقدت الحرب ، وعمرو : عمرت الحرب ، والحضرمي : حضرت الحرب .

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لابن جحش وأصحابه : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ، ودفعت العير والأسيرين فأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً ، فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أن قد هلكوا وسقطوا في أيديهم وقالوا : يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أفى رجب أمسينا أم في جمادى ، وأكثر الناس في ذلك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية فأخذ رسول الله العير فعزل منها الخمس ، فكان أول خمس في الإسلام ،

وقسم الباقي بين أصحاب السرية، فكان أول غنيمة في الإسلام، وبعث أهل مكة في فداء أسيرهم فقال: بل نوقفهم حتى يقدم سعد وعتبة وإن لم يقدما قتلناهما، فلما قدما فداهم .
وأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة ومات فيها كافراً، وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق على المسلمين، فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعاً، وقتله الله وحجب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله ﷺ: «خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية» فهذا سبب نزول قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ يعنى توخيًا، سُمى بذلك لتحريم القتال فيه لعظم حرمة، وكذلك كان يسمى في الجاهلية، تنزع الأسنّة وتفصل النصال، لأنهم كانوا ينزعون الأسنّة والنصال عند دخول رجب انطواء على ترك القتال فيه، وكان يدعى الأصم لأنه لا تسمع فيه قعقة السلاح فنسب الصمم إليه، كما قيل: ليل نائم، وسرّ كاتم.

يدل عليه ما روى عطاء عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن رجب شهر الله ويدعى الأصم، وكان أهل الجاهلية إذا دخل رجب يعطلون أسلحتهم ويضعونها، وكان الناس يأمنون ويأمن السبيل فلا يخاف بعضهم بعضاً حتى ينقضى».

﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾: خفضه على تكرير (عن) تقديره: وهل قتال فيه وكذلك هي في قراءة عبد الله ابن مسعود والربيع بن أنس ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيم ثم كلام ثم قتال: ﴿وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ منع عن سبيل الله على الابتداء وخبره أكبر، وذلك حين منعوا رسول الله ﷺ عن البيت ﴿وَكَفَّرَ بِهِ﴾ أى بالله ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أى والمسجد ﴿وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ﴾ أى أهل المسجد ﴿مِنَهُ أَكْبَرٌ﴾ وأعظم وزراً وعقوبة ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةِ﴾ أى الشرك أكبر من القتل، يعنى قتل ابن الحضرمي فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن جحش إلى مؤمنى مكة: إذا غيركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر وإخراج رسول الله ﷺ من مكة ومنعهم عن البيت .

ثم قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ يعنى مشركى قريش وهو فعل لا مفعول له مثل عسي ﴿يَقْتُلُونَكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿حَتَّى يَرُدُّوكُمْ﴾ يصدوكم ويصرفوكم ﴿عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قِيمَتٌ﴾ جزم بالنسق ولو كان جواباً كان . . . (١) ﴿وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ حسناتهم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ وأصل الحبط من الحباط، وهو أن تنتفخ بطنه فيموت، ثم سمي الهلال حبطاً، وقرأ الحسن حبطت بفتح الباء فى جميع القرآن يحبط بكسر

الباء ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فقال أصحاب السرية: يا رسول الله هل نوثم على رجينا وهل نطمع أن يكون سفرنا هذا غزواً؟ فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم ﴿وَجَاهِدُوا﴾ المشركين فى نصرته الدين ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فى طاعة الله، فجعلها جهاداً ﴿وَأُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.



﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فى الدنيا والآخرة ويسألونك عن ألتسمى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا مَئِمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجَبْتُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَا أُعْجَبْتُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ نزلت فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعاذ بن جبل ونفر من الأنصار أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أفتنا فى الخمر والميسر فإنها مذهبة للعقل، مسلبة للمال، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وجملة القول أن تحريم الخمر على أقوال المفسرين والحُفَاطِ مختلفة وبعضها متفقة. هى أن الله أنزل فى الخمر أربع آيات نزلت بمكة ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ (النحل: ٦٧) وهو المسكر، وكان المسلمون يشربونها وهى لهم يومئذ حلال، ونزلت فى مسألة عمر ومعاذ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ رَبِّكُمْ تَقَدَّمَ فى تحريم الخمر﴾. فتركها قوم لقوله: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ وقالوا: لا حاجة لنا فى شىء فيه إثم كبير لقوله: ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ وكانوا يتمتعون بمنافعها ويجتنبون آثامها إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعا ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ وأمامهم الخمر فشربوا وسكروا، وحضرت صلاة المغرب فقدموا بعضهم لىصلى بهم فقراً (قل يا أيها الكافرون. أعبدا ما تعبدون). إلى آخر السورة فحذف (لا)، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ فحرم المسكر

فى أوقات الصلاة فقال عمر: إن الله يقارب فى النهى عن شرب الخمرة، فلا أراه إلاّ وسيحرمها فلما نزلت حرم الله تركها قوم وقالوا: لا خير فى شىء يحول بيننا وبين الصلاة.

وكان قوم يشربونها ويجلسون فى بيوتهم، وكانوا يتركونها أوقات الصلاة، ويشربونها فى غير حين الصلاة إلى أن شربها رجل من المسلمين فجعل ينوح على قتلى بدر ويقول:

وتحيتى بالسلامة أم بكر	وهل لك بعد رهطك من سلام
ذرىنى أصطبح بكرًا فإنى	ليت الموت يبعد عن خيام
وودّ بنو المغيرة لو فدوه	بألف من رجال أو سوام
كأنى بالطوى طوى بدر	من الشيزى يكلك بالسنام
كأنى بالطوى طوى بدر	من الفتیان والحلل الكرام

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج مسرعًا يجرّ رداءه حتى انتهى إليه ورفع شيئًا كان بيده ليضربه، فلما عاينه الرجل قال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله، والله لا أطعمها أبدًا.

وكان من حمزة بن عبد المطلب ما روى الزهرى عن على بن الحسين عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: كانت لى شارف من نصيبى من المغنم ودفع إلى رسول الله ﷺ عليه نثاره من الخمس من الصواغين وأستعين بثمانه على الدخول بفاطمة وعرسها.

قال: فحملت شارفى عند حائط رجل من الأنصار ومضيت لأجمع الحبال والغرائر والأقتاب وجئت وقد بقر بطن شارفى واجتبتّ تسنمتها قال: فلم أملك عينى أن بكيت ثم قلت: من فعل هذا بشارفى؟ قالوا: عمك فعله وهذا هو فى البيت معه شراب، عندهم قينة وحلفوا فقالت:

ألا يا حمزُ المشرف النواء	وهنّ معقلات بالفناء
زج السكين فى اللبات منها	فضرجهن حمزة بالدماء
وأطعم من شرائحها كبابا	مهلوجة على رهج الصلاء
فأصلح من أطايبها طيخًا	لشربك من قدير أو شواء
فأنت أبا عمارة المرجى	لكشف الضرّ عتًا والبلاء

فقام إلى شارفك فقتلتهما، قال على: فجئت رسول الله ﷺ وهو فى بيت أم سلمة معه مولاه زيد قال: ما جاء بك فداك أبى وأمى يا على، قلت: ما فعل عمك بشارفى وخبرته

الخبر، فقام رسول الله ﷺ فلبس نعليه ورداءه ثم انطلق يمشى واتبعته أنا وزيد فسلم واستأذن ودخل البيت وقال: يا حمزة ما حملك على ما فعلت بشارفى ابن أخيك؟ فرفع رأسه وجعل ينظر إلى يدي رسول الله ﷺ وإلى ساقيه، فصوّب النظر إليه، ثم قال: ألتسم وآباؤكم عبيد لأبى، فرجع رسول الله ﷺ القهقري وقال: إن غنمك وجمالك علىّ فغرّمهما لى رسول الله ﷺ.

فلما أصبح غدا حمزة على رسول الله ﷺ يعتذر فقال: مه يا عمّ فقد سألت الله فعفا عنك. قالوا: واتخذ عتبان بن مالك طعاماً فدعا رجالاً من المسلمين فيهم سعد بن أبى وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير، فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم، ثم إنهم افتخروا عند عتبان وانتسبوا وتناشدوا الأشعار، فأنشد سعد قصيدة فيها هجو الأنصار وفخر لقومه، فقام رجل من الأنصار وأخذ لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجّة شجّة، فانطلق سعد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه الأنصارى فقال عمر رضى الله عنه: اللهم بين لنا رأيك فى الخمر بياناً وافياً، فأنزل الله تحريم الخمر فى سورة المائدة ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ (المائدة: ٩٠) إلى ﴿مُتْمَتُونَ﴾ (المائدة: ٩١) وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام فقال عمر: انتهيينا يا رب.

قال أنس: حرمت ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها إليهم يوم حرمت عليهم، ولم يكن شىء أثقل عليهم من تحريمها قال: فأخرجنا الحجاب إلى الطريق فصبينا ما فيه، فمنا من كسر حبه، ومنا من غسله بالماء والطين، ولقد غدت أزقة المدينة بعد ذلك الحين كلما مطرت استبان بها لون الخمر وفاحت ريحها.

فأمّا ما هية الخمر فاختلف الفقهاء فيها فقال بعضهم: هو خاص فيما اعتصر من العنبه والنخلة فعلى بطبعه دون عمل النار فيه فإن ما سوى ذلك ليس بخمر، وهذا مذهب سفيان الثورى وأبى حنيفة وأبى يوسف وأكثر أهل رأى، ثم اختلفوا فى المطبوخ فقالوا: كل عصير طبخ حتى يذهب ثلثاه فهو حلال إلا أنه يكره، فإن طبخ حتى يذهب ثلثاه وبقى ثلثه فهو حلال مباح شربه ويبيعه إلا أن المسكر منه حرام، واحتجوا فى ذلك بما روى أبو كثير عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبه». واختلفوا فى المطبوخ بالشمس^(١) روى نباتة عن سويد بن غفلة قال: كتب عمر بن الخطاب إلى بعض عماله أن رزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقى ثلثه.

وعن ابن سيرين أن عبد الله بن سويد الخطمى قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب: أما بعد

(١) بياض بالأصل المخطوط.

فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فإنه له اثنين ولكم واحد .

وعن أنس بن سيرين قال : سمعت أنس بن مالك يقول إن نوحًا عليه السلام نازعه الشيطان في عود الكرم فقال هذا : هذا لي ، وقال هذا : هذا لي فاصطلحا على أن نوح ثلثها وللشيطان ثلثاها .

ابن أبيّ وأبى عن داود قال : سألت سعيد بن المسيّب ما الرّب الذي أحلّه عمر رضى الله عنه ، قال : الذي يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه .

وعن قيس بن أبي حدّث عن موسى الأموى أنه كان يشرب من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه .

وعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيّب قال : إذا طبخ الطلاء على الثلث فلا بأس ، وبه قال المسوّر .

وقال الثعلبي : والذي عندي أن هذه الأخبار وردت في ثلث غير مسكر . يدلّ عليه ما روى سويد بن نصير عن عبد الله بن عبد الملك بن الطفيل الجزرى قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : لا تشربوا من الطلاء حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ، كل مسكر حرام ، وقال قوم : إذا طبخ العصير أدنى طبخ فصار طلاء وهو قول إسماعيل بن عليّة وجماعة من أهل العراق .

وروى عن عيسى بن إبراهيم أنه لا يحرمّ شيئًا من الأنبذة لا النىّ منها ولا المطبوخ إلا شراب واحد ، وهو عصير العنب النيّ الشديد الذي لم يدخله (ماء وتغيرات من) الخمر فقط .

واستدلّ بما روى ابن الأحوص عن سماك عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بردة ابن سهل قال : قال رسول الله ﷺ : « اشربوا في الظروف ولا تسكروا » قال أبو عبد الرحمن السدى الحديث منكر ، غلط فيه أبو الأحوص سلام بن سليم ، لا نعلم أحدًا كان يعول عليه من أصحاب سماك ، وسماك أيضًا ليس بقوى ، وكان يقبل التلقين .

قال أحمد : قيل : كان أبو الأحوص غلا في هذا الحديث . خالفه شريك في إسناده ولفظه ، رواه شريك عن سماك بن حرب عن أبي بردة عن أبيه أن رسول الله ﷺ نهى عن الدبّا والحنتم والتقير والمزفت ، وأجمعوا أيضًا بما أسندوا إلى سماك عن قرصافة امرأة منهم عن عائشة قال : اشربوا ولا تسكروا .

قال الإمام أبو عبد الرحمن هذا غير ثابت ، وقرصافة لا ندرى من هى ، والمشهور عن عائشة ما روى سويد بن نصر عن عبد الله عن قدامة العامرى أن جصرة بنت دجاجة العامرية

حدثتنا قالت : سمعت عائشة سألتها إياس عن النبيذ قالوا : نبيذ الخمر غدوة ونشربه عشياً ، ونبيذه عشياً ونشربه غدوة ، قالت : لا أحلّ مسكراً وإن كان خبزاً ، قالوا : قالت ثلاث مرات .

واعتلوا بما روى هشيم عن ابن شبرمة قال : حدثني الثقة عن عبد الله بن شدّاد عن ابن عباس قال : حرمت الخمر منها ، قليلها وكثيرها ، والمسكر من كل شراب .

وهذا أولى بالصواب لما روى سفيان عن أبي الجويرية الجرمي قال : سألت ابن عباس عن الباذق قال : ما أسكر فهو حرام ، وعن شعبة عن سلمة بن كميل قال : سمعت أبا الحكم يحدث قال : قال ابن عباس : من سرّه أن يحرم ما حرم الله ورسوله فليحرم النبيذ .

واعتلوا أيضاً بما أسندوه إلى عبد الملك بن نافع قال : رأيت ابن عمر رأيت رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ بقدرح فيها نبيذ وهو عند الركن ، فدفع إليه القدرح فرفعه إلى فيه فوجده شديداً فردّه إلى صاحبه ، فقال له رجل من القوم : يا رسول الله أحرام هو؟ قال ، علىّ بالرجل فأتى به فأخذ منه القدرح ، ثم دعاها فصبّه فيه ثم رفعه إلى فيه فصبّه ، ثم دعاها أيضاً فصبّه فيه ثم قال : أما إذا عملت فيكم هذه الأوعية فاكسروا متونها بالماء .

قال أبو عبد الرحمن : عبد الملك بن رافع هو مشهور ولكن حدثني وأخبرنا عن الزبير خلاف حكاية ما روى وهب بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر حرام ، وكل مسكر خمر » .

وروى ابن سيرين عن ابن عمر قال : المسكر قليله وكثيره حرام ، وروى أبو عوانة عن زيد ابن عمر قال : سألت ابن عمر عن الأشربة فقال : اجتنب كل شيء فيه شيء مسكر ، واحتجوا أيضاً بما أسندوه إلى يحيى بن يمان عن سفيان عن منصور عن مخلد بن سعيد عن ابن مسعود قال : عطش النبي ﷺ حول الكعبة فاستسقى فأتى بنبيذ من السقاية فشمه وقطب وقال : « علىّ بذنوب من زمزم » فصبّه عليه ثم شرب فقال رجل : أحرام هو يا رسول الله قال : « لا » .

قال أبو عبد الرحمن : هذا خبر ضعيف لأن يحيى بن يمان انفرد به دون أصحابه سفيان ، ويحيى بن يمان لا يحتج بحديثه ، لكثرة خطئه وسوء حفظه ، وعن زيد بن واقد عن خالد بن الحسين قال : سمعت أبا هريرة يقول : علمت أن رسول الله ﷺ كان يصوم في بعض الأيام التي كان يصومها ، فتحينت فطره بنبيذ صنعته في دباء ، فلما كان المساء جئته أحملها إليه فقلت يا رسول الله إنني علمت أنك تصوم في هذا اليوم فتحينت فطرك بهذا النبيذ فقال : ادنُ مني يا أبا هريرة فرفعه إليه فإذا هو ينش فقال : « خذ هذه واضرب به الحائط ، فإن هذا شراب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر » .

واحتجوا أيضاً بما أسندوه إلى سفيان عن يحيى بن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : تلت ثقيف عمر بشراب فدعا به ، فلماً قربه إلى فيه كرهه فخلطه بالماء فقال : هكذا فافعلوا . واحتجوا بما أسندوه إلى أبي رافع أن عمر بن الخطاب قال إذا خشيت من نبيذ لشدة فاكسره .

واحتجوا بما قاله بعض أصحابنا وهو عبد الله بن المبارك معنى اكسره بالماء من قبل أن يشتد ، ودليل هذا التأويل ما روى ابن شهاب هو سفيان بن يزيد أن عمر خرج عليهم فقال : إني وجدت من فلان ريح الشراب فزعم أنه شرب الطلا فإني سائل عما يشرب فإن كان مسكراً جلده فجلده عمر الحد تاماً .

وروى إبراهيم عن ابن سيرين قال : يعد عصيراً ممن متّخذة طلا ولا يتخذه خمراً قال أبو سعيد الطلاء الذي قد طبخ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ، سمي بذلك لأنه شبيه بطلاء الإبل في ثخنه وسواده .

قال عبيد بن الأبرص :

هي الخمر تكنى الطلاء كما الذئب يكنى أبا جعدة

قال الثعلبي : الطلاء الذي ورد فيه الرخصة إنما هو الرُّبّ فإنه إذا طبخ حتى يرجع إلى الثلث فقد ذهب سكره وشره وخلا شيطانه .

واحتجوا أيضاً بما روى هشيم عن المغيرة عن إبراهيم أنه أهدى له بطيخ خائر فكان تبيّنه ويلغى فيه المسكر .

وعن مغيرة عن أبي معشر عن إبراهيم قال : لا بأس بنبيذ البطيخ .

عن أبي أسامة قال : سمعت ابن المبارك يقول : ما وجدت الرخصة في المسكر عن أحد صحيح إلا عن إبراهيم .

حماد بن سلمة عن عمر عن أنس قال : كان لأُم سلمة قرح فقالت : سقيت رسول الله ﷺ كل الشراب : الماء والعسل واللبن والنبيذ .

وعن ابن شبرمة قال : قال طلحة بن مصرف لأهل الكوفة في النبيذ فقال : يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ، قال : وكان المقداد والزبير يسقيان اللبن في العسل فقيل لطلحة : ألا نسقيهم النبيذ؟ قال : إني أكره أن يسكر مسلم في سنتي .

وعن سفيان قال : ذكر قول طلحة عند أبي إسحاق في النبيذ فقال ابن إسحاق : قد سقيته أصحاب عليّ وأصحاب عبد الله في الخوافي قبل أن يولد طلحة ، وعن ابن شبرمة قال : رحم

الله إبراهيم شدّد الناس فى النبيذ ورخص فيه .

واحتجوا أيضاً بما أسندوه إلى عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ بينما هو يسير إذ حل بقوم فسمع لهم لغطاً فقال: ما هذا الصوت؟ قالوا: يا نبي الله لهم شراب يشربونه، فبعث النبي إليهم فدعاهم فقال: فى أى شىء تنبذون؟ قالوا: ننبذ فى النقيير وفى الدباء وليس لنا ظروف، فقال: لا تشربوا إلا ما أوكيتم عليه، قال: فلبث بذلك ما شاء الله أن يلبث، فرجع إليهم فإذا هم قد أصابهم وباء وصفروا فقال: ما لى أراكم قد هلكتم؟ قالوا: يا نبي الله أرضنا وبيئته وحرّمت علينا إلا ما أوكينا عليه قال: اشربوا، وكل مسكر حرام.

قالوا: أراد بهذا الخمر الذى يحصل منه السكر، لأن التنبذ ذلك الطرب والنشاط ولا يحصلان إلا عن شراب مسكر.

أبو الزبير عن جابر أن النبي ﷺ كان ينبذ له فى قدر من عفاره .

قال الثعلبى: ويحتمل أن لهذه الأخبار وأمثالها معنيين: أحدهما أنها كانت قبل تحريم الخمر، والمعنى الآخر وهو أقربهما إلى الصواب أنهم أرادوا بالنبيذ الماء الذى ألقى فيه التمر أو الزبيب حتى أخذ من قوته وحلاوته قبل أن يشتدّ ويسكر، يدلّ عليه ما روى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يصنع له النبيذ فيشربه يومه والغد وبعد الغد.

وروى الأعمش عن يحيى بن أبى عمرو عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يُنبذ له نبيذ الزبيب من الليل ويُجعل فى سقاء فيشربه يومه ذلك والغد وبعد الغد، فإذا كان من آخر الآنية سقاه أو شربه فإن أصبح منه شىء أراقه .

وعن عبد الله بن الديلمى عن أبيه فيروز قال: قدمت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنا أصحاب كرم وقد أنزل الله تحريم الخمر، فماذا نصنع؟ قال: تتخذونه زيباً، قلت: فنصنع بالزبيب ماذا، قال: تنقعونه على غدائكم، وتشربونه على عشائكم، وتنقعونه على عشائكم، وتشربونه على غدائكم، قلت: أفلا نؤخره حتى يشتد؟ قال: فلا تجعلوه فى السلال واجعلوه فى الشنان، فإنه إن تأخر صار خمرأ .

وعن نافع عن ابن عمر أنه كان يُنبذ له فى سقاء للزبيب غدوة فيشربه من الليل، ويُنبذ له عشوة فيشربه غدوة، وكان يغسل الأسقية ولا يجعل فيها نردياً ولا شيئاً، قال نافع: وكنا نشربه مثل العسل .

وعن بسام قال: سألت أبا جعفر عن النبيذ قال: كان على بن الحسين يُنبذ له من الليل فيشربه غدوة، ويُنبذ له غدوة فيشربه من الليل .

وعن عبد الله قال : سمعت سفيان - وسئل عن النبيذ - قال : أبذ عشاءً وأشربه غدوة .

فهذه الأخبار تدلّ على أنه نقيع الزبيب والتمر قبل أن يشتد ، وبالله التوفيق .

وقال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبو ثور وأكثر أهل الآثار : إن الخمر كل شراب مسكر سواء كان عصير العنب ما أريد منها ، مطبوخاً كان أو نيئاً وكل شراب مسكر فهو حرام قليله وكثيره . وعلى شاربه الحدّ إلا أن يتناول المطبوخ بعد ذهاب ثلثه فإنه لا يحدّ وشهادته لا تُرد ، والذي يدلّ على حجة هذا المذهب من اللغة أن الخمر أصله الستر ، ويقال لكل شيء ستر شيئاً من شجر أو حجر أو غيرهما خمر ، وقال : وخمر فلان في خمار الناس ، ومنه خمار المرأة وخمرة السجادة ، والخمر سُميَ بذلك لأنه يستر العقل ، يدلّ عليه ما روى الشعبي عن ابن عمر قال : خطب عمر فقال : إن الخمر نزل تحريمها ، وهي من خمسة أشياء : العنب والتمر والحنطة والشعير والعلس ، والخمر ما خامر العقل . وقال أنس بن مالك : سُميت خمرًا لأنهم كانوا يدعونها في الدنان حتى تختمر وتتغير .

وقال سعيد بن المسيّب : إنّما سُميت الخمر لأنها تُركت حتى صفا صفورها ورسب كدرها . وقال أنس : لقد حُرمت الخمر وإنّما عامة خمورهم يومئذ الفضيخ قال : وما كانوا بالمدينة يصنعون الخمر وما عندهم من العنب ما يتخذون وإنّما نسمع الخمر في بلاد الأعاجم وكنا نشرب الفضيخ من التمر والبسر ، والفضيخ ما افتضخ من التمر والبسر من غير أن تمسه النار . وفيه روى عن ابن عمر أنه قال : ليس بالفضيخ ولكنه الفضوخ ، ودليلهم من السنة ما روى نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « كل مسكر خمر ، وكل خمر مسكر حرام » . سالم بن عبد الله عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر خمر وما أسكر كثيره فقليله حرام » .

عن أبي عثمان عمرو بن سالم الأنصاري عن القاسم عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال : ما أسكر الفرق منه فملء كفك منه حرام والفرق إناء يحمل ستة عشر رطلاً . وعن أبي الغصن الملقب بحجى قال : قال لى : هشام بن عروة : هل تشرب النبيذ؟ قلت نعم والله إنى لأشربه قال : إن أبي حدثني عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « كل مسكر حرام أوّلّه وآخره » .

وقال رسول الله ﷺ : إنّ من التمر خمرًا ، وإنّ من العنب خمرًا ، وإنّ من الزبيب خمرًا ، وإنّ من العسل خمرًا ، وإنّ من الحنطة خمرًا ، وإنّ من الشعير خمرًا ، وإنّ من الذرة خمرًا وأنا أنهاكم عن كل مسكر » .

وعن ابن سيرين قال : جاء رجل إلى ابن عمر فقال : إنَّ أهلنا يبنذون لنا شراباً عشاءً فإذا أصبحنا شربناه . فقال : أنهاك عن المسكر قليله وكثيره وأعبد الله عزّ وجلّ ، وأنا أنهاك عن المسكر قليله وكثيره وأعبد الله عزّ وجلّ ، عليك أن أهل خيبر يبنذون شراباً لهم كذا وكذا يسمونه كذا وكذا ، وأن أبيك يبنذ شراباً من كذا وكذا يسمونه كذا وكذا وهي الخمر ، حتى عدّ له أربعة أشربة آخرها العسل .

وعن عكرمة قال : دخل النبي ﷺ على بعض أزواجه وقد نبذوا العصير لهم في كوز فأراه وكسر الكوز .

روى عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال : «ليستحلنّ ناس من أمّتي الخمر باسم يسمونها إياه» .

ويروى عنه أنه قال ﷺ : «أما الخمر لم تحرم لاسمها إنما حرمت لما فيها ، وكل شراب عاقبته الخمر فهو حرام» .

وحكى أن رجلاً من حكماء العرب قيل له : لم لا تشرب النبيذ؟ فقال : الله منحني عقلاً صحيحاً ، فكيف أدخل عليه ما يفسده .

﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ : يعنى القمار قال ابن عباس : كان الرجل فى الجاهلية يقامره الرجل على أهله وماله فأيهما قامر صاحبه ذهب بماله وأهله فأنزل الله تعالى هذه الآية .

والميسر مفعول من قول القائل : يسر هذا الشيء إذا وجب فهو يسر يسراً وميسراً ، والياسر الرامى بقداح وجب ذلك أو مباحه أو غيرهما ، ثم قيل للقمار : ميسر ، وللمقامر : ياسر ويسر قال النابغة :

أو ياسر ذهب القداح بوفره أسف نأكله الصديق مخلع

وقال الآخر :

فبتّ كأننى يسر غيين يقلب بعدما اختلع القداحا

وقال مقاتل : سمي ميسراً لأنهم كانوا يقولون : يسر هو لنا ثمن الجزور ، وكان أصل اليسر فى الجزور ، وذلك أن أهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزوراً فيحزونها ويجزونها اجتزاءً . واختلفوا فى عدد الأجزاء فقال أبو عمرو : عشرة وقال الأصمعى : إنما هى عشرون ثم يضمون عليها عشرة أقداح ويقال : منه الأزلام والأقلام سبعة منها لها أنصباء هى : الفذ وله نصيب واحد ، والتوأم وله نصيبان ، والرفث وله ثلاثة ، والجلس وله أربعة ، والنافس وله خمسة ، والميسيل وله ستة ، والمغلى وله سبعة ، وثلاثة منها لا أنصباء لها وهى النسيج

والسفنح والوغد .

ثم يجعلون القداح فى خريطة تسمى الربابة ، قال أبو ذؤيب :

وكأتهنّ ربابة وكأته
يسر يفيض على القداح ويصدع

ويضعون الربابة على يد رجل عدل عنهم ويسمى المجيل والمفيض ، ثم يجيئها ويخرج قدحاً منها باسم رجل منهم ، فأيهم خرج سهمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج ، فإن خرج له واحد من هذه الثلاثة التى لا أنصباء لها اختلفوا فيه فكل منهم كان لا يعهد شيئاً ويغرم ثمن الجزور كله .

وقال بعضهم : لا يأخذ ولا يغرم ، ويكون ذلك القداح لغواً فيعاد سهمه ثانياً فهؤلاء الياسرون والأيسار ثم يدفعون ذلك الجزور إلى الفقراء ولا يأكلون منه شيئاً ، وكانوا يفتخرون بذلك ويذمّون من لم يفعل ذلك منهم ويسمّونه البرم ، قال متمم بن نويرة :

ولا برماً تهدى النساء لعرسه
إذا القشع فى برد الشتاء تقعقا

فأصل هذا القمار الذى كانت العرب تفعله وإنما نهى الله تعالى فى هذه الآية عن أنواع القمار كلها .

ليث عن طاووس ومجاهد وعطاء قالوا : كل شىء فيه قمار فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالعود والكعاب .

عن أبى الأحوص عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «إياكم وهاتين الكعبتين الموسومتين فإنما من ميسر العجم» .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن علياً كرم الله وجهه قال فى النرد والشطرنج : هى من الميسر .

وعن القاسم بن محمد أنه قال : كل شىء ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو الميسر .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ : ووزر كبير من المحاصمة والمشاتمة وقول

الفحش والزور ، وزوال العقل والمنع من الصلاة واستحلال مال الغير بغير حق .

قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً : كثير بالشاء ، وقرأ الباقون بالباء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله : وإثمهما أكبر من نفعهما ، وقوله : حوباً كبيراً ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ وهى ما كانوا يصيونها فى الخمر من التجارة واللذة عند شربهما يقول الأعشى :

لنا من صحاها خبث نفس وكابة
وذكرى هموم ما تفك أذاتها

وعند العشاء طيب نفس ولذّة
ومال كثير عدّة نشواتها

ومنفعة الميسر ما يصاب من القمار ويرتفق به الفقراء .

﴿وَأَثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ : قال المفسرون : إثم الخمر هو أن الرجل يشرب فيسكر فيؤذى الناس ، وإثم الميسر أن يقامر الرجل فيمنع الحق ويظلم .

وقال الضحاك والربيع : المنافع قبل التحريم والإثم بعد التحريم .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ : وذلك أن رسول الله ﷺ حثهم على الصدقة ورغبهم فيها من غير عزم قالوا : يا رسول الله ماذا نفق؟ وعلى من نتصدق؟ فأنزل الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ : أى شىء ينفقون وللاستفهام ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ : قرأ الحسن وقتادة وابن أبى إسحاق وأبو عمرو ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ : بالرفع ، واختاره ، محمد بن السدى على معنى : الذى ينفقون هو العفو ، دليله قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ فِيكُمْ قَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوْلِيْنَ﴾ (النحل: ٢٤) وقرأ الآخرون بالنصب واختاره أبو عبيد وأبو حاتم : قل ينفقون العفو .

واختلفوا فى معنى العفو ، فقال عبد الله بن عمرو ومحمد بن كعب وقتادة وعطاء والسدى وابن أبى ليلى : هو ما فضل من المال عن العيال ، وهى رواية مقسم عن ابن عباس .

الحسن : هو أن لا تجهد مالك فى النفقة ثم تقعد تسأل الناس .

الوالبى عن ابن عباس : ما لا يتبين فى أموالكم . مجاهد : صدقة عن ظهر غنى .

عمرو بن دينار وعطاء : الوسط من النفقة ما لم يكن إسرافاً ولا إقتاراً . الضحاك : الطائفة .

العوفى عن ابن عباس : ما أتوك به من شىء قليل أو كثير فاقبله منهم .

طاووس وعطاء الخراسانى : سمعنا بشراً قال : العفو اليسر من كل شىء .

الربيع : العفو الطيب ، يقول : أفضل مالك هو النفقة .

وكلها متقاربة فى المعنى ، ومعنى العفو فى اللغة الزيادة والكثرة قال الله : ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾

(الأعراف: ٩٥) أى كثروا ، وقال النبى ﷺ : «أعفوا للحنى» . قال الشاعر :

ولكننا بعضُ السيفِ منا بأسوقِ عافياتِ الشحمِ كومِ

أى كثيراتِ الشحومِ ، والعفو ما يغمض الإنسان فيه فيأخذه أو يعطيه سهلاً بلا كلف من

قول العرب : عفا أى نال سهلاً من غير إكراه ، ونظير هذه الآية من الأخبار ما روى أبو هريرة

أن رجلاً قال : يا رسول الله عندى خير ، قال : «أنفق على نفسك» قال : عندى آخر ، قال :

«أنفق على أهلك» قال : عندى آخر ، قال : «أنفق على ولدك» قال : عندى آخر ، قال : أنفق

على والديك» قال : عندى آخر ، قال : «أنفق على قرابتك» قال : عندى آخر قال : «أنت

أبصر» .

وروى محمود بن سهل عن عامر بن عبد الله قال: أتى رسول الله ﷺ رجل بيضة من ذهب استلها من بعض المعادن فقال: يا رسول الله خذها منى صدقة، فوالله ما أمسيت أملك غيرها، فأعرض عنه، فأتاه من ركنه الأيمن فقال له مثل ذلك فأعرض عنه، فأتاه من ركنه الأيسر فقال له مثل ذلك فأعرض عنه، ثم قال له مثل ذلك فقال مغضباً: هاتها فأخذها منه وحذفه بها حذفة لو أصابه لفجه أو عقره، ثم قال: هل يأتي أحدكم بما يملكه ليتصدق به ويجلس يتكفّف الناس، أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وليبدأ أحدكم بمن يعول.

قال الكلبي: فكان الرجل بعد نزول هذه الآية إذا كان له مال من ذهب أو فضة أو زرع أو ضرع نظر إلى ما يكفيه وعياله نفقة سنة أمسكه وتصدّق بسائره، وإن كان ممن يعمل بيده أمسك ما يكفيه وعياله يومه ذلك وتصدق بالباقي، حتى نزلت آية الزكاة المفروضة فنسخت هذه الآية وكل صدقة أمروا بها قبل نزول الزكاة.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ﴾: قال الزجاج: إنما قال: كذلك على الواحد وهو يخاطب جماعة لأن الجماعة معناها القبيل كأنه قال: أيها القبيل بيّن الله لكم، وجائز أن يكون خطاباً للنبي ﷺ؛ لأن خطابه مشتمل على خطاب أمته كقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ (الطلاق: ١) وقال المفضل بن سلمة: معنى الآية ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ في النفقة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَشَكَّرُونَ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿فتحبسون من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا، وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى.

وقال أكثر المفسرين: معناها: بيّن الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها، وفي إقبال الآخرة وذهابها فترغبوا فيها.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾: قال الضحّاك والسدي وابن عباس في رواية عطية: كان العرب في الجاهلية يعظمون شأن اليتيم ويشددون في أمره حتى كانوا لا يؤاكلونه، ولا يركبون له دابة، ولا يستخدمون له خادماً، وكانوا يتشاءمون بملامسة أموالهم، فلما جاء الإسلام سألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وقال قتادة والربيع وابن عباس في رواية سعيد بن جبير وعلى بن أبي طلحة: لما نزل في أمر اليتامى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (الإسراء: ٣٤)، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ (النساء: ١٠) اعتزلوا أموال اليتامى وعزلوا طعامهم من طعامهم، واجتنبوا مخالطتهم في كل شيء حتى كان يُصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيتركونه ولا

يأكلونه حتى يفسد واشتد ذلك عليهم، وسألوا عنه رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾.

﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾: وقرأ طاووس: قل إصلاح إليهم خير بمعنى الإصلاح لأموالهم من غير أجر، ومن غير عوض عنهم خير وأعظم أجراً.

﴿وَإِنْ تَخَاطَبُوا فِي أَمْوَالِهِمْ وَتَخَالَطُوا بِأَمْوَالِكُمْ فِي نَفَقَاتِكُمْ وَمَطَاعِمِكُمْ وَمَسَاكِنِكُمْ وَخِدْمِكُمْ وَدَوَابِكُمْ، فَتَصِيبُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ عَوْضًا عَنْ قِيَامِكُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَتَكْفَأْتُهُمْ عَلَى مَا تَصِيبُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾: أي فهم إخوانكم، وقرأ أبو مجلز: فإخوانكم نصيباً أي فخالطوا إخوانكم أو فإخوانكم تخالطون والإخوان يعين بعضهم بعضاً ونصب أعينهم. يقال: بعض على وجه الإصلاح والرضا قالت عائشة: إني لأكره أن يكون مال اليتيم عندي كالغرة حتى أخلط طعامه بطعامي وشرابه بشرابي.

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾: لها فاتقوا الله في مال اليتامى، ولا تجعلوا مخالفاتكم إياهم ذريعة إلى إفساد أموالهم وأكلها بغير حق ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَكُمُ﴾ لضيق عليكم وأثمكم في ظلمكم إياهم قال ابن عباس: ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقاً.

وأصل العنت الشدة والمشقة يقال: عقبة عنوت أي شاقة كؤود، وقال الزجاج: أصل العنت أن يحدث في رجل البعير كسر بعد جبر حتى لا يمكنه أن يمشى. قال القطامي:

فما همُ صالحوا من ينتقى عنتي ولا همُ كدروا الخير الذي فعلوا

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾: الآية نزلت في عمار بن أبي مرثد الغنوي.

وقال مقاتل: هو أبو مرثد الغنوي واسمه أمين، وقال عطاء: هو أبو مرثد عمار بن الحصين، وكان شجاعاً قوياً، فبعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين سراً، فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق، وكانت خليلته في الجاهلية فأنته قالت: يامرثد ألا تخلو؟ فقال لها: ويحك يا عناق إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك، فقالت: فهل لك أن تتزوج بي فقال: نعم ولكن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأستأمره ثم أتزوجك، فقالت: أبي تتبرم، ثم استغاثت عليه فضربوه ضرباً شديداً ثم خلّوا سبيله، فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله ﷺ أعلمه الذي كان من أمر عناق وما لقي بسببها وقال: يا رسول الله أتحل لي أن أتزوجها؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ أي لا تتزوجوا منهن حتى يؤمن.

قال المفضل: أصل النكاح الجماع، ثم كثر ذلك حتى قيل للعقد نكاح، كما قيل: عذرة وأصلها فناء الدار لإلقائهم إياه بها، ولذبيحة الصبي عقيقة، وأصلها الشعر الذي يولد للصبى، وهو علة لذبحهم إياها عند جلمهم، ونحوها كثير، فحرم الله نكاح المشركت عقداً ووطئاً، ثم استثنى الحرائر الكتابيات فقال: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: ٥).

ثم قال: ﴿وَلَا مَؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا أَجْبَنُكُمْ﴾ بجمالها ومالها، نزلت في خنساء وكانت سوداء كانت لحذيفة بن اليمان فقال: يا خنساء قد ذكرت في الملاء الأعلى مع سوادك ودمامتك وأنزل الله عز وجل ذكرك في كتابه فأعتقها حذيفة وتزوجها.

وقال السدى: نزلت في عبد الله بن رواحة وكانت له أمة سوداء فغضب عليها وآذاها، ثم فرغ إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك، فقال له النبي ﷺ وما هو يا أبا عبد الله قال: هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وتصوم شهر رمضان وتحسن الوضوء وتصلى فقال: هذه مؤمنة، فقال عبد الله: فوالذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها، ففعل وطعن عليه ناس من المسلمين، قالوا: أتضح أمة؟ وعرضوا عليه حرة مشركة، وكانوا يرغبون في نكاح المشركت رجاء إسلامهن، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ثم قال: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾: ولا تزوجوا ﴿الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَا أُجْبَنُكُمْ﴾: بماله وحسن حاله.

وعن مروان بن محمد قال: سألت مالك بن أنس عن تزويج العبد فقال: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾.

﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ﴾: يعنى المشركين إلى النار أى إلى الحال الموجبة للنار ﴿إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ﴾: أوامره ونواهيه ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.



﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَائِكَةٌ وَبَشَرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبرؤوا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا

كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ : الآية عطاء بن السائب عن سعد بن بشير عن ابن عباس ما رأيت قوماً كانوا خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوا النبي عن ثلاث عشرة مسألة حتى نزل ذكرهن في القرآن: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة: ٢١٧)، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ (البقرة: ٢١٥)، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (البقرة: ٢١٩)، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ (البقرة: ١٨٩)، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ (البقرة: ٢١٩)، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ (البقرة: ٢٢٠)، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ أَسَاةِ أَيْمَانٍ مَرَسَتْهَا قُلُوبُنَا عَلِمْنَا عِنْدَ رَبِّي﴾ (الأعراف: ١٨٧)، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ (البقرة: ١٨٦)، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ (الأنفال: ١)، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ (الإسراء: ٨٥)، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْتَيْنِ﴾ (الكهف: ٨٣)، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ (طه: ١٠٥).

قال المفسرون: كانت العرب في الجاهلية إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها في بيت ولم يجالسوها على فراش كفعل المجوس واليهود.

فسأل أبو الدحداح ثابت بن الدحداح رسول الله عن ذلك وقال: يا رسول الله كيف نضنع بالنساء إذا حضن؟ فأنزل الله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ أي الحيض، وهو مصدر قولك حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً، مثل السير والمسير، والعيش والمعيش، والكيل والمكيل. وأصل الحيض الانفجار يقال: حاضت الثمرة إذا سال منها شيء كالدم.

﴿قُلْ هُوَ أَدَى﴾ : أي قدر، قاله قتادة والسدي، وقال مجاهد والكلبي: دم، والأذى ما يعم ويكره من شيء ﴿فَاعْتَرَلُوا نِسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ اعلم أن الحيض يمنع من تسعة أشياء: من الصلاة جوازاً ووجوباً ومن الصوم جوازاً ثم يلزمها قضاء الصوم ولا يلزمها قضاء الصلاة.

عاصم الأحول عن معادة العدوية أن امرأة سألت عائشة فقالت: الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة فقالت لها: أحرورية أنت؟ فقالت: لست بحرورية ولكني أسأل، فقالت: كان يصيبنا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة.

عياض عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداهن، فقلن له: وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله؟ قال: ليس شهادة المرأة على مثل نصف شهادة الرجل فذاك من نقصان عقلها؟ أو ليس إذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم؟ فقلن بلى قال: فذلك من نقصان دينها.

وتنوع أيضاً من قراءة القرآن وقد رخص فيها مالك بعض الرخصة إذا طالت المدة احترازاً من

نسيان القرآن، والفقهاء على خلافه، وتمنع من مسّ المصحف، ودخول المسجد والاعتكاف فيه، ومن الطواف بالبيت ومن الاحتساب بالعدة ومن الوطاء قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ﴾ فلما نزلت هذه الآية عمد المسلمون إلى النساء الحيض فأخرجوهن من البيوت واعتزلوهن فإذا اغتسلن ردهن إلى البيت، فقدم بعض من أعراب المدينة فشكوا عزل الحيض معهم وقالوا: يا رسول الله إنَّ البرد شديد والثياب قليلة فإنَّ أثرناهنَّ بالثياب حال بنا وأهل البيت برد، وإنَّ أثرتنا بالثياب هلكت الحيض، وليس كلنا يجد سعة لذلك فيوسع عليهم جميعاً، فقال لهم رسول الله ﷺ: إنَّما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهنَّ إذا حضن، ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم، وقرأ عليهم هذه الآية.

الناصرى عن سعيد بن السيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من وطئ امرأته وهى حائض فقضى منهما ولد فأصابه جذام فلا يلو من إلا نفسه، ومن احتجم يوم السبت والأربعاء فأصابه ضرر واضح فلا يلو من إلا نفسه».

وإن جامعها أثم ولزمته الكفارة، وهى ما روى ابن أبي المخارق عن مقسم عن ابن عباس عن النبي ﷺ أن رجلاً جامع امرأته وهى حائض: قال إن كان دمًا عبيطًا فليصدق بدينار، وإن كان صفرة فنصف دينار.

ولا بأس باستخدام الحائض ومباشرة بدنها إذا كانت مؤترة وبالاستمتاع بها فوق الإزار. قيل لمسروق: ما يحل للرجل من امرأته إذا كانت حائضًا؟ قال: كل شيء إلا الجماع. وعن ربيعة بن عبد الرحمن أن عائشة كانت مع رسول الله ﷺ مضطجعة فى ثوب واحد وأنها وثبت وثبة شديدة فقال لها رسول الله ﷺ: «ما لك لعلك نفست - يعنى الحيضة - قالت: نعم، قال: شدى عليك إزارك ثم عودى لمضجك».

معاذ بن هشام عن أبيه عن يحيى عن أبي سلمة أن زينب بنت أبي سلمة حدثت أن أم سلمة حدثتها قالت: بينا أنا مضطجعة مع رسول الله ﷺ فى الحميلة إذ حضت فانسلت فأخذت ثياب حيضتى، فقال رسول الله ﷺ: أنفست؟ قلت: نعم، فدعانى فاضطجعت معه فى الحميلة.

عن يزيدة مولاة ميمونة زوج النبي ﷺ عن ميمونة قالت: كان رسول الله يباشر المرأة من نساءه وهى حائض إذا كان عليها إزار يبلغ إلى أنصاف الفخذين أو الركبتين.

إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد، ونحن جنبان وكنت أفلى رأس رسول الله ﷺ وهو معتكف فى المسجد وأنا حائض، وكان

يأمرنى إذا كنت حائضاً أن أتزر ثم يباشرنى .

ثابت بن عبيدة عن القاسم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : ناولينى الحمرة فقالت : إني حائض فقال : «إنّ حيضتك ليست فى يدك» .

وعن شريح قال : قيل لعائشة : هل تأكل المرأة مع زوجها وهى طامث؟ قالت : نعم ، كان رسول الله ﷺ يدعونى فأكل معه وأنا حائض ، وكان يأخذ العرق فيقسم علىّ فيه فأعرق منه ، ثم أضعه فيأخذه فيعرقّ منه ويضع فمه حيث وضعت فمى من العرق ويدعو بالشراب فيقسم علىّ قبله أن أشرب منه فأخذه وأشرب منه ، ثم أضعه فيأخذه ويشرب منه ويضع فمه حيث وضعت فمى من القدح .

فدلت هذه الأخبار على أنّ المراد بالاعتزال عن الحيض جماعهنّ ، وذلك أن المجوس واليهود كانوا يجتنبون الحيض فى كل شىء ، وكان النصارى يجامعون ولا يباليون بالحيض ، فأنزل الله تعالى بالاقتصاد بين هذين الأمرين ، وخير الأمور أوسطها .

ثابت عن أنس قال : أنزل الله عزّ وجل : ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ الآية فقال رسول الله ﷺ : افعلوا كل شىء إلا الجماع ، فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل ، لم يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه ، فجاء أسد بن حصين وعباد بن بشر إلى رسول الله ﷺ فقالا : يا رسول الله إن اليهود قالت كذا وكذا ، أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ ، فظننا أن قد وجد عليهما ، فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ ، فأرسل فى آثارهما فسقاها ما فعرفا أن لم يجد عليهما .

﴿وَلَا تَقْرُبُونَهَا﴾ : يعنى لا تجامعوهنّ ، ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ : قرأ ابن محيصر والأعمش وعاصم وخمرويه والكسائى يطهّرن بتشديد الطاء والهاء ومعناه يغتسلن ، يدلّ عليه قراءة عبد الله حتى يتطهرن بالتاء على الأصل ، وقرأ الباقون ﴿يَطْهَرْنَ﴾ : مخففاً ومعناه : حتى يطهرن من حيضهن وينقطع الدم .

واختلف الفقهاء فى الحائض متى يحلّ وطؤها ، فقال أبو حنيفة وصاحباها : إذا حاضت المرأة بعشرة أيام حلّ وطؤها دون أن تغتسل ، فإن طهرت لما دون العشرة لم يحلّ وطؤها إلا بإحدى ثلاث : قلت أن تغتسل أو يمضى بها أقرب وقت الصلاة ، فيحكم لها بذلك حكم الطاهرات فى وجوب الصلاة فى زمنها أو تيمماً عند عدم الماء .

مجاهد وطاوس وعطاء : إذا طهرت الحائض من الدم وأخذ زوجها شبق ، فإن غسلت فرجها وتوضأت ثم أتاها جاز .

وقال الشافعي: لا يحلّ وطء الحائض إلا حين انقطاع الدم والاغتسال، وهو قول سالم بن عبد الله وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وابن شهاب والليث بن سعد وزفر وقال الحسن البصري: إذا وطئ الرجل امرأته بعد انقطاع الدم قبل أن تغتسل فعليه من الكفارة مثل ما على من يطأ الحائض، فمن قرأ (حتى يطهرن) بالشديد فهو حجة للمسيحين، والدليل على أن وطأها لا يجوز ما لم تغتسل أن الله عزّ وجلّ علّق جواز وطئها بشرطين فلا تحل قبل حصولهما، وهما: قوله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾، وقوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أى اغتسلن دليله قوله: ﴿وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢) ولا يجهد الإنسان على ما لا صنع له فيه، والاغتسال فعلها وانقطاع الدم ليس من فعلها، ويدلّ عليه أيضاً قوله فى النساء والمائدة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ (المائدة: ٦) واطهر وتطهر واحد وهو الاغتسال ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ﴾ أى من حيث أمركم أن تعتزلوهن منه وهو الفرج، قاله مجاهد وإبراهيم وقتادة وعكرمة. الوالى عن ابن عباس يقول: وطأهنّ فى الفرج، ولا يتعدوه إلى غيره فمن فعل شيئاً من ذلك فقد اعتدى.

الربيع بن عبيد: نهيتم عنه واتقوا الأدبار، وإنما قال: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ لأن النهى أيضاً أمر بترك المنهى عنه.

وقال قوم: قوله: ﴿فَأَتُوهُنَّ﴾ من الوجه الذى أمركم الله أن تأتوهنّ وهو الطهر، فكأنه قال: فأتوهنّ من قبل طهرهنّ لا من قبل حيضهنّ، وهو قول ابن رزين والضحاك ورواية عطية عن ابن عباس.

ابن الحنفية: فأتوهنّ من قبل الحلال دون الفجور.

ابن كيسان: لا تأتوهنّ صائمات ولا معتكفات ولا محرمات، وأتوهنّ، واقربوهنّ وغشيانهنّ لكم حلال.

الفراء: مثل قولك: أتيت الأرض من مأتاه أى من الوجه الذى يؤتى منه.

الواقدي معناه ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ وهو الفرج، نظيره فى سورة الملائكة والأحقاف ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ (الأحقاف: ٤) أى فى الأرض، وقوله: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ (الجمعة: ٩) أى فى يوم الجمعة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾: قال مجاهد عن ابن رزين والكلبي ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾: من الذنوب ﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾: من أدبار النساء أن لا يأتوها.

وقال: من أتى المرأة فى دبرها فليس من المتطهرين، فإن دبر المرأة مثله من الرجل.

مقاتل بن حيان **﴿التَّوَّابِينَ﴾** : من الذنوب و **﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** : من الشرك والجهل .
 كنت عند أبي العالية يوماً فتوضأ وضوءاً حسناً فقلت : **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾** : فقال :
 الطهور من الماء حسن ولكنهم المتطهرون من الذنوب .
 سعيد بن جبير **﴿التَّوَّابِينَ﴾** : من الشرك و **﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** : من الذنوب .
 وعن أبي العالية أيضاً **﴿التَّوَّابِينَ﴾** : من الكفر و **﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** : بالإيمان .
 ابن جريج عن مجاهد **﴿التَّوَّابِينَ﴾** : من الذنوب لا يعودون لها و **﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** : هنا لم
 يصيبوها .

قال الثعلبي : وسمعت أبا القاسم بن محمد بن حبيب يقول : سألت أبا الحسن على بن
 عبد الرحيم القناد عن هذه الآية قال : **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾** من الكبائر و **﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** : من
 الصغائر . **﴿التَّوَّابِينَ﴾** : من الأفعال و **﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** : من الأقوال .
 التوابين من الأقوال والأفعال والمتطهرين من العقود والإضمار . التوابين من الآثام
 والمتطهرين من الإجرام . التوابين من الجرائر ، والمتطهرين من خبث السرائر . التوابين من
 الذنوب والمتطهرين من العيوب .

والتواب الذي كلما أذنب تاب ، نظيره قوله : **﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا﴾** (الإسراء: ٢٥) .
 محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «مرّ رجل من كان قبلكم
 فى بنى إسرائيل بجمجمة فنظر إليها فقال : أى رب أنت أنت ، وأنا أنا ، أنت العواد بالمغفرة ،
 وأنا العواد بالذنوب ، ثم خرّ ساجداً فقيل له : ارفع رأسك فأنا العواد بالمغفرة ، وأنت العواد
 بالذنوب فرفع رأسه فغفر له » .

﴿نَسَأُوكُمْ خِزْتًا لَكُمْ﴾ : الآية ، جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
 قال : جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، هلكت ، قال : ما الذى أهلكك ؟ قال :
 حولت رحلى البارحة فلم يردّ على شيئاً فأوحى الله تعالى : **﴿نَسَأُوكُمْ خِزْتًا لَكُمْ فَأَتُوا خِزْتَكُمْ
 أَنَّى شِئْتُمْ﴾** يقول أقبل وأدبر واتق الدبر والحیضة .

محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : كان اليهود يقولون : من جامع امرأته وهى
 معبّية من دبرها فى قبلها كان ولدها أحول ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : كذبت اليهود
 فأنزل الله تعالى : **﴿نَسَأُوكُمْ خِزْتًا لَكُمْ فَأَتُوا خِزْتَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾** .

مجاهد عن ابن عباس قال : كان هذا الحى من الأنصار ، وهم أهل وثن مع هذا الحى من
 اليهود ، وهم أهل كتاب ، وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم فى العلم ، فكانوا يقتدون بكثير من

فعلهم وكان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف، وذلك أيسر ما يكون للمرأة، فكان هذا الحى من الأنصار يأخذون بذلك من فعلهم، وكان هذا الحى من قريش يشرح عن النساء شرحاً منكراً، ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت: إنما كنا نؤنى على حرف فإن شئت فاصنع وإلا فاجتنبني، حتى انتشر أمرهما فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ يعنى موضع الولد قالوا: ﴿حَرْثُكُمْ أَنْ شِئْتُمْ﴾ مدبرات ومقبلات ومستلقيات.

قال الحسن وقتادة والمقاتلان والكلبي تذاكر المهاجرون والأنصار واليهود إتيان النساء فى مجلس لهم فقال المهاجرون: إِنَّا نَأْتِيَهُنَّ بَارَكَاتٍ وَقَايِمَاتٍ وَمَسْتَلْقِيَاتٍ وَمِنْ بَيْنِ أَيْدِيَهُنَّ وَمِنْ خَلْفِهِنَّ، بعد أن يكون المأتى واحداً فى الفرج، فعابت اليهود وقالت: ما أنتم إلا أمثال البهائم لكننا نأتيها على هيئة واحدة، فإننا لنجد فى التوراة أن كل إتيان يؤتى للنساء غير الاستلقاء دنس عند الله، ومنه يكون الحَوْل والحَبْل، فذكر المسلمون ذلك لرسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّتِنَا وَبَعْدَمَا أَسْلَمْنَا نَأْتِيُ النِّسَاءَ كَيْفَ شِئْنَا، فَإِنَّ الْيَهُودَ عَابَتِ ذَلِكَ عَلَيْنَا وَزَعَمَتْ أَنَّ كَذَا وَكَذَا، فَكَذَّبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْيَهُودَ، وَأَنْزَلَ رِخْصَةً لَهُمْ: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْ شِئْتُمْ﴾ أى كيف شئتم وحيث شئتم ومتى شئتم بعد أن يكون فى فرج واحد. (أنى) حرف استفهام ويكون سؤالاً عن الحال والحل.

وقال سعيد بن المسيب: هذا فى العزل يعنى إن شئتم فاعزلوا وإن شئتم فلا تعزلوا. يحيى بن أبى كثير عن رجل قال: قال عبد الله استأمر الحرّة فى العزل ولا تستأمر الأمة، وفى هذه الآية دليل على تحريم أدبار النساء لأنها موضع الفرث لا موضع الحرث، وإنما قال الله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ وهذا من لطف كنايات القرآن حيث عبّر بالحرث عن الفرج فقال: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أى مزدرع ومنبت الولد، وأراد به المحرث المزدرع، ولكنهن لما كنّ من أسباب الحرث جعلن حرثاً.

وقال أهل المعانى: تقدير الآية: نساؤكم كحرث لكم، كقولته تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ (الكهف: ٩٦) أى كنار، قال الشاعر:

وأطراف الأكف عنم

النشر مسك والوجوه دنانير

والعرب تسمى النساء حرثاً، قال المفضل بن سلمة أنشدنى أبى:

فحرثى همّه أكل الجراد

إذا أكل الجراد حرث قوم

وقال الثعلبي: وأنشدني أبو القاسم الحسن بن محمد السدوسي، قال: أنشدني أبو منصور مهلهل بن علي العزّي، قال: أنشدني أبي قال أنشدنا أحمد بن يحيى:

حبّداً من حبة الله النبات الصالحات هي النسل والمزروع بهنّ الشجرات
يجعل الله لنا فيما يشاء البركات إنما الأرضون لنا محرثات

فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات

وقد وهم بعض الفقهاء في تأويل هذه الآية وتعلق بظاهر خبر رواه، وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد من رواية الدينوري، حدّثنا محمد بن عيسى الهياني أبو بكر الطرسوسي وإسحاق الهروي عن مالك بن أنس عن نافع قال: كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ قال: أتدرى فيما نزلت هذه الآية؟ قلت: لا، قال: نزلت في رجل أتى امرأة في دبرها على عهد رسول الله ﷺ فشقّ ذلك عليه فنزلت ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الآية، وأما تأويل حديث ابن عمر فهو ما روى عطاء عن موسى بن عبد الله بن الحسن عن أبيه أنه لقي سالم بن عبد الله، فقال: يا أبا عمر ما حدّث محدّث نافع عن عبد الله؟ وما هو؟ قال: زعم أنه لم يكن يرى بأساً بإتيان النساء من أدبارهنّ، قال: كذب العبد وأخطأ، وإنّما قال عبد الله: تؤتى في فروجهنّ من أدبارهنّ، الدليل على تحريم الأدبار ما روى عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ قال: لا يكون الحرث إلا حيث يكون النبات، وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهنّ.

مخرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى امرأته في دبرها».

﴿وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾: يعنى طلب الولد، وقيل: التزوُّج بالعائف ليكون الولد صالحاً طاهراً، وقيل: هو لذم الإفراط، قال رسول الله ﷺ: من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا تحلّة القسم، فقيل: يا رسول الله اثنان، قال: واثنان، فقال: فظننا أن لو قيل واحد لقال واحد.

شهر بن عطية عن عطاء ﴿وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ قال: التسمية عند الجماع، وقال مجاهد ﴿وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ يعنى: إذا أتى أهله فليدع. سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليقل: بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإن قدر بينهما ولد لم يضره شيطان».

السدي والكلبي يعنى الخير والعمل الصالح دليله سياق الآية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلْتَقُونَ﴾ ابن كيسان قدموا لأنفسكم فى كل ما أحل الله لكم، وما تعبدكم به، فإن تصديقكم الله ورسوله بكل ما أحله لكم وحرّم عليكم وما تعبدتم به قدم صدق لكم عند ربكم، واتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، واعلموا أنّكم ملاقوه فيجزىكم بأعمالكم.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ: الآية، قال الكلبي: نزلت فى عبد الله ابن رواحة ينهاه عن قطيعة ختنه على أخته بشير بن النعمان الأنصارى، وذلك أنه كان بينهما شىء فحلف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح عنه وعن خصم له، وجعل يقول: قد حلفت بالله ألا أفعل، فلا تحلّ لى إلا أن يبرّ يمينى، فأنزل الله هذه الآية.

قال مقاتل بن حيان: نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) حين حلف ألا يصل ابنه عبد الرحمن حتى يسلم. ابن جريج: حدّثت أنها نزلت فى أبى بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض فى حديث الإفك.

والعرضة أصلها الشدة والقوة، ومنه قيل للدابة التى تتخذ للسفر وتعد له: عرضة، لقوتها عليه، يقال: عرضت ناقتي لذلك أى اتخذتها له، قال أوس بن حجر:

وأدماء مثل الفحل يوماً عرضتها لرحلى وفيها هزة وتقاذف

ثم قيل لكل ما يصلح لشىء هو عرضة له، حتى قالوا للمرأة: هى عرضة للنكاح إذا صلحت له وقويت عليه، ويقال فلان عرضة للسهر والحرب، قال حسّان:

وقال الله قد يسرتُ جنداً هم الأنصار عرضتها للقاء

قال المفسرون: هذا فى الرجل يحلف بالله تعالى لا يصل رحماً ولا يكلم قرابته أو لا يتصدق له بالصنع خيراً، أو يصلح بين اثنين فيعصيانه أو يتهمانه أو أحدهما فيحلف بالله لا يصلح بينهما، فأمره الله أن يحث فى يمينه ويفعل ذلك سرّاً ويكفر عن يمينه، فمعنى الآية ولا تجعلوا الله علةً ومانعاً لكم من البرّ والتقوى، يقول أحدكم: حلفت بالله فيستغل يمينه فى ترك البرّ والصلاح وهو قوله: ﴿أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ معناه أن لا تبرّوا كقوله: ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا﴾ (النساء: ١٧٦) أى لثلاث ضلّوا، وقال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

ويبين هذه الآية ما روى سماك عن الحسين عن عبد الرحمن بن سمرة، قال: قال رسول الله

ﷺ: «إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها، فأت الذى هو خير، وكفّر عن يمينك».

وقال سنان بن حبيب: قلت لسعد بن حمير: إنى عصت على مولاة لى كان مسكنها معى فحلفت أن لا تساكنى، فقال: هذا من عمل الشيطان كفر عن يمينك وأسكنها ثم قرأ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ .
 ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: أصل اللغو فى كلام العرب ما أسقط فلم يعتد به .
 قال ذو الرمة:

وتطرح بينها المرى لغواً ما ألغيت فى المائة الحوارا

يريد بالمائة التى تُساق فى الدية إذا وضعت ناقة منها حواراً لا يقدمه، والمرى منسوب إلى امرئ القيس بن زيد بن مناة بن تميم، قال المثقب العبدى:

أو مائة تجعل أولادها لغواً وعرض المائة الجلمد

واللغو واللغاء فى الكلام ما لا خير فيه ولا معنى له، ونظيره فى اللغة صفو فلان معك وصفاه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون: ٣) وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾ (الواقعة: ٢٥) قال أمية:

فلا لغواً ولا تأتيم فيها وما فاهوا به لهم مقيم

وقال العجاج:

ورب أسراب الحجيج الكظم عن اللغا ورقت التكلّم

واختلف العلماء فى لغو اليمين المذكور فى هذه الآية، فقال قوم هو ما يسبق به لسان الإنسان من الأيمان على سرعة وعجلة ليصل به كلامه من غير عقد ولا قصد، مثل قول القائل: لا والله وبلى والله وكلاً والله ونحوها، فهذا لا كفارة فيه ولا إثم.

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ قالت: قول الإنسان لا والله وبلى والله، وعلى هذا القول الشعبى وعكرمة ومجاهد فى رواية الحكم، وقال الفرزدق:

ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد صاغرات العزائم

وقال آخرون: لغو اليمين هو أن يحلف الإنسان على الشىء يرى أنه صادق فيه ثم يتبين أنه خلاف ذلك، فهو خطأ منه من غير عمد، ولا كفارة عليه ولا إثم، وهو قول الزهرى والحسن وسليمان بن يسار وإبراهيم النخعى وأبى مالك وقتادة والربيع وزرارة بن أوفى ومكحول والسدى وابن عباس فى رواية الوالى، وعن أحمد برواية ابن أبى نجيح.

وقال على وطاوس: اللغو اليمين فى حال الغضب والضجر من غير عزم ولا عقد، ومثله

روى عطاء عن وسيم عن ابن عباس، يدلّ عليه قوله ﷺ: «لا يمين في غضب». وقال بعضهم: هو اليمين في المعصية لا يؤاخذ به الله عزّ وجلّ في الحنث فيها، بل يحنث في يمينه ويكفر، قاله سعيد بن جبير، وقال غيره: ليس فيه كفارة.

وقال مسروق: في الرجل الذي يحلف على المعصية ليس عليه كفارة. الكفر عن خطوات الشيطان، ومثله روى عكرمة عن ابن عباس، وقال الشعبي: في الرجل الذي يحلف على المعصية كفارته أن يتوب منها. فكل يمين لا يحلّ لك أن تنفي بها فليس فيها كفارة، فلو أمرته بالكفارة لأمرته أن يتم على قوله، يدلّ عليه ما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر فيما لا يملك فلا نذر له، ومن حلف على معصية الله فلا يمين له».

وروت عمرة عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على قطيعة رحم أو معصية فبرّه أن يحنث منها ويرجع عن يمينه».

وروى حماد عن إبراهيم قال: لغو اليمين أن يصل الرجل كلامه بأن يحلف: والله لا أكلن أو لا أشربن، ونحو هذا لا يتعمد به اليمين ولا يريد حلقاً فليس عليه كفارة يدلّ عليه ما روى عوف الأعرابي عن الحسين بن أبي الحسن، قال: مرّ رسول الله ﷺ يقوم ينتضلون ومعه رجل من أصحابه، فرمى رجل من القوم فقال: أصبت والله وأخطأت، فقال الذي مع النبي ﷺ: حنث الرجل، قال والله، فقال: «كلا، أيمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة».

وقالت عائشة: أيمان اللغو ما كان في الهزل والمراء والخصومة، والحديث الذي لا يعقد القلب عليه.

وقال زيد بن أسلم: هو دعاء الحالف على نفسه كقوله: أعمى الله بصرى إن لم أفعل كذا، أخرجني من مالى إن لم أرك غداً، أو تقول: هو كافر إن فعل كذا، فهذا كله لغو إذا كان باللسان دون القلب لا يؤاخذ به الله بها حتى يكون ذلك من قلبه ولو آخذه بها لهلك، يدلّ عليه قوله: ﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَسْرَأَسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾. (يونس: ١١).

الضحك: هو اليمين المكفر وسمى لغواً لأن الكفارة تُسقط منه الإثم، تقديره: لا يؤاخذكم الله بالإثم في اليمين إذا كفرتم. المغيرة عن إبراهيم: هو الرجل يحلف على الشيء ثم ينسى فيحنث بالله فلا يؤاخذ به الله عزّ وجلّ به، دليبه قوله ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ».

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَلُونُكُمْ﴾: أى عزمتم وقصدتم وتعمدتم لأن كسب القلب

العقد على الشيء والنية .

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ الآية .

اعلم أن الأيمان على وجوه : منها أن يحلف على طاعة كقوله : والله لأصليّن أو لأصومنّ أو لأحجنّ أو لأتصدقنّ ونحوها ، فإن كان فرضاً عليه فالوجب عليه أن لا يحنث ، فإن حنث فعليه الكفارة ، لأنه كان فرضاً عليه فزاده تأييداً باليمين ، وإن كان ذلك تطوعاً ففيه قولان : أحدهما أن عليه الكفارة بالحنث فيه ، والقول الثاني : عليه بالوفاء بما قال ولا يجزيه غيره ، ومنها أن يحلف على معصية وقد ذكرنا حكمه والاختلاف فيه ، ومنها أن يحلف على مباح ، وهو على ضربين : من ماضٍ ومستقبل ، فاليمين على المستقبل مثل أن يقول : والله لأفعلنّ كذا ، والله لا أفعل كذا ، فإن هذا إذا حنث فيه لزمته الكفارة بلا خلاف ، واليمين على الماضي مثل أن يقول : والله لقد كان كذا ولم يكن ، أو لم يكن كذا وقد كان ، وهو عالم به فهو اليمين الغموس الذي يغمس صاحبه في الإثم لأنه تعمد الذنوب ، ويلزمه الكفارة عندنا ، وقال أبو حنيفة : لا يلزمه الكفارة وتحصيله كاللغو .

ثم اعلم أن المحلوف به على ضرب : ضرب منها يكون يميناً ظاهراً وباطناً ، ويلزم المرء الكفارة بالحنث فيها ، وهو قول الرجل : والله وبالله وتالله ، فهذه أيمان صريحة ولا يعتبر فيها النية ، والضرب الثاني أن يحلف بصفة من صفات الله عزّ وجلّ كقوله : وقدرة الله وعظمة الله وكلام الله وعلم الله ونحوها ، فإن حكم هذا كحكم الضرب الأول سواء ، والضرب الثالث أن يحلف بكتابات اليمين كقوله : أيم الله وحق الله وقسم الله ولعمر الله ونحوها ، فهذا يعتبر فيها النية ، فإن نوى اليمين كان يميناً ، وإن قال : لم أرد به اليمين قبلنا قوله فيه ، والضرب الرابع : أن يحلف بغير الله مثل أن يقول : والكعبة والصلاة واللوح والقلم وحق محمد وأبي وحياتي ورأس فلان ونحوها ، فهذا ليس بيمين ، ولا يلزم الكفارة بالحنث فيه ، وهو يمين مكروه فيه ، قال الشافعي : والمعنى أن يكون (١) .

عبد الله بن دينار قال : سمعت ابن عمر يقول : كانت قريش تحلف بأبائها ، فقال رسول الله ﷺ : «من كان حالفاً فليحلف بالله ، لا تحلفوا بأبائكم» .

وسمع رسول الله ﷺ عمر يقول : وأبى فنهاء عن ذلك ، قال عمر : فما حلفت بهذا بعد ذاكرًا ولا آثرًا .



﴿الَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولَتِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَأَمَّا الْبَعْضُ الْمَعْرُوفُ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿

﴿الَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: قتادة: كان الإيلاء طلاق أهل الجاهلية. سعيد بن المسيب: كان ذلك من ضرار أهل الجاهلية، كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب أن يتزوجها غيره يحلف ألا يقربها أبداً، وكان يتركها كذلك لا أيماً ولا ذات بعل، وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية وفي الإسلام، فجعل الله الأجل الذي يعلم به عند الرجل في المرأة وهي أربعة أشهر، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ وفي حرف عبد الله: للذين ألووا من نسائهم على أنها للماضي، وقرأ ابن عباس: للذين يقسمون من نسائهم. الإيلاء: الحلف، يقال: ألى يولى، إيلاء، قالت الخنساء:

فأليت آسى على هالك أو أسأل نائحة مالها

والاسم منه الألية، قال الشاعر:

على ألية وصيام أمسك طارها ألا يكفّ

وفيه أربع لغات، ألية وألوة وللوة وآلوة ومعنى الآية ﴿الَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ أن يعتزلوا من نسائهم، فترك ذكره اكتفاء بدلالة الكلام عليه، والتربص: التريث والتوقف، وزعم بعضهم أنه من المقلوب، قالوا: التربص: التصبر، فمثلاً أن يحلف الرجل أن لا يقرب امرأته فيقول لها: والله لا أجامعك أو لا يجتمع فراشى بفراشك، ونحو ذلك من ألفاظ الجماع، وكل حين يحلفها الرجل على امرأته فيصير ممتنعاً من جماعها أكثر من أربعة أشهر إلا بشيء يكون في بدنه وماله فهو إيلاء، وما كان دون أربعة شهر فليس بإيلاء.

وكان على بن أبي طالب (رضى الله عنه) يقول: الإيلاء يمين في الغضب فإذا حلف في

حال الرضا فليس بإيلاء، وعامة الفقهاء يجرونه على العمد، ويلزمون الإيلاء فى كل يمين منع من جماعها فى حال الرضا والغضب، فإذا ألى تَبَانُ فَإِنْ هُوَ جَامِعٌ قَبْلَ مَضَى أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ كَثُرَ عَنْ يَمِينِهِ وَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ، والنكل ثابت إن هو لم يجامع حتى تنقضى أربعة أشهر، فاختلف الفقهاء فيه، فقال بعضهم: إذا مضت أربعة أشهر ولم يف بانة منه بتطبيقه وهى أملك بنفسها، وهذا قول عبد الله بن مسعود ومحمد بن ثابت وقتادة ومقاتل بن حبان والكلبى وأبى حنيفة، يدل عليه قول ابن عباس: عزيمة الطلاق إمضاء أربعة أشهر.

وقال بعضهم: إذا مضت أربعة أشهر والرجل ممتنع فإن عفت المرأة ولم تطلب حقها من الجماع فلا شىء على الرجل ولا يقع به طلاق وهما على نكاح ما لو قامت على ذلك، وإن طلبت حقها وقف الحاكم زوجها، فإذا أن يفى وإما أن يطلق، فإن أبى الفيئة والطلاق جميعاً طلق عليه الحاكم، وقيل: يحبسه أبداً حتى يطلق، وجملة هذا القول الذى ذكروا من الوقف قول عمر وعثمان وعلى وأبى الدرداء وابن عمر وعائشة وسعيد بن جبيرة وسليمان بن يسار ومجاهد، ومذهب مالك والشافعى وأبى ثور وأبى عبيدة وأحمد وإسحاق وعامة أهل الحديث.

وقال يونس الصواف: أتيت سعيد بن المسيب فقال: من أين؟ قلت: من الكوفة، قال: وإنهم يقولون فى الإيلاء إذا مضت أربعة أشهر فلا شىء عليه ولا أربع سنين حتى لو يفى أن يطلق وألغى الجماع فإن كان عاجزاً عن الجماع بمرض أو عتة أو نحوها فاء بلسانه وأشهد. وقال: كان إبراهيم النخعى يقول: ألغى باللسان على كل حال، فإذا فاء فعلية الكفارة ليمينه فى قول الفقهاء، إلا الحسن وإبراهيم وقتادة فإنهم أسقطوا الكفارة عن المولى إذا فاء لقوله ﴿فَإِنْ فَاءٌ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقال إبراهيم: هذا فى إسقاط الحق به لا فى الكفارة. ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾: أى حققوا وصدقوا ونووا، وقرأ ابن عباس: وإن عزموا السراح، وهو الطلاق أيضاً.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتهم، وفيه دليل على أنها لا تطلق بعد مضى الأربعة أشهر ما لم يطلقها زوجها أو السلطان لأنه شرط فيه العزم، ولأن السماع يقتضى (١) والقول هو الذى يسمع، والسماع راجع إلى الطلاق والله أعلم.

﴿وَأَمْطَلْتُ يَتَرَبِّصَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ الآية، قال مقاتل بن حيان والكلبى: كان الرجل أول الإسلام إذا طلق امرأته ثلاثاً وهى حبلى فهو أحق برجعها ما لم تضع ولدها إلى أن نسخ

الله ذلك بقوله: ﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانِ﴾ وقوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ الآية، وطلق إسماعيل ابن عبد الله الغفاري امرأته قتيلة وهي حبلى.

وقال مقاتل: هو مالك بن الأشدق رجل من أهل الطائف، قالوا جميعاً: ولم يشعر الرجل بذلك ولم تخبره بذلك، فلماً علم بحبلها راجعها وردّها إلى بيته، فولدت وماتت ومات ولدها، وفيها أنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ﴾ أى الخليات من حبال أزواجهن وهو من قولهم: أطلقت الشيء من يدي وطلقته إذا خلّيته، إلا أنهم لكثرة استعمالهم اللفظين فرقوا بينهما ليكون التطبيق مقصوراً فى الزوجات وبذلك أنزل القرآن: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ (الطلاق: ١) والاسم منه الطلاق، ويقال: طلق الرجل المرأة وطلّقت وطلقت معاً، وأصله من قولهم: انطلق الرجل إذا مضى غير ممنوع، ويقال للشوط الذى يجريه الفرس وغيره من غير أن يمنع طلق.

﴿يَتَرَيَّضَنَّ﴾: ينتظرن بأنفسهن ولا يتزوجن ثلاثة قروء، جمع قرء، مثل قرع وجمعه القليل قروء والجمع الكثير أقرء وقرؤ، واختلف الفقهاء فى القروء، فقال قوم: هى الحيض، وهو قول على وعمر وابن مسعود وأبى موسى الأشعري ومجاهد ومقاتل بن حيان، ومذهب سفیان وأبى حنيفة وأهل الكوفة، واحتجوا بقول النبى ﷺ للمستحاضة: «دعى الصلاة أيام أقرائك» والصلاة إنما ترك فى حال الحيض، يقول الراجز أنشده تغلب عن ابن الأعرابى:

❖ له قروء كقروء الحائض ❖

يعنى أن عداوته تهيج فى أوقات معلومة كما أن المرأة تحيض بأوقات معلومة، فمن قال بهذا القول قال: لا تحلّ المرأة للأزواج ولا تخرج من عدتها ما لم تنقض الحيضة الثالثة، يدل عليه ما روى الزهرى عن ابن المسيّب أن علياً قال فى الرجل يطلق امرأته واحدة أو اثنتين: لا يحل لزوجها الرجعة إليها حتى تغتسل من الحيضة الثالثة وتحلّ لها الصلاة.

وقال آخرون: هى الأطهار وهو قول زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة ومذهب مالك والشافعى وأهل المدينة، واحتجوا بقوله ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ (الطلاق: ١) وقال النبى ﷺ: لما طلق ابن عمر امرأة وهى حائض - لعمر: مره فليراجعها، فإذا طهرت فليطلق أو ليمسك، وتلا النبى ﷺ قوله عزّ وجلّ ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ﴾: فأخبر النبى ﷺ أن العدة الأطهار من الحيض وقرأ ﴿فَطَلَّقُوهُنَّ﴾ لتتم عدتهن، وهو أن يطلقها طاهراً لأنها حينئذ تستقبل عدتها، ولو طلقت أيضاً لم تكن مستقبلة عدتها إلا بعد الحيض، ويدلّ على تلك القروء والأطهار قول الشاعر وهو الأعشى:

وفى كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزم غزائكا
مورثة مالاً وفى الحى رفعة لما ضاع فيها من قروء نساككا

والقُراء فى هذا البيت الطهر، لأنه خرج إلى الغزو ولم يغش نساءه فأضاع إقراءهنّ أى أطهارهن، ومن قال بهذا القول قال: إذا حاضت المرأة الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلّت للزواج، يدلّ عليه ما روى الزهرى عن عروة وعمرة عن عائشة، قالت: إذا دخلت المطلقة فى الحيضة الثالثة فقد بانّت من زوجها وحلّت للأزواج، قالت عمرة: وكانت عائشة تقول: القراء: الطهر ليس الحيض.

ابن شهاب قال: سمعت أبا بكر بن عبد الرحمن يقول: ما أدركت أحداً من فقهاءنا إلا وهو يقول هذا، يريد قول عائشة الأقرء الأطهار، وإنما رفع هذا الاختلاف لأن القُراء فى اللغة من الأضداد يصلح للمعنيين جميعاً، يقول أقرأت المرأة إذا حاضت وأقرأت إذا طهرت، فهى تقرى، واختلفوا فى أصلها، فقال أبو عمرو وأبو عبيدة هو وقت مجيء الشىء وذهابه، يقال: رجع فلان لقُراءه وقاريه أى لوقته الذى يرجع فيه، وهذا قارئ الرياح أى وقت هبوبها. قال مالك بن الحارث الهذلى:

كرهت العقر عقر بنى شليل إذا هبّت لقارئها الرياح
أى لوقتها، ويقال: أقرأت النجوم إذا طلعت، وأقرأت إذا أفلت.
قال كثير:

إذا ما الثريا وقد أقرأت أحسُّ السما كان منها أفولا
فالقراء للوجهين، لأن الحيض يأتى لوقت والطهر يأتى لوقت، وقيل: هو من قرء الماء فى الحوض، وهو جمعه، قال عمرو بن كلثوم:

ذراعى عيطل إذ ماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

أى لم تحمل، ولم تضم فى رحمها، وإنما تقول العرب: ما قرأت الناقة بلا قرط أى لا تضمّ رحمها على ولد، ومنه قولهم: قرأت القرآن أى نطقت به مجموعاً، هذا اختيار الزجاج. قال: ومنه قرئت الماء فى المقرأة، ترك همزها والأصل فيه الهمز، فالقراء احتباس الدم واجتماعه وهو يكون فى حال الطهر والحيض جميعاً، إلا أن الترجيح للطهر لأنه يجمع الدم ويحبسه، والحيض يرخيّه ويرسله والله أعلم.

❖ حكم الآية:

اعلم أن لفظها خبر ومعناها أمر، كقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ (البقرة: ٢٣٣)

وأمثاله، والعدة على ضربين: عدة المطلقة وعدة المتوفى عنها زوجها، فعدة المطلقة على ثلاثة أضرب: عدة الحائض ثلاثة قروء، وعدة الحامل أن تضع حملها، وعدة الصغيرة التي لم تحض والكبيرة التي آيست ثلاثة أشهر، وعدة المتوفى عنها زوجها ضربان: إن كانت حاملاً فعدتها أن تضع حملها وإلا فعدتها أربعة أشهر وعشراً، وعدة الإماء فيما له نصف من الأقراء قرءان لأنها لا نصف. ولا عدة على من لم يدخل بها. إذا توفى عنها زوجها، فعدتها أربعة أشهر وعشراً.

﴿وَلَا يَحِلُّ لِهِنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾: قال عكرمة وإبراهيم: يعنى الحيض، وهو أن تعتد المرأة فيريد الرجل أن يراجعها فتقول: إنى قد حضت الثالثة. ابن عباس وقتادة ومقاتل: يعنى الحمل فى الولد، فمعنى الآية لا يحلّ لهنّ أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن من الحيض والحمل ليطلن حق الزوج فى الرجعة والولد، فإن المرأة أمينة على فرجها.

﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولَتِهِنَّ﴾: أزواجهنّ، وهو جمع بعل، كالفحولة والذكورة والحزولة والخيوطة، ويقال: تبعلت المرأة إذا تزوجت، ومنه قيل للجماع بعال، وإنما سمي الزوج بعلاً لقيامه بأمر زوجته، وأصل البعل السيد والمالك، قال الله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ (الصفات: ١٢٥) وقرأ مسلم بن محارب (وبعولتهن) بإسكان التاء لكثرة الحركات، والإتباع أفصح وأحسن وأوفق وأولى.

﴿أَحَقُّ﴾: أولى ﴿بِرِدَّهِنَّ﴾: أى برجعتهن ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: أى فى حال العدة ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾: لا إضراراً، وذلك أن الرجل إذا أراد الإضرار بامرأته طلقها واحدة وتركها حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها، ثم تركها مدة، ثم طلقها أخرى وتركها كما فعل فى الأولى، ثم راجعها فتركها مدة ثم طلقها ﴿وَلَهُنَّ﴾: أى للنساء على أزواجهنّ ﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيَّهِنَّ﴾: من الحق.

يُروى أن امرأة معاذ قالت: يا رسول الله ما حق الزوجة على زوجها؟ قال: «أن لا يضرب وجهها، وأن لا يقبحها، وأن يطعمها مما يأكل، ويلبسها مما يلبس ولا يهجرها».

المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً. إنما اتخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله».

وعن ميمونة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيار الرجال من أمتى خيرهم لنسائهم، وخير النساء من أمتى خيرهن لأزواجهنّ، يرفع لكل امرأة منهنّ كل يوم وليلة أجر

ألف شهيد قتلوا في سبيل الله صابرين محتسبين، ولفضل إحداهنّ على الحور العين كفضل محمد على أدنى رجل منكم، وخير النساء من أمتي من تأتي مسيرة زوجها في كل شيء يهواه ما خلا معصية الله عزّ وجلّ، وخير الرجال من أمتي من يلطف بأهله لطف الوالدة بولدها، ويكتب لكل رجل منهم في كل يوم وليلة أجر مائة شهيد قتلوا في سبيل الله محتسبين صابرين».

فقال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه): يا رسول الله فكيف يكون للمرأة أجر ألف شهيد وللرجل مائة شهيد؟ قال: «أوما علمت أن المرأة أعظم أجراً من الرجل، وأفضل ثواباً، وأنّ الله عزّ وجلّ ليرفع الرجل في الجنة درجات فوق درجاته برضا زوجته عنه في الدنيا ودعائها له؟ أوما علمت أن أعظم وزر بعد الشرك بالله المرأة إذا غشت زوجها؟

ألا فاتقوا الله في الضعيفين، فإن الله سائلكم عنهما: اليتيم والمرأة، فمن أحسن إليهما فقد بلغ إلى الله ورضوانه، ومن أساء إليهما فقد استوجب من الله سخطه، حق الزوج على المرأة كحقّي عليكم، فمن ضيّع حقّي فقد ضيّع حق الله، ومن ضيّع حق الله فقد باء بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير».

﴿بِالْمَعْرُوفِ وَاللِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ﴾: في الفضل.

قال ابن عباس: بما ساق إليها من المهر، وأنفق عليها من المال، وقيل: بالعقل، وقيل: بالميراث، وقيل: بالدرجة، قال قتادة: بالجهاد. عن أبي جعفر محمد بن علي عن جابر بن عبد الله، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو في نفر من أصحابه إذ أقبلت امرأة حتى قامت على رأسه، ثم قالت: السلام عليك يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، ليست من امرأة سمعت بمخرجي إليك إلا أعجبها ذلك، يا رسول الله: إن الله ربّ الرجال وربّ النساء، وادم أب الرجال وأب النساء، وحواء أم الرجال وأم النساء، فالرجال إذا خرجوا في سبيل الله وقتلوا فأحياء عند ربهم يرزقون، وإذا خرجوا فلهم من الأمر ما قد علمت، ونحن نحبس عليهم ونخدمهم فهل لنا من الأجر شيء؟ قال: «نعم، أقرئني النساء السلام وقولي لهنّ: «إنّ طاعة الزوج واعتراقاً بحقه يعدل ذلك، وقليل منكنّ يفعلهُ».

ثابت عن أنس، قال: جئن إلى رسول الله ﷺ فقلن: يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل بالجهاد في سبيل الله، فما لنا عمل يعدل به عمل في سبيل الله.

بكر بن عبد الله المزني عن عمران بن الحصين قال: سئل رسول الله ﷺ هل على النساء جهاد؟ قال: «نعم، جهادهن الغيرة، يجاهدن أنفسهن فإن صبرن فهنّ مجاهدات، وإن صبرن

فهنّ مرابطات ولهنّ أجران اثنان» .

وقيل : بالطلاق والرجعة ، وقيل : بالشهادة ، وقيل : بقوة العبادة ، وقال سفيان وزيد بن أسلم : بالإمارة . وقال القتيبي : معناه : وللرجال عليهنّ درجة أى فضيلة للحق .
 ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أَلْطَلَّقَ مَرَّتَانِ : روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن امرأة أتتها فشكت أن زوجها يطلقها ويسترجعها ليضارها بذلك ، وكان الرجل فى الجاهلية إذا طلق امرأته ثم راجعها قبل أن تنقضى عدتها كان له ذلك ، فإن طلقها ألف مرة لم يكن للطلاق عندهم حدّ ، فذكرت ذلك عائشة لرسول الله ﷺ فنزلت ﴿أَلْطَلَّقَ مَرَّتَانِ﴾ فجعل حدّ الطلاق ثلاثاً وللطلاق الثالث قوله تعالى : ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ وقيل للنبي ﷺ ﴿أَلْطَلَّقَ مَرَّتَانِ﴾ فأين الثالثة؟ قال : ﴿فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحَ بِإِحْسَانٍ﴾ .

وقال المفسرون : معنى الآية الطلاق الذى يملك فيه الرجعة مرّتان ﴿فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ﴾ أى عليه إمساك بمعروف أى يراجعها فى التولية الثالثة ﴿أَوْ تَسْرِيحَ بِإِحْسَانٍ﴾ بعدها ولا يضارها فإن طلقها واحدة أو اثنتين فهو أملك برجعته ما دامت فى العدة ، فإذا انقضت العدة فهى أحق بنفسها ، وجاز أن يراجعها عن تراض منهما بنكاح جديد ، فإن طلقها الثالثة بانت منه وكانت أحق بنفسها منه ، ولا تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيره .

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا﴾ : فى الحال الاستبدال والطلاق ﴿مِمَّا أَتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ : أعطيتموهنّ من المهور وغيرها ، ثم استثنى الخلع فقال ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ نزلت هذه الآية فى جميلة بنت عبد الله بن أبى أوفى تزوجها ثابت بن قيس بن شماس ، وكانت تبغضه بغضاً شديداً ، وكان يحبها حباً شديداً ، وكان بينهما كلام فأتت أباه فشكت إليه زوجها وقالت : إنه يسىء إلىّ ويضربنى ، فقال لها : ارجعى إلى زوجك فوالله إنى لأكره للمرأة أن لا تزال رافعة يدها تشكو زوجها ، فرجعت إليه الثانية وبها أثر الضرب ، فشكت إليه فقال لها : ارجعى إلى زوجك ، فلما رأت أن أباه لا يشكيها أتت رسول الله ﷺ ، فشكت إليه زوجها وأرته آثاراً بها من الضرب وقالت : يا رسول الله لا أنا ولا هو ، قال : فأرسل رسول الله ﷺ إلى ثابت بن قيس فقال : يا ثابت ما لك ولأهلك؟ قال : والذى بعثك بالحق ما على ظهر الأرض أحبّ إلىّ منها غيرك ، قال لها : ما تقولين؟ فكرهت أن تكذب رسول الله حين سألها ، فقالت : صدق يا رسول الله ، ولكنى خشيت أن يهلكنى فأخرجنى منه يا رسول الله ، فقال : إنى قد أعطيتها حديقة لى فقل لها فلتردّها علىّ وأنا أخلى سبيلها ، قال لها : ما تقولين تردّين إليه حديقته وتملكين أمرك؟ قالت : نعم ، وأنا أزيده ، قال : لا ، حديقته فقط .

ثم قالت: يا رسول الله ما كنت أحدثك اليوم حديثاً ينزل عليك خلافة غدأ هو من أكرم الناس حباً لزوجته ولكنى أبغضه، فلا هو ولا أنا، فقال له النبي ﷺ: «يا ثابت خذ منها ما أعطيتها وخلّ سبيلها» ففعل، وكان أول خلع في الإسلام، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ يعلمنا، وتصديقه قراءة أبي: «إلا أن يظننا، وقال محجن:

فلا تدفنتى بالفلاة فإننى أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

أى اعلم، وقرأ أبو جعفر وحمزة ويعقوب: (يخافا) بضم الياء أى يعلم ذلك منهما اعتباراً بقراءة ابن مسعود: «إلا أن يخافوا، واختاره أبو عبيد لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ قال: فجعل الخوف لغيرهما ولم يقل فإن يخافا ألا يقيما حدود الله وهو أن تخاف المرأة الفتنة على نفسها فتعصى الله فى أمر زوجها، ويخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتد عليها، فنهى الله تعالى الرجل أن يأخذ من امرأة شيئاً بغير رضاها إلا أن يكون النشوز وسوء الخلق من قبلها فتقول: والله لا أبرّك قسماً ولا أطيع لك أمراً ولا أظأ لك مضجعاً، ونحو ذلك، فإذا فعلت ذلك به حلّ له العقوبة منها إذا دعتة إلى ذلك، ويكره أن يأخذ منها أكثر مما أعطها، ولكنه فى الحكم جائز.

يبين ذلك ما روى الحكم بن عيينة أن امرأة نشزت على زوجها فى إمارة عمر بن الخطاب، فوعظها عمر (رضى الله عنه) وأمرها بطاعة زوجها فأبت وقالت: لئن رددتني إليه والله لأقتلن نفسي، فأمر بها فحبست فى اصطبل الدواب فى بيت الزمل ثلاث ليال، ثم دعاها فقال: كيف رأيت مكانك؟ فقالت: ما بت ليالى أفرّ لعيني منها، وما وجدت الراحة منذ كنت عنده إلا هذه الليالى، فقال: هذا وأبيكم النشوز، ثم قال لزوجها: اخلعها ولو من قرطها، اخلعها بما دون عقاص رأسها فلا خير لك فيها، فذلك قوله عزّ وجلّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ المرأة نفسها منه.

قال الفراء: أراد به الزوج دون المرأة فذكرهما جميعاً لأقرانهما كقوله ﴿نَسِيًا حَوْتَهُمَا﴾ (الكهف: ٦١) وإنما الناسى فتى موسى دون موسى عليه السلام وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٢٢) وإنما يخرج من المالح دون العذب، وقال الشاعر:

فإن تزجرانى يا بن عفان أنزجر وإن تدعانى أحم عرضاً ممنعا

وقال قوم معناه: فلا جناح عليهما جميعاً، لا جناح على المرأة فى النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية، ولا فيما افتدت به وأعطت من المال، لأنها ممنوعة من اتلاف المال بغير

حق، ولا على الرجل فيما أخذ منها من المال إذا أعطته طائفة بمرادها، وللفقهاء في الخلع قولان:

أحدهما: إنه فسخ بلا طلاق، وهو قول ابن عباس، وقول الشافعي في القديم بالعراق، ثم رجع عنه بمصر.

والقول الثاني: إن الخلع تطليقة بائنة إلا أن ينوى أكثر منها، وهو قول عثمان بن عفان رضى الله عنه، والقول الجديد من قول الشافعي.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ : هذه أوامر الله ونواهيه ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ : فلا تجاوزوها ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .



﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْتِ اللَّهِ هُزُومًا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُعْظِمُكُمْ بِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يُعَلِّمُ مَا يَشَاءُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ : يعنى ثلاثاً ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ : يعنى من بعد التطليقة الثالثة، وبعد رفع على الغاية ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ : أى غير المطلق فيجامعها، والنكاح يتناول العقد والوطء جميعاً.

نزلت هذه الآية فى تيممة، وقيل: عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظى، كانت تحت رفاعة بن وهب بن عتيك القرظى، وكان ابن عمها فطلقها ثلاثاً، وتزوجت بعده عبد الرحمن ابن الزبير وما معه إلا مثل هدية الثوب، وإنه طلقنى قبل أن يمسنى فأرجع إلى ابن عمى زوجى الأول؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أتريدى أن ترجعى إلى رفاعة، لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك» .

قال: وأبو بكر جالس عند النبي ﷺ، وخالد بن سعيد بن العاص جالس بباب الحجره فطفق خالد ينادى: يا أبا بكر ألا تزجر هذه عما تهجر به عند رسول الله، والعسيلة اسم للجماع، وأصلها من العسل شبه للذة التي ينالها الإنسان في تلك الحال بالعسل يقال منه: عسلها يعسلها عسلا إذا جامعها.

فلبثت ما شاء الله أن تلبث ثم رجعت إلى النبي ﷺ فقالت: إن زوجي كان قد مسني، فقال لها النبي ﷺ: «كذبت بقولك الأول فلن نصدقك في الآخر».

فلبثت حتى قبض النبي ﷺ فأنت أبا بكر، فقالت: يا خليفة رسول الله أرجع إلى زوجي الأول، فإن زوجي الآخر قد مسني وطلقني، فقال أبو بكر: قد شهدت رسول الله ﷺ حين أتيته، وقال لك ما قال فلا ترجعي إليه، فلما قبض أبو بكر أتت عمر رضی الله عنه وقالت له مثل ما قالت لأبي بكر، فقال عمر: لئن رجعت إليه لأرجمتك، فإن الله تعالى قد أنزل: ﴿إِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَتَكَبَّرَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾.

﴿إِن طَلَّقَهَا﴾: زوجها الثاني أو مات عنها بعدما جامعها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ يعني على المرأة المطلقة وعلى الزوج الأول ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ بنكاح جديد، فذكر النكاح بلفظ التراجع ﴿إِنْ ظَنَّا﴾ علما، وقيل: رجوا، قالوا: ولا يجوز أن يكون بمعنى العلم لأن أحدا لا يعلم ما هو كائن إلا الله عز وجل ﴿أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ يعني ما بين الله من حق أحدهما على الآخر، ومحل (أن) في قوله ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ نصب بنزع حرف الجر أي في أن يتراجعا، وفي قوله ﴿أَنْ يُقِيمَا﴾ نصب بوقوع الظن عليه.

وقال مجاهد: ومعناه إن علما أن نكاحهما على غير دلسة، وأراد بالدلسة التحليل، هذا مذهب سفيان والأوزاعي ومالك وأبي عبيدة وأحمد وإسحاق، قالوا في الرجل يطلق امرأته ثلاثا فتزوج زوجا غيره ليحلها لزوجها الأول: إن النكاح فاسد، وكان الشافعي يقول: إذا تزوجها ليحلها فالنكاح ثابت إذا لم يشترط ذلك في عقد النكاح مثل أن يقول: أنكحك حتى أصيبك فتحل لي زوجك الأول، فإذا اشترط هذا فالنكاح باطل، وما كان من شرط قبل عقد النكاح فلا يفسد النكاح.

وقال نافع أتى رجل ابن عمر فقال: إن رجلا طلق امرأته ثلاثا، فانطلق أخ له من غير مراجعة فتزوجها ليحلها للأول فقال: لا، إلا بنكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله ﷺ، وقال ﷺ: «لعن الله المحلل والمحلل له».

عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على التيس المستعار؟».

قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «هو المحلل والمحلل له».

قبيصة بن جابر الأسدي، قال: سمعت عمر بن الخطاب يخطب وهو على المنبر: والله لا أوتى بمحلل ولا بمحلل له إلا رجمتها.

﴿وَتَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ يَبَيِّنُهَا﴾: روى الفضل وأبان عن عاصم بالنون ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وإذا طَلَّقَتْهُ الْنِسَاءُ قَبْلَ أَنْ أَجْلَهُنَّ: نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت بن يسار، طَلَّقَتْ امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة وكادت تبين منه، راجعها ثم طلقها، ففعل بها ذلك حتى مضيت لها تسعة أشهر مضارة لها بذلك، ولم يكن الطلاق يومئذ محصوراً، وكان إذا أراد الرجل أن يُضارَّ امرأته طلقها ثم تركها حتى تحيض الحيضة الثالثة، ثم راجعها ثم طلقها فتطويله عليها هو الضرار، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ قَبْلَ أَنْ أَجْلَهُنَّ﴾ أى أمرهن في أن تبين بانقضاء العدة، ولم يرد إذا انقضت عدتهن لأنها إذا انقضت عدتها لم يكن للزوج إمساكها، فالبلوغ هاهنا بلوغ مقاربة، وقوله بعد هذا ﴿قَبْلَ أَنْ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضَلُوهُنَّ﴾ بلوغ انقضاء وانتهاء، والبلوغ يتناول المعنيين جميعاً، يقال: بلغ المدينة إذا صار إلى حدها وإذا دخلها.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾: أى راجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ قال محمد بن جرير: بمعروف أى بإشهاد على الرجعة وعقد لها دون الرجعة بالوطء ﴿أَوْ سَرَخُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن، وكن أملك لأنفسهن.

﴿وَلَا تُسْكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾: مضارة وأنتم لا حاجة بكم إليهن ﴿لِتَعْتَدُوا﴾ عليهن بتطويل العدة ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الاعتداء ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ ضررها بمخالفة أمر الله عز وجل.

مرّة الطيب، عن أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من ضار مسلماً أو مأكراً».

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا﴾: الحسن عن أبى الدرداء قال: كان الرجل يطلق في الجاهلية ويقول: إنما طَلَّقْتُ وأنا لاعب فيرجع فيها ويعتق، فيقول مثل ذلك ويرجع فيه وينكح، ويقول مثل ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا﴾ يقول: حدود الله وقرأها رسول الله ﷺ، فقال: من طلق أو حرّر وأنكح وزعم أنه لاعب فهو جدّ، وفي الخبر: خمسٌ جدّهنَّ جدّ وهزلهنَّ جدّ: الطلاق، والعناق، والنكاح، والرجعة، والنذر.

وعن أبى موسى، قال: غضب رسول الله ﷺ على الأشعريين قال: يقول «أحدكم لامرأته: قد طلقتك، قد راجعتك، ليس هذا طلاق المسلمين، طلقوا المرأة في قبل طمئتها».

وقال الكلبي ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا﴾ يعنى قوله ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِأَحْسَنِ﴾.

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ : بالإيمان ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ : يعنى القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ : يعنى مواظب القرآن والحدود والأحكام .

﴿يَعْظُمُكُمْ بِهِ﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ الآية ، نزلت فى جميلة بنت يسار أخت معقل بن يسار المزنى ، كانت تحت أبى البداح عاصم بن عدى بن عجلان ، فطلَّقها تطليقة واحدة ثم تركها حتى انقضت عدتها ثم جاء يخطبها وأراد مراجعتها وكان رجل صدق ، وكانت المرأة تحب مراجعته ، فمنعها أخوها معقل وقال لها : لئن راجعته لا أكلمك أبداً ، وقال لزوجها : أفرشتك كريمتى وأثرتك بها على قومى فطلقتها ، ثم لم تراجعها حتى إذا انقضت عدتها جئت تخطبها ، والله لا أنكحك بها أبداً ، وحى أنفاً ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فدعا رسول الله معقلاً وتلاها عليه ، فقال : فإنى أومن بالله واليوم الآخر ، فأنكحها إياه وكفرى يمينه على قول أكثر المفسرين .

وقال السدى : نزلت هذه الآية فى جابر بن عبد الله الأنصارى وكانت له بنت عم فطلَّقها زوجها تطليقة واحدة وانقضت عدتها ثم أراد مراجعتها ، فأتى جابر فقال : طلقت ابنة عمى ثم تريد أن تنكحها الثانية ، وكانت المرأة تريد زوجها فأنزل الله ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ﴾ فانقضت عدتهن قال الزجاج : الأجل آخر المدة وعاقبة الأمور ، قال لبيد :

❖ فأخراها بالبر لله الأجل ❖

يريد عاقبة الأمور .

﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ : فلا تمنعهن ، والعَضْلُ : المنع هو التزوج ، وأنشد الأخفش :

ونحن عضلنا بالرماح لسانا وما فيكم من حرمة له عاضل

وأنشد :

وأن قصائدى لك فاصطنعنى كرائم قد عضلن عن النكاح

وأصل العضل الضيق والشدّة ، يقال : عضلت المرأة والشاة إذا تشبث ولدهما فى بطنهما فضاق عليه الخروج ، وعضلت الدجاجة إذا تشبث البيض فيها ، وعضل الفضاء بالجلّس إذا ضاق عليهم لكثرتهم ، ويقال : داء عضال إذا ضاق علاجه فلا يطاق ، ويقال : عضل الأمر إذا اشتد وضاق .

وقال عمر رضى الله عنه : أعضل أهل الكوفة لا يرضون بأمر ولا يرضاهم أمير ، وقال

أوس بن حجر :

يذمك إن ولى ويرضيك مقبلا

وليس أخوك الدائم العهد بالذى

ولكنه النائي إذا كنت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا
قال طائوس: لقد وردت عضل أفضية ما قام بها إلا ابن عباس، وكل مشكل عند العرب
معضل ومنه قول الشافعي:

إذا العضلات بعدن عنى كشفت حقائقها بالنظر

﴿أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ﴾: الأوّل بنكاح جديد ﴿إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بعقد حلال ومهر
جائز، ونظم الآية: فلا تعضلوهم أن ينكحن أزواجهن بالمعروف إذا تراضوا بينهم، وفي هذه
الآية دليل قول من قال: لا نكاح إلا بولي لأنه تعالى خاطب الأولياء في التزويج، ولو كان
للمرأة إنكاح نفسها لم يكن هناك عضل ولا نهى الله الأولياء عن العضل معنى، يدل عليه ما
روى أبو بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نكاح إلا بولي».

﴿ذَلِكَ﴾: أى ذلك الذى ذكرت من النهى ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾:
وإنما قال ذلك موحداً والخطاب للأولياء؛ لأن الأصل فى مخاطبة الجمع ذلكم ثم كثر ذلك
حتى توهموا أن الكاف من نفس الحرف، وليس بكاف الخطاب، فقالوا ذلك، وإذا قالوا هذا
كانت الكاف موحدة منصوبة فى الآيتين والجمع والمذكر والمؤنث.

وقيل: ههنا خطاب للنبي ﷺ فلذلك وحده ثم رجع إلى خطاب المؤمنين، فقال عز من
قائل: ﴿ذَلِكَمُزَكَّى﴾ خير وأفضل ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾: لقلوبكم من الريبة وذلك أنهما إذا كان فى
نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن بأن يتجاوز ذلك إلى غير ما أحل الله لهما، ولم
يؤمن من أولياءهما إن سبق إلى قلوبهم منهما لعلهما أن يكونا بريئين من ذلك فيأثمون.
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: من خبر كل واحد منهما لصاحبه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.



﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ
رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ
بَوْلِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا
وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠٧﴾ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٦٠﴾

﴿وَالْوَالِدَاتُ﴾: المطلقات اللاتي لهنّ أولاد من أزواجهن المطلقين ولدنهم قبل الطلاق أو بعده ﴿يَرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾: يعنى أنهنّ أحقّ برضاعهنّ من غيرهن، أمر استحباب لا أمر إيجاب من أنه رضاعهن عليهنّ لأنه سبحانه وتعالى قال فى سورة الطلاق ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَكُفُّوا عَنْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ إلى ﴿لَهُنَّ أُجُورٌ﴾ (الطلاق: ٦).

ثم بيّن حدّ الرضاع فقال: ﴿حَوْلَيْنِ﴾ أى سنتين، وأصله من قولهم: حال الشيء إذا انتقل وتغيّر ﴿كَامِلَيْنِ﴾ على التأكيد كقوله تلك عشرة كاملة، وقال أهل المعانى: إنما قال ﴿كَامِلَيْنِ﴾ لأنّ العرب تقول: أقام فلان مقام كذا حولين أو شهرين وإنما أقام حولاً وبعض آخر، ويقولون: اليوم يومان مذ لم أره، وإنما يعنون يوماً وبعض آخر، ومنه قوله: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا أَثَرَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ٢٠٣) ومعلوم أنه يتعجل أو يتأخر فى يوم ونصف، ومثلها كثير، فبيّن الله أنهما حولان كاملان أربعة وعشرين شهراً من يوم ولد إلى أن يفطم.

واختلف العلماء فى هذا الحدّ أهو حدّ لكل مولود أو حدّ لبعض دون بعض؟ فروى عكرمة عن ابن عباس: إذا وضعت لستة أشهر فإنها ترضعه حولين كاملين، أربعة وعشرين شهراً، وإذا وضعت لسبعة أشهر أرضعته ثلاثة وعشرين شهراً، وإذا وضعت لتسعة أشهر أرضعته إحدى وعشرين شهراً، كل ذلك تمام ثلاثين شهراً، قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف: ١٥).

وقال قوم: هو حدّ لكل مولود فى وقت وأن لا ينقص من حولين ولا يزيد إلا أن يشاء الزيادة؛ فإن أراد الأب أن يفطمه قبل الحولين ولم ترض الأم فليس له ذلك، وإذا قالت الأم: أنا أفطمه قبل الحولين، وقال الأب: لا، فليس لها أن تفضمه حتى يتفقا جميعاً على الرضا، فإن اجتمعا قبل الحولين فطماه وإن اختلفا لم يفطماه قبل الحولين، وذلك قوله ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا﴾ وتشاور هذا قول ابن جريج والثورى ورواية الوالى عن ابن عباس.

وقال آخرون: المراد بهذه الآية الدلالة على الرضاع ما كان فى الحولين، فإنّ ما بعد الحولين من الرضاع يحرم، وهو قول على وعبد الله وابن عباس وابن عمر وعلقمة والشعبي والزهرى، وفى الحديث: لا رضاع بعد الحولين، وإنما يحرم من الرضاع ما أنبت اللحم وأنشز العظم.

وقال قتادة والربيع: فرض الله عزّ وجل على الوالدات أن يرضعن أولادهنّ حولين كاملين ثم أنزل الرخصة والتخفيف بعد ذلك فقال: ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ أى هذا منتهى الرضاع، وليس فيما دون ذلك وقت محدود، وإنما هو على مقدار صلاح الصبى وما يعيش به، وقرأ أبو

رجاء ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الرِّضَاعَةَ﴾ بكسر الراء، قال الخليل والفرّاء: هما لغتان، مثل الوكالة والوكالة والدلالة.

وقرأ مجاهد وابن محجن (لمن أراد أن يتم الرضعة) وهى فعلة كالمرة الواحدة، وقرأ عكرمة وحميد وعون العيلى (لمن أراد أن تتم الرضاعة) بناء مفتوحة ورفع الرضاعة على أن الفعل لها، وقرأ ابن عباس (يكمل الرضاعة).

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ : يعنى الأب ﴿رَزَقْنَهُ﴾ : طعامهنّ وقوتهنّ ﴿وَكِسْوَتَهُنَّ﴾ : لباسهنّ، وقرأ طلحة عن مصرف ﴿وَكِسْوَتَهُنَّ﴾ بضم الكاف، وهما لغتان مثل أسوة وإسوة ورشوه ورشوة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ : علم الله تفاوت أحوال خلقه فى الغنى والفقير، فقال: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ : أى على قدر المسيرة جعل الرضاعة على الأم والنفقة على الأب ﴿لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ : والتكليف الإلزام، قال الشاعر:

تكلّفنى معيشة آل فهر ومن لى بالصلائق والصناب

والوسع ما يسع الإنسان فيطيقه ولا يضيق عليه، وهو اسم كالجهد والوجد، وقيل: الوسع يعنى الطاقة، ورفّع النفس باسم الفعل المجهول لأنه وضع موضع الفاعل، وانتصب الوسع بخبر الفعل المجهول، لأنه أقيم مقام المفعول، نظيرها فى سورة الطلاق.

﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ : قرأ ابن محجن وابن كثير وشبل وأبو عمرو وسلام ويعقوب وقتيبة يرفع الراء مشددة وأجازه أبو حاتم على الخبر مسبوقة على قوله ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٦) وأصله فلا يضارر فأدغمت الراء فى الراء، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وخلف ﴿لَا تُضَارَّ﴾ : مشددة منصوبة الراء واختاره أبو عبيد على النهى وأصله لا تضارر فأدغمت وحرّكت إلى أخفّ الحركات وهو النصب، ويدل عليه قراءة عمر: لا تضارر على إظهار التضعيف، وقرأ الحسن: لا تضارر براء مدغمة مكسورة لأنها لما أدغمت سكتت، وبجزمه تحرك إلى الكسر، وروى أبان عن عاصم: لا تُضار مظهره مكسورة على أن الفعل لها، وقرأ أبو جعفر لا تضار بجزم الراء وتخفيفه على الحذف طلباً للخفة.

ومعنى الآية ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ : فينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه وألفها الصبى ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِرَبِّهِ﴾ : ولا تلقيه هى إلى أبيه بعدما عرفها تضارّه بذلك.

وقيل: معناه ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ : فيكرهها على الرضاعة إذا قبل من غيرها، وكرهت هى إرضاعه؛ لأن ذلك ليس بواجب عليها ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِرَبِّهِ﴾ فيحمل على أن يعطى الأم إذا لم يرضع الولد إلاّ منها أكثر مما يجب له عليه، فهذان القولان على مذهب الفعل المجهول على

معنى أنه يفعل ذلك بها وبوالده والمولود له مفعولان، وأصل الكلمة يضارّ بفتح الراء الأولى، ويحتمل أن يكون الفعل لهما، وأن يكون تضار على مذهب ما قد سمي فاعله، والمعنى: لا يضارّ والده فتأبى أن ترضع ولدها لتشقّ على أبيه ولا مولود له، ولا يضار الأب أم الصبي فيمنعها من إرضاعه وينزعه منها، وعلى هذا المذهب أصله لا يضارر بكسر الراء الأولى، وعلى هذه الأقوال يرجع الضرار إلى الوالدين يضرّ كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد.

ويجوز أن يكون الضرار راجعاً إلى الصبي أى لا يضارّ كل واحد منهما الصبي، فلا ترضعه الأم حتى يموت، أو لا ينفق عليها الأب أو ينزعه من أمه حتى يضر بالصبي ويكون الياء زائدة معناه: لا تضار الأم ولدها ولا أب ولده، وكل هذه الأقاويل مروية عن المفسرين.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾: اختلف أهل الفتاوى فى أى وارث هو؟ ووارث من هو؟ فقال قوم: هو وارث الصبي، معناه: وعلى وارث الصبي الذى لو مات الصبي وله خال ورثه، مثل الذى كان على أبيه فى حياته.

ثم اختلفوا أى وارث هو من ورثته؟ فقال بعضهم: هو عصبته كائناً من كان من الرجال دون النساء، مثل الجد والأخ وابن الأخ والعم وابن العم ونحوهم، وهو قول عمر رضى الله عنه والزهرى والحسن ومجاهد وعطاء ومذهب سفيان، قال: إذا لم يبلغ نصيب الصبي ما ينفق عليه أجبرت العصبه الذين يرثونه أن يسترضعوه.

قال ابن سيرين: أتى عبد الله فى رضاع صبي يتيم ومنعه وليه؛ فجعل رضاعه فى ماله، وقال لو ارثه: لو لم يكن له مال لجعلنا رضاعه فى مالك، ألا ترى أن الله عزّ وجل يقول ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾؟ قال الضحاك: إن مات أب الصبي وللصبي المال أخذ رضاعه من المال، وإن لم يكن له مال أخذ من العصبه، وإن لم يكن للعصبه مال أجبرت عليه أمه.

وقال بعضهم: هو ويرث الصبي كائناً من كان من الرجال والنساء، وهو قول قتادة والحسن ابن صالح وابن أبى ليلى ومذهب أحمد وإسحاق وأبى ثور قالوا: يجبر على نفقته كل وارث على قدر ميراثه، عصبه كانوا أو غيرهم.

وقال بعضهم: هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود؛ فمن لم يكن محرم مثل ابن العم والمولى وما أشبههما فليسوا ممن عناهم الله بقوله: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ وإن كانوا من جملة العصبه لا يجبرون على النفقة، وهو قول أبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد، قال: لا يجبر على نفقة الصبي إلا ذورحمه المحرم، وقال آخرون ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ يعنى الصبي نفسه الذى هو وارث أبيه المتوفى فإن عليه أجر رضاعه فى ماله إن كان له مال، فإن لم يكن له

مال أجبر أمه على رضاعه، ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان، وهو قول مالك والشافعي.

وقيل: هو الباقي من والدى المولود بعد وفاة الآخر عليه مثل ذلك، يعنى: مثل ما كان على الأب من أجر الرضاع والنفقة والكسوة، قاله أكثر العلماء، وقال الشعبي والزهرى ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ يعنى أن لا يضار.

﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾: يعنى الوالدان، ﴿فَصَالًا﴾: فطامًا قبل الحولين وأصل القطع ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا﴾ جميعًا به واتفاقًا عليه ﴿وَتَشَاوُرٍ﴾ وهو استخراج الرأى، وأصله من شرت الدابة وشورتها إذا استخراجت ما عندها من الغدد ويقال لعلم ذلك: المشوار.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾: أيها الآباء ﴿أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾: مرضع غير أمهاتهم إذا أبين مرضاتهم أن يرضعه، أو لعله بهن أو انقطاع لبنهن أو أردن النكاح، أو خفتم الضيعة على أولادكم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾: إلى أمهاتهم أجرهن بقدر ما أرضعن، وقيل: سلمتم أجور المرضع إليهن.

وقيل: إذا سلمتم الاسترضاع عن تراض واتفاق دون الضرر وذلك قوله تعالى: ﴿مَاءً آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ أَي يُقْبَضُونَ ويموتون، وأصل التوفى أخذ الشيء وافيًا، وقرأ على بن أبى طالب كرم الله وجهه بفتح الياء أى يتوفون أعمارهم وأرزاقهم وتوفى واستوفى بمعنى واحد ﴿وَيَذُرُونَ﴾ ويتركون ﴿أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ فإن قيل: فأين الخبر عن قوله ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ قيل: هو متروك فإنه لم يقصد الخبر عنهم، وذلك جائز فى الاسم يذكر ويكون تمام خبره فى اسم آخر، أن يقول الأول ويخبر عن الثانى فيكون معناه ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ كقول الشاعر:

بنى أسد إن ابن قيس وقتله
بغير دم دار المذلة حلت

فألغى ابن قيس وقد ابتداء بذكره، وأخبر عن قتله أنه ذلّ، وأنشد:

لعلى إن مالت بى الريح ميلة
على ابن أبى ذبان أن يتندما

فقال: لعلى ثم قال: يتندما لأن المعنى فيه عدا قول الفرأء.

وقال الزجاج: معناه: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا﴾ أزواجهم يتربصن بأنفسهن.

وقال الأخفش: خبره فى قوله ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ أى يتربصن بعدهم.

وقال قطرب: معناه ينبغى لهن أن يتربصن أى ينتظرن ويحتبسن بأنفسهن، معتدات على

أزواجهن، تاركات الطيب والزينة والأزواج والنقلة عن المسكن الذى كن يسكنه فى حياة

أزواجهنّ أربعة أشهر وعشراً إلا أن يكنّ حوامل فيتربصن إلى أن يضعن حملهنّ ، فإذا ولدنّ انقضت عدتهنّ .

وروى الزهري عن عروة عن عائشة أنها كانت تفتى للمتوفى عنها زوجها حتى تنقضى عدتها أن لا تلبس مصبوغاً ، وتلبس البياض ولا تلبس السواد ، ولا تتزيّن ولا تلبس حلياً ولا تكتحل بالإثمد ولا بكحل فيه طيب وإن وجعت عينها ، ولكنها تتحلّى بالصبر وما بدا لها من الأكحال سوى الإثمد مما ليس فيه طيب .

وروى نافع عن زينب بنت أم سلمة أنّ امرأة من قريش جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : إن ابنتي توفى زوجها وقد اشتكت عينها حتى خفت على عينها وهي تريد الكحل ، فقال عليه الصلاة والسلام : « قد كانت إحداكن تلبس أطمار ثيابها وتجلس في أخس بيوتها وتمكث حولاً في بيتها ، فإذا كان الحول خرجت فمن كملت رمته ببعرة أفلا أربعة أشهر وعشراً » .

وروى نافع عن صفية بنت عبد الرحمن عن حفصة بنت عمر أن النبي ﷺ قال : « لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ على ميت فوق ثلاث إلا على زوج ، فإنها تحدّ عليه أربعة أشهر وعشراً »

وقال سعيد بن المسيب : الحكمة في هذه المدة أن فيها ينفخ الروح في الولد ، وإنما قال وعشراً بلفظ المؤنث لأنه أراد الليالي لأن العرب إذا أتممت العدد من الليالي والأيام غلبت عليه الليالي فيقولون : صمنا عشراً ، والصوم لا يكون إلا بالنهار ، قال الشاعر :

وطافت ثلاثاً بين يوم وليلة
وكان النكير أن يضيف ويجار

أى يخاف فاضح ، ويدلّ عليه قراءة ابن عباس : أربعة أشهر وعشر ليال ، وقال المبرد : إنّما أنّث العشر لأنه أراد به المدد .

﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ﴾ : يعنى انقضاء العدة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ : يخاطب الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ : من البر في أن يتولوهنّ لهنّ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .



﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَمَّ اللَّهُ أَنْكُمْ سَتَذَكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهنّ أو تفرضوا لهنّ

فَرِيضَةٌ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ، وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ، مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠﴾ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: يا معشر الرجال ﴿فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾: النساء المعتدات، وأصل التعريض التلويح بالشيء. قال الشاعر:

كما خطّ عبرانية بيمينه بيتماء حبر ثم عرض أسطرًا

والتعريض في الكلام ما كان من لحن الكلام الذي يفهم به السامع من غير تصريح، وأصله من عرض الشيء وهو جانبه يقال: أضرب به عرض الحائط كأنه يحوم حوله ولا يظهره، وتعريض الخطبة المذكورة في هذه الآية على ما جاء في التفسير هو أن يقول لها وهي في العدة: إنك لجميلة، وإنك لصالحة، وإنك لنافعة، وإن من عزمي أن أتزوج، وإني فيك لراغب، وإني عليك لحريص، ولعل الله أن يسوق إليك خيرًا، وإن جمع الله بيننا بالحلال أعجبني، ولئن تزوجتك لأعطيتك ولأحسن إليك ونحوها من الكلام من غير أن يقول لها: انكحى. قال إبراهيم: لا بأس أن يهدى لها ويقوم بشغلها في العدة إذا كانت من شأنه.

وروى ابن عوف عن محمد بن عبيدة في هذه الآية قال: يقول لوليها لا سبقني إليها. قال مجاهد قال رجل لامرأة في جنازة زوجها: لا تسبقيني بنفسك، فقالت: قد سبقت، وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته، أن سكينه بنت حنظلة قالت: دخل عليّ أبو جعفر محمد بن علي وأنا في عدتي فقال: يا بنت حنظلة، أنا من قد علمت من قرابتي من رسول الله ﷺ وحق جدّي عليّ وقدمه في الإسلام، فقالت: غفر الله لك يا أبا جعفر، أتخطبني في عدتي وأنت يؤخذ عنك؟ فقال: أو لقد فعلت إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله ﷺ وموضعي، قد دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبي سلمة وتوفى عنها زوجها، فلم يزل رسول الله ﷺ يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصر في يده من شدة تحامله على يده فما كانت تلك خطبة.

وقال ابن يزيد في هذه الآية: كان أبي يقول: كل شيء كان دون أن يعزما عقدة النكاح فهو زنا، قال الله عز وجل ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ والخطبة التماس النكاح، وهو مصدر قولك: خطب الرجل المرأة يخطبها خطبة وخطبًا.

وقال قوم: هي مثال الجلسة والقعدة والركبة، ومعنى قولهم خطب فلان فلانة: سألها خطبة إلى ما فى نفسها أى حاجاته وأمره من قولهم ما خطبك أى حاجتك وأمرك، قال الله: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي﴾ (طه: ٩٥) وقال الأخفش: الخطبة: الذكر، والخطبة المشهد، فيكون معناه: فيما عرضتم به من تخطبون النساء عندهن ﴿أَوْ أَكْتَنْتُمْ﴾ أسررتم وأضمرتتم ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ فى خطبتهن وزواجهن، يقال: كنت الشيء وأكنته لغتان، وقال ثعلب: أكنتت الشيء أخفيته فى نفسى وكنته سترته، وقال السدى: هو أن يدخل فيساويهن إن شاء ولا يتكلم بشيء.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ : بقلوبكم، وقال الحسن: يعنى الخطبة ﴿وَلَنْ كِنَ لَأُتَوَّعِدُوهُنَّ﴾ بيوم، قال بعضهم: هو الزنا وكان الرجل يدخل على المرأة من أجل الريبة وهو عرض بالنكاح فيقول لها: دعيني فإذا وفيت عدتك أظهرت نكاحك، فنهى الله تعالى عن ذلك، هذا قول الحسن وقتادة وإبراهيم وجابر بن زيد وابن أبى مجلز والضحاك والربيع وعطاء، وهى رواية عطية عن ابن عباس، يدل عليه قول الأعشى:

ولا تقربن جارة إن سرها عليك حرام وانكحن أو تأبدا

وقال الحطيئة:

ويحرم سر جارتهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع

وقال مجاهد: هو قول الرجل للمرأة: لا تفوتيني نفسك، فإنى أنكحك. الشعبي والسدى: لا يأخذ ميثاقها أن لا تنكح غيره. عكرمة: لا يخطبها فى العدة. سعيد بن جبير: لا يقايضها على كذا وكذا من المال على أن لا تزوج غيره، وهذه التأويلات كلها متقاربة، والسر على هذه الأقوال النكاح قال امرؤ القيس:

ألا زعمت بسباسة اليوم أننى كبرت وأن لا يحسن السر أمثالى

قال الأعشى:

فلم يطلبوا سرها للغنى ولم يسلموها لإزهاها

أى نكاحها، وقال الكلبي: لا تواعدوهن سرا أى لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع فيقول لها آتيك الأربعة الخمسة وأشبه ذلك، وعلى هذا القول السر هو الجماع نفسه، وقال الفرزدق:

موانع للأسرار إلا لأهلها ويخلفن ما ظن الغيور المشفشف

يعنى أنهن عفاف اليد عن الجماع إلا من أزواجهن. قال رؤبة:

فغفّ عن أسرارها بعد الغسق ولم يضعها بين فرك وعشق

يعنى عفّ عن غشيانها بعد ما لزمته ذلك .

وقال زيد بن أسلم: لا تواعدوهن سرّاً أى لا تنكحوهن سرّاً، ثم يمسكها حتى إذا حلّت أظهرت ذلك، وأصل السرّ ما أخفيته فى نفسك، وإنما قيل للنكاح والزنا والجماع السرّ لأنها تكون بين الرجل والمرأة فى خفاء، ويقال أيضاً للفرج سرّاً لأنه لا يظهر، وأنشد ثعلب عن ابن الأعرابى:

لما رأت سرّى تغيّر وانحنى من دون نهمة سرّها حين انثنى

ثم استثنى فقال ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ قيل عدة جميلة، وقال مجاهد: هو التعرض من غير أن يصرّح ويبوح، وأن فى محل نصب بدلاً من السرّ، وقال عبد الرحمن بن زيد: هذا كله منسوخ بقوله: ﴿وَلَا تَعْرِضُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أى لا تصححوا عقدة النكاح، وقال ابن الزجاج: ولا تعزموا على عقدة النكاح، كما يقال: يضرب يد الطهر واليمن وقال عنترة:

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المطعم

أى وأظل عليه .

﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ﴾: حتى تنقضى العدة وإنما سماها كتاباً لأنها فرض من الله تعالى كقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ (البقرة: ٢١٦).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾: فخافوا الله ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعجل بالعقوبة، تقول العرب: ضع الهودج على أحلم الجمال .

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ الآية، نزلت فى رجل من الأنصار تزوج بامرأة من بنى حنيفة، ولم يسم لها مهراً، ثم طلقها قبل أن يمسه فأنزل الله تعالى هذه الآية، فلما نزلت قال له رسول الله ﷺ: «متعها ولو بقلنسوتك»، فذلك قوله ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ تجامعوهنّ .

قرأ حمزة والكسائى وخلف: تماسوهنّ بالألف على المفاعلة لأنّ بدن كل واحد منهما يمسّ بدن صاحبه فيتماسان جميعاً، دليله ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ (المجادلة: ٣) وقرأ الباقون: تمسوهن بغير ألف لأن الغشيان إنما هو من فعل الرجل، دليله قوله ﴿وَلَوْ يَمَسُّنِي بَشْرٌ﴾ (مريم: ٢٠).

﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: أى توجدوا لهن صدقاً، يقال فرض السلطان لفلان أى أثبت له صدقة فى الديوان، فإن قيل: ما الوجه فى نفى الجناح عن المطلق وهل على الرجل جناح لو طلق بعد المسيس فيوضع عنه قبل المسيس؟ قيل: روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ما بال أقوام

يلعبون بحدود الله يقولون: طَلَّقْتِكِ، راجعتك؟»، وقال ﷺ: «لا تطلقوا نساءكم إلا عن رية؛ فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات».

قال ﷺ: «أبغض الحلال عند الله الطلاق»، وقال ﷺ: «إن الله يبغض كل مطلق مذواق».

فلما قال رسول الله هذا ظنوا أنهم يأثمون في ذلك فأخبر الله تعالى أنه لا جناح في تطليق النساء إذا كان على الوجه المنسوب، فربما كان الفراق أروح من الإمساك، وقيل: معنى قوله ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أى لا سبيل عليكم للنساء إن طلقتموهن ما لم تمسوهن ولم تكونوا فرضتم لهن فريضة فى إبتاعكم بصداق ولا نفقة.

وقيل: معناه ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ فى أى وقت شئتم لأنه لا سنة فى طلاقهن، فللرجل أن يطلقهن إذا لم يكن مسهن حائضاً أو طاهراً، وفى كل وقت أحب، وليس كذلك فى المدخول بها لأنه ليس لزوجها طلاقها إن كانت من أهل الأقراء إلا العدة ظاهراً فى طهر لم يجامعها فيه، فإن طلقها حائضاً آيساً وقع الطلاق.

﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾: أى زودوهن وأعطوهن من مالكم ما يتمتعن به، والمتعة والمتاع ما تبلغ به من الزاد ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ﴾ أى الغنى ﴿قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ﴾ الفقير ﴿قَدْرَهُ﴾ أى إمكانه وطاقته، قرأ أبو جعفر وحفص وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان بفتح الدال فيهما، واختاره أبو عبيدة قال: لما فيهما من الفخامة، وقرأ الآخرون بجزم الدال فيهما واختاره أبو حاتم وهما لغتان، قال: نطقت بهما القرآن فتصديق الفتح قوله: ﴿فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةَ بِقَدْرِهَا﴾ (الرعد: ١٧) وتصديق الجزم قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الزمر: ٦٧) تقول العرب: القضاء والقدر، وقال أبو يزيد الأنصاري: القضاء والقدر بتسكين الدال، وقال الشاعر وهو الفرزدق:

وما صبّ رملى فى حديد مجاشع مع القدر إلا حاجة لى أريدها

وقال بعضهم: القدر المصدر والقدر الاسم ﴿مَتَّعًا﴾ نصب على المصدر أى متعوهن متاعاً، ويجوز أن يكون نصباً على القطع لأن المتاع نكرة والقدر معرفة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أى ما أمركم الله به من غير ظلم ولا مظل ﴿حَقًّا﴾ نصب على الحكاية تقديره: أخبركم حقاً، وقيل على القطع.

❖ حكم الآية:

قال المفسرون: قيل: هذا فى الرجل يتزوج المرأة ولا يسمّى لها صداقاً فطلقها قبل أن يمسه فلها المتعة ولا فريضة لها بإجماع العلماء، واختلفوا فى متعة المطلقة فيما عدا ذلك، فقال

قوم: لكل مطلقة متعة كائنة من كانت وعلى أى وجه وقع الطلاق، فالمتعة واجبة تقضى لها فى مال المطلق كما تقضى عليه سائر الديون الواجبة عليه، سواء دخل بها أو لم يدخل، فرض لها أو لم يفرض إذا كان الطلاق من قبله، فأما إذا كان الفراق من قبلها فلا متعة لها ولا مهر، وهو قول الحسن وسعيد بن جبير وأبى العالية ومحمد بن جرير، قال: لقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢٤١) فأوجب المتعة لجميع المطلقات ولم يفرق، ويكون معنى الآية على هذا القول: لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة أو لم تفرضوا لهن فريضة، لأن كل منكوحة إنما هى إحدى اثنتين: مُسَمَّى لها الصداق أو غير مسمى لها فعلنا بالذى نقلوا من قوله: ﴿أَوْ تَقْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أن المعنية بقوله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ المفروضات لهن ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وغير المفروض لها إذا معنى لقول القائل: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ ثم قال: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ يعنى الجميع.

وقال آخرون: المتعة واجبة لكل مطلقة سوى المطلقة المفروض لها إذا طلقت قبل الدخول فإنه لا متعة لها وإنما لها نصف الصداق المسمى، هذا قول عبد الله بن عمر ونافع وعطاء ومجاهد ومذهب الشافعى، ويكون وجه الآية على هذا القول لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة، الألف زائدة كقوله ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (الصفات: ١٤٧) ونحوها، ثم أمر بالمتعة لهن.

ويجوز أن يكون قوله ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ راجعاً إلى المطلقات غير المفروضات قبل الميسر دون المفروضات لهن، ويكون قوله فى عقبه: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ مختصاً له، فجرى فى أول الآية على ظاهر العموم فى المفروضات وغير المفروضات، وفى قوله ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ على التخصيص فى غير المفروضات للآية التى بعدها.

وقال الزهرى: متعتان يقضى بأحدهما السلطان ولا يقضى بالأخرى، بل يلزمه فيما بينه وبين الله، فأما التى يقضى بها السلطان فهو فيمن طلق قبل أن يفرض لها ويدخل بها فإنه يؤخذ بالمتعة وهو قوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

والمتعة التى تلزم فيما بينه وبين الله تعالى ولا يقضى به السلطان هى فيمن طلق بعدما يدخل بها ويفرض لها وهو قوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ وقال بعضهم: ليس شىء من ذلك بواجب، وإنما المتعة إحسان والأمر به أمر ندى واستحباب لا أمر فرض وإيجاب، وهو قول أبى حنيفة، وروى ابن سيرين أن رجلاً طلق امرأة وقد دخل بها، فخاصمته إلى شريح فى المتعة فقال

شريح : لا تاب أن يكون من المحسنين ، ولا تاب أن يكون من المتقين ، ولم يجبره على ذلك .
واختلفوا فى قدر المتعة ومبلغها ، فقال ابن عباس والشعبي والزهرى والربيع بن أنس :
أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب : درع وخمار وجلباب وإزار ، ودون ذلك النفقة ، ثم دون
ذلك الكسوة ، شئ من الورق ، وهذا مذهب الشافعى قال : أعلاها خادم على الموسع ،
وأوسطها ثوب ، وأقلها أقل ماله ثمن . قال الحسن : ثلاثون درهماً ، وكان شريح يمتع
بخمسمائة درهم ، ومتع عبد الرحمن بن عوف أم أبى سلمة حين طلقها جارية سوداء ، ومتع
الحسن بن على رضى الله عنه امرأة له بعشرة آلاف درهم ، فقالت : متاع قليل من حبيب
مفارق .

قال أبو حنيفة : متاعها إذا اختلف الزوج والمرأة فيه قدر نصف مهر مثلها ولا تجاوز ذلك ،
والصحيح أن الواجب من ذلك على قدر عسر الرجل ويسره كما قال تعالى ، ولو كان المعتبر
فيه المهر لكان يقول : ومتعوهن على قدرهن وقدر صداق مثلهن ، فلما قال : ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ
وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ﴾ دل على أن المعتبر فيه حال الرجل لا حال المرأة ، وروى ابن أبى زائدة عن
صبيح بن صالح قال : سئل عامر : بكم يمتع الرجل امرأته ؟ قال : على قدر ماله .

❖ تفصيل حكم الآية :

من تزوج امرأة على غير مهر مسمى فالنكاح جائز ، فإن طلبت الفرض أمرناه أن يفرض
لها ، وإن لم يفرض لها ودخل بها فلها مهر مثلها ، فإن طلقها قبل الدخول فلها المتعة ولا مهر
لها ، وإن مات عنها بعد الدخول فلها مهر مثلها ، وإن مات عنها قبل الدخول والتسمية ففيها
قولان :

أحدهما : لها مهر مثلها ، وهو مذهب أهل العراق ، والدليل عليه حديث بروع بنت واشق
الأشجعية حين توفى عنها زوجها ولم يفرض لها ولا دخل بها فقضى رسول الله ﷺ بمهر
نساءها لا وكس ولا شطط ، وعليها العدة ، ولها الميراث .

والقول الثانى : أن لها الميراث وعليها العدة ولا مهر لها ، بل لها المتعة كما لو طلقها قبل
الدخول والتسمية ، وهو قول على ، وكان يقول فى حديث بروع : لا يقبل قول أعرابى من
أشجع على كتاب الله وسنة رسوله .

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسُوهُنَّ﴾ : الآية هنا فى الرجل يتزوج المرأة ، وقد سمى لها
صداقاً ، ثم يطلقها قبل أن يمسه فلها نصف الصداق ، وليس لها أكثر من ذلك ، ولا عدة
عليها ، وإن لم يدخل بها حتى توفى فلا خلاف أن لها المهر كاملاً والميراث ، وعليها العدة ،

والمسّهنا الجماع .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : إن خلا رجل بامرأة ولم يجامعها حتى فارقها فإن المهر الكامل يلزمه ، والعدة تلزمها لخبر ابن مسعود : قضى الخلفاء الراشدون فيمن أغلق باباً وأرخصى سترأ أن لها المهر وعليها العدة ، وأما الشافعي فلا يلزم مهراً كاملاً ولا عدة إذ لم يكن دخول بظاهر القرآن .

قال شريح : لم أسمع الله تعالى ذكر في كتابه باباً ولا سترأ ، إنما زعم أنه لم يمسهأ فلها نصف الصداق ، وهو مذهب ابن عباس .

وهذه الآية ناسخة الآية التي في سورة الأحزاب ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ أَنهَمُونَ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية ، إلى قوله : ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ (الأحزاب: ٤٩) قد كان لها المتاع ، فلما نزلت هذه الآية نسخت ما كان قبلها وأوجبت للمطلقة المفروض لها قبل الميسس نصف مهرها المسمى ، ولا متاع لها كما قال عز من قائل : ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسُوهُنَّ﴾ تجامعوهن .

﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ : أوجبتم لهن صدقاً ، وسميتم لهن مهراً ، وأصل الفرض القطع ، ومنه قيل لحز الميزان والقوس : فرضه ، وللنصيب فريضة لأنه قطعه من الشيء ﴿فَنَصَّفَ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أى نصف المهر المستحق ، وقرأ السلمي فنصف بضم النون حيث وقع ، وهما لغتان .

ثم قال : ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾ يعنى النساء ، ومحل يعفون نصب بأن إلا أن جمع المؤنث فى الفعل المضارع يستوى فى الرفع والنصب والجزم ، يكون فى كل حال بالنون تقول : هن يضرين ، ولن يضرين ، ولم يضرين لأنها لو سقطت النون لاشتبه بالمذكر .

﴿أَوْ يَعْفُوا﴾ : قرأ الحسن ساكنة الواو كأنه استثقل الفتحة فى الواو كما استثقلت الضمة فيها ﴿الَّذِى بِيدهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ : اختلف العلماء فيه ، فقال بعضهم : هو الولى ، ومعنى الآية إلا أن يعفون أى يهين ويتركن النصف فلا يطالبن الأزواج إذا كن ثيبات بالغات رشيدات جائزات الأمر ، أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح وهو وليها ، فيترك ذلك النصف إذا كانت بكرأ أو غير جائزة الأمر ، ويجوز عفوه عليها وإن كرهت ، فإن عفت المرأة وأبى الولى فالعفو جائز ، فإن عفا الولى وأبت المرأة فالعفو جائز بعد أن لا تريد ضراراً ، وهذا قول على وأصحاب عبد الله وإبراهيم وعطاء والحسن والزهرى والسدى وأبى صالح وأبى زيد وربيعة الرأى ، ورواية العوف عن ابن الحسن .

وروى معمر عن ابن طاوس عن أبيه وعن إسماعيل بن شرواس قالوا : الذى بيده عقدة النكاح هو الولى ، وقال عكرمة : أذن الله تعالى هو فى العفو ورضى به وأمر به ، فأى امرأة

عفت جاز عفوها وإن شحت وضنت عفا وليها وجاز عفوه، وهذا مذهب فقهاء الحجاز إلا أنهم قالوا يجوز عفو ولي البكر فإذا كانت ثيباً فلا يجوز عفوه عليها.

وقال بعضهم: الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج، ومعنى الآية: إلا أن تعفو النساء فلا يأخذن شيئاً من المهر، أو يعفو الزوج فيعطيهما الصداق كاملاً، وهذا قول على وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي ونافع والربيع وقتادة وابن حبان والضحاك ورواية عمار بن أبى عمار عن ابن عباس، وهو مذهب أهل العراق لا يرون سبيلاً للولى على شىء من صداقها إلا بإذنها، ثيباً كانت أو بكرًا، قالوا: لإجماع الجميع من أن ولي المرأة لو أبرأ زوجها من مهرها قبل الطلاق أنه لا يجوز ذلك، فكذلك إبرأؤه وعفوه بعد الطلاق لا يجوز، ولإجماعهم أيضاً على أنه لو وهب وليها من مالها لزوجها درهماً بعد البيئونة أثم ما لم يكن له ذلك، وكانت تلك الهبة باطلة والمهر مال من أموالها، فوجب أن يكون الحكم كحكم بإبراء، مالها ولإجماعهم أن من الأولياء من لا يجوز عفوه عليها بالإجماع، وهم بنو الإخوة وبنو الأعمام وما يفرق الله بعض فى الآية.

عن عيسى بن عاصم قال: سمعت شريحاً يحدث قال: سألتنى على عن الذى بيده عقدة النكاح، فقلت: ولي المرأة فقال: لا، بل الزوج، وروى أن رجلاً زوّج أخته وطلقها زوجها قبل أن يدخل بها؛ فعفا أخوها عن المهر فأجازه شريح، ثم قال: أنا أعفو عن نساء بنى مرة فقال عامر: لا والله ما قضى شريح قضاء أردأ ولا هو أحق فيه منه أن يجيز عفواً الأخ، قال: رجع بعد شريح عن قوله، وقال: هو الزوج.

وعن القاسم قال: كان أشياخ الكوفة ليأتون شريحاً فيخاصمونهم فى قوله: ﴿الَّذِى يَبْدِىهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ حتى يجثو على ركبتيه فيقول شريح: إنه الزوج، إنه الزوج. روى شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قالوا: هو الزوج، وقال طاوس ومجاهد: هو الولي فكلمتهما فى ذلك فرجعا عن قولهما وتابعا سعيد وقالوا: هو الزوج، وروى محمد بن شعيب مرسلًا أن النبى ﷺ قال: «الذى بيده عقدة النكاح الزوج، يعفو فيعطى الصداق كاملاً».

وعن صالح بن كيسان أن جبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يبنى بها فأكمل لها الصداق وقال: أنا أحق بالعفو وتأول قوله: ﴿أَوْ يَعْتُوا الَّذِى يَبْدِىهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ فيكون وجه الآية على هذا التأويل ﴿الَّذِى يَبْدِىهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ نفسه فى كل حال قبل الطلاق وبعده، فلما أدخل الألف واللام حذف الهاء كقوله ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٤١) يعنى مأواه، وقال النابغة:

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الناس فالأحلام غير عواذب
يعنى وأحلامهم فكذلك قوله: ﴿عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ بمعنى عقدة نكاحه ﴿أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾
قال سيويه موضعه رفع بالابتداء أى والعفو أقرب للتقوى وألزم، بمعنى إلى، أى إلى التقوى:
والخطاب ههنا للرجال والنساء، لأنّ المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غلب المذكر، ومعناه وعفوكم
عن بعض أقرب إلى التقوى لأن هذا العفو ندى وإذا سارع إليه وأتى به كان معلوماً أنه لما كان
فرضاً أشد استعمالاً ولما نهى عنه أشد تجنباً وقرأ الشعبي: وأن يعفو بالياء جعله خبراً عن الذى
بيده عقدة النكاح.

﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: قرأ على بن أبى طالب وأبو داود والنخعى (ولا تناسوا الفضل
بينكم): من المفاعلة بين اثنين كقوله: ﴿وَلَا تَتَابَرُؤْا بِالْأَلْقَابِ﴾ (الحجرات: ١١) وقرأ يحيى بن يعمر
﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ بكسر الواو، وقرأ الباكون ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ بضم الواو،
ومعنى الفضل إتمام الرجل الصداق أو ترك المرأة النصف، حث الله تعالى الزوج والمرأة على
الفضل والإحسان وأمرهما جميعاً أن يسبقا إلى العفو.
﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.



﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ
رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ
وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَلَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَا فَلَاجُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿
﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾: أى واطبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقبتها وحدودها
وركوعها وسجودها وقيامها وقعودها وجميع ما يجب فيها من حقوقها، وكل صلاة فى
القرآن مقرونة بالمحافظة فالمراد بها الصلوات الخمس، ثم خص الصلاة الوسطى من بينها
بالمحافظة دلالة على فضلها كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾
(البقرة: ٩٨) وهما من جملة الملائكة، وقوله: ﴿فِيهِمَا فَكَيْهٌ وَنُحْلٌ وَرُمَانٌ﴾ (الرحمن: ٦٨) أخرجهما
بالذكر من الجملة بالواو الدالة على التخصيص والتفصيل، فكذلك قوله: ﴿وَالصَّلَاةِ
الْوَسْطَى﴾.

وقرأت عائشة (والصلاة الوسطى) بالنصب على الإغراء، وروى قالون عن نافع ﴿الْوَسْطَى﴾ بالصاد لمجاورة الطاء لأنهما من جنس واحد، وهما لغتان كالصرط والصرط، والصدغ والسدغ، والبصاق والبساق، واللصوق واللصوق، والصندوق والسندوق، والصقر والسقر.

والوسطى تأنيث الأوسط، ووسط الشيء خيره وأعدله لأن خير الأمور أوسطها، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣) أى خياراً وعدلاً، وقال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ (القلم: ٢٨) أى خيرهم وأفضلهم، وقال أعرابي يمدح النبي ﷺ:

يا أوسط الناس طراً في مفاخرهم وأكرم الناس أمماً برة وأبا

واختلف العلماء فى الوسطى وأى صلاة هى، فقال سعيد بن المسيب: كان أصحاب رسول الله ﷺ فيها هكذا فى الاختلاف، وشبَّك بين أصابعه، فقال قوم: هى صلاة الفجر، وهو قول معاذ وعمر وابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وعطاء وعكرمة والربيع ومجاهد وعبد الله بن شداد بن الهاد، وعن موسى بن وهب قال: سمعت أبا أمامة وقد سئل عن الصلاة الوسطى قال: لا أحسبها إلا صلاة الصبح.

معمر بن طاوس عن أبيه وإسماعيل بن شرواس عن عكرمة قال: هى الصبح يعنى الصلاة الوسطى، وهو اختيار الإمام أبى عبد الله الشافعى، يدل عليه ما روى الربيع عن أبى العالية أنه صلى مع أصحاب رسول الله ﷺ صلاة الغداة، فلما أن فرغوا قال: قلت لهم: أيتهن الصلاة الوسطى؟ قالوا: التى صليتها، قيل: ولأنها بين صلاتى ليل وصلاتى نهار.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هى صلاة الصبح، وسطت فكانت بين الليل والنهار، يصلى فى سواد من الليل وبياض من النهار، وهى أكبر الصلوات تفوت الناس، ولأنها لم تقصر ولا تجمع إلى غيرها، ولأنها بين صلاتين تجمعان، وتصديق هذا التأويل من التنزيل دالاً على التخصيص والتفضيل قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: ٧٨) يعنى تشهد ملائكة الليل والنهار، مكتوب فى ديوان الليل وديوان النهار، ودليل آخر من سياق الآية وهو أنه عقبها بقوله: ﴿وَقَوْمُوا لِّلَّهِ قَلْبَيْنِ﴾ يعنى وقوموا لله فيها قانتين، قالوا: ولا صلاة مكتوبة فيها قنوت سوى صلاة الفجر فعلم أنها هى، وفيه دليل على ثبوت القنوت.

وقال أبو رجاء العطاردى: صلى ابن عباس فى مسجد البصرة صلاة الغداة، فقنت بنا قبل الركوع ورفع يديه، فلما فرغ قال: هذه الصلاة الوسطى التى أمرنا أن نقوم فيها قانتين، والدليل عليه ما روى حنظلة عن أنس قال: قنت رسول الله ﷺ شهراً وقال ما زال رسول الله

ﷺ يقنت في صلاة الغداة حتى فارق الدنيا .

ابن أبي ليلى عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : قنت رسول الله ﷺ حتى مات ، وأبو بكر حتى مات ، وعمر حتى مات ، وعثمان حتى مات ، وعلى حتى مات ، وقال آخرون : هي صلاة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وأسامة بن زيد وعائشة .

روى عروة عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ كان يصلى بالهاجرة وكانت أثقل الصلوات على أصحابه فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان ، وأكثر الناس يكونون في قائلتهم وفي تجارتهم فقال رسول الله ﷺ : «لقد هممت أن أحرق على قوم لا يشهدون الصلاة بيوتهم» فنزلت هذه الآية ﴿حَنَفُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾ ودليلهم أنها وسط النهار ما روى أبو ذر عن علي كرم الله وجهه قال : قال النبي ﷺ : «إن الله في السماء الدنيا حلقة تزل منها الشمس ، فإذا مالت الشمس سبح كل شيء لرينا ، وأمر الله تعالى بالصلاة في تلك الساعة ، وهي الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء فلا تغلق حتى يصلى الظهر ، ويستجاب فيها الدعاء» .

ولأنها أوسط صلوات النهار ، ومن خصائصها أنها أول صلاة فرضت وأول صلاة توجه فيها رسول الله ﷺ وأصحابه إلى الكعبة ، وهي التي ترفع جميع الصلوات والجماعات لأجلها يوم الجمعة .

وقال بعضهم : هي صلاة العصر ، وهو قول علي وعبد الله وأبي هريرة والنخعي وزر بن حبيش وقتادة وأبي أيوب والضحاك والكلبي ومقاتل ، واختيار أبي حنيفة ، يدل عليه ما روى الحسن عن سمرة بن جندب عن رسول ﷺ أنه قال : «صلاة الوسطى العصر» .

وفي بعض الأخبار هي التي فرط فيها سليمان عليه السلام . سفيان بن عيينة عن البراء بن عازب قال : نزلت (حافظوا على الصلوات وصلاة العصر) فقرأناها على عهد رسول الله ﷺ ما شاء الله ثم نسختها ﴿حَنَفُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾ فقال له بعضهم : فهي صلاة العصر ، قال : أعلمتك كيف نزلت وكيف نسختها ، والله أعلم .

نافع عن حفصة زوج النبي ﷺ أنها قالت لكاتب مصحفها : إذا بلغت مواقيت الصلاة فأخبرني حتى أخبرك بما سمعت من رسول الله ﷺ ، فلما أخبرها قالت : اكتب إنني سمعت رسول الله يقول : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر) .

هشام عن عروة عن أبيه قال كان في مصحف عائشة (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر ، وقوموا لله قانتين) وهكذا كان يقرأها أبي بن كعب وعبيد بن عمير . الأعمش عن مسلم عن شتير بن شكل عن علي قال : قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب :

«شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم - أو قبورهم - ناراً» .

قال ثم صلاها بين العشاءين، وفي بعض الأخبار أن رجلاً قال في مجلس عبد العزيز بن مروان: أرسلنى أبو بكر وعمر وأنا غلام صغير إلى النبى ﷺ أسأله عن الصلاة الوسطى، فأخذ أصبغى الصغيرة فقال: «هذه الفجر»، وقبض التى تليها وقال: «هذه الظهر»، ثم قبض الإبهام فقال: «هذه المغرب»، ثم قبض التى تليها فقال: «هذه العشاء»، ثم قال: «أى أصابعك بقيت؟» فقلت: الوسطى، فقال: «أى الصلاة بقيت؟» قلت: العصر، قال: «هى العصر» .

قالوا: ولأنها بين صلاتى نهار وصلاتى ليل، وكان النبى ﷺ متسامحاً فأخذ يصلّيها ويبالغ، وروى أبو تميم الحبشاني عن أبى بصرة الغفارى قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر، فلما انصرف قال: «إن هذه الصلاة فرضت على من كان قبلكم؛ فتوانوا فيها وتركوها؛ فمن صلاها منكم وحافظ عليها أوتى أجرها مرتين ولا صلاة بعدها حتى يرى الشاهد» والشاهد: النجم .

أبو قلابة عن أبى المهاجر عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «بكروا بالصلاة فى يوم الغيم فإنه من فاتته صلاة العصر حبط عمله» .

نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «الذى يصلى العصر كافاه فى أهله وماله» .

وقال قبيصة بن ذؤيب: هى صلاة المغرب، ألا ترى أنها واسطة ليست بأقلها ولا أكثرها وهى التى لا تقصر فى السفر ومن وتر النهار .

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أفضل الصلوات صلاة المغرب، لم يحطها الله عن مسافر ولا مقيم، فتح الله بها صلاة الليل، وختم بها النهار، فمن صلى المغرب وصلّى بعدها ركعتين بنى الله له قصرًا فى الجنة، ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة، أو قال: أربعين سنة» .

وحكى الشيخ أبو ميثم سهل بن محمد عن بعضهم أنها صلاة العشاء الأخيرة، وقال: لأنها بين صلاتين لا تقصران .

وروى عبد الرحمن بن أبى عمر عن عثمان بن عفان (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة، ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليلة» .

وقال بعضهم: هى إحدى الصلوات الخمس ولا نعرف عينها، سئل الربيع بن خيثم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل: أراغب إن علمتها كنت محافظاً عليها ومضيغاً سائرهن؟ قال:

لا ، قال : فإنك إن حافظت عليهن فقد حافظت عليها ، وبه قال أبو بكر الوراق ، قال : لو شاء الله عز وجل لبينها ، ولكنه سبحانه أراد تنبيه الخلق على أداء الصلوات .

قال الثعلبي : ولقد أحسنا فى قوليهما فإن الله تعالى أخفى الصلاة الوسطى فى جميع الصلوات المكتوبة ليحافظوا على جميعها رجاء الوسطى ، كما أخفى ليلة القدر فى ليلالى شهر رمضان ، واسمه الأعظم فى جميع الأسماء ، وساعة الإجابة فى ساعات الجمعة حكمة منه فى فعله ورحمة على خلقه .

وفى قوله عز وجل ﴿ وَالصَّلَاةَ الْوَسْطَى ﴾ دليل على أن الوتر ليس بواجب وذلك أن المسلمين اتفقوا على أن الصلوات المفروضات تنقص عن سبعة وتزيد على ثلاثة ، وليس من الثلاثة والسبعة فرد إلا خمسة ، والأزواج لا وسطى لها ، فثبت أنها خمسة .

قتادة عن أنس قال : قال رجل : يا رسول الله ، كم افترض الله على عباده من الصلوات؟ قال : « خمس صلوات » ، قال : فهل قبلهنّ وبعدهنّ شيء افترض الله على عباده قال : « لا » فحلف الرجل بالله لا يزيد عليهنّ ولا ينقص ، فقال النبي ﷺ : « إن صدق الرجل دخل الجنة » .

وعن طلحة بن عبيد الله قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد نائراً الرأس ، يسمع دوى صوته ولا يفهم ما يقول ، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال له رسول الله ﷺ : « خمس صلوات فى اليوم والليلة » قال : هل على غيرهنّ؟ قال : « لا إلا أن تتطوع » قال ﷺ : « وصيام شهر رمضان » قال : هل على غيره؟ قال : « لا ، إلا أن تتطوع » وذكر له عليه الصلاة والسلام الزكاة ، قال : هل على غيرها؟ قال : « لا ، إلا أن تتطوع » فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه ، قال رسول الله ﷺ : « أفلح إن صدق » .

عن محمد بن يحيى بن حيان عن ابن جرير أن رجلاً من بنى كنانة يدعى المحدجى كان يسمع رجلاً بالشام يكنى أبا محمد يقول : الوتر واجب ، قال المحدجى : فرحت إلى عبادة بن الصامت واعترضت له وهو رائح إلى المسجد فأخبرته بالذى قال أبو محمد ، فقال عبادة : كذب أبو محمد ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خمس صلوات كتبهنّ الله على العباد ، من جاء بهن لم يضيع منهن استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهنّ فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه الله وإن شاء أدخله الجنة » .

وعن عاصم بن ضمرة عن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) قال : ليس الوتر بحتم لأنه لا تكبير به ولكنه سنة سنّها رسول الله ﷺ ، والدليل على أن الوتر ليس بواجب ما روى نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان يوتر على راحلته ، وعن نافع أيضاً أن ابن عمر كان يوتر على

بعيره، ويذكر أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، وأجمع الفقهاء على أن الصلاة المكتوبة على الراحلة في حال الأمن لا تجوز.

﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا﴾ : أى مطيعين، قاله الشعبي وعطاء وجابر بن زيد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وطاوس وابن عباس برواية عكرمة وعطية وابن أبي طلحة، قال الضحاک ومقاتل والكلبي: لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين، فقوموا أنتم فى صلواتكم لله مطيعين، ودليل هذا التأويل ما روى أبو سعيد الخدرى عن النبي ﷺ أنه قال: «كل قنوت فى الظهرين هو الطاعة».

وقال بعضهم: القنوت: السكوت عما لا يجوز التكلم به فى الصلاة، قال زيد بن أرقم: كنا نتكلم على عهد رسول الله ﷺ فى الصلاة ويكلم أحدنا من إلى جانبه، ويدخل الداخل فيسلم فيردون عليه، ويسألهم: كم صليتم؟ فيردون عليه مخبرين كما صلوا، ويجيء خادم الرجل وهو فى الصلاة فيكلمه بحاجته كفعل أهل الكتاب، فكنا كذلك إلى أن نزلت ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام.

مجاهد: خاشعين، قال: ومن القنوت طول الركوع وغضّ البصر والركود وخفض الجناح، كان العلماء إذا قام أحدهم يصلى يهاب الرحمن أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يعثر بشيء أو يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا إلا ناسياً.

الحسن والربيع: قياماً فى الصلاة، يدل عليه حديث جابر أن النبي ﷺ سئل: أى الصلاة أفضل؟ فقال: «طول القنوت».

وقال ابن عباس فى رواية رجاء: داعين فى صلاتهم، دليله أن النبي ﷺ قنت على رجل وذكر أن أى دعاء عليهم قد قيل: مصلين دليله قوله تعالى: ﴿أَمْنَ هُوَ قَنِينٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ﴾ (الزمر: ٩) أى مصل، وقال النبي ﷺ: «مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل القانت الصائم» أى المصلى الصائم ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا﴾ أى رجالة، ويقال: راجل رجال مثل صاحب وصحاب وصائم وصيام وقائم وقيام، قال الله تعالى ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ (الحج: ٢٧) قال الأخطل:

وبنو غدانة شاخص أبصارهم
يمشون تحت بطونهن رجالا

يروى أنه أحنا مأسورين وأبصارهم شاخصة إلى ولدهم ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ على دوابهم، وهو جمع راكب، قال المفضل: لا يقال راكب إلا لصاحب الجمل، فأما صاحب الفرس فيقال له فارس، ولراكب الحمار الحمّار، ولراكب البغال بغّال، ونصبت على الحال، أى فصلوا رجالاتاً أو ركباناً.

ومعنى الآية: فإن لم يمكنكم أن تصلوا قانتين موفين الصلاة حقها لخوف فصلوا رجالاً أى مشاة على أرجلكم، أو ركبناً على ظهور دوابكم، فإن ذلك يجزيكم.

قال المفسرون: هذا فى المسابقة والمطاردة، يصلى حيث يولى وجهه، مستقبل القبلة أو غير مستقبلها، ركباً أو راجلاً، ويجعل السجود أخفض من الركوع، يومئ إيماء، وهذه صلاة شدة خوف، والصلاة فى حال الخوف على ضربين، وسنذكرها فى سورة النساء، وصلاة شدة الخوف وهى هذه، والخوف الذى يجوز للمصلى أن يصلى من أجله ركباً أو راجلاً وحيث ما كان وجهته هو المحاربة والمسابقة فى قتال من أُسر بقتال عدو أو محارب أو خوف سبع هائج، أو جمل صائل، أو سيل سائل، أو كان الأغلب من شأنه الهلاك، وإن صلى صلاة الأيمن فله أن يصلى صلاة شدة الخوف وهى ركعتان، فإن صلاها ركعة واحدة جاز لما روى مجاهد عن ابن عباس قال: فرض الله عز وجل الصلاة على لسان نبيكم فى الحضر أربعاً وفى السفر ركعتين، وفى الخوف ركعة.

وقال سعيد بن جبير: إذا كنت فى القتال، والتقى الزحفان، وضرب الناس بعضهم بعضاً فقل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، واذكر الله، فتلك صلاتك. قال الزهرى: فإن لم يستطع فلا يدع ذكرها فى نفسه.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾: أى فصلوا الصلوات الخمس تامة لحقوقها ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ: يا معشر الرجال ﴿وَيَذَرُونَ﴾ وَيَتْرَكُونَ ﴿أَزْوَاجًا﴾ زوجات. قال الكسائى: أكثر ما تقول العرب للمرأة زوجة، ولكن فى القرآن زوج ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ قرأ الحسن وأبو عمرو وأبو عامر والأعمش وحمزة (وصية) بالنصب على معنى فليوصوا وصية، وقرأ الباقون بالرفع على معنى كُتِبَ عليهم الوصية، وقيل: معناه لأزواجهم وصية، وقيل: ولتكن وصية، ودليل هذه القراءة قراءة عبد الله: كُتِبَ عليهم وصية لأزواجهم.

قرأ أبى: ويذرون أزواجاً متاع لأزواجهم، قال أبو عبيد: ومع هذه رأينا هذه المعانى كلها فى القرآن رفعاً مثل قوله: ﴿فَنَصِفْ مَا فَرَضْتُمْ﴾، ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ﴾ (النساء: ٩٢) ونحوهما. ﴿مَتَاعًا﴾: نصب على المصدر أى متعوهن متاعاً، وقيل: جعل الله عز وجل ذلك لهن متاعاً، وقيل: نصب على الحال، وقيل: نصب بالوصية كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ مَسْعِيَةٍ﴾ (البلد: ١٤). والمتاع: النفقة سنة لطعامها وكسوتها أو سكنائها أو ما تحتاج إليه ﴿إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ نصب على الحال، وقيل: بنزع حرف الصفة أى من غير إخراج.

فأما تفسير الآية وحكمها؛ فقال ابن عباس وسائر المفسرين: نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له: حكيم بن الحارث هاجر إلى المدينة وله أولاد ومعه أبواه وامرأته فمات، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأعطى رسول الله ﷺ والديه وأولاده من ميراثه ولم يعط امرأته غير أنه أمرهم أن ينفقوا عليها من تركه زوجها حولاً، وذلك أن الرجل كان إذا مات وترك امرأة اعتدت سنة في بيت زوجها لا تخرج، فإذا كان الحول خرجت ورمت كلباً بيعرة تعنى بذلك أن قعودها بعد زوجها أهون عليها من بعة رُمى بها كلب، وقد ذكر ذلك الشعراء في شعرهم، قال لييد:

❖ المراتل إذا تطاول عامها ❖

وكان سكتاها ونفقتها واجبة في مال زوجها هذه السنة ما لم تخرج، وكان ذلك حظها من تركه زوجها، ولم يكن لها الميراث، وإن خرجت من بيت زوجها فلا نفقة لها، وكان الرجل يوصى بذلك، وكان كذلك حتى نزلت آية الموارث فنسخ الله نفقة الحول بالربع والثلث، ونسخ عدة الحول بقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة: ٢٣٤) قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ يعنى من قبل أنفسهن قبل الحول من غير إخراج الورثة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ يعنى التشوق للنكاح، وفى معنى رفع الجناح عن الرجال بفعل النساء وجهان:

أحدهما: لا جناح عليكم فى قطع النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول.

والوجه الآخر: لا جناح عليكم فى ترك منعهن من الخروج لأن مقامها حولاً فى بيت زوجها غير واجب عليها، خيرها الله فى ذلك إلى أن نسخت أربعة أشهر وعشراً، لأن ذلك لو كان واجباً عليها ما كان على أولياء الزوج منعها من ذلك، فرفع الله الجناح عنهم وعنهما، وأباح لها الخروج إن شاءت، ثم نسخ النفقة بالميراث، ومقام السنة بأربعة أشهر وعشراً ﴿وَأَلَّهٗ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿قد ذكرنا حكم المتعة بالاستقصاء، فأغنى عن إعادته، وإنما أعاد ذكرها ههنا لما فيها من زيادة المعنى على ما سواها وهى أن فيما سوى هذا بيان حكم غير المسوسة إذا طلقت، وههنا بيان حكم جميع المطلقات فى المتعة.

وقال ابن زيد: نزلت هذه الآية لأن الله تعالى لما أنزل قوله: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ إلى قوله ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ قال رجل من المسلمين: إن أحسنتُ فعلتُ وإن لم أردُ ذلك لم أفعل، قال الله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ يعنى المؤمنين المتقين الشرك، فبين أن لكل مطلقة متاعاً وقد ذكرنا الخلاف فيها، وروى إياس بن عامر عن على بن أبى طالب (رضى

الله عنه) قال: لكل مؤمنة مطلقة حرّة أو أمة متعة وتلا قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الآية.

﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.



﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ وقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا﴾ الآية، قال أكثر المفسرين: كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع بها الطاعون، فخرجت طائفة هاربيين من الطاعون، وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقى فى القرية، وسلم الذين خرجوا، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا كانوا أحزم منا، لو صنعنا كما صنعوا لبقينا، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض ناوى بها، فوقع الطاعون من قابل؛ فهرب عامة أهلها فخرجوا حتى نزلوا وادياً أفيح، فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه أن موتوا فماتوا جميعاً.

وعن الأصمعى قال: لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حمار ومعه أهله وولده وخلفه عبد حبشى يسوق حماره، فطفق العبد يرتجز وهو يقول:

لن نسبق الله على حمار ولا على ذى منعة مطار

قد يصبح الله أمام السارى

فرجع الرجل بعياله لما سمع قوله، وروى عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم فيه فلا تخرجوا فراراً منه». وقال الضحّاك ومقاتل والكلبى: إنما فرّوا من الجهاد وذلك أن ملكاً من ملوك بنى إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم، فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا، وقالوا لملكهم: إن الأرض التى نأتياها فيه الوباء فلا نأتياها حتى ينقطع منها الوباء، فأرسل الله تعالى عليهم الموت، فلما رأوا أن الموت كثر فيهم ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ فراراً من الموت، فلما رأى الملك ذلك قال: اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية فى

أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك، فلما خرجوا قال لهم الله: موتوا، عقوبة لهم، فماتوا جميعاً، وماتت دوابهم كموت رجل واحد، فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم، فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها.

واختلفوا في مبلغ عددهم، فقال عطاء الخراساني: كانوا ثلاثة آلاف، ابن عباس ووهب: أربعة آلاف، مقاتل والكلبي: ثمانية آلاف، أبو روق: عشرة آلاف، أبو مالك: ثلاثون ألفاً، الواقدي بضعة ومائتين ألف، ابن جريج: أربعين ألفاً، عطاء بن أبي رباح: سبعين ألفاً، الضحّاك: كانوا عدداً كبيراً، وأولى الأقاويل بالصواب قول من قال: زادوا على عشرة آلاف، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿وَهُرُّ أَلُوفٍ﴾ وما دون العشرة لا يقال ألوفاً، إنما يقال: ثلاثة آلاف فصاعداً إلى عشرة آلاف، فمن الألوفاً جمع الكثير وجمعه القليل آلاف، مثل يوم وأيام، ووقت وأوقات، وألف على وزن فعل.

وقيل: كانوا ثلاثة آلاف وكيسة. اليمان: أعجمي من بنى الفداحم. قالوا: فأتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت أوصالهم، فمرّ عليهم نبي يقال له حزقيل بن بوري ثارم أحد خلفاء بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وذلك بأن القيم بأمر بنى إسرائيل كان بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون، ثم كالب بن يوفنا، ثم حزقيل، وكان يقال له ابن العجوز وذلك أن أمه كانت عجوزاً فسألت الله تعالى الولد، وقد كبرت وعقمت فوهبه الله لها فلذلك قيل له: ابن العجوز.

قال الحسن ومقاتل: هو ذو الكفل لأنه تكفل سبعين نبياً وأجابه من القتل، وقال لهم: اذهبوا فيأني إن قتلت كان خيراً من أن تقتلوا جميعاً، فلما جاء اليهود وسألوا حزقيل عن الأنبياء السبعين، قال: إنهم ذهبوا ولا أدري أين هم، ومنع الله ذا الكفل من اليهود، فلما مرّ حزقيل على أولئك الموتى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم متعجباً منهم، فأوحى الله إليه: يا حزقيل تريد أن أريك آية، فأريك كيف أحى الموتى؟ قال: نعم فأحياهم الله. هذا قول السدي وجماعة من المفسرين.

وقال هلال بن يساف وجماعة من العلماء: بل دعا حزقيل ربه أن يحييهم، فقال: يا رب لو شئت أحييت هؤلاء فعمّروا بلادك وعبدوك، فقال الله: أتحب أن أفعل؟ قال: نعم، فأحياهم.

وقال عطاء ومقاتل والكلبي: بل هم كانوا قوم حزقيل أحياهم الله تعالى بعد ثمانية أيام،

وذلك أنهم لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى وبكى وقال: يا رب كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدمونك ويهللونك ويكبرونك؛ فبقيت وحيداً لا قوم لي، فأوحى الله إليه: إني قد جعلت حياتهم إليك، فقال حزقيل: أحيوا بأمر الله، فعاشوا.

وقال: وثمت أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا: ما لبثنا، متنا واسترحنا مما نحن فيه؛ فأوحى الله تعالى إلى حزقيل: إن قومك قد صاحوا من البلاء وزعموا أنهم ودّوا لو ماتوا واستراحوا وأى راحة لهم في الموت، أيظنون أنى لا أقدر أن أبعثهم بعد الموت، فانطلق إلى جبّانة كذا فإن فيها قوماً أمواتاً، فاتاهم فقال الله: يا حزقيل قم فنادهم، وكانت أجسادهم وعظامهم قد تفرقت، فنادى حزقيل: أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسى باللحم، فاكثت جميعاً باللحم، وبعد اللحم جلدًا ودمًا وعصبًا وعروقًا وكانت أجسادًا، ثم نادى أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن تعودى فى أجسادك، فقاموا جميعاً وعليهم ثيابهم التى ماتوا فيها، وكبروا تكبيرة واحدة.

وروى المنصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا: سبحانك ربنا وبحمدك، لا إله إلا أنت، فرجعوا إلى قومهم بعدما أحياهم الله، وتناسلوا وعاشوا دهرًا يعرفون أنهم كانوا موتى، سحنة الموت على وجوههم، لا يلبسون ثوبًا إلا عاد دسمًا مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التى كتبت عليهم.

قال ابن عباس: فإنها لتوجد اليوم فى ذلك السبط من اليهود تلك الريح.

قال قتادة: مقتهم الله تعالى على فرارهم من الموت، فأماهم عقوبة ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ليستوفوها، ولو كان آجال القوم جاءت ما بعثوا بعد موتهم، فذلك قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أى: ألم تُخبر، ألم تعلم بإعلامى إياك وهو رؤية القلب لا رؤية العين؛ فصار تصديق أخبار الله عز وجل كالنظر إليه عيانًا.

وقال أهل المعانى: هو تعجب وتعظيم يقول: هل رأيت مثلهم كما تقول: ألم تر إلى ما يصنع فلان؟ وكل (لم) فى القرآن من قوله ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ولم يعاينه النبى ﷺ فهذا وجهه ومعناه، وقرأها كلها أبو عبد الرحمن السلمى (ألم تر) بسكون الراء وهى لغة قسم من العرب لما حذفوا الياء للجزم توهموا أن الراء آخر الكلمة فسكنوها، وأنشد الفراء:

❖ قالت سليمة سر لنا دقيقاً ❖

﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ﴾: واو الحال ﴿أَلَوْ﴾ جمع ألف، وقال ابن زيد مؤتلف قلوبهم جعله جمع ألف مثل جالس وجلس وقاعد فعود ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: أى من خوف

الموت ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾: أمر تحويل كقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (البقرة: ٦٥).
 ﴿ثُمَّ أَحْيَيْنَهُمْ﴾: من بعد موتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ إلى ﴿لَا تَشْكُرُونَ﴾: ثم حثهم على الجهاد فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ طَاعَةَ اللَّهِ، أعداء الله ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: قال أكثر المفسرين: هذا للذين أحيوا، قال الضحّاك: أمروا أن يقاتلوا في سبيل الله فخرجوا من ديارهم فراراً من الجهاد؛ فأما ثم الله عز وجل ثم أحياهم ثم أمرهم أن يعودوا إلى الجهاد، وقال بعضهم: هذا الخطاب لأمة محمد ﷺ.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ قرضًا حسنًا﴾ الآية، قال سفيان: لما نزلت ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمثالها﴾ (الأنعام: ١٦٠) قال النبي ﷺ: «رب زد أمتي» فنزلت ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ﴾ الآية، فقال: «زد أمتي» فنزلت ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّادِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

واختلف العلماء في معنى هذا القرض، فقال الأخفش: قوله ﴿يقرضُ﴾ ليس لحاجة بالله ولكن تقول العرب: لك عندى قرض صدق وقرض سوء لأمر يأتي فيه مسرته أو مساءته.
 وقال الزجاج: القرض في اللغة البلاء الحسن والبلاء السيئ، قال أمية بن أبى الصلت:
 لا تخلطنّ خيئات بطيبة واخلع ثيابك منها وانج عريانا
 كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا أو سيئًا أو مدينًا مثل ما دانا
 وأنشد الكسائي:

تجازى القروض بأمثالها فبالخير خيرا وبالشرّ شرا

وقال أيضًا: ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ.

ابن كيسان: القرض أن تعطى شيئًا ليرجع إليك مثله ويقضى شبهه؛ فشبّه الله عمل المؤمنين لله على ما يرجون من ثوابه بالقرض؛ لأنهم إنما يعطون ما ينفقون ابتغاء ما عند الله عز وجل من جزيل الثواب، فالقرض اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازى عليه، قال لييد:
 وإذا جوزيت قرضًا فاجز به إنما يجزى الفتى ليس الجملى

قال بعض أهل المعاني: في الآية اختصار وإضمار، ومجازها: من ذا الذى يقرض عباد الله قرضًا كقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وقوله ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَمَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (الزخرف: ٥٥) فأضافه سبحانه ههنا إلى نفسه للتفضيل وللإستعطاف، كما فى الحديث: إن الله تعالى يقول لعبده: استطعمتك فلم تطعمنى، واستسقيتك فلم تسقنى، واستكسيتك فلم تكسنى، فيقول العبد: وكيف ذلك يا سيدى؟ يقول: مرّ بك فلان الجائع، وفلان العارى فلم تعطف عليه من فضلك، فلأمنعك اليوم من فضلى كما منعته.

وقال أهل الإشارة: أمر الله تعالى بالصدقة على لفظ القرض إظهاراً لمحبته لعباده المؤمنين، وذلك أنه إنما يستقرض من الأحبة، ولذلك قال يحيى بن معاذ: عجبت ممن يبقى له مال ورب العرش يستقرضه، وقال بعضهم: هذا تطف من الله تعالى في المواساة والإقراض لعباده.

أبو القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت على باب الجنة مكتوباً: والقرض بثمانية عشر، والصدقة بعشر فقلت: يا جبرئيل ما بال القرض أعظم أجراً؟ قال: لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا محتاجاً، وربما وقعت الصدقة في غير أهلها».

أبو سلمة عن أبي هريرة وابن عباس قالوا: قال رسول الله ﷺ: «من أقرض أخاه المسلم فله بكل درهم وزن أحد وثبير وطور سنياء حسنة».

فمعنى الآية: مَنْ هذا الذي (من) استفهام ومحله رفع بالابتداء و(الذي) خبره (يقرض الله) ينفق في طاعة الله، وأصل القرض القطع، ومنه قرض الفأر الثوب وسمى الشعر قريضاً لأنه يقطعه من كلامه، والدين قرضاً لأنه يقطعه من ماله.

﴿قَرَضًا حَسَنًا﴾: قال علي بن الحسين الواقدي يعني محتسباً، طيبة به نفسه. ابن المبارك: هو أن يكون المال من الحلال. عمر بن عثمان الصدفي: هو أن لا يمين به ولا يؤذى. سهل بن عبد الله: هو أن لا يعتقد بقرضه عوضاً ﴿فِيضَاعِفُهُ﴾ يزيد ﴿لَهُ﴾ واختلف القراء فيه، فقرأ عاصم وابن أبي إسحاق وأبو حاتم ﴿فِيضَاعِفُهُ﴾ نصباً بالألف، وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتشديد والنصب وبالألف، وقرأ ابن كثير وأبو جعفر بالتشديد والرفع، وقرأ الآخرون بالألف والتخفيف ورفع الفاء، فمن رفع جعله نسقاً على قوله ﴿يَقْرُضُ﴾، وقيل: فهو يضاعفه، ومن نصبه جعله جواباً للاستفهام بالفاء، وقيل: بإضمار أن والتشديد والتخفيف لغتان، ودليل التشديد قوله ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ لأن التشديد للتكثير.

قال الحسن والسدي: هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله مثل قوله: ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٠) وقال أبو هريرة: هذا في نفقة الجهاد، قال: وكنا نحسب - ورسول الله ﷺ بين أظهرنا - نفقة الرجل على نفسه ورفقائه وظهره ألفي ألف.

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾: يعني يمسك الرزق عمّن يشاء ويقتر ويضيق عليه، دليله قوله: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ (التوبة: ٦٧) أي يسكونها عن النفقة في سبيل الله ﴿وَيَبْسُطُ﴾ أي يوسع الرزق على من يشاء، نظيره قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ (الشورى: ٢٧) الآية، والأصل في هذا قبض اليد عند البخل وبسطها عند البذل.

وقيل: هو الإحياء والإماتة فمن أماته فقد قبضه ومن مدله في عمره فقد بسط له، وقيل:

والله يقبض الصدقة ويبسط بالخلف، وروى اليزيدي عن عمرو قال: بالصاد فى بعض الروايات، وعن بعضهم كأنه قال: هذا فى القلوب، لما أمرهم الله بالصدقة أخبرهم أنه لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه، والله يقبض ويبسط يعنى يقبض على القلوب فيزويه كيلا ينبسط لخير ويبسط بعضها فيقدم لنفسه خيراً.

﴿وَالَّذِي تَرْجَعُونَ﴾: يعنى وإلى الله تعودون فيحسن لكم بأعمالكم، وقال قتادة: الهاء راجعة إلى التراب كناية عن غير مذكور أى من التراب خلقهم وإليه يعودون، وعن ابن مسعود وأبى أمامة وزيد بن أسلم - دخل حديث بعضهم فى بعض - قالوا: نزلت ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ الآية، فلما نزلت قال أبو الدحداح: فذاك أبى وأمى يا رسول الله، إن الله يستقرض وهو غنى عن القرض، قال: «نعم، يريد أن يدخلكم الجنة» قال: فإنى إن أقرضت ربي قرضاً تضمن لى الجنة؟ قال: «نعم، من تصدق بصدقة فله مثلها فى الجنة»، قال: فزوجى أم الدحداح معى؟ قال: نعم، قال: وصبيان الدحداح معى؟ قال: نعم، قال: ناولنى يدك فناوله رسول الله ﷺ يده فقال: إن لى حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما وجعلتهما قرضاً لله عز وجل، فقال رسول الله ﷺ: «اجعل إحداهما لله عز وجل والأخرى معيشة لك ولعيلالك» قال: فأشهدك يا رسول الله أنى جعلت غيرهما لله تعالى وهو حائط فيه ستمائة نخلة، قال: «يجزيك الله إذا به بالجنة».

فانطلق أبو الدحداح حتى أتى أم الدحداح وهى مع صبيانها فى الحديقة تدور تحت النخل فأنشأ يقول:

هداك ربي سبيل الرشاد	إلى سبيل الخير والساد
قرضى من الحائط لى بالواد	فقد مضى قرضاً إلى التناد
أقرضته الله على اعتماد	بالطوع لا من ولا ارتداد
إلا رجاء الضعف فى المعاد	فارتحلنى بالنفس والأولاد
والبر لا شك فخير زاد	قدمه المرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح: ربح بيعك، بارك الله لك فيما اشتريت، فأنشأ أبو الدحداح يقول:

مثلك أجدى ما لديه ونصح	إن لك الحظ إذا الحق وضع
قد متع الله عيالى ومنح	بالعجوة السوداء والزهو البلح
والعبد يسعى وله ما قد كدح	طول الليالى وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تخرج ما فى أفواههم وتنفض ما فى أكمامهم حتى

أفضت إلى الحائط الآخر فقال النبي ﷺ: «كم من عذق رداح، ودار فياح فى الجنة لأبى الدحداح».



﴿الْمَرَّتْ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاؤُنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

﴿الْمَرَّتْ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ والملا من القوم وجوهم وأشرفهم، وأصل الملا الجماعة من الناس، لا واحد له من لفظه مثل الإبل والخيل والجيش، ولكن جمعه أملاء، قال الشاعر:
وسط الأملاء وافتتح الدعاء لعل الله يكشف ذا البلاء

﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾: أى من بعد موت موسى ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ﴾: اختلفوا فى ذلك النبى من هو، فقال قتادة: هو يوشع بن نون بن أفرام بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وقال السدى: اسمه شمعون، وإنما سمى شمعون لأن أمه دعت الله أن يرزقها غلاماً؛ فاستجاب الله دعاءها فولدت غلاماً فسمته شمعون تقول: سمع الله دعائى والسين يصير شيئاً بلغة العبرانية، وهو شمعون بن صفيه بن علقمة بن أبى ياسف بن قارون بن نصهر بن فاحت ابن لاوى بن يعقوب.

وقال سائر المفسرين: هو إشمويل، وهو بالعربية إسماعيل بن نالى بن علقمة بن حازم بن الهر بن عرصوف بن علقمة بن فاحت بن عموصا بن عرزيا، وقال مقاتل: هو من نسل هارون عليه السلام. مجاهد: هو إشمويل بن هلفانا ولم ينسبه أكثر من ذلك.

قال وهب وابن إسحاق والسدى والكلبى وغيرهم: كان سبب مقاتلتهم إياه ذلك أنه لما مات موسى عليه السلام خلف بعده فى بنى إسرائيل يوشع، يقيم فيهم التوراة وأمر الله حتى قبضه الله، ثم خلف فيهم كالب يقيم فيهم التوراة وأمر الله تعالى حتى قبضه الله تعالى، ثم خلف فيهم حزقيل كذلك، ثم إن الله تعالى قبض حزقيل، وعظمت فى بنى إسرائيل الأحداث ونسوا عهد الله حتى عبدوا الأوثان، فبعث الله تعالى إليهم إلياس نبياً، فجعل يدعوهم إلى الله، وإنما كانت الأنبياء من بنى إسرائيل من بعد موسى يبعثون إليهم لتجديد ما نسوا من التوراة.

ثم خَلَّف بعد إلياس اليسع وكان فيهم ما شاء الله أن يكون، ثم قبضه الله إليه، وخلفت فيهم الخلوف وعظمت فيهم الخطايا، وظهر لهم عدو يقال له البلثانا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم من مصر وفلسطين، وهم العمالقة فظهروا على بنى إسرائيل وغلبوهم على كثير من أرضهم وسبوا ذراريهم وأسروا من أبنائهم أربعين وأربعمائة غلام وضربوا عليهم الجزية، وأخذوا توراتهم ولقى بنو إسرائيل منهم بلاء وشدة، ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم، كانوا يسألون أن يبعث الله لهم نبياً يقاتلون معه.

وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فأخذوها وحبسوها فى بيت رهبة أن تلد جارية فتبدله بغلام لما يرى من رغبة بنى إسرائيل فى ولدها، فجعلت المرأة تدعو الله عز وجل أن يرزقها غلاماً، فولدت غلاماً فسمته إسمويل تقول سمع الله دعائى، فكبر الغلام فأسلمته يتعلم التوراة فى بيت المقدس، وكفله شيخ من علمائهم وتبناه، فلما بلغ الغلام أن يبعثه الله نبياً أتاه جبرائيل عليه السلام والغلام نائم إلى جنب الشيخ، وكان لا يأتمن عليه أحداً فدعاه بلحن الشيخ: يا إسمويل فقام الغلام فزعاً إلى الشيخ فقال: يا أبتاه دعوتنى، فكره الشيخ أن يقول: لا فيفزع الغلام، فقال: يا بنى ارجع فتم فرجع الغلام فنام، ثم دعاه الثانية فأتاه الغلام أيضاً فقال: دعوتنى، فقال: ارجع فتم فإن دعوتك الثالثة فلا تجبنى، فلما كانت الثالثة ظهر له جبرائيل عليه السلام فقال له: اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فإن الله قد بعثك فيهم نبياً، فلما أتاهم كذبوه وقالوا استعجلت النبوة ولم يأن لك.

وقالوا: إن كنت صادقاً ﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ آية من نبوتك، وإنما كان قوام أمر بنى إسرائيل بالاجتماع على الملوك، وطاعة الملوك أنبياءهم، وكان الملك هو الذى يسير بالجموع، والنبي يقيم له أمره ويشير عليه، يرشده ويأتيه بالخبر من ربه عز وجل.

وقال وهب: بعث الله تعالى إسمويل نبياً، فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال، ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لأسمويل: ﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى يقاتل، بالياء جعل الفعل للملك وهو جزم على جواب الأمر، فلما قالوا له ذلك قال لهم: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ استفهام منك يقول لعلكم، وقرأ نافع والحسن: عَسَيْتُمْ بكسر السين فى كل القرآن، وهى لغة، وقرأ الباقون بالفتح وهى اللغة الفصيحة، قال أبو عبد الرحمن: لو جاز عَسَيْتُمْ لقرئ عسى ربكم ﴿إِنْ كَتَبَ﴾ فرض عليكم القتال مع ذلك الملك ﴿أَلَا تَقَاتِلُوا﴾ أن لا تفوا بما تقولون ولا تقاتلوا معه.

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: إن قيل: ما وجه دخول «أن» فى هذا الموضع،

والعرب لا تقول: ما لك أن لا تفعل، وإنما يقال: ما لك لا تفعل.

قيل: دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان فصيحتان، فأما دخول أن فكقوله: ﴿مَا لَكَ إِلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٣٢) وأما حذفها فكقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَتُومِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (الحديد: ٨). وقال الكسائي: معناه: وما لنا في أن لا نقاتل، ما لنا وأن لا نقاتل فحذف الواو، حكاه محمد بن جرير ﴿وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَانَنَا﴾ وقرأ عبيد بن حميد: قد أخرجنا بفتح الهمزة والجيم يعنى العدو.

ومعنى الكلام: وقد أخرج من كتب عليهم من ديارهم وأبنائهم، ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص، لأن الذين قالوا لنبئهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله كانوا في ديارهم وأوطانهم، وإنما من داره من أسر وقهر منهم.

ومعنى الآية: إنهم قالوا مجيبين: إنا إنما كنا نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يطؤونا عدونا ولا يظهر علينا، فأما إذا بلغ ذلك منا، فلا بد من الجهاد فنطيع ربنا في الغزو ونمنع نساءنا وأولادنا.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله عز وجل ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وفي الكلام حذف معناه: فبعث الله لهم ملكاً وكتب عليهم القتال، فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم وهم الذين عبروا النهر وسنذكرهم في موضعها. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.



﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنْىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتىكم التابوت فيه سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَعَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠١﴾

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ الآية، وكان السبب فيه على ما ذكره المفسرون أن إشمويل عليه السلام سأل الله عز وجل أن يبعث لهم ملكاً فأتى بعضاً وقرن فيه دهن القدس وقيل له إن صاحبكم الذى يكون ملكاً طوله هذه العصا، وقيل له: انظر القرن الذى فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى

إسرائيل، فادهن به رأسه وملّكه عليهم، فقاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها.
 وكان طالوت - اسمه شادل بن قيس بن أبيال بن ضرار بن يحرب بن أفيح بن أيس بن
 بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام - رجلاً دَبَّاعاً يعمل الأدم، قاله وهب.
 وقال عكرمة والسدى: كان سقاء يسقى على حمار له من النيل فضل حماره فخرج في
 طلبه، وقيل: كان خربندشاه.

وقال وهب: بل ضلّت حُمُرُ لأبى طالوت فأرسله وغلاماً له يطلبانها؛ فمرّاً ببيت
 إشموبيل، فقال الغلام لطالوت: لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا ويدعو
 لنا فيها بخير، فقال طالوت: نعم، فدخلوا عليه، فبينما هما عنده يذكران له شأن الحمر إذ نشّ
 الدهن الذى فى القرن، فقام إشموبيل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت:
 قَرَّبْ رَأْسَكَ فَقَرَّبَهُ وَدَهْنَهُ بَدَهْنِ الْقُدْسِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَنْتَ مَلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي أَمَرَنِي اللَّهُ
 تَعَالَى أَنْ أُمَلِّكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ طَالُوتُ: أَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ سَبْطِي أَدْنَى
 أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَفَمَا عَلِمْتَ أَنَّ بَيْتِي أَدْنَى بَيْتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟

قال: بلى قال: فبأى آية؟ قال: آية أنك ترجع وقد وجد أبوك حُمُرَه فكان كذلك، ثم قال
 لبني إسرائيل: إن الله تعالى قد بعث لكم طالوت ملكاً، قال مجاهد: أميراً على الجيش.

﴿قَالُوا أَنْى﴾: من أين ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾: وإنما قالوا ذلك لأنه كان
 فى بنى إسرائيل سبطان: سبط نبوة، وسبط مملكة، وكان سبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب
 ومنه موسى وهارون، وسبط المملكة سبط يهود بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان، ولم يكن
 طالوت من سبط النبوة ولا من سبط الملك، إنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب، وكانوا عملوا
 ذنباً عظيماً، كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهاراً، فغضب الله عليهم ونزع الملك
 والنبوة منهم، فلما قال نبيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾، أنكروا لأنه كان من ذلك
 السبط فقالوا: ﴿أَنى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ ومع ذلك هو فقير ﴿وَلَمْ يَوْتِ﴾
 يُعْطِ ﴿سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾ اختاره ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ فضيلة وسعة ﴿فِي الْعِلْمِ﴾
 وذلك أنه كان أعلم بنى إسرائيل فى وقته، وذكر أنه أتاه الوحى حين أوتى الملك قال الكلبي
 ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ بالحرب ﴿وَالْجِسْمِ﴾ يعنى بالطول، وكان يفوق الناس برأسه ومنكبيه
 وإنما سُمى طالوت لطوله وكذلك كان كالعصا التى قيسَ بها، ودليل هذا التأويل قوله تعالى:
 ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ يعنى طول القامة، وقال ابن كيسان بالجمال، وكان طالوت
 أجمل رجل فى بنى إسرائيل وأعلمهم.

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ : يعنى لا ينكروا ملك طالوت مع كونه من غير أهل بيت المملكة، فإن الملك ليس بالوراثة إنما هو بيد الله يؤتیه من يشاء ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فقالوا له : فما آية ذلك ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الآية .

وكانت قصة التابوت وصفتها على ما ذكره أهل التفسير وأصحاب الأخبار : أن الله تعالى أنزل تابوتاً على آدم فيه صور الأنبياء من أولاده، وفيه بيوت بعدد الأنبياء كلهم، وآخر البيوت بيت محمد ﷺ وصورته موقرة على صور جميع الأنبياء من ياقوتة حمراء قائم يصلى، وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته أبو بكر، وعن يساره الفاروق مكتوب على جبينه قرن من حديد، لا تأخذه في الله لومة لائم، ومن ورائه ذو النورين آخذ بحجزته، مكتوب على جبهته بارٌّ من البررة، ومن بين يديه على بن أبى طالب شاهر سيفه على عاتقه مكتوب على جبينه : هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله، وحوله عمومته والخلفاء والقباء والكوكبة الخضراء، وهم أنصار الله وأنصار رسوله، نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس فى دار الدنيا .

وكان التابوت نحواً من ثلاثة أذرع فى ذراعين وكان من عود الشمشار الذى يتخذ منه الأمشاط موه بالذهب، وكان عند آدم عليه السلام إلى أن مات ثم عند شيث ثم توارثها أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم، فلما مات كان عند إسماعيل لأنه أكبر ولده، فلما مات إسماعيل كان عند ابنه قيدار فنازعه ولد إسحاق، وقالوا : إن النبوة قد صرفت عنكم فليس لكم إلا هذا النور الواحد، فأعطنا التابوت، فكان قيدار يمتنع عليهم ويقول : إنه وصية أبى ولا أعطيه أحداً من العالمين .

قال : قال فذهب ذات يوم يفتح ذلك التابوت فعسر عليه فتحه فناداه من السماء : مهلاً يا قيدار فليس لك إلى فتح هذا التابوت سبيل، لأنه وصية نبي فلا يفتحها إلا نبي فادفعه إلى ابن عمك يعقوب إسرائيل الله .

فحمل قيدار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان، وكان بها يعقوب، فلما قرب منه صرّ التابوت صرة سمعها يعقوب فقال لبنيه : أقسم بالله لقد جاءكم قيدار بالتابوت فقوموا نحوه، فقام يعقوب وأولاده جميعاً إليه، فلما نظر يعقوب إلى قيدار استعبر باكياً وقال : يا قيدار ما لى أرى لونك متغيراً وقوتك ضعيفة، أرهقك عدوٌّ أم أتيت معصية قد رابتك؟ فقال : ما رهقنى عدوٌّ ولا أتيت معصية ولكن نُقل من ظهري نور محمد ﷺ؛ فلذلك تغير لونى وضعف ركنى .

قال: أفمن بنات إسحاق؟ قال: لا، فى العربية الجرهمية وهى الغاضرة، قال يعقوب: بخ بخ بشرها بمحمد، لم يكن الله عزّ وجلّ ليخزنها إلاّ فى العربيات الطاهرات، يا قي دار وأنا مبشرك ببشارة قال: وما هى؟ قال: اعلم أنّ الغاضرة قد ولدت لك البارحة غلاماً، قال قي دار: وما علمك يا بن عمى وأنت بأرض الشام وهى بأرض الجرهم؟ قال يعقوب: علمت ذلك لأننى رأيت أبواب السماء قد فتحت، ورأيت نوراً كالقمر الممدود من السماء والأرض، ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة، فعلمت أنّ ذلك من أجل محمد ﷺ. فسلم قي دار التابوت إلى يعقوب ورجع إلى أهله فوجدها قد ولدت غلاماً فسمّاه حمد، وفيه نور محمد عليه السلام.

قالوا: وكان التابوت فى بنى إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه، وكان عنده إلى أن مات، ثم تداولته أنبياء بنى إسرائيل إلى وقت إشمويل فوصل إلى إشمويل وقد تكامل أمر التابوت بما فيه، وكان فيه ما ذكر الله.

﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: واختلفوا فى السكينة ما هى؟ فقال على عليه السلام: السكينة ربح خجوج حفاقة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان. مجاهد: لها رأس كراس الهرة ودنّب كذنب الهرة وجناحان. ابن إسحاق عن وهب عن بعض علماء بنى إسرائيل: السكينة هرة مائة كانت إذا صرخت فى التابوت بصراخ هرة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح.

السدّى عن أبى مالك عن ابن عباس: هى طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيها قلوب الأنبياء. بكّار بن عبد الله عن وهب بن منبه: روح من الله عزّ وجلّ يتكلم، إذا اختلفوا فى شىء تكلم فأخبرهم ببيان ما يريدون.

عطاء بن أبى رباح: هى ما تعرفون من الآيات فتسكنون إليها. قتادة والكلبى: فعيلة من السكون أى طمأنينة من ربكم وفى أى مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا. الربيع: رحمة من ربكم.

﴿وَقِيَّةٌ﴾: وهى الباقى، فعيلة من البقاء والهاء فيه للمبالغة: ﴿مِمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ﴾ يعنى موسى وهارون أنفسهما. قال جميل:

بثينة من آل النساء وإنما يكن لأدنى لا وصال الغائب

أى من النساء، والآل الشخص أيضاً، وأصله أهل بدلت الهاء همزة، فإذا صغروا الآل قالوا: أهيل ردّوه إلى الأصل.

قال المفسرون: كان فيه عصا موسى ورضاض الألواح أى كسره، وذلك أن موسى لما ألقى

الألواح انكسرت فرفع بعضها وجمع ما بقى فجعله فى التابوت وكان فيه أيضاً لوحان من التوراة وفضيز من المنّ الذى كان ينزل عليهم، ونعلا موسى وعمامة هارون وعصاه، وقالوا: وكان عند بنى إسرائيل، وكانوا إذا اختلفوا فى شىء تكلم وحكم بينهم، فإذا حضروا القتال قدّموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم؛ فلما عصوا وفسدوا سلّط الله عليهم العمالة فغلبوهم على التابوت وسلبوه.

وكان السبب فى ذلك أنّه كان لعلى الذى ربه إشمويل ابنان شابان وكان عىلى خيرهم وصاحب قربانهم ما حدث ابناه فى القربان شيئاً لم يكن فيه كان فى مشوط القربان الذى كانوا يشوطونه به كلاليب فما كان عليهما كان للكاهن الذى يشوطه فجعل ابناه كلاليب.

وكان النساء يصلين فى المقدس فجعلنا يتشبثان بهنّ أيضاً فأوحى الله عزّ وجلّ إلى إشمويل انطلق إلى عىلى فقل له: منعك حب الولدان زجر ابنيك أن يحدثا فى قربانى وقدسى وأن يعصيانى فلا تزعن منك الكهانة ومن ولدك، ولأهلكه وإياهما.

فأخبر إشمويل عىلى بذلك ففرغ فرغاً شديداً فسار إليهم عدوٌّ من حولهم، فأمر ابنه أن يخرج بالناس ويقاتلا ذلك العدو فخرجا، وأخرجا معهما التابوت، فلماً تهيئوا للقتال جعل عىلى يتوقع الخبر: ماذا صنعوا؟ فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه أنّ الناس قد هُزموا وأنّ ابنيك قد قُتلا، قال: فما فعل بالتابوت، قال: قد ذهب به العدو فشهو ووقع على قفاه من كرسيه ومات، فمرج أمر بنى إسرائيل واختلّ وتفرّقوا إلى أن بعث الله طالوت ملكاً، فسألوا البيّنة، وقال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾.

وكان قصة إتيان التابوت أنّ الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها أزدود، وجعلوه فى بيت صنم لهم، وضعوه تحت الصنم الأعظم، وأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وشدّوا قدمى الصنم على التابوت، وأصبحوا من الغد وقد قطعّ يدا الصنم ورجلاه، وأصبح يلقى تحت التابوت، وأصبحت أصنامهم كلّها منكّسة؛ فأخرجوه من بيت الصنم ووضعوه فى ناحية من مدينتهم، فأخذ أهل تلك الناحية وجعٌ فى أعناقهم حتى هلك أكثرهم.

فقال بعضهم لبعض: أليس قد علمتكم أنّ إله بنى إسرائيل لا يقوم له شىء فأخرجوه من مدينتكم، فأخرجوه إلى قرية أخرى فبعث الله عزّ وجلّ على أهل تلك القرية فأراً تقرص الفأرة الرجل فيصبح ميتاً قد أكلت ما فى جوفه من دبره، وأخرجوه منه إلى الصحراء ودفنوه فى محرّاة لهم؛ فكان كل من تبرّز هناك أخذه الناسور والقولنج؛ فبقوا فى ذلك فتحيروا

فقال لهم امرأة كانت عندهم من سبى بنى إسرائيل من أولاد الأنبياء: لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فأتوا بعجلة بإشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت، ثم علّقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران، ووكل الله عز وجل بها أربعة من الملائكة يسوقونها، فلم يمض التابوت بشيء من الأرض إلا كان مقدّساً، فأقبلا حتى وقفا على أرض بنى إسرائيل فكسرا بقرنهما وطفقا جناحهما، ووضعوا التابوت فى أرض فيها حصاد لبنى إسرائيل ورجعا إلى أرضهما، فلم تدع بنو إسرائيل إلا بالتابوت فكبروا وحمدوا الله عز وجل واستوسقوا على طالوت فذلك قوله: ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أى تسوقه.

وقال ابن عباس: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعت عند طالوت.

وقرأ ابن مسعود ومجاهد والأعمش (يحملة الملائكة) بالياء.

وقال قتادة: بل كان التابوت فى التيه جعله موسى عند يوشع بن نون فبقى هنالك فحملته الملائكة حتى وضعت فى دار طالوت فأقروا بملكه. وقال ابن زيد: غير راضين.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: إن التابوت وعصا موسى فى الجيزة الطبرية وأنهما يخرجان قبل يوم القيامة.



﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَرِهَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلًا غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَعَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ أى خرج ورحل بهم، وأصل الفصل: القطع فمعنى قوله

﴿فَصَلِّ﴾ أى قطع مستقر فتجاوزه شاخصاً إلى غيره نظير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ﴾ (يوسف: ٩٤).

فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل . وقيل : ثمانون ألفاً لم يتخلف عنه إلا كبير لهممه أو مريض لمرضه أو ضرير لضرره أو معذور لعذره . وذلك أنهم لما رأوا التابوت قالوا : قد أتانا التابوت وهو النور لا شك فيه ، فتسارعوا إلى الجهاد .

فقال طالوت : لا حاجة لى فى كآ ما أرى . لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ، ولا صاحب تجارة مشغول بها ، ولا رجل عليه دين ، ولا رجل تزوج بامرأة لم يدين لها ولا أبتغى إلا الشاب النشيط الفارغ .

فاجتمع ثمانون ألفاً ممن شرطه وكان فى حرّ شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم ، وقالوا : إن المياه لا تحملنا فادع الله تعالى أن يجرى لنا نهراً .

فقال طالوت : ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم ليرى طاعتكم وهو أعلم ﴿بِنَهْرٍ﴾ قرأه العامة بفتح الهاء ، وقرأ حميد وابن محصن ﴿بِنَهْرٍ﴾ ساكنة الهاء ، وهما لغتان مثل شعرٌ وشعرٌ وصخرٌ وصخرٌ وسمعٌ وسمعٌ وفحمٌ وفحمٌ .

قال ابن عباس والسدى : هو نهر فلسطين . قتادة والربيع : نهر بين الأردن وفلسطين عذب .

﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ : أى ليس من أهل دينى وطاعتى ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ : يشربه ﴿فَأِنَّهُ مِنِّي﴾ : نظير قوله : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾ (المائدة: ٩٣) ثم استثنى فقال : ﴿إِلَّا مَنْ أَتَتْهُ غُرَّةٌ بِيَدِهِ﴾ قرأ ابن عباس ، وابن أبى إسحاق ، وسليمان التيمى ، وابن أبى الجوزاء ، وأبو جعفر ، وشيبة ، ونافع ، وأبو مخرمة ، وأبو عمرو ، وأيوب : ﴿غُرَّةٌ﴾ بفتح الغين وقرأ الباقون بضمه وهو قراءة عثمان وهما لغتان .

وقال الكسائى وأبو عبيدة : الغرفة بالضم الذى يحصل فى الكف من الماء إذا غرف . والغرفة : الاغتراف ، فالضم اسم والفتح مصدر .

وقال أبو حاتم : الغرفة بالضم ملء الكف أو ملء المغرفة ، والغرفة : المرة الواحدة القليل والكثير .

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ نصب على الاستثناء ، وقرأ ابن مسعود (قليل) بالرفع من الشاعر :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أهلك إلا الفرقدان
وكل قرينة قرنت بأخرى وإن ضنت بها سيفرقان

واختلفوا فى القليل الذى لم يشربوا، فقال السدى: كانوا أربعة آلاف، وقال غيره: ثلاثمائة وبضعة عشر وهو الصحيح، يدلّ عليه قول البراء بن عازب قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر: «أنتم اليوم على عدّة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاء معه إلا مؤمن». قال: وكنا يومئذ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً.

قالوا: فمن اغترف غرفة كما أمر الله سبحانه، قوى قلبه وصحّ إيمانه وعبر النهر سالماً وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه، والذين شربوا وخالفوا أمر الله، سوّدت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح. ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾: يعنى النهر ﴿هُوَ﴾ يعنى طالوت ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ يعنى القليل ﴿قَالُوا﴾ الذين شربوا وخالفوا أمر الله عزّ وجلّ وكانوا أهل شكّ ونفاق ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت.

﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ويعلمون ﴿أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ﴾ وهم الذين ثبتوا مع طالوت ﴿كُمْ﴾ وقرأ أبى: كائن ﴿مِنَ فِئَةٍ﴾ جماعة وهى جمع لا واحد له من لفظه، وجمعها فئات وفئون فى الرفع، وفئان فى النصب والحفض ﴿فَلَيْلَةٌ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ مُعِينِهِمْ وناصرهم.

قال الزجاج: إنّما قيل للفئة من فأوت رأسه بالعصا وفائه إذا شققته كأنها قطعة.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾ يعنى طالوت وجنوده المؤمنين ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ المشركين ومعنى ﴿بَرَزُوا﴾ صاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى ﴿قَالُوا﴾ وهم أهل البصيرة والطاعة ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا وَأَسْبِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ كما يفرغ الدلو ﴿وَوَثِّقْ أَقْدَامَنَا﴾ وقوّ قلوبنا ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ وفى الآية إضمار تقديرها: فأنزل الله عليهم صبراً ونصراً ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾.

❖ صفة قتل داود جالوت:

قال المفسرون بالفاظ متشابهة ومعان متّفقة: عبر النهر فيمن عبر مع طالوت أيشا أبو داود فى ثلاثة عشر ابناً وكان داود أصغرهم، فأتاهم ذات يوم فقال: يا أبتاه ما أرمى بقذافتى شيئاً إلا صرعته فقال: أبشر فإنّ الله جعل رزقك فى قذافتك، ثم أتاه مرة أخرى فقال: يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضاً فركبته وأخذت بأذنيه ولم بهمنى، فقال: أبشر يا بنى

فإن هذا خير أعطاكه الله .

ثم أتاه يوماً آخر فقال : يا أبتاه إنني لأمشي بين الجبال فأسبح فما يبقى جبل إلا يسبح معي ، فقال : أبشر يا بني فإن هذا خير أعطاكه الله .

قالوا : فأرسل جالوت إلى طالوت أن أبرز إلي من يقاتلني فإن قتلني فلکم ملكي وإن قتلته فلي ملكك ، فشق ذلك على طالوت فنأدى في عسكره من يقتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي ، فخاف الناس جالوت فلم يجبه أحد .

فسأل طالوت نبيهم إسموئيل أن يدعو الله ، فدعا الله عز وجل في ذلك ، فأتى بقرن فيه دهن ، وتور من حديد ، فقيل : إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلى الدهن حتى يدهن رأسه منه ولا يسيل على وجهه يكون على رأسه كهيئة الإكليل ، ويدخل في هذا التنور فيملؤه لا يتقلقل فيه ، فدعا طالوت بني إسرائيل فجرّبهم فلم يوافقهم منهم أحد .

فأوحى الله تعالى إلى نبيهم إن في ولد أيشا من يقتل الله به جالوت ، فدعا طالوت أيشا وقال : أعرض على بنيك ، فأخرج له اثني عشر رجلاً أمثال السواري ، فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئاً فيقول لرجل منهم : بادع عليهم جسم ارجع فيردد عليه فأوحى الله تعالى إليه إنا لا نأخذ الرجال على صورهم ولكننا نأخذ على صلاح قلوبهم ، فقال لأيشا : هل بقي لك ولد غيرهم ؟ قال : لا .

فقال النبي عليه السلام : يارب إنه زعم أن لا ولد له غيرهم ، فقال : كذب .

فقال النبي : إن ربّي كذّبك ، فقال : صدق الله يا نبي الله إن لي ابناً صغيراً يقال له : داود ، استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته ، فخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا ، وكان داود عليه السلام رجلاً قصيراً مسقطاً مصفراً أزرق أمد .

فدعاه طالوت ، ويقال : بل خرج طالوت إليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزرب التي يريح إليها ، فوجده يحمل شاتين شاتين يجيزهما السيل ولا يخوض بهما الماء ، فلما رآه النبي عليه السلام قال : هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم ، فدعاه ووضع القرن على رأسه ففاض .

فقال له طالوت : هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجرى خاتمك في ملكي ؟

قال : نعم .

قال : وهل أنست من نفسك شيئاً تقوى به على قتله ؟

قال : نعم ، وأنا أرعى فيجىء الأسد والنمر والذئب فيأخذ الشاة وأقوم له وأفتح لحييه عنها وأخرقهما إلى قفاه .

فرده إلى عسكره ، فمرّ داود بحجر فناداه : يا داود احملنى فإنى حجر هارون الذى قتل بى ملك كذا ، فحملة فى مخلاته .

ثم مرّ بحجر آخر فناداه : يا داود احملنى فإنى حجر موسى الذى قتل بى ملك كذا ، فحملة فى مخلاته .

فمرّ بحجر آخر فقال : احملنى فإنى حجرك الذى تقتل بى جالوت ، وقد خبانى الله لك ، فوضعها فى مخلاته .

فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة ، انتدب له داود فأعطاه طالوت فرساً ودرعاً وسلاحاً ، فلبس السلاح وركب الفرس ، فسار قريباً ثم انصرف فرجع إلى الملك ، فقال من حوله : جبن الغلام فجاء فوقف على الملك ، فقال : ما شأنك ؟

فقال : إن الله إن لم ينصرنى لا يغنى عنى السلاح شيئاً فدعنى أقاتل كما أريد .

قال : نعم ، فأخذ داود مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت ، وكان جالوت من أشدّ الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلاثمائة من حديد ، فلما نظر إلى داود ألقى فى قلبه فقال له : أنت تبرز لى ؟

قال : نعم .

وكان جالوت على فرس أبلق عليه السلاح التام .

قال : فأتيتنى بالمقلاع والحجر كما تؤتى الكلاب ؟

قال : نعم ، لأنت شرّ من الكلب .

قال : لا جرم لأقسمنّ لحملك بين سباع الأرض وطير السماء .

قال داود : أو يقسم الله لحملك .

ثم قال داود : باسم إله إبراهيم وأخرج حجراً ، ثم أخرج الآخر وقال : باسم إله إسحاق ووضعته فى مقلاعه ، ثم أخرج الثالث وقال : باسم إله يعقوب ووضعته فى مقلاعه فصارت كلّها حجراً واحداً ، ودورّ المقلاع وماء به فسخرّ الله الريح حتّى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه فخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً ، وهزم الله سبحانه الجيش وخرّ جالوت قتيلاً فأخذه فجرّه حتّى ألقاه بين يدى طالوت .

ففرح المسلمون فرحاً شديداً وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين والناس يذكرون داود فجاء

داود طالوت، وقال: أنجز لى ما وعدتني وأعطني امرأتى، فقال له: أتريد ابنة الملك بغير صداق.

قال داود: ما شرطت علىّ صداقاً وليس لى شىء.

قال: لا أكلّفك إلاّ ما تطيق، أنت رجل حربى وفى جبالنا أعداء لنا غلفٌ، فإذا قتلت منهم مائتى رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتى، فأتاهم فجعل كلما قتل منهم رجلاً نظم غلفته فى خيطه حتىّ نظم غلفهم فجاء بها إلى طالوت فألقى إليه وقال: ادفع إلى امرأتى، فزوجه ابنته وأجرى خاتمه فى ملكه.

فمال الناس إلى داود وأحبّوه وأكثروا ذكره، فوجد طالوت من ذلك وحسده فأراد قتله، فأخبر بذلك بنت طالوت رجل يقال له ذو المغنين، فقالت لداود: إنك لمقتول الليلة.

قال: ومن يقتلنى؟

قالت: أبى.

قال: وهل جزمت جزماً؟

قالت: حدّثنى من لا يكذب ولا عليك لن تفوت الليلة حتى تنظر مصداق ذلك.

فقال: لئن كان أراد ذلك ما أستطيع خروجاً ولكن ائتينى بزق من خمر، فأنته، فوضعه فى مضجعه على السرير.

وسجّاه ودخل تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل وأراد أن يقتل داود فقال لها: أين

بعلك؟

فقالت: هو نائم على السرير، فضربه ضربة بالسيف فسال الخمر، فلما وجد ريح الشراب قال: يرحم الله داود ما أكثر شربه الخمر وخرج، فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئاً.

فقال: إن رجلاً طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعى حتى يدرك منى ثأره، فشدّد حجابه وحرّاسه وأغلق دونه أبوابه.

ثم إن داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله تعالى الحجة وفتح له الأبواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عند رجليه وسهماً عن يمينه وسهماً عن شماله ثم خرج. فلما استيقظ طالوت أبصر السهام فعرّفها فقال: يرحم الله داود فهو خير منى، ظفرت به فقصدت قتله وظفر بى فكفّ عنى، ولو شاء لوضع هذا السهم فى حلقي. وما أنا بالذى آمنه.

فلما كانت المقابلة أتاه ثانياً فأعمى الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم وأخذ إبريق طالوت

الذى كان يتوضأ منه وكوزه الذى كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئاً من هذب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى .

فلما أصبح طالوت ورأى ذلك ، سلط على داود العيون وطلبه أشدّ الطلب فلم يقدر عليه ، ثم إن طالوت ركب يوماً فوجد داود يمشى فى البرية ، فقال طالوت : اليوم أقتل داود أنا راكب وهو ماش ، وكان داود إذا فزع لم يدرك فركض طالوت على أثره ، فاشتدّ داود فدخل غاراً فأوحى الله تعالى إلى العنكبوت فנסجت عليه بيتاً .

فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت ، قال : لو كان دخل هاهنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى ، وانطلق داود وأتى الجبل مع المعبدين فتعبّد فيه .

وطعن العلماء والعُباد فى طالوت فى شأن داود ، فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن قتل داود إلاّ قتله وأغرى بقتل العلماء ، فلم يكن يقدر على عالم فى بنى إسرائيل فيطيق قتله إلاّ قتله ولم يكن يحارب جيشاً إلاّ هزم ، حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الأعظم فأمر جباراً بقتلها فرحمها الجبار فقال : لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها ، فوقع فى قلب طالوت التوبة وندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه .

فكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي وينادى : أنشد الله عبداً يعلم أن لى توبة إلاّ أخبرنى بها .

فلما أكثر عليهم ناداه مناد من القبور : يا طالوت أما ترضى أن تقتلنا حتى تؤذينا أمواتاً ، فازداد بكاءً وحزناً ، فرحمه الجبار فكلّمه فقال : ما لك أيها الملك ؟

فقال : هل تعلم لى فى الأرض عالماً أسأله هل لى من توبة ؟

فقال الجبار : هل تدرى ما مثلك ؟ إنّما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه ، فقال : لا تتركوا فى القرية ديكا إلاّ ذبحتموه ، فلما أراد أن ينام قال لأصحابه ، إذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندلج .

فقالوا : هل تركت ديكا نسمع صوته .

ولكن هل تركت عالماً فى الأرض ، فازداد حزناً وبكاءً .

فلما رأى الجبار ذلك قال : أرأيتك إن دلتك على عالم لعلك أن تقتله .

قال : لا .

فتوثق عليه الجبار فأخبره أن المرأة العالمة عنده قال : انطلق بى إليها أسألهما هل لى من توبة ؟

وكان إنّما يعلم ذلك الاسم أهل بيت إذا فئيت رجالهم علمت نساؤهم .

فلما بلغ طالوت الباب قال الجبار: أيها الملك إنها إن رأتك فزعت، فخلّفه خلفه ثم دخل عليها فقال لها: أأنت أعظم الناس عليك منّة أن نجيتك من القتل وأويتك عندي؟ قالت: بلى.

قال: فإن لي إليك حاجة: هذا طالوت يسأل هل له من توبة. فعُشى عليها من الخوف. فقال لها: إنه لا يُريد قتلك ولكن يسأل هل له من توبة؟

فقالت: والله لا أعلم لطالوت توبة، ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي؟ فانطلق بها إلى قبر أشمويل، فصلّت ودعت ثم نادى صاحب القبر، فخرج إشموييل من القبر فنفض من رأسه التراب، فلما نظر إلى ثلاثهم: المرأة وطالوت والجبار، قال: ما لكم أقامت القيامة؟

قالا: لا، ولكن طالوت يسألك هل له من توبة؟

قال: أشمويل: يا طالوت ما فعلت بعدى؟

قال: لم أَدع من الشر شيئاً إلاّ فعلته وجئت أطلب التوبة.

قال: كم لك من الولد؟

قال: عشرة رجال.

قال: ما أعلم لك توبة إلاّ أن تتخلّى من ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله ثم تقدّم وولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقااتل أنت حتى تقتل آخرهم، ثم رجع أشمويل إلى القبر وسقط ميتاً.

ورجع طالوت أحرز ما كان رهبة إن لا يتابعه وُلده، وقد بكى حتى سقط أشفار عينيه ونحل جسمه، فدخل أولاده عليه، فقال لهم: أرايتم لو دفعت إلى النار هل كنتم تفدونني؟ قالوا: بلى، نفديك بما قدرنا عليه.

قال: فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم، قالوا: فاعرض علينا، فذكر لهم القصة،

قالوا: وإنك لمقتول؟

قال: نعم.

قالوا: فلا خير لنا في الحياة فقد طابت أنفسنا بالذى سألت: فتجهز بماله وولده، فقدم ولده وكانوا عشرة فقاتلوا حتى قُتلوا بين يديه ثم شدّ هو بعدهم حتى قُتل، فجاء قاتله إلى داود النبي عليه السلام ليبشره وقال: قد قتلت عدوك.

فقال: ما كنت بالذى تحيا بعده فضرب عنقه، وأتى بنو إسرائيل بدادود فأعطوه خزائن

طالوت وملكوه على أنفسهم .

وكان ملك طالوت من أوله إلى أن قُتل في الغزو مع ولده أربعين سنة .

قال الضحاك والكلبي : ملك داود بعد جالوت تسعاً وستين سنة .

ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود ، فذلك قوله : ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ وهو داود بن أيشا بن سوئل بن ناغر بن سلمون بن يخشون بن عمى ابن يارب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهود بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، وآتاه الله الملك والحكمة يعنى النبوة .

﴿ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ : فقال الكلبي وغيره : يعنى صنعة الدروع ، والتقدير : فى السر وكان يصنعها ويبيعها حتى جمع من ذلك مالاً ، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه دليله قوله : ﴿ وَعَلَّمَنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ (الأنبياء : ٨٠) وقيل : منطق الطير وكلام النحل والنمل ، وقيل : الزبور ، وقيل : الصوت الطيب والأحان ، ولم يعط الله أحداً من خلقه مثل صوته كان إذا قرأ الزبور يدنو الوحوش حتى تؤخذ بأعناقها وتظله الطيور مصيخة له . ويركد الماء الجارى ويسكن الريح ، وما صنعت المزامير والبرابط والصنوج إلا على صوته .

الضحاك عن ابن عباس قال : إن الله سبحانه أعطاه سلسلة موصولة بالحجرة والفلك ورأسها عند صومعة داود عليه السلام وكان قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستدير مفصلة بالجواهر مرسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب ، فلا يحدث فى الهواء حدث إلا صلصلت السلسلة فعلم داود الحدث ، ولا يمسه ذو عاهة إلا برئ ، وكان علامة دخول قومه فى الدين أن يمسه بأيديهم ثم يمسخون أكفهم على صدورهم ، وكانوا يتحاكمون إليها بعد داود إلى أن رفعت ، وكانوا يأتونها فمن تعدى على صاحبه وأنكر له حقاً أتى السلسلة ، فمن كان صادقاً محقاً مداً يده إلى السلسلة فنالتها ومن كان كاذباً ظالماً لم ينلها ، وكانت كذلك إلى أن ظهر فيهم المكر والحديعة .

فبلغنا أن بعض ملوكها أودع رجلاً جوهرة ثمينة ، فلما استردّها منه أنكر فتحاكما إلى السلسلة ، فعلم الذى كانت الجوهرة عنده أن يده لا تنال السلسلة ، فعمد إلى عكازه فنقرها ثم ضمّنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضروا السلسلة .

فقال صاحب الجوهرة : ردّ إلى الوديعه .

فقال صاحبه : ما أعلم لك عندى وديعه ، فإن كنت صادقاً فتناول السلسلة فتناولها بيده ، فقيل للمنكر أيضاً ، قم أنت أيضاً فتناولها ، فقال لصاحب الجوهرة : خذ عكازتى هذه

فاحفظها حتى أتناول السلسلة، فأخذها وقال الرجل: اللهم إن كنت تعلم أن هذه الويعة يدعيها علىّ قد وصلت إليه فقرب السلسلة، فمدّ يده فتناولها، فتعجب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة.

﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بَعْضًا﴾: قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع ويعقوب وأيوب (دفاع الله) بالألف هاهنا وفي سورة الحجّ واختاره أبو حاتم، وقرأ الآخرون بغير ألف فيهما واختاره أبو عبيد قال: لأن الله تعالى لا يغالبه أحد وهو الدافع وحده، وقال أبو حاتم: وقد يكون الفعال من واحد مثل قول العرب: أحسن الله عنك الدفاع، وعافاك الله، وعاقبه الله، وناول شيئاً.

ابن عباس ومجاهد: لولا دفع الله بجنود المسلمين وسرايهم ومرابطيهم لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخرّبوا البلاد والمساجد.

وقال سائر المفسرين: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفّار والفجار ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ لهلكت بمن فيها.

قال رسول الله ﷺ: «يدفع الله العذاب بمن يُصَلِّي عَمَّنْ لَا يُصَلِّي، وبمن يُزَكِّي عَمَّنْ لَا يُزَكِّي، وبمن يصوم عَمَّنْ لَا يَصُوم، وبمن يحجّ عَمَّنْ لَا يَحُج، وبمن يجاهد عَمَّنْ لَا يَجَاهِد. ولو اجتمعوا على ترك هذه الأشياء ما ناظرهم الله طرفة عين» ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية.

وروى مالك بن عبيد عن أبيه عن جدّه أن رسول الله ﷺ قال: «لولا عباد لله ركع وصيبة رضع، وبهائم رتع، لصبّ عليكم العذاب صبّاً ثم لترضن رضا».

قال الثعلبي وأنشدني لنفسه:

لولا عباد للإله ركع وصيبة من اليتامى رضع
ومهملات في الفلاة رتع صبّ عليكم العذاب الأوجع

وروى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سبحانه ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم».

وقال قتادة: يتلى الله المؤمن بالكافر ويعافى الكافر بالمؤمن.

... (١) بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيت من جيرانه البلاء»، ثم قرأ ابن عمر: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بَعْضًا﴾.

(١) يياض بالأصل المخطوط.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٦٠﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴿٦١﴾: أَى كَلَامِ اللَّهِ .
﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٢﴾﴾



﴿٦٣﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٦٤﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿٦٣﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴿٦٤﴾: قَالَ الْأَخْفَشُ: أَى كَلَامِ اللَّهِ ﴿٦٥﴾ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ ﴿٦٦﴾ (فصلت: ٣١) وزان ﴿٦٧﴾ مَا تَشْتَهِيهِ ﴿٦٨﴾ (الزخرف: ٧١) .

﴿٦٩﴾ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴿٧٠﴾: الرِّبِيعُ بْنُ الْهَيْثَمِ قَالَ: لَا أَفْضَلَ عَلَى نَبِيِّنَا أَحَدًا وَلَا أَفْضَلَ بَعْدَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ أَحَدًا .

﴿٧١﴾ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴿٧٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ: أَى مِنْ بَعْدِ الرُّسُلِ ﴿٧٣﴾ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ: ثَبِتَ عَلَى إِيمَانِهِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ: فَهَوْدٌ وَتَنْصَرُّ وَكَانُوا يَعْقُوبِيَّةً وَنَسْطُورِيَّةً وَمَلَكَائِيَّةً ثُمَّ تَحَارَبُوا ﴿٧٥﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ: فَيُوفِّقُ مَنْ يَشَاءُ عَدْلًا وَيُخْذِلُ مَنْ يَشَاءُ عَدْلًا .

وَعَنِ الْحَارِثِ الْأَعُورِ قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى عَلِيٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنِ الْقَدْرِ، قَالَ: طَرِيقٌ مَظْلَمٌ لَا تَسْلُكُهُ .

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنِ الْقَدْرِ، قَالَ: بَحْرٌ عَمِيقٌ لَا تَلْجُهُ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنِ الْقَدْرِ، قَالَ: سِرٌّ اللَّهُ قَدْ خَفَى عَلَيْكَ فَلَا تَفْشِهِ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي عَنِ الْقَدْرِ، فَقَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهَا السَّائِلُ إِنْ اللَّهُ خَلَقَكَ كَمَا شَاءَ أَوْ كَمَا شِئْتَ؟ .

فَقَالَ: كَمَا شَاءَ .

قَالَ: فَيَبِيعُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا شَاءَ أَوْ كَمَا شِئْتَ؟ .

قَالَ: كَمَا شَاءَ .

قَالَ: أَيُّهَا السَّائِلُ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ مَشِئَةً أَوْ فَوْقَ اللَّهِ مَشِئَةً أَوْ دُونَ اللَّهِ مَشِئَةً؟ فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ لَكَ دُونَ اللَّهِ مَشِئَةً فَقَدْ اكْتَفَيْتَ عَنِ مَشِئَةِ اللَّهِ، وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ لَكَ فَوْقَ اللَّهِ مَشِئَةً فَقَدْ زَعَمْتَ

أن مشيئتك غالبية على مشيئة الله، وإن زعمت أن لك مع الله مشيئة فقد ادعيت الشركة، أأست تسأل ربك العافية؟

قال: بلى.

قال: فمن أي شيء تسأله، أمن البلاء الذي ابتلاك به، أم من البلاء الذي ابتلاك به غيره؟

قال: من البلاء الذي ابتلاني به.

قال: أأست تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؟

قال: بلى.

قال: فتعلم تفسيرها؟

قال: لا، علّمني يا أمير المؤمنين مما علمك الله.

قال: تفسيرها: أن العبد لا يقدر على طاعة الله ولا يكون له قوة على معصية الله في الأمرين جميعاً إلا بالله، أيها السائل إن الله عزّ وجلّ يصح ويداوى، منه الداء ومنه الدواء أعقلت عن الله أمره.

قال: نعم.

قال على (رضى الله عنه): الآن أسلم أحوكم قوموا فصافحوه.

ثم قال: لو وجدت رجلاً من القدرية لأخذت برقبته فلا أزال أطأ عنقه حتى أكسرها فإنهم يهود هذه الأمة ونصاراها ومجوسها.

وقال المزني: سمعتي الشافعي يقول:

وما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾: يعني صدقة التطوع والنفقة في الخير ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَهُ لَا يَبِغُ فِيهِ﴾ (١) ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ ولا صداقة ﴿وَلَا شَفَعَةٌ﴾ إلا بإذن الله، قرأها كلها بالنصب ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وقرأ الباكون كلها بالرفع والتنوين، وكلا الوجهين سائغ في العربية.

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها.



(١) بياض بالأصل المخطوط.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الآية .

عن أبي بن كعب قال : سألت رسول الله ﷺ فقال : «يا أبا المنذر أى آية فى كتاب الله عز وجل أعظم»؟ .

قلت : الله ورسوله أعلم .

قالها ثلاثاً ثم سألتى ، فقلت : الله ورسوله أعلم ، ثم سألتى فقلت : الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، فضرب فى صدرى ثم قال : «هنيئاً لك العلم يا أبا المنذر والذى نفسى بيده إن لها لساناً تقدس الملك عند ساق العرش» .

عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال النبى ﷺ : «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة كان الذى يتولى قبض نفسه ذو الجلال والإكرام ، وكان كمن قاتل مع أنبياء الله حتى استشهد» .

روى إسماعيل بن مسلم عن أبى المتوكل الناجى أن أبا هريرة كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر ، فذهب يوماً وفتح الباب فإذا التمر قد أخذ منه ملء كف ، ثم دخل يوماً آخر وقد أخذ منه ذلك ، ثم دخل يوماً آخر فإذا قد أخذ منه مثل ذلك ، قال : فذكر ذلك أبو هريرة للنبي ﷺ فقال له النبى ﷺ : «أيسرك أن تأخذه»؟

قال : نعم .

قال : «فإذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد ﷺ» . قال : فذهب ففتح الباب فقال : سبحان من سخرك لمحمد ، فإذا هو قائم بين يديه فقال له : يا عدو الله أنت صاحب هذا؟ قال : نعم ، وقال لى : لا أعود ، ما كنت أخذه منك إلا لأهل بيت فقراء من الجن ، ثم عاد

فذكره للنبي ﷺ فقال له: «أيسرك أن تأخذه» قال: نعم، قال: «فإذا فتحت فقل مثل ذلك أيضاً»، ففتح الباب فقال: سبحان مَنْ سَخَّرَ لِمُحَمَّدٍ، فإذا هو قائم بين يديه، فقال له: يا عدو الله أليس زعمت أنك لا تعود؟
قال: دعنى هذه المرة فإنى لا أعود.

فأخذه الثالثة فقال له: أليس عاهدتني أن لا تعود، اليوم لا أدعك حتى أذهب بك إلى النبي ﷺ، قال: لا تفعل فإنك إن تدعنى علمتكم كلمة إذا أنت قلتها لم يقربك أحد من الجن صغير ولا كبير ذكر ولا أنثى.
قال له: لتفعلن؟ قال: نعم، قال: فما هى؟ قال: الله لا إله إلا هو الحى القيوم، حتى ختمها، فتركه فذهب فلم يعد، فذكر ذلك أبو هريرة للنبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «أما علمت يا أبا هريرة أنه كذلك».

عن جعفر بن محمد بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا على آية نزلت من كنوز العرش خر كل صنم يُعبد فى المشرق والمغرب على وجهه» وفتح إبليس. وقال: يحدث فى هذه الليلة حدث كبير فانظرونى أضرب لكم مشارق الأرض ومغاريها، فأتى يثرب فاستقبله رجل فترأى له إبليس فى صورة شيخ.
قال: يا عبد الله هل حدث هذه الليلة أو فى هذا اليوم شىء؟

قال: نعم، أخبرنا رسول الله ﷺ أنه نزلت عليه آية أصبح كل صنم خاراً على وجهه، فانصرف إبليس إلى أصحابه، وقال: حدث بيثرب أعظم الحدث فجاءوا إلى المدينة فبلغهم أن آية الكرسي قد نزلت، وقال النبي ﷺ: «ما قرئت هذه الآية فى دار إلا هجره الشيطان ثلاثة أيام أو قال ثلاثين يوماً ولا يدخله ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة. يا على علم ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها».

وعن عطية العوفى عن على رضى الله عنه قال سمعت نبيكم ﷺ على أعواد المنبر وهو يقول: «مَنْ قرأ آية الكرسي فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد، ومَنْ قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله».

عن أنس وعن جابر رفعاً الحديث إلى رسول الله ﷺ: «أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران من داوم على قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة أعطيته قلوب الشاكرين وأجر النبيين وأعمال الصديقين وبسطت عليه يميني بالرحمة ولم أمنعه أن أدخله الجنة إلا أن يأتية الموت».

قال موسى : إلهى ومنّ يداوم عليها؟

قال : لا يداوم عليها إلا نبي أو صديق أو رجل قد رضيت عنه أو رجل أريد قتله فى سبيلى .

محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «من خرج من منزله فقرأ آية الكرسي بعث الله إليه سبعين ألفاً من الملائكة يستغفرون له ويدعون له ، فإذا رجع إلى منزله ودخل بيته فقرأ آية الكرسي نزع الله الفقر من بين عينيه» .

نافع عن ابن عمر قال : بينا عمر بن الخطاب جالس فى مسجد المدينة فى جماعة من أصحاب النبى ﷺ وهم يتذاكرون فضائل القرآن إذ قال قائل منهم : خاتمة براءة ، وقال قائل : خاتمة بنى إسرائيل ، وقال قائل : كهيعص وقال قائل : طه فقدم القوم وأخروا ، فقال على عليه السلام : وأين أنتم يا أصحاب محمد من آية الكرسي؟

فقالوا له : أخبرنا يا أبا الحسن ما سمعت النبى ﷺ يقول؟ فقال على (رضى الله عنه) : قال النبى ﷺ : «يا على سيد النبيين آدم ، وسيد العرب محمد ولا فخر ، وسيد الفرس سلمان ، وسيد الروم صهيب ، وسيد الحبشة بلال ، وسيد الجبال الطور ، وسيد الشجر السدر ، وسيد الشهور الأشهر الحرم ، وسيد الأيام يوم الجمعة ، وسيد الكلام القرآن ، وسيد القرآن البقرة ، وسيد البقرة آية الكرسي .

يا على إن فيها خمسين كلمة فى كل كلمة خمسون بركة» .

عمر بن أبى المقدام قال سمعت أبا جعفر الباقر يقول : «من قرأ آية الكرسي مرة صرف عنه ألف مكروه من مكروه الدنيا وألف مكروه من مكروه الآخرة ، أيسر مكروه الدنيا الفقر وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر» .

قوله تعالى : ﴿اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالْإِيمَانِ الَّذِي بِنَافِثِهِ جَاءَ الْوَيْلُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْإِيمَانِ الَّذِي بِنَافِثِهِ جَاءَ الْوَيْلُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْإِيمَانِ الَّذِي بِنَافِثِهِ جَاءَ الْوَيْلُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وقيل : هو رفع بالإيجاب والتحقيق كقوله عز وجل : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ (آل

عمران : ١٤٤) .

﴿الْحَيُّ﴾ : من له الحياة ، وهى الصفة التى يكون الموصوف بها حياً مخالفاً للجمادات والأموات وهو على وزن فعل مثل الحذر والطمع ، فسكنت الياء وأدغمت .

و﴿الْقِيَوْمُ﴾ فيقول من القيام وفيه ثلاث لغات : القيام وهى قراءة عمر بن مسعود والنخعي والأعمش ، والقيّم وهى قراءة علقمة ، والقيوم وهى قراءة الباقرين ، وكلها لغات بمعنى واحد ، والأصل : قيّم وقيام وقيوم كما يقال : ما فى الدار ديور وديار ودير . والقيوم : المبالغ فى

القيام على خلقه .

قال مجاهد: القيوم: القائم على كل شيء، سعيد بن جبير: الذي لا نرى له، الضحاك: الدائم، أبو روق: الذي لا يلى، الربيع: القيم على كل شيء يحفظه ويرزقه، الكلبي: القائم على كل نفس بما كسبت، أبو عبيد: الذي لا يزول .

قال أحيه: لم يخلق السماء والنجوم والشمس معها قمر يقوم قدره المهيمن القيوم والحشر والجنّة والجحيم إلا لأمر شأنه عظيم .

قتادة عن أنس أن النبي ﷺ كان يدعو: يا حيّ يا قيوم، وكان ابن عباس يقول: أعظم أسماء الله عز وجل الحيّ القيوم وهو دائماً أهل الخير .

يدلّ عليه ما روى القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ، قال: «إن اسم الله الأعظم لفي سور من القرآن ثلاث: البقرة وآل عمران وطه» .

قال بعضهم: فنظرت في هذه السور الثلاث فرأيت فيها اسماً ليس في شيء من القرآن: في آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ .

وفي آل عمران: ﴿الرَّحْمَنُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (آل عمران: ١، ٢) .

وفي طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ (طه: ١١١) .

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾، قال المفسرون:

السنة: النعاس، وهو النوم الخفيف وهو ريح تجيء من قبل الرأس لينة فتغشى العين، ورجل وسنان إذا كان بين النائم واليقظان يقال له: وسن يوسن وسناً وسنة فهو وسنان .

قال ابن الرقاع:

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾: والنوم هو المستقل المزيل للقوة والعقل، فنفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنه آفة ولا يجوز عليه الآفات ولأنه تغير ولا يجوز عليه تغير الأحوال، ولأنه قهر والله تعالى قاهر غير مقهور، ولأنه للاستراحة ولا يناله تعب فيستريح ولأنه أخو الموت .

محمد بن المنكدر عن جابر قال: سئل رسول الله ﷺ: أينام أهل الجنة؟

قال: لا: «النوم أخو الموت ولا يموت أهل الجنة» ولأنه لو نام العقل ولو غفل لاختل ملكه

وتدبيره .

أبو عبيدة عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ولكنه يرفع القسط ويخفضه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار

قبل عمل الليل، حجاب به النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

عكرمة عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكى عن موسى عليه السلام على المنبر قال: «وقع فى نفس موسى هل ينام الله عز وجل، فأرسل الله إليه ملكاً فأرقه ثلاثاً ثم أعطاه قارورتين فى كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما، قال: فجعل ينام وتكاد يدها تلتقيان ويحبس أحدهما عن الأخرى حتى نام نومه واصطكت يدها فانكسرت القارورتان».

قال: ضرب الله تعالى مثلاً أن الله سبحانه لو نام لم يستمسك السماء والأرض. ﴿لَوْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً. ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: بأمره، قال أهل الإشارة: فى هذه الآية جذب بها قلوب عباده إليه عاجلاً وأجلاً فسبحان من لا وسيلة إليه.

الآية: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قال مجاهد وعطاء والحكم والسدى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة.

الضحاك والكلبى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعنى الآخرة لأنهم يقدمون عليها ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الدنيا لأنهم يخلفونها.

ابن جريح: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعنى ما كان قبل خلق الملائكة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ وما يكون بعد خلقهم.

وقيل: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعنى ما فعلوه من خير وشر ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ وأمامهم ما فعلوه. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾: أى علم الله ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾: أن يعلمهم ويطلعهم عليه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: أى ملأ وأحاط به، واختلفوا فى الكرسى، فقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد: علمه، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب: كراسة. ومنه قول الراجز فى صفة قانص:

❖ حتى إذا ما جاءه تكرساً ❖

يعنى: علم.

ويقال للعلماء: الكراسى.

قال الشاعر:

كراسى بالأحداث حين نتوب

يحف بهم بيض الوجوه وعصبة

وقال بعضهم: سلطانه وملكه وقدرته.

والعرب تُسمّى أصل كلّ شيء الكرسى .

يقال : فلان كريم الكرسى أى الأصل .

قال العجاج :

قد علم القدوس مولى القدس أن أبا العباس أولى النفس

بمعدن الملك الكريم الكرسى

قال الثعلبي : رأيت فى بعض التفاسير ﴿كُرْسِيُّهُ﴾ : سرّه .

وأنشدوا فيه :

ما لى بأمرك كرسىّ أكاته وهل بكرسىّ علم الغيب مخلوق

وزعم محمد بن جرير الطبرى أن الكرسى : الأجل ، أى وسع أجله السموات والأرض .

وقال أبو موسى والسدى وغيرهما : هو الكرسى بعينه ، وهو لؤلؤ ، وما السموات السبع

فى الكرسى إلا كدراهم سبعة ألقيت فى ترس .

وقال علىّ ومقاتل : كلّ قامة من الكرسى طولها مثل السموات السبع والأرضين السبع

وهو بين يدى العرش ، ويحمل الكرسى أربعة أملاك لكلّ ملك أربعة وجوه أقدامهم فى

الصخرة التى تحت الأرض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام :

ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلام وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة

إلى السنة ، وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل من دون الله ، وملك على صورة سيّد الأنعام

وهو الثور وهو يسأل للأنعام من السنة إلى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل من

دون الله ، وملك على سورة سيّد السباع وهو الأسد يسأل الرزق للسباع من السنة إلى السنة ،

وملك على صورة سيّد الطير وهو النسر يسأل الله الرزق للطيور من السنة إلى السنة .

أبو إدريس الخولانى عن أبى ذر قال : قلت : يا رسول الله أيما آى أنزل عليك أعظم؟

قال : «آية الكرسى» .

ثم قال : «يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسى إلا كحلقة من حديد ملقاة فى أرض

فلاة ، وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على الحلقة» .

وفى بعض الأخبار أن بين حملة العرش وبين حملة الكرسى سبعين حجاباً من ظلمة

وسبعين حجاباً من نور ، غلظ كلّ حجاب مسيرة خمسمائة عام ، لولا ذلك لاحتقرت حملة

الكرسى من نور حملة العرش .

قال الحسن البصرى: الكرسي هو العرش بعينه. وحكى الأستاذ أبو سعيد عبد الملك عن أبي عثمان الزاهد عن بعض المتقدمين: أن الكرسي اسم ملك من الملائكة أضافه إلى نفسه تخصيصاً وتفضيلاً فنبه به عباده على عظمتهم وقدرته.

فقال: إن خلقاً من خلقى وسع السموات والأرض فكيف تقدر قدرتى وتعرف عظمتى. والله أعلم.

﴿وَلَا يُوَدُّهُ﴾: أى لا يثقله ولا يجهدده ولا يشق عليه.

قالت الخنساء:

وحامل الثقل بالأعباء قد علموا
وقيل: يؤوده أى يسقطه من ثقله.
قال الشاعر:

إلى وما سحروا عادة منّا
عند الحمار يؤودها العقل

﴿حِفْظُهُمَا﴾: حفظ السموات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾: الرفيع فوق خلقه فى التدبير والقوة والقدرة لا بالمسافة والمكان والجهة ﴿الْعَظِيمُ﴾: فلا شىء أعظم منه.

قال المفسرون: سبب نزول هذه الآية أن الكفار كانوا يعبدون الأصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾: الآية: قال مجاهد: نزلت هذه الآية فى رجل من الأنصار يكتمى (أبو الحصين) وكان له ابنان فقدم تجار الشام إلى المدينة يحملون الزيت فلما أراد الرجوع إلى المدينة أتاهم ابنا أبى الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا وخرجا إلى الشام، فأخبر أبو الحصين رسول الله ﷺ بذلك فقال لرسول الله ﷺ: اطلبهما، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾: فقال ﷺ: «أبعدهما الله فهما أول من كفر» فوجد أبو الحصين فى نفسه على النبى ﷺ حين لم يبعث فى طلبهما فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَنَكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ (النساء: ٦٥) الآية.

قال: وكان هذا قبل أن يؤمر رسول الله ﷺ: بقتال أهل الكتاب ثم نسخ قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وأمر بقتال أهل الكتاب فى سورة براءة.

وهكذا قال ابن مسعود وابن زيد: أنها منسوخة بآية السيف، وقال الباقون: هى محكمة.

سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ قال: كانت المرأة من الأنصار تكون مثقلاً لا يعيش لها ولد فتتذر ندوراً لئن عاش لها ولد لتهودته، فجاء الإسلام وفيهم

منهم ، فلما أجليت بنو النضير إذا فيهم أناس من الأنصار فقالت الأنصار : يا رسول الله أبناؤنا وإخواننا ، فسكت عنهم ﷺ فنزلت : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ . الآية .
 فقال رسول الله ﷺ : «قد خيّر أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم ، وإن اختاروهم فاجعلوهم معهم» .

قال : وكان الفصل ما بين الأنصار واليهود إجماع بني النضير فمن لحق بهم اختارهم ومن أقام اختار الإسلام . وقال المفسرون : كان لرجل من الأنصار من بني سالم ابنان فتنصرا قبل أن يبعث النبي ﷺ ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام فأتاهما أبوهما فلزمهما وقال : لا أدعكما حتى تُسلما ، فأبيا أن يسلما فاختصموا إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أيدخل بعضى النار وأنا أنظر؟ . فأنزل الله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ الآية ، فخلّى سبيلهما .
 ابن أبي حاتم عن مجاهد قال : كان ناس مسترضعين فى اليهود - قريظة والنضير - فلما أمر النبي ﷺ بإجماع بني النضير فقال نساؤهم من الأوس الذين كانوا مسترضعين فيهم : لنذهبن معهم ولنذهبن بذنبيهم فمنعهم أهلوههم وأرادوا أن يكرهوهم على الإسلام فنزلت هذه الآية : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ .

قتادة والضحاك وعطاء وأبو روق والواقدي : معنى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ بعد إسلام العرب إذا قبلوا الجزية ، وذلك أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم دين ولا كتاب فلم يقبل عنهم إلا الإسلام أو السيف وأكروها على الإسلام فلم يقبل منهم الجزية ، ولما أسلموا ولم يبق أحد من العرب إلا دخل فى الإسلام طوعاً أو كرهاً ، أنزل الله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فأمر أن يقاتل أهل الكتاب والمجوس والصابئين على أن يسلموا أو أن يقرّوا بالجزية فمن أقرّ منهم بالجزية قبّلت منه وخلّى سبيله ولم يكره على الإسلام .

وقال مقاتل : كان النبي ﷺ لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب ، فلما أسلمت العرب طوعاً أو كرهاً ، قبل الخراج من غير أهل الكتاب فكتب النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى وأهل هُجر يدعوهم إلى الإسلام .

«إن من شهد شهادتنا وصلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا وكان بديننا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله ، فإن أسلمتم فلکم ما لنا وعليکم ما علينا ومن أبى الإسلام فعليه الجزية» .

فكتب المنذر إلى النبي ﷺ : إنى قرأت كتابك على أهل هجر فمنهم من أسلم ومنهم من أبى ، فأما اليهود والمجوس فأقرّوا الجزية وكرهوا الإسلام فرضى النبي ﷺ منهم بالجزية ، فقال

منافقو أهل المدينة: زعم محمد أنه لم يؤمر بأخذ الجزية إلا من أهل الكتاب فما باله قبلها من مجوس هجر وقد رده ذلك على آبائنا وإخواننا حتى قتلهم، فشق ذلك على المسلمين، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ يعني بعد إسلام العرب.

وروى شريك عن عبد الله بن أبي هلال عن وسق قال: كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وكنت نصرانياً وكان يقول: يا وسق أسلم فإنك لو أسلمت لو ليتك بعض أعمال المسلمين فإنه ليس يصلح أن يلي أمرهم من ليس على دينهم، فأبيت عليه فقال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فلما مات أعتقني، وقال ابن أبي نجيح: سمعت مجاهداً يقول لغلام له نصراني: يا جرير أسلم، ثم قال: هكذا كان يقال: أم لا يكرهون.

وقال الزجاج وغيره: هو من قول العرب: أكرهت الرجل إذا نسبته إلى الكره كما يقول: أكفرته وأفسقته وأظلمته إذا نسبته إليها.

قال الكميت:

وطائفة قد أكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب

ومعنى الآية: لا تقولوا لمن دخل بعد الحرب في الإسلام: أنه دخل مكرهاً، ولا تنسبوا من دخل في الإسلام إلى الكره يدل عليه قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ (النساء: ٩٤).

﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾: قد ظهر الكفر من الإيمان والهدى من الضلالة والحق من الباطل، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ».

وعن مقاتل بن حيان قال: زعم الضحاک أن الناس لما دخلوا في الإسلام طوعاً أو كرهاً ولم يبق من عدو نبي الله من مشركي العرب أحد إلا دخلوا في الإسلام طوعاً أو كرهاً وأكمل الدين نزل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ مَنْ شَاءَ أَسْلَمَ وَمَنْ شَاءَ أُعْطِيَ الْجِزْيَةَ.

وقرأ الحسن ومجاهد والأعرج ﴿الرُّشْدُ﴾ بفتح الراء والشين وهما لغتان كالحزن والحزن والبخل والبخل.

وقرأ عيسى بن عمر: ﴿الرُّشْدُ﴾ بضمّتين.

وقرأ الباقون بضم الراء وجزم الشين وهما لغتان كالرعب والرعب، والسحت والسحت. ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: يعني

الشیطان، قاله ابن عمر وابن عباس ومقاتل والكلبي.

وقيل: هو الصنم، وقيل: الكاهن، وقيل: هو كل ما عبّد من دون الله.

وقال أهل المعانى : الطاغوت : كل ما يطغى الإنسان ، وهو فاعول من الطغيان زيدت التاء فيه بدلاً من لام الفعل ، كقوله : حانوت وتابوت .

وقال أهل الإشارة : طاغوت كل امرئ نفسه بيانه قوله : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (يوسف : ٥٣) الآية .

﴿ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ : عن سعيد قال : الإيمان : التصديق ، والتصديق أن يعمل العبد بما صدق به من القرآن .

وعن ابن عباس قال : أخبر الله تعالى أن الإيمان هو العروة الوثقى ولا يقبل عمل إلا به ، وعن ابن عباس أيضاً قال : أخبر الله تعالى أن الإيمان لا إله إلا الله .

﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ ﴾ : تمسك واعتصم ﴿ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ : بالعصمة الوثيقة المحكمة ﴿ لَا أَنْفِصَاً لَهَا ﴾ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ : أى ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم وقيل متولى أمرهم لا يكلمهم إلى غيره . يقال : توليت أمر فلان ووليته ولاية بكسر الواو ، وقيل : أولى وأحق بهم لأنه يرببهم ، وقال الحسن : ولى هداهم .

﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ : أى من الكفر والضلالة إلى الإيمان والهداية ، وكذلك كانوا فى علم الله عز وجل قبل أن يخلقهم ، فلما خلقهم مضى فيهم علمه فآمنوا .

وقال الواقدى : كل شىء فى القرآن من الظلمات والنور فإنه أراد به الكفر والإيمان غير التى فى سورة الأنعام ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ ﴾ (الأنعام : ١) فإنه يعنى به الليل والنهار .

قال ابن عباس : هؤلاء قوم كفروا بعبسى عليه السلام ثم آمنوا بمحمد ﷺ فأخبرهم من الكفر بعبسى إلى إيمانهم بالمصطفى وسائر الأنبياء (عليهم السلام) ، وقال غيره : هو عام لجميع المؤمنين ، وقال ابن عطاء : هذه الآية تغنيهم من صفاتهم بصفة فيصيرون قائلين بالحق للحق مع الحق .

الواسطى : يخرجهم من ظلمات نفوسهم إلى آدابها كالرضا والصدق والتوكل والمعرفة والمحبة .

أبو عثمان : يخرجهم من رؤية الأفعال إلى رؤية المن والأفضال ، وقيل : يخرجهم من ظلمات الوحشة والفرقة إلى نور الوصيلة والقربة .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ ﴾ : هكذا قرأه العامة وقرأ الحسن الطواغيت على الجمع .

قال أبو حاتم : العرب تجعل الطاغوت واحداً وجمعاً ومذكراً ومؤنثاً .

قال الله تعالى فى الواحد والمذكّر: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾
(النساء: ٦٠).

وقال فى المؤنث: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ (الزمر: ١٧).

وقال فى الجمع: ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾.

قال ابن عباس: يعنى بالطاغوت الشيطان.

قال مقاتل: يعنى كعب بن الأشرف، ويحيى بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة

يُخْرِجُونَهُمْ ويدعونهم من النور إلى الظلمات، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ
أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (إبراهيم: ٥) يعنى ادعهم.

فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ وهم كفّار لم يكونوا فى نور قط

وكيف يخرجونهم مما لم يدخلوا فيه.

فالجواب ما قال مقاتل وقتادة: هم اليهود كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ قبل أن يُبعث فلما بُعث

كفروا به وجحدوا ما وجدوه فى كتبهم من نعته وصفته ونبوته بيانه قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا

كَفَرُوا بِهِ﴾ (البقرة: ٨٩) فذلك خروجهم من النور يعنى بإيمانهم بمحمد قبل البعث، ويعنى

بالظلمات كفرهم بمحمد ﷺ بعد البعث، والإدخال والإخراج إلى الله عزّ وجلّ لا إلى غيره

إلا على سبيل الشريعة والتفريع. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي

مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ (الإسراء: ٨٠)، وأجراها أهل المعانى على العموم فى جميع الكفّار.

وقال الزا: منعه إياهم من الدخول فيه إخراج، وهذا كما يقول الرجل لأبيه: أخرجتنى من

مالك ولم يكن فيه، فقال الله تعالى إخباراً عن يوسف: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مَلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

(يوسف: ٢٧) ولم يكن أبداً على دينهم حتى تركه قال الله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْضِ الْعُرَى﴾

(النحل: ٧٠) ولم يكن فيه قط.

وقال امرؤ القيس:

قال له الأصوات ذى كلا نجلى

ويأكلون البدل قد عاد حمًا قط

وقال آخرون:

أعادتنى عسيفا عبد عبد

أطعت النفس فى الشهوات حتى

ولم يكن عبداً قط.

وقال الغنوى:

إلى فقد عادت لهنّ ذنوب

فإن تكن الأيام أحسن مرّة

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ : أى خاصم وجادل وأصلها من الحجّة، وهو عمرو بن كنعان بن سخاريب بن كوش بن سام بن نوح وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادعى الربوبية ﴿أَنَّ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أى لأنه آتاه الله الملك فطغى، وموضع (أن) نصب بنزع حرف الصفة.

العلاء بن عبد الكريم الأيامي عن مجاهد. قال: ملك الأرض مؤمنات وكافران، فأما المؤمنان فسلیمان بن داود وذو القرنين، وأما الكافران فنمرود وبخت نصر.

واختلفوا في وقت هذه المناظرة، فقال مقاتل: لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه عمرو ثم أخرج له ليقرقه بالنار، فقال له: من ربك الذى تدعوننا إليه؟ قال: ربى الذى يحيى ويميت.

وقال آخرون: كان هذا بعد إلقائه فى النار.

عبد الرزاق عن معمر بن زيد بن أسلم: أن أول جبار فى الأرض كان عمرو بن كنعان وكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام.

قال: فخرج إبراهيم عليه السلام يمتار.

فإذا مرّ به أناس قال: من ربكم؟

قالوا: أنت، حتى مرّ به إبراهيم قال: من ربك، قال: الذى يحيى ويميت. كما ذكره الله

تعالى.

قال: فردّه بغير طعام فرجع إبراهيم عليه السلام إلى أهله فمرّ على كتيب من رمل أعفر

فقال: ألا أخذ من هذا فأتى به أهلى فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم، فأخذ منه فأتى به أهله

فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته إلى متاعه ففتحتة فإذا هو أجود طعام رآه أحد فصنعت له منه فقربت إليه وكان عهد بأهله ليس لهم طعام .

فقال : من أين هذا؟

قالت : من الطعام الذى جئت به ، فعرف أن الله رزقه فحمد الله .

قال : ثم بعث الله ملكًا إلى الجبار أن آمن بى فأتركك على ملكك ، فقال نمروذ : وهل ربّ

غيرى؟!

فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ، فأبى عليه ، ثم أتاه الثالثة فأبى عليه وقال : لا أعرف الذى

تقول ، أربك جنود؟

قال : نعم .

قال : فليقاتلنى إن كان ملكًا فإن الملوك يقاتل بعضهم بعضًا .

قال له الملك : نعم إن شئت ، قال : قد شئت .

قال : فاجمع جنديك إلى ثلاثة أيام حتى تأتيك جنود ربّى .

قال : فجمع الجبار جنوده .

فأوحى الله عزّ وجلّ إلى خزنة البعوض أن افتحوا منها ففتحوا بابًا من البعوض ، فلما

أصبح اليوم الثالث نظر نمروذ إلى الشمس فقال : ما بالها لا تطلع ، وظنّ أنّها أبطئت ، فقال

الملك : حال دونها جنود ربّى .

قال : فأحاطت بهم البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق من الناس والدواب

إلا العظام ونمروذ كما هو لم يصبه شيء .

فقال له الملك : أتؤمن الآن؟

قال : لا .

فأمر الله عزّ وجلّ بعوضة فقرصت شفته السفلى فشربت وعظمت ، ثم قرصت شفته العليا

فشربت وعظمت ، ثم دخلت منخره وصارت فى دماغه وأكلت من دماغه حتى صارت مثل

الفأرة فمكث أربعمئة سنة يضرب رأسه بالمطارق ، فأرحم الناس به من كان يجمع يده ثم

يضرب به رأسه فعذبه الله أربعمئة سنة كما ملك أربعمئة سنة .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحِىِّ وَيُمِيتُ ﴾ : وهو جواب سؤال سابق غير

مذكور تقديره : قال له : من ربك؟

قال إبراهيم : ﴿ رَبِّىَ الَّذِى يُحِىِّ وَيُمِيتُ ﴾ .

قرأ الأعمش وحمزة وعيسى: ﴿رَبِّيَ الَّذِي﴾ بإسكان الياء، وقرأ الباقر بفتح لكان الألف واللام.

فقال عمرو: ﴿أَنَا أَحِيءُ وَأُمِيتُ﴾.

قرأ أهل المدينة: (أنا) بالمد في جميع القرآن، وهو لغة قوم يجعلون الوصل فيه كالأصل. وأنشد الكسائي:

أنا سيف العشرة فاعرفوني حميد قد تدرّيت السناما
وقال آخر:

أنا عبيد الله يميني عمر خير قريش من مضى ومن غير
إلّا رسول الله والشيخ الأغر

والأصل في (أنا) أن تفتح النون وابتغى لها الوقت فكتبت ألفاً على نيّة الوقف فصار: أنا. وأكثر العرب يقول في الوقف: أنّه.

قال أكثر المفسرين: دعا عمرو برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فسمّى ترك القتل إحياءً.

كقوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَتْ أَحْيَا النَّاسِ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢) أى لم يقتلها.

وقال السدي في قوله تعالى: ﴿أَنَا أَحِيءُ وَأُمِيتُ﴾ قال: أخذ أربعة نفر فأدخلهم بيتاً فلا يطعمون ولا يسقون حتى إذا أشرفوا على الهلاك أطعم اثنين وسقاها وتترك اثنين فماتا، فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى لا عجزاً لأن له أن يقول: فأحى من أمت إن كنت صادقاً، بل إيضاحاً بالحجة فقال: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ أى تحير ودّش وانقطعت حجته.

يقال: رجل مبهوت، أى مدهوش.

قال الشاعر:

ألا إن لرتهاها فجأة فأبتهت حتى ما أكاد أسير

وقرأ محمد بن السميع اليماني: ﴿فَبُهِتَ﴾ بفتح الباء والهاء أى بهته إبراهيم. تصديقه قوله تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَبُهِتَهُمْ﴾ (الأنبياء: ٤٠) أى تدهشهم.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: إلى الحجة ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ هذا عطف على معنى الآية الأولى تقديره: هل رأيت كالذي حاج إبراهيم في ربه، أو هل رأيت كالذي مرّ على قرية.

قال بعض نحاة البصرة: (الكاف) صلة كأنه قال: ألم ير إلى الذى أو الذى.
واختلفوا فى ذلك المارّ من هو، فقال قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن
بريدة والضحاك والسدى وسليم الخواص: هو عزيز بن شرحيا.
وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير: هو أرميا بن خلفيا وكان من سبط هارون
ابن عمران، وهو الخضر.

وقال مجاهد: هو رجل كافر شكّ فى البعث.
واختلفوا فى القرية التى مر عليها، فقال وهب وعكرمة وقتادة والربيع: هى بيت المقدس،
وقال الضحاك: هى الأرض المقدّسة وقال ابن زيد: الأرض التى أهلك الله فيها الذين خرجوا
من ديارهم وهم ألوف حذر موت.
وقال الكلبي: هى دير سائداباد، وقال السدى: هى سلماباذ، وقيل: دير هرافيل، وقيل:
قرية العنب وهو على فرسخين من بيت المقدس.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة، يقال: خوى البيت يخوى خوى مقصوراً إذا سقط، وخوى البيت
بافتح خواً ممدود إذا خلا.
﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: سقوفها وأبنيتها واحداً عرش وجمعه القليل: أعرش، وكلّ بناء عرش،
يقال: عرش فلان، إذا بنى فهو يعرش ويعرش عرشاً، قال الله: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾
(الأعراف: ١٣٧) أى يبنون.

ومعنى الآية: إنّ السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها.
وقيل: (على) بمعنى مع، أى خاوية مع عروشها.
قال الشاعر:

كأن مصفحات فى ذراه وأبراجاً عليهن المآلى

أى معهن.

نظيرها فى سورة الكهف والحج.

﴿قَالَ أَلَيْسَ لِي بِذَلِكَ آيَاتٌ﴾: وكان السبب فى ذلك على ما روى محمد بن إسحاق
عن وهب بن منبه: إن الله سبحانه وتعالى قال لأرميا عليه السلام حين بعثه نبياً إلى بنى
إسرائيل: يا أرميا من قبل أن خلقتك اخترتك، ومن قبل أن أصورك فى رحم أمك قدستك،
ومن قبل أن تبلغ السعى نبأتك ولأمر عظيم أحببتك. فبعث الله أرميا إلى ناشئة بن أموص
ملك بنى إسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى، فعظمت الأحداث فى بنى إسرائيل

فركبوا المعاصي واستحلّوا المحارم، فأوحى الله تعالى إلى أرميا أن ذكّر قومك نعمى وعرفهم أحداثهم فادعهم إلىّ.

فقال أرميا: إني ضعيف إن لم تقوّني عاجز إن لم تنصرنى.

فقال الله تعالى: أنا ألهمك، فقام أرميا فيهم ولم يدر ما يقول، فألهمه الله عزّ وجلّ فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية.

وقال فى آخرها: وإني أنا الله بعزتي لأقضين لهم فتنة يتحير فيها الحلیم ولأسلطن عليهم جبّاراً قاسياً ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم.

فأوحى الله تعالى إلى أرميا: إني مهلك بنى إسرائيل بياث، ويافث أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح، فلما سمع ذلك أرميا صاح وبكى وشقّ ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرّع أرميا وهو الخضر عليه السلام وبكاه ناداه: يا أرميا أشق عليك ما أوحيت إليك؟ قال: نعم يارب، أهلكنى قبل أن أرى فى بنى إسرائيل ما لا أسرّ به.

فقال الله عزّ وجلّ: وعزّيتى لا أهلك بنى إسرائيل حتى يكون الأمر فى ذلك من قبلك، ففرح بذلك أرميا وطابت نفسه، وقال: والذى بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بنى إسرائيل، ثم أتى الملك فأخبره بذلك. وكان ملكاً صالحاً. فاستبشر وفرح وقال: إن يُعدّبنا ربنا فبذنوب كثيرة لنا وإن عفا عنّا فبرحمته.

ثم إنهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلاّ معصية وتمادياً فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم، فقل الوحي ودعاهم الملك إلى التوبة فلم يفعلوا، فسلط الله عليهم بخت نصر فخرج فى ستمائة ألف راية تريد أهل بيت المقدس، فلما فصل سائراً أتى الخبر الملك فقال لأرميا: أين ما زعمت أن الله أوحى إليك؟

فقال أرميا: إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق.

فلما قرب الأجل وعزم الله تعالى على هلاكهم، بعث الله إلى أرميا ملكاً قد تمثّل له رجلاً من بنى إسرائيل.

فقال: يا نبى الله أستعينك فى أهل رحى وصلت أرحامهم ولم أت إليهم إلاّ حيناً ولا يزيدون مع إكرامى إياهم إلاّ إسخاطاً لى فأفتنى فيهم، فقال له: أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير.

فانصرف الملك فمكث أياماً ثم أقبل إليه فى صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه، فقال له

أرميا: أو ما ظهرت أخلاقهم لك بعد؟

قال: يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى أهل رحمة إلاّ قدّمها إليهم وأفضل.

فقال النبي: ارجع إلى أهلك وأحسن إليهم واسأل الله تعالى الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم، فقام الملك فمكث أياماً وقد نزل بخت نصر وجنوده حول بيت المقدس أكثر من الجراد ففزع بنو إسرائيل وشقّ عليهم.

فقال الملك لأرميا: يا نبي الله أين ما وعدك الله؟

قال: إنّي برّبّي واثق.

ثم أقبل الملك إلى أرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس فضحك واستبشر بنصر ربّه الذي وعده فقعده بين يديه وقال: أنا الذي أنبأتك في شأن أهلي مرتين.

فقال النبي: ألم يأن لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه؟

فقال الملك: يا نبي الله كلّ شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم أصبر عليه فاليوم رأيتهم في عمل لا يرضى الله عزّ وجلّ به.

فقال النبي: على أي عمل رأيتمهم؟

قال: عمل عظيم من سخط الله فغضبت لله ولك وأتيتك لأخبرك وإنّي أسألك بالله الذي بعثك بالحق إلاّ ما دعوت الله عليهم ليهلكهم.

فقال أرميا: يا مالك السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فأبقيهم وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم.

فلما خرجت الكلمة من فم أرميا أرسل الله عزّ وجلّ صاعقة من السماء في بيت المقدس والتهب مكان القربان وخسف سبعة أبواب من أبوابها.

فلما رأى ذلك أرميا صاح وشقّ ثيابه ونبذ الرماد على رأسه، وقال: يا مالك السموات والأرض أين ميعادك الذي وعدتني؟، فنودى أنّه لم يصبهم الذي أصابهم إلاّ بفتياك ودعائك، فاستيقن النبي أنّها فتياه التي أفتى بها، وأنه رسول ربه.

فطار أرميا حتّى خالط الوحوش، ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل بنى إسرائيل حتّى أفناهم وخرّب بيت المقدس، ثم أمر جنوده أن يملأ كلّ رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس فخذفوا فيه التراب حتّى ملئوه، ثم أمرهم أن يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس كلّهم فاجتمع عنده كلّ صغير وكبير من بنى إسرائيل واختار منهم مائة ألف صبي فقسّمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كلّ رجل منهم أربعة أغلمة، وفرّق

بخت نصر من بقي من بنى إسرائيل ثلاث فرق: فثلثاً أقر بالشام، وثلثاً أسر، وثلثاً قتل، فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزلها الله ببنى إسرائيل بظلمهم.

فلما ولّى بخت نصر عنهم راجعاً إلى بابل ومعه سبايا بنى إسرائيل، أقبل أرميا على حمار له معه عصير عنب في زكرة وسلّة تين حتّى أتى إيليا فلما وقف عليها ورأى خرابها قال: ﴿أَيُّ يَحْيَى هَذِهِ أَلَلَّهِ بَعْدَ مَوْتِهَا؟﴾

وقال الذين قالوا إن هذا المارّ كان عزيزاً: إن بخت نصر لما خرّب بيت المقدس وأقدم بسبى بنى إسرائيل إلى أرض بابل كان فيهم عزيز وكان من علماء بنى إسرائيل، ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود.

فلما نجا عزيز من بابل ارتحل على حمار حتّى نزل على دير هرقل على شط دجلة، فطاف فى القرية فلم ير فيها أحداً وعلم بخبرها، فأكل من الفاكهة وعصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلّة وفضل العصير فى زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال: ﴿أَيُّ يَحْيَى هَذِهِ أَلَلَّهِ بَعْدَ مَوْتِهَا؟﴾. لم يشك فى البعث ولكن قالها تعجباً.

رجعنا إلى حديث وهب: قال: ربط أرميا حماره بحبل جديد فألقى الله عليه النوم، فلما نام نزع منه الروح مائة سنة وأمات حماره، وعصيره وتينه عنده، وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى، ومنع الله السباع والطيور لحمه. فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله عزّ وجلّ ملكاً إلى ملك من بنى إسرائيل عظيم يقال له: يوسك فقال: إن الله عزّ وجلّ يأمرك أن تنفر قومك فتممّر بيت المقدس وإيليا وأرضها حتّى تعود أعمار ما كان، فانتدب الملك ألف قهرمان مع كلّ قهرمان ثلاثمائة ألف عامل وجعلوا يعمّرونها، وأهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه^(١) الله تعالى من بقي من بنى إسرائيل ولم يمّت ببابل وردّهم جميعاً إلى بيت المقدس ونواحيه، فعمّروه ثلاثين سنة وكثروا حتى صاروا كأحسن ما كانوا عليه، فلما مضت المائة أحيأ الله تعالى منه عينيه وسائر جسده ميّت، ثم أحيأ جسده وهو ينظر، ثم نظر إلى حماره وإذا عظامه متفرقة بيض تلوح، فسمع صوتاً من السماء: أيّها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعى، فاجتمع بعضها إلى بعض واتصل بعضها ببعض.

ثم نودى: إن الله يأمرك أن تكتسى لحماً وجلداً، فكان كذلك، ثم نودى: إن الله يأمرك أن تحيى، فقام بإذن الله ونهق الحمار.

وعمّر الله أرميا، فهو الذى يرى فى القلوات فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ^ط﴾

(١) بياض بالأصل المخطوط.

أى أحياء .

﴿قَالَ كَذَّبًا﴾: استفهام عن مبلغ العدد ﴿لَبِثْتَ﴾: قرأ ابن محيصة والأعمش وأبو عمرو وحمزة والكسائي: لبث ولبثتم بالإدغام فى جميع القرآن . الباقون بالإظهار .
فَمَنْ أَدْغَمَ فَلَا يَجَاوِرُهُ فِي الْمَخْرَجِ وَالْمَشَاكِلَةِ فِي الْهَمْسِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ فَلَا يَظْهَرُهَا فِي الْمَصْحَفِ ، وَكِلَاهُمَا غَرِيْبَانِ فَصِيْحَانِ وَمَعْنَاهُ : كَمْ مَكَّثْتَ وَأَقَمْتَ هَاهُنَا . يُقَالُ : لَبِثْتُ لَبِثًا وَبِالْبَاءِ .

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾: وذلك أن الله تعالى أماته ضحى فى أول النهار وأحياء بعد مائة عام فى آخر النهار قبل غيبوبة الشمس ، فقال : ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ وهو يرى أن الشمس قد غربت ، ثم التفتَ فرأى بقية من الشمس فقال : ﴿أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾ بمعنى بل بعض يوم ، لأن قوله : ﴿بَعْضُ يَوْمٍ﴾ رجوع عن قوله : ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ كقوله : ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (الصفات: ١٤٧) .

﴿قَالَ بَل لَبِثْتُ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾: يعنى التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾: يعنى العصير ﴿أَلَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: قرأ حمزة والكسائي بحذف الهاء وصلأ وكذلك فى قوله : ﴿فِيهِدْتُمُ أَقْدِمَةً﴾ (الأنعام: ٩٠) .
وقرأ الباقون بالهاء فيها وصلأ ووقفأ . وذكر أبو حاتم عن طلحة ﴿أَلَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ بإدغام التاء فى السين وزعم أنه فى حرف أبى كذلك ومعناه : لم تغيّره السنون .

فمن أسقط الهاء فى الوصل حول الهاء صلة زائدة ، وقال : أصله لم يتسنّى فحذف الياء بالجزم وأبدل منها هاء فى الوقف ، وهذا على قول من جعل الهاء فى السنة زائدة .
وقال : أصلها يسنوه وجمعها سنوات والفعل منه سانيت مساناة وتسنيت تسنيًا ، إلا أن الواو يردّ إلى الباقي التفعّل والتفاعل ، كقولهم : التداعى والتدانى ؛ لأن الياء أخف من الواو .
وقال أبو عمر : وهو من التسنن بنونين ، وهو التغيير كقوله : ﴿مَنْ حَمَّ مَسْنُونٍ﴾ (الحجر: ٢٦)
أى متغيّر ثم عوّضت عن إحدى النونين كقول الشاعر :

فهلأ إذ سمعت بحثت عنه ولم تمس الحكومة بالتطنّى

أراد بالتعيّن :

قال العجاج :

❖ تفضّى البازى إذ البازى كسر ❖

أراد تفضض .

وتقول العرب : نتعلّى ، إذا خرجوا فى اجتناء نبت ناعم يقال له المقاع .
قال الله تعالى : ﴿وَوَقَدَّ حَابٍ مِّنْ دَسْنَاهَا﴾ (الشمس: ١٠) أى دسّسها .

ومن أثبت الهاء في الحالين جعلها هاءً أصليّةً لام الفعل ، وعلى هذا قول من جعل السنة سنهة وتصغيرها سنيهة والفعل منه المسانهة . قال الشاعر :

ليست بسنهاء ولا رجبية
ولكن عرايا في السنين الجوائح

فإن قيل : أخبر عن شيئين اثنين ثم قال : ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ ولم يثنه ، قيل : لأن التغيير راجع إلى أقرب اللفظين وهو السنوات ، واكتفى بذكر أحد المذكورين عن الآخر لأنه في موضع الفاني كقوله الشاعر :

عقاب عقبناه كان وظيفه
وخرطوعه إلا على سنان فلوج

ولم يقل سنانان فلوجان ، ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود : فانظر إلى طعامك وهذا شراك لم يتسنه .

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ : قال أكثر العلماء : في الآية تقديم وتأخير ، أي وانظر إلى طعامك وشراك لم يتسنه ولنجعلك آية للناس وانظر إلى حمارك ، ويحتمل أن يكون المعنى : فانظر إلى طعامك وشراك لم يتسنه وانظر إلى حمارك .
﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنَشِّرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ .

فأما تفسير الآية والقراءات فيها فقرأ خارجة والأعرج وعيسى بن عمر وابن عامر وأبو عمرو وحمة والكسائي حمارك والحمار بالإمالة ، الباقون بالتفخيم ، وقوله تعالى : ﴿كَيْفَ نُنَشِّرُهَا﴾ . قرأ أبي بن كعب وعبد الله بن عامر والأعمش وحمة والكسائي وخلف : ننشزها بالزاي وضم النون وكسر الشين .

وروى أبو العالية عن زيد بن ثابت قال : إنما هي راء قرؤها زاي أي أنقطها . وكذلك روى معاوية بن قرّة عن ابن عباس بالزاي واختاره أبو عبيدة .

وإنشاز الشيء : رفعه ونقله وإزعاجه ، فقال : أنشزته فنشز ، أي رفعته فارتفع ، ومنه نشز المرأة على زوجها ونشز الغلام ، أي ارتفع ، فمعنى الآية : كيف نرفعها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض .

قال ابن عباس والسدى : نخرجها ، والكسائي : فننبتها ونعظمها .

قتادة وعطاء وأبو جعفر وشيبة ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأيوب : ننشزها بالراء وضمّ النون وكسر الشين ، واختاره أبو حاتم ، ومعناه : نحييها .

فقال : أنشر الله الميت إنشازاً فينشر هو نشوراً ، قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُهُ﴾ (عبس : ٢٢) . وقال : ﴿هُمُ يُنْشَرُونَ﴾ (الأنبياء : ٢١) ، وقال : ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ (الفرقان : ٤٠) .

وقال: ﴿كَذَلِكَ الْأَنْشُورُ﴾ (فاطر: ٩). ﴿وَالِيَهُ الْأَشْجُرُ﴾ (الملك: ١٥). وقال حارثة بن بدر الغداني:

فأنشر موتها وأقسط بينها

فبان وقد ثابت إليها عقولها

وقال الأعشى فى اللازم:

حتى يقول الناس مما رأوا

يا عجباً للميت الناشر

وقرأ الحسن والمفضل نشرها بالراء وفتح النون وضم الشين.

قال الفراء: ذهب إلى النشر والطفى.

وقال بعضهم: هو من الإحياء أيضاً، يقال: أنشر الله الميت ونشره إذا أحياه، قال أبو حاتم:

وليس بالمعروف.

وقرأ النخعي بالزاي وفتح النون وضم الشين.

قال أبو حاتم ذلك غلط، وقال غيره: يقال نشره ونشطه وأنشزه بمعنى واحد.

﴿ثُمَّ نَكَّسُوهَا لِحْمًا﴾: أى نكسوها ونواربها به كما نوارى الجسد بالثوب، واختلفوا فى معنى

الآية، فقال بعضهم: أراد به عظام حماره وذلك أن الله تعالى أمات حماره ثم أحياه خلقاً سويّاً

وهو ينظر.

قال السدى: إن الله أحيأ عزيراً ثم قال انظر إلى حمارك قد هلك وبلت عظامه، فبعث الله

عزّ وجلّ ريحاً فجاءت بعظام الحمار من كلّ سهل وجبل ذهبت به الطير والسباع واجتمعت

فركب بعضها فى بعض وهو ينظر فصار حماراً من عظام ليس فيه لحم ولا دم، ثم كسا العظام

لحمًا ودمًا فصار حماراً ليس فيه روح، ثم أقبل ملك يمشى حتى أخذ منخر الحمار فنفخ فيه

فقام الحمار ونهق بإذن الله.

ومعنى الآية على هذا القول: وانظر إلى لحم حمارك وإلى عظامه كيف ننشزها، فلما

حذف الهاء من العظام أبدل الألف و... وعلى هذا أكثر المفسرين.

وقال آخرون: أراد به عظام هذا الرجل نفسه، وذلك أن الله تعالى لم يميت حماره فأحيأ الله

عينيه، ورأسه وسائر جسده ميّت، ثم قال له: انظر إلى حمارك، فنظر فرأى حماره قائماً

واقفاً كهيئة يوم ربطه حياً لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر إلى الرقية فى عنقه جديداً لم

تتغير.

وتقدير الآية على هذا القول: فانظر إلى حمارك وانظر إلى عظامك كيف ننشزها. وهذا

قول الضحاك وقتادة والربيع وابن زيد.

﴿وَلِتَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾: فعلنا ذلك لنجعلك. وإن شئت جعلت الواو مفخمة زائدة،

كقول الشاعر الأسود بن جعفر:

فإذا وذلك لا مهاة لذكره والدهر يعقب صالحاً بفساد

أى فإذا ذلك .

ومعنى الآية: فعلنا هذا بك لنجعلك آية للناس، أى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت،
قاله أكثر المفسرين:

وقال الضحاك وغيره: هذه الآية أنه عاد إلى قريته شاباً وإذا أولاده وأولاد أولاده شيوخ
وعجائز وهو أسود الرأس واللحية.

وروى قتادة عن كعب وعن الحسن ومقاتل وجوبير عن الضحاك عن ابن عباس، وعبد الله
ابن إسماعيل السدى عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس قالوا: لما أحيا الله عزيراً بعدما أماته
مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس وأنكر الناس وأنكر منزله، فانطلق على
وهم منه حتى أتى منزله فإذا بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمة
لهم فخرج عنهم عزير وهى بنت عشرين سنة كانت عرفته وكفلته فلما أصابها الكبر أصابها
الزمانة فقال لها عزير: يا هذه أهذا منزل عزير؟

قالت: نعم هذا منزل عزير وبكت وقالت: ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيراً
وقد نسيه الناس، قال: فإننى أنا عزير.

قالت: سبحان الله إن عزيراً قد فقدناه من مائة سنة فلم نسمع بذكره.

قال: فإننى أنا عزير كان الله عز وجل أماتنى مائة سنة ثم بعثنى.

قالت: فإن عزيراً كان مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء،
فادع الله حتى يردّ علىّ بصرى حتى أراك فإن كنت عزيراً عرفتك، قال: فدعا ربه ومسح يده
على عينيها ففتحت وأخذ بيدها وقال: قومى بإذن الله، فأطلق الله عز وجلّ رجليها فقامت
صحيحة بإذن الله كأنها نشطت من عقال، فنظرت فقالت: أشهد أنك عزير، فانطلقت إلى
محلة بنى إسرائيل، وهم فى أنديةهم ومجالسهم، وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشر
سنة وبنى بنيه شيوخ فى المجلس، فنادت: هذا عزير قد جاءكم، فكذبوها.

فقالت: أنا فلانة مولاتكم دعا لى ربه عز وجلّ فردّ علىّ بصرى وأطلق رجلي وزعم أن
الله تعالى كان أماته مائة سنة ثم بعثه.

قال: فهض الناس فأقبلوا إليه، فقال ابنه: كانت لأبى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه،
فكشفت عن كتفيه فإذا هو عزير.

قال قتادة ومقاتل والسدى والكلبي: هو أن عزيزاً رجع إلى قريته وقد أحرق بخت نصر التوراة ولم يكن من الله تعالى عهد بين الخلق فبكى عزيز على التوراة، فأتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الإناء فمثلت التوراة في صدره، فرجع إلى بنى إسرائيل، وقد علمه الله التوراة وبعثه نبياً.

فقال: أنا عزيز، ولم يصدقوني.

وقال: حدثنا أبائنا أن عزيزاً مات بأرض بابل.

فقال: أنا عزيز بعثني الله إليكم لأجدد لكم توراتكم.

فقالوا: أملها علينا إن كنت صادقاً، فأملها عليهم عن ظهر قلبه.

وقال رجل منهم: حدثني أبي عن جدّي أنه دفن التوراة يوم سبينا في خابية في كرم لأبي،

فإن أريتموني كرم جدّي أخرجتها لكم، فأروه، فأخرجها لهم، فعارضوها بما أملى عزيز فما

اختلفا في حرف، ولم يقرأ التوراة منذ أنزلت عن ظهر قلبه إلى هذا اليوم غير عزيز.

فقالوا: ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعدما نسخت وإلا أنه ابنه، فعندها قالوا:

عزيز ابن الله، وسنذكر هذه القصة بالاستقصاء في سورة التوبة إن شاء الله.

﴿تَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾: ذلك عياناً ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قرأ ابن عباس وأبو رجاء

وحزمة والكسائي: ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾: موصولاً مجزوماً على الأمر بمعنى قال الله له اعلم، يدلّ عليه

قراءة عبد الله والأعمش: (قال اعلم)، وقرأ الباقون ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾: معطوفاً مرفوعاً على الخبر

عن عزيز أنه قال لما رأى ذلك: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

عن المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب قال: ليس في الجنة كلب ولا حمار إلا كلب

أصحاب الكهف وحمار أرميا الذي أماته الله مائة عام.



﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ

قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ

يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ الآية. إن قيل: ما السبب في مسألة إبراهيم

ربه عز وجل أن يريه كيف يحيى الموتى، وما وجه ذلك، وهل كان إبراهيم شاكاً في إحيائه

الموتى حتى قال: ولكن ليطمئن قلبي؟

فالجواب عنه من وجوه: قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك وابن جريج: كان سبب ذلك السؤال أن إبراهيم أتى على دابة ميّته، قال ابن جريج: كانت جيفة حمار بساحل البحر، قال عطاء: بحيرة الطبرية، قالوا: فرآها وقد توزّعتها دواب البر والبحر، وكان إذا مدّ البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها فما وقع منها يصير في الماء، وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت منها فما وقع منها يصير تراباً، فإذا ذهبت السباع جاءت الطيور فأكلن منها فما سقط قطعته الريح في الهواء، فلما رأى ذلك إبراهيم عليه السلام تعجّب منها وقال: يا رب قد علمت لتجمعنهما من بطون هذه السباع وحواصل الطيور وأجواف دواب البر فأرني كيف تُحييها لأعين ذلك فأزداد يقيناً، فعاتبه الله عزّ وجل فقال: ﴿قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ﴾ بإحياء الموتى ﴿قَالَ بَلَى﴾ يا رب علمت وآمنت ولكن ليس الخبير كالمعاينة فذلك قوله: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أى يسكن قلبى إلى المعاينة والمشاهدة.

فعلى هذا القول أراد إبراهيم عليه السلام أن يصير له علم اليقين عين اليقين، كما أن الإنسان يعلم الشيء ويتيقنه ولكن يحب أن يراه من غير شك له فيه، كما أن المؤمنين يحبون رؤية النبي ﷺ ورؤية الله تعالى مع الإيمان بذلك وزوال الشك فيه.

قال ابن زيد: مرّ إبراهيم عليه السلام بحوت ميّت نصفه في البر ونصفه في البحر فما كان في البحر فدواب البحر تأكله وما كان في البر فدواب البر تأكله، فقال له الخبيث إبليس: متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء؟

فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾، قال: ﴿أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ﴾؟

﴿قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: بذهاب وسوسة إبليس منه ويصير الشيطان خاسراً صاغراً. وقال بعضهم: إن إبراهيم عليه السلام لما احتجّ على نمروود وقال: ﴿رَبِّ أَلَيْسَ لِي حِجَّةٌ أُخْرَى وَيُؤْتِي﴾

وقال: ﴿أَنَا أُخْرَى - وَأُمِيتُ﴾ وقتل ذلك الرجل وأطلق الآخر.

قال إبراهيم: فإنّ الله عزّ وجلّ يحيى بأن يقصد إلى جسد ميّت فيحييه ويجعل الروح فيه. فقال له نمروود: أنت عاينت هذا، فلم يقدر أن يقول نعم رأيت، فانتقل إلى حجة أخرى، فقال إنّ الله عزّ وجلّ يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، ثم سأل ربّه فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ﴾؟

﴿قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: حتّى إذا قال لى قائل: أنت عاينت؟ أقول: نعم قد عاينت ولا أحتاج إلى الانصراف لأى حجة أخرى، وليعلم نمروود أنّ الإحياء كما فعلت لا كما فعل

هو . وهذا معنى قول محمد بن إسحاق عن ابن يسارة .

روى فى الخبر : إنَّ نمروذ قال لإبراهيم عليه السلام : أنت تزعم أن ربك يُحيى الموتى وتدعونى إلى عبادته فسل ربك يُحيى الموتى إن كان قادراً وإلا قتلتك .

فقال إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ لَمْ تَكُنْ بِأَعْيُنِنَا قَدْ جَاءَ الْوَحْيَ بِالْحَقِّ ﴾ : ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ ﴾ : بقوة حجتي ونجاتى من القتل ، فإن عدو الله توعدنى بالقتل إن لم تُحى له ميتاً .

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدى : لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً ، سأل ملك الموت أن يأذن له فيبشّر إبراهيم بذلك ، فأذن له فأتى إبراهيم ولم يكن فى الدار ، فدخل داره وكان إبراهيم عليه السلام أغير الناس ، إذا خرج أغلق بابه ، فلما دخل وجد فى داره رجلاً فثار إليه يأخذه فقال له : مَنْ أذن لك أن تدخل دارى ؟

فقال ملك الموت : أذن لى رب هذه الدار ، قال إبراهيم : صدقت ، وعرف أنه ملك الموت . فقال : مَنْ أنت ؟ قال : ملك الموت جئت أبشرك بأن الله عزّ وجلّ اتخذك خليلاً ، فحمد الله تعالى وقال له : ما علامة ذلك ؟

قال : أن يجيب الله دعائك ويُحيى الموتى بسؤالك ، ثم انطلق ملك الموت .

فقال إبراهيم : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ لَمْ تَكُنْ بِأَعْيُنِنَا قَدْ جَاءَ الْوَحْيَ بِالْحَقِّ ﴾ : ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ ﴾ : بعلمى أنك تجيبنى إذا دعوتك وتعطينى إذا سألتك . واتخذتنى خليلاً .

محمد بن مسلم عن سعيد بن المسيّب وأبى عبيدة عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : «يرحم الله إبراهيم نحن أحق بالشك منه قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ لَمْ تَكُنْ بِأَعْيُنِنَا قَدْ جَاءَ الْوَحْيَ بِالْحَقِّ ﴾ : ثم قرأ إلى آخر الآية .

محمد بن إسحاق بن خزيمة قال سمعت أبا إبراهيم المزنى يقول : معنى قوله ﷺ : «نحن أحق بالشك من إبراهيم» إنّما شك إبراهيم أجيبه الله عزّ وجلّ إلى ما يسأل أم لا .

عبد الرحمن السلمى قال : سمعت أبا القاسم النصر أباضى سئل عن هذه الآية فقال : نحن الخليل إلى صنع خليله ولم يتهمه ، فذلك قوله عزّ وجلّ ﴿ أُولَئِكَ لَمْ تَكُنْ بِأَعْيُنِنَا قَدْ جَاءَ الْوَحْيَ بِالْحَقِّ ﴾ . يعنى أنت مؤمن شهد له بالإيمان ، كقول جرير :

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
يعنى أنتم كذلك .

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ﴾: ليسكن ﴿قَلْبِي﴾: بزيادة اليقين والحجة، وحقيقة الخلة وإجابة الدعوة.

قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ مختلفة أجناسها وطباعها ليكون أبلغ في القدرة، وخص الطائر من سائر الحيوان لخاصية الطيران، واختلفوا في ذلك الطير ما هي.

فقال ابن عباس: أخذ طاووساً ونسراً وغراباً وديكاً.

مجاهد وعطاء بن يسار وابن جريج وابن زيد: كانت غراباً وديكاً وطاووساً وحمامة.

سعيد بن أيوب عن سعيد بن الحارث الغراب عن أبي هريرة السناني: أنها الطاووس والديك والغراب والحمامة.

قال عطاء الخراساني: أوحى الله عز وجلّ لنيبه أن أحضر أربعة من الطير: بطة خضراء وغراباً أسود وحمامة بيضاء وديكاً أحمر.

﴿صَرَّهِنَّ إِلَيْكَ﴾: قرأ علي بن أبي طالب. كرم الله وجهه. وأبو الأسود الدؤلي وأبورجاء العطاردي وأبو عبد الرحمن السلمي والحسن البصري وعكرمة والأعرج وشيبة ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم والكسائي وأبو عمرو ويعقوب وأيوب: بضم الصاد، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم: اضممهن ووجههن إليك.

يقال: صرت الشيء أصوره إذا أملته.

قال امرؤ القيس:

وعجز كدعص أثقلته البوايص

وأفرع ميّال يكاد يصورها

وقال الطرمّاح:

هوى والهوى للعاشقين صروع

عفايف الأذيان أو أن يصورها

أى يميلها هوى.

ويقال: رجل أصور إذا كان مائل العنق.

ويقال: إنى إليكم لأصور، أى مشتاق مائل، وامرأة صورا، والجمع صور، مثل عوداء

وعُود.

قال الشاعر:

يوم الفراق إلى جيراننا صور

الله يعلم أنا فى تلفتنا

وقال عطاء وعطية وابن زيد والمؤرخ: معناه: اجمعهن وضممهن، يقال: صار يصور

صوراً إذا جمع ، قال الشاعر :

وجاءت خلعة دُهِس صفايا . . . يصور عنوقها أحوى زنيم

أى بضم خلعة والخلعة خيار المال ، ودُهِس على لون الدهاس وهو الرمل ، صفايا غزار معجبة .

قال أبو عبيدة وابن الأنباري : معناه : قطعهن وأصغر القطع .

قال به ابن الحمير :

فلما جذبت الحبل أطت نسوعه . . . بأطراف عيدان شديد أسورها

فأذنت لى الأسباب حتى بلغتها . . . بنهض وقد كاد ارتقائى يصورها

قال رؤبة :

❖ صرنا به الحكم واعياً الحكماء ❖

أى قطعنا الحكم به

وقرأ علقمة وعبيد بن عمير وسعيد بن جبير وطلحة وقتادة وأبو جعفر ويحيى بن رثاب والأعمش وحمزة وخلف : (فصرهن) بكسر الصاد ، ومعناه : قطعهن وفرقهن . يقال : صار يصير صيراً ، إذا قطع ، وانصار الشيء ينصار أنصاراً إذا انقطع .

قالت الخنساء :

فلو تلاقى الذى لاقته مضر . . . لظلت الشم منها وهى تنصار

أى مقطّع مصدّع وتمهيد .

وأنشد أبو سهيل محمد بن محمد الأشعث الطالقانى فى العزائم :

وغلام رأيته صار كلباً . . . (١) ساعتين صار غزالاً

وقال الفراء : هو مقلوب من صرت أصرى صرياً إذا قطعت فقدمت هاوياً كما يقال : عوث

وعاث يعنى قطعهم ثم قلب فقليل صار . قال الشاعر :

يقولون إن الشام يقتل أهله . . . فمن لى إذ لم آته بخلود

تغرب آبائى فهلا صراهم . . . من الموت إن لم يذهبوا وجدودى

وقال بعضهم : معناه أملهن ، وهى لغة هذيل وسليم . وأنشد الكسائى :

وفرع يصير الجيّد وحف كأنه . . . على الليت قنوان الكروم الدوالح

أى الجيّد يميله من كثرته .

(١) بياض بالأصل المخطوط .

وعن ابن عباس فيه روايتان: (فَصْرَهْن) مفتوحة الصاد مشددة الراء مكسورة من التصرية وهى الجمع منه المصراة .

والثانى: (فَصْرَهْن) بضم الصاد وفتح الراء وتشديدها من الصرة وهى فى معنى الجمع والشد أيضاً . فمن تأوله على القطع والتفريق ، فى الكلام تقديم وتأخير تقديره : فخذ أربعة من الطير إليك فصرهن : ومن فسره على الضم فيه إضمار معناه : فصرهن إليك ، ثم قطعهن فحذفه فاكتفى بقوله تعالى : ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ لأنه يدل عليه ، وهذا كما يقال : خذ هذا الثوب واجعل على كل رمح عندك منه علماً ، يريد قطعهُ واجعل على كل رمح علماً .

﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ﴾ : لفظه عام ومعناه خاص ؛ لأن أربعة من الطير لا يبلغ الجبال كلها ، ولا كان إبراهيم عليه السلام يصل إلى ذلك فهذا كقوله عز وجل : ﴿وَأَوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٢٣) كقوله : ﴿تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأحقاف: ٢٥) .

﴿جُزْءًا﴾ : قرأ عاصم رواية أبى بكر والمفضل ﴿جُزْءًا﴾ : مثقلاً مهموزاً حيث وقع .

وقرأ أبو جعفر ﴿جُزْءًا﴾ مشددة الزاى ، وقرأ الباقون مهموزاً مخففاً ، وهى لغات معناها : النصيب والبعض .

قال المفسرون : أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح تلك الطيور بريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض . ففعل ذلك إبراهيم ثم أمره أن يجعل أجزاءها على الجبال .

واختلفوا فى عدد الأجزاء والجبال ، قال ابن عباس وقتادة والربيع وابن أبى إسحاق : أمر بأن يجعل كل طائر أربعة أجزاء ثم يعمد إلى أربعة أجبل فيجعل على كل جبل ريعاً من كل طائر ثم يدعون : تعالين ياذن الله . هذا مثل ضربه عز وجل لإبراهيم وأراه إياه ، يقول : كما بعثت هذه الأطيوار من هذه الأجل الأربعة فكذلك أبعث الناس يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها .

وقال ابن جريج والسدى : جزأها سبعة أجزاء فوضعها على سبعة أجبل ففعل ذلك وأمسك رء وسهن عنده ، ثم دعاهن : تعالين بأمر الله سبحانه ، فجعل كل قطرة من دم طير تطير إلى القطرة الأخرى ، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى ، وكل عظم يصير إلى الآخر ، وكل بضعة تذهب إلى الأخرى ، وإبراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضاً فى السماء بغير رأس ، ثم أقبلن إلى فكلاً ما جاء طائر مال برأسه فإن كان رأسه دنا منه وإن لم يكن رأسه

تَأخَّرَ حَتَّى يَلْقَى كُلَّ طَائِرٍ بِرَأْسِهِ .

فذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ هو مصدر، أى يسعين سعياً، وقيل: نصب بنزع حرف الصفة، أى بالسعى، واختلفوا فى معنى السعى، فقال بعضهم: هو الإسراع والعدو، وقال بعضهم: مشياً على أرجلهم كقوله سبحانه فى سورة القصص: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ (القصص: ٢٠) نظيره فى سورة الجمعة: ﴿فَاسْتَعَا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الجمعة: ٩) أى فامضوا.

والحكمة فى المشى دون الطيران أن كونه أبلغ فى الحجّة وأبعد من الشبهة؛ لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير أو أن أرجلها غير سليمة والله أعلم.

وقال بعضهم: هو بمعنى الطيران، وقال النضر بن شميل: سألت الخليل بن أحمد عن قوله ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ هل يقال لطائر إذا صار سعى؟ قال: لا.

قلت: فما معنى قوله: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾؟

قال: معناه: يأتينك وأنت تسعى سعياً.

قال الثعلبى: سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول: سمعت أبى يقول: سمعت أبا الحسن الأقطع وكان حكيماً يقول: صحّ عن النبى ﷺ أنه قال: «لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حدّ ومطلع».

وظاهر الآية ما ذكره أهل التفسير، وبطنها: أن إبراهيم عليه السلام أمر بذبح أربعة أشياء فى نفسه بسكين الإياس كما ذبح فى الظاهر الأربعة الأطيّار بسكين الحديد، فالنسر مثل لطول العمر والأجل، والطاوس زينة الدنيا وبهجتها، والغراب الحرص، والديك الشهوة.

قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.



﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٥﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَعْفَرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ

كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ، وَابِلٌ فَتَرَكَهُ، صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ الآية فيها إضمار واختصار تقديرها: مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم، فإن شئت قلت: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ زارع ﴿حَبَّةٌ أُنْبِتَتْ﴾ أخرجت ﴿سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ جمع سنبل، أدغمها أبو عمرو وأبو غزية وحمزة والكسائي، وأظهرها الباقون. فمن أدغم فلأن التاء والسين مهموزتان، ألا ترى أنهما متعاقبان. أنشد أبو عمرو:

يا لعن الله بنى السعلاة
عمرو بن ميمون لثام النات

أراد لثام الناس فحوّل السين تاء. ومن أبرز فلأنهما كلمتان وهو الأصل واللغة الفاشية.

﴿فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ﴾: أبو جعفر والأعمش: يتركان خمسمائة ومائة، حيث كانت

استخفافاً.

وقرأ الباقون بالمد.

فإن قلت: هل رأيت سنبله فيها مائة حبة، أو هل بلغك ذلك؟ قيل: لا ننكر ذلك ولا يستحيل، فإن يكن موجوداً فهو ذلك وإلا فجاز أن يكون معناه كمثل سنبله أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة أن جعل الله سبحانه ذلك فيها، ويحتمل أن يكون معناه: أنها إذا بُذرت أنبتت مائة حبة، فيكون ما حدث عن البذر الذي كان منها من المائة الحبة مضاهياً لها، لأنه كان عنها، وكذلك ما قاله الضحاك قال: أنبتت كل سنبله مائة حبة.

﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: ما بين سبع وسبعين وسبعمائة إلى ما شاء الله عز وجل مما لا

يعلمه إلا الله.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: غنى لتلك الأضعاف ﴿عَلِيمٌ﴾: بمن ينفق.

قال الضحاك في هذه الآية: من أخرج درهماً ابتغاء مرضاة الله فله في الدنيا لكل درهم

سبعمائة درهم خلقاً عاجلاً، ولقى ألف درهم يوم القيامة.

قال الكلبي في قوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية: نزلت في عثمان بن عفان

(رضى الله عنه) وعبد الرحمن بن عوف، أما عبد الرحمن فإنه جاء إلى رسول الله ﷺ بأربعة

آلاف درهم صدقة فقال: كانت عندي ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسى وبعالي أربعة آلاف،

وأربعة آلاف أقرضتها ربّي عز وجل.

فقال له رسول الله ﷺ: «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت». فأما عثمان فقال:

على جهاز من لا جهاز له فى غزوة تبوك ، فجهز المسلمين ألف بعير بأحلاسها وأقتابها وتصدق برومة ركية كانت له على المسلمين فنزلت فيهما هذه الآية .

قال عبد الرحمن بن سمرة : جاء عثمان (رضى الله عنه) بألف دينار فى جيش العسرة فصبها فى حجر النبى ﷺ . قال : رأيت النبى ﷺ يدخل يده فيها ويقبلها ويقول : «ما ضرابن عفان ما عمل بعد اليوم» .

قال أبو سعيد الخدرى : رأيت النبى ﷺ رافعاً يده يدعو لعثمان (رضى الله عنه) «يا رب عثمان بن عفان رضيت عنه فارض عنه» وما زال يدعو رافعاً يديه حتى طلع الفجر فأنزل الله تعالى فيه ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أى فى طاعة الله .

﴿ثُمَّ لَا يَبْعُونَ مِمَّا كَفَرُوا مَتًى﴾ : وهو أن يمنّ عليه بعبثائه ويعدّ نعمه عليه يكدرها يواصل المنّة النعمة .

يقال : مَنْ يَمِنُّ مَنَّةً وَمِنًّا وَمَنِيَّةً إِذَا أَنْعَمَ وَأَعْطَى . قال الله تعالى : ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾ (ص : ٣٩) أى أعط ثم كثر ذلك حتى صار ذكر النعمة والاعتداد بها منّة .

﴿وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ : بإظهار العطية وذكرها لمن لا يجب وقوفه عليها وما أشبه ذلك من القول الذى يؤديه .

قال سفيان والمفضل فى قوله : ﴿مِنًّا وَلَا أَدَى﴾ : هو أن يقول أعطيتك فما شكرت .

قال الضحاك : أن لا ينفق الرجل ماله خير من أن ينفقه ثم يتبعه منّا وأذى .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : كان أبى يقول : إذا أعطيت رجلاً شيئاً وظننت أنّ سلامك يثقل عليه ، فكفّ سلامك عنه .

قال ابن زيد : فشئء خير من السلام؟

قال : وقالت امرأة لأبى : يا أبا أسامة تدلنى على رجل يخرج فى سبيل الله حقاً فإنهم لا يخرجون إلا لياً لكلوا الفواكه ، فعندى جعبة وأسهم فيها فقال : والله لا بارك الله لك فى جعبتك ولا فى أسهمك فقد أذيتهم قبل أن تعطيتهم .

فحظر الله عن عباده المن بالصنعة واختص به صفة لنفسه ؛ لأن من العباد تعبير وتكدير ومن الله عزّ وجلّ إنعام وأفضال وتذكير . وأنشد معاد بن المثنى والعبرى عن أبيه محمود بن الوراق :

أَحْسَنُ مَنْ كُلِّ حَسَنٍ	فى كلِّ حين وزمن
صَنِيعَةٌ مَرْبُوبَةٌ	خالية من المنن

قال الثعلبي: أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي قال: أنشدنا أبو ذر القرطبي:

ما تم معروفك عند امرئ كلفته المعرف إعظامكا
إن من البر فلا تكذبن إكرام من أظهر إكرامكا
والمن للمنعم نقصٌ فلا تستفسدن بالمن إنعامكا
والعز في الجود وبخل الفتى مذلةٌ أحببت إعلامكا

قال: وأنشدني محمد بن القاسم قال: أنشدني محمد بن طاهر قال: أنشدني أبو علي

البصري:

وصاحب سلفت منه إلى يد أبطا عليه مكافاتي فعاداني
لما تيقن أن الدهر حاربنى أبدى الندامة فيما كان أولاني

وقال آخر:

أفسدت بالمن ما قدمت من حسن ليس الكريم إذا أعطى بمنان

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: أى كلام حسن وردّ على السائل جميل، وقيل (١) حسن.

وقال الكلبي: دعاء صالح يدعو لأخيه بظهر الغيب. قال الضحاك: قول فى إصلاح ذات

البيت. ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: أى مغفرة منه عليه لما علم خلته وفاقته. قال محمد بن جرير، وقال الكلبي

والضحاك: تجاوز عن ظلمه، وقال: يتجاوز عنه إذا استطال عليه عند رده علم الله تعالى إن

الفقير إذا ردّ غير نوال شقّ عليه ذلك مما يدعو إلى بذاء اللسان أو إظهار الشكوى، وعلم ما

يلحق المانع منه، فحثّه على الصفح والعفو وبين أن ذلك خير له ﴿مِنْ صَدَقَةٍ﴾: يدفعها إليه

﴿يَتَّبِعُهَا أَذَى﴾: أى منّ وتعيير السائل بالسؤال أو شكاية منه أو عيب أو قول يؤذيه.

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾: عن صدقة العباد، ولو شاء لأغنى جميع الخلق ولكنه أعطى الأغنياء لينظر

كيف شكرهم وأخلى الفقراء لينظر كيف صبرهم، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ

عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ (النحل: ٧١) بالقرض والصدقة والمعروف (١).

﴿حَلِيمٌ﴾: إذ لم يعجل على من يمن ويؤذى بصدقته.

وعن عبد الرحمن السليمانى مولى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله

ﷺ: «إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها ثم ردّوا عليه بوقار ولين أو بذل

يسير أو برد جميل فإنه قد يأتيكم من ليس بإنس ولا جان ينظرون كيف صنيعكم فيما خوّلكم

الله عز وجل».

(١) يياض بالأصل المخطوط.

وعن بشر بن الحارث قال : رأيت أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام فى المنام فقلت : يا أمير المؤمنين تقول شيئاً لعل الله عز وجل ينفعنى به .

فقال : ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء رغبةً فى ثواب الله ، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء ثقةً بالله عز وجل .

فقلت : يا أمير المؤمنين زدنى ، فولى وهو يقول :

قد كنت ميتاً فصرت حياً وعن قليل تصير ميتاً

فاضرب بدار الفناء بيتاً وابن بدار البقاء بيتاً

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ : أى لا تحبطوا أجور صدقاتكم وثواب

نفقاتكم بالمن على السائل .

وقال ابن عباس : بالمن على الله تعالى والأذى لصاحبها .

ثم ضرب لذلك مثلاً فقال : ﴿كَأَلَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ﴾ أى كإبطال الذى ينفق ماله ﴿رِثَاءَ النَّاسِ﴾

مراءة وسمعة ليروا نفقته ويقولوا إنه كريم سخي صالح ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ءَآخِرِ﴾ وهذا

للمنافقين لأن الكافر معلن كفره غير مرء ﴿فَمَثَلُهُ﴾ أى مثل هذا المنافق المرائى ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ الحجر الأملس .

قال الشاعر :

مالى أراك كأتى قد زرعت حصاً فى عام جذب ووجه الأرض صفوان

أما لزرى أبان فأحصده كما يكون لوقت الزرع أبان

وهو واحد وجمع ، فمن جعله جمعاً قال : واحده صفوانة ، بمنزلة تمر وتمر ونخلة ونخل .

ومن جعله واحداً قال : جمعه صفى وصفى .

قال الشاعر :

❖ مواقع الطير على الصفى ❖

وقال الزعرى : ﴿صَفْوَانٍ﴾ بفتح الفاء ، وجمعه صفوان مثل كروان وكروان وورشان

وورشان .

﴿عَلَيْهِ﴾ : أى على ذلك الصفوان ﴿تَرَابٌ فَاصَابُهُ وَابِلٌ﴾ : وهو المطر الشديد العظيم القطر

﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ : وهو الحجر الصلب الأملس الذى لا شىء عليه .

قال تأبط شراً :

ولست بحلب جلب ربح وقرّة ولا بصفا صلد عن الخير معزل

وهو من الأرض ما لا ينبت، ومن الرؤوس ما لا شعر عليه .
قال رؤبة :

لَمَّا رَأَتْنِي حَلَقَ الْمَوِّهَ بَرَاقَ أَصْلَادِ الْجَبِينِ الْأَجَلَةَ

يعنى الأجلح .

وهذا مثل ضربه الله تعالى لشفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمن بصدفته ويؤذى ، يعنى :
إن الناس يرون فى الظاهر أن لهؤلاء أعمالاً كما يرى التراب على هذا الصفوان ، فإذا كان يوم
القيامة اضمحل كلّه وبطل لأنه لم يكن لله عزّ وجلّ كأنه لم يكن كما أذهب الوايل ما كان على
الصفوان من التراب .

﴿فَتَرَكُهُ صَلْدًا﴾ : أجرد لا شيء عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ﴾ : على ثواب شيء ﴿مِمَّا كَثُرُوا﴾ :
عملوا فى الدنيا لأنهم لم يعملوه لله تعالى وطلب ما عنده وإنما عملوه رياء الناس وطلب
حمدهم فصار ذلك معظم من أعمالهم .

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ : نظيره قوله تعالى فى وصف أعمال الكفار : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ (إبراهيم: ١٨) . وقوله : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا
أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٍ﴾ (النور: ٣٩) الآية .

عكرمة عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : «إذا كان يوم القيامة نادى مناد يسمع أهل الجمع :
أين الذين يعبدون الناس قوموا وخذوا أجوركم ممن عملتم له فإنى لا أقبل عملاً خالطه شيء
من الدنيا» .

عبد الله المدنى قال : بلغنى أن رجلاً دخل على معاوية قال : مررت بالمدينة فإذا أبو هريرة
جالس فى المسجد ، حوله حلقة يحدثهم فقال : حدثنى أبو القاسم ثم استعبر فبكى فقال :
حدثنى خليلى أبو القاسم ثم استعبر فبكى فقال : حدثنى خليلى أبو القاسم ثم بادره الرجل
فقال : إنى رجل غريب لست من أهل البلد وقد أردت أن تحدث عن النبى ﷺ كل ذلك
تخنتك العبرة فأخبرنى هذا الذى أردت أن تحدث به ، قال سمعت النبى ﷺ يقول : «إذا كان
يوم القيامة يؤتى برجل قد كان خوّه مالا فيقال كيف صنعت فيما خوّنناك؟

فقال : أنفقت وأعطيت ، فقال : أردت أن يقال فلان سخرى فقد قيل لك فماذا يُغنى عنك .

ثم يؤتى برجل شجاع فيقال له : ألم أشجع قلبك؟

قال : بلى ، فيقال : كيف صنعت؟ قال : قاتلت حتى أحرقت مهجتى ، فيقال له : أردت أن
يقال فلان شجاع وقد قيل فماذا يغنى عنك ، ثم يؤتى برجل قد أوتى علماً فيقال له : ألم

أستحفظك العلم؟

قال: بلى، فيقال: كيف صنعت، فيقول: تعلمت وعلمت، فيقال: أردت أن يقال فلان عالم وقد قيل فماذا يغنى عنك، ثم قال: اذهبوا بهم إلى النار».



﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَسَاءَتْ أَكْلُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٨٠﴾ أَيُّوْدُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَفِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٨١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: طلب رضا الله ﴿وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: قال الشعبي والكلبي والضحاك: يعنى تصديقاً من أنفسهم يخرجون الزكاة طيبة بها أنفسهم يعلمون أن ما أخرجوا خيراً لهم مما تركوا.

السدى وأبو صالح وأبوروق وابن زيد والمفضل: على يقين إخالق الله عليهم. قتادة: احتساباً بإيمان من أنفسهم، عطاء ومجاهد: مثبتون أى لا يضيعون أموالهم، وكذلك قرأ مجاهد: وتثبيتاً لأنفسهم.

قال الحسن: كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت إن كان لله أعطى وإن خالطه شىء أمسك، وعلى هذا القول يكون التثبىت بمعنى التثبىت كقوله عز وجل: ﴿وَتَبَلَّلْ إِلَيْهِ تَبْيَلًا﴾ (المزمل: ٨) أى تبلاً.

سعيد بن جبىر وأبو مالك: تخفيفاً فى ذنبهم. ابن كيسان: إخلاصاً وتوطيئاً لأنفسهم على طاعة الله عز وجل فى نفقاتهم، الزجاج: ينفقونها مقرين بأن الله عز وجل رقيب عليهم. وأصل هذه الكلمة من قول السائل: ثبت فلان فى هذا الأمر إذا حققه وثبت عليه وعزمه وقوى عليه بذاته.

تثبىت موسى ونصراً كالذى نصروا

فثبت الله ما آتاك من حسن

﴿كَثَلِ جَنَّةٍ بَرَبَوَّةٍ وَأَيْلٌ فَقَاتَتْ أَكْثَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: أى بستان. قال الفراء: إذا كان فى البستان نخل فهو جنَّة، وإذا كان كرم فهو فردوس.

وقول مجاهد: كمثل حبة بالحاء والباء ﴿بَرَبَوَّةٌ﴾: قرأ السليمى والعطاردى والحسن وعاصم وابن عامر: ﴿بَرَبَوَّةٌ﴾ بفتح الراء هاهنا وفى سورة المؤمنين وهى لغة بنى تميم. وقال أبو جعفر وشيبة ونافع وابن كثير والأعمش وحمزة والكسائى وخلف وأبو عمرو ويعقوب وأيوب بضم الراء فيهما. واختاره أبو حاتم وأبو عبيد لأنها أكمل اللغات وأشهرها، وقول ابن عباس وأبو إسحاق السبيعى وابن أبى إسحاق: بربوة، وقرأ أشهب العقيلى: برباوة بالألف وكسر الراء فيها. وهى جميعاً المكان المرتفع المستوى الذى تجرى فيه الأنهار ولا يخلو من الماء. وإنما سميت ربوة لأنها ربت وطابت وعلت، من قولهم ربا الشىء يربو إذا انتفخ وعظم، وإنما جعلها بربوة لأن النبات عليها أحسن وأزكى.

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: مطر شديد كثير ﴿فَقَاتَتْ أَكْثَلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿أَكْثَلَهَا﴾: بالتخفيف والباقون بالتشديد وهو الثمر.

قال المفضل: الأكل: كثرة ما فى الشىء مما وجود ويقوى به، يقال: ثوب كثير الأكل، أى كثير الغزل. ومعناه: وأعطت ثمرها ضعفين والضعف فى الحمل. قال عطاء: حملت فى سنة من الربيع ما تحمل غيرها فى سنتين. قال عكرمة: حملت فى السنة مرتين.

﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ﴾: أى فطش وهو أضعف المطر وألينه.

قال السدى: هو الندى.

أبو سلام عبد الملك بن سلام عن زيد بن أسلم فى قوله: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ﴾ قال: هى أرض مصر إن لم يصبها مطر زكت وإن أصابها مطر ضعفت، وهذا مثل ضربه الله عز وجل لعمل المؤمن المخلص، يقول: كما أن هذه الجنة تريع فى كل حال ولا تخلف ولا تُخيب صاحبها سواء قلّ المطر أو كثر، كذلك يُضاعف الله عز وجل ثواب صدقة المؤمن المخلص الذى لا يمين ولا يؤذى سواء قلّت نفقته وصدقته أو كثرت فلا تخيب بحال.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب: هذه الآية متصلة بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ الآية.

﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات

وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ : وإِنَّمَا قَالَ : ﴿وَأَصَابَهُ﴾ فردّ الماضي على المستقبل ؛ لأن العرب تلفظ توددت مرّة مع (لو) وهى الماضى فتقول : وددت لو ذهبتَ عَنَّا ، ومرّة مع (أَنْ) وهى للمستقبل فتقول : وددت أَنْ تذهبَ عَنَّا ، و(لو) و(أَنْ) مضارعان فى معنى الجزاء ، ألا ترى أَنَّ العرب فيما جمعت بين (لو) و(أَنْ) قال الله تعالى : ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سَوْءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ رَكَبٌ﴾ (آل عمران : ٣٠) .
الآية كما تجمع بين (ما) و(أَنْ) وهما جحد .

قال الشاعر

ما أَنْ رأيتَ ولا سمعتَ بمثله كاليسوم طالى أينق جرب
فلما جاز ذلك صلح أن يقال : فعل بتأويل يفعل ويفعل بتأويل فعل ، وأن ينطق بـ (لو) عنها ما كان (أَنْ) وبـ (أَنْ) مكان (لو) .

فمعنى الآية : ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ﴾ لو كان له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ﴾ أولاد صغار ﴿ضِعْفَاءُ﴾ عجزة ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ وهى الريح العاصف التى تهب من الأرض إلى السماء كأنها عمود .
قال الكميت :

تسدى الرياح بها ذيلاً وتلحمه
ذا معتمو من دقيق الترب موّار
فى منخل جاء من هيف يمانيه
بالسافيات وفى غربال إعصار
وجمعه أعاصير .

قال يزيد بن المقرئ الحميرى .

أناس أجارونا وكان جوارهم
أعاصير من فسو العراق المبذر
وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق المرائى ، يقول : عمل هذا المرائى لى حسنة لحين الجنة فينتفع بها كما ينتفع صاحب الجنة بها وإذا كبر وضعف وصار له أولاد صغار أصاب جنته إعصار ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ أخرج ما كان إليها وضعف عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم ولم يجد هو ما يعود على أولاده به ، ولا أولاده ، ما يعودون به على أبيهم فينتفى هو وأولاده فقراً عجزه متحيرين لا يقدرّون على حيلة ، فكذلك يبطل الله على هذا المنافق والمرائى حين لا مستعتب له ولا توبة ولا إقالة من عبرتهما وديونهما .

قال عبيد بن عمير : ضربت مثلاً للعمل يبدأ فيعمل عملاً صالحاً فيكون مثلاً للجنة التى من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات ، ثم يسىء فى آخر عمره ، فيتمادى فى الإساءة حتى يموت على ذلك ، فيكون الإعصار الذى فيه نار التى أحرقت الجنة

مثلاً لإساءته التي مات وهو عليه .

﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا﴾ : تصدقوا ﴿من طَيِّبَتِ﴾ : خيار وجياد نظير قوله : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (ال عمران: ٩٢) . ابن مسعود ومجاهد: حلالات ، دليله قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ﴾ (المؤمنون: ٥١) .
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢) .

قال النبي ﷺ : «قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، لا يكسب عبد مالاً من حرام فيتصدق منه ، فيقبل منه ولا ينفق منه ، فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، وأن لا يحو السيئ بالسيئ ولكنه يحو السيئ بالحسن والحبيث لا يحوبه الحبيث» .

﴿مَا كُتِبَتْ﴾ : بالتجارة والصناعة من الذهب والفضة .

قال عبيد بن رفاعه : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : «يا معشر التجار أنتم فجار إلا من اتقى وبرّ وصدق وقال هكذا وهكذا وهكذا» .

وقال قيس بن عروة الغفاري : كنا على عهد رسول الله ﷺ بالمدينة نسمى أنفسنا السماسرة فسمانا رسول الله ﷺ باسم هو أحسن من اسمنا فقال : «يا معشر التجار ، إن هذا البيع يحضره اللهو والكذب واليمين فشوبوه بالصدقة» .

مكحول عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : «الخير عشرة أجزاء أفضلها التجارة ؛ إذا أخذ الحق وأعطاه» وقال رسول الله ﷺ : «تسعة أعشار الرزق في التجارة والجزء الباقي في السابياء» .

ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «يا معشر قريش لا يغلبنكم هذه الموالى على التجارة وإن البركة في التجارة وصاحبها لا يفتقر إلا تاجر حلاف مهين» .
عاصم ابن أبي النجود عن أبي وائل قال : درهم من تجارة أحب إلى من عشرة من عطائي .
الأعمش عن أبي إبراهيم عن عائشة قالت : قال النبي ﷺ : «أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه» .

وقال سعيد بن عمير : سئل النبي ﷺ : أى كسب الرجل أطيب؟

قال : «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور» .

محمد بن الراضبي قال : مرّ إبراهيم النخعي على امرأة من مزاد وهي تغزل على بابها فقال : يا أم بكر أما كبرت أما أن لك أن تلقى هذا ، قالت : كيف ألقيه وقد سمعت علياً (رضي

الله عنه) يقول: إنه من طيبات الرزق.

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾: يعنى الحبوب والثمار التى تقطت وتدخر مما يجب فيه الزكاة. عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: دخل رسول الله ﷺ على أم معبد حائطاً، فقال: «يا أم معبد من غرس هذا، أمسلم أم كافر؟». قالت: بل مسلم، قال: «فلا يغرس المسلم غرساً يأكل منه إنسان ولا ذابة ولا طائر إلا كانت له صدقة إلى يوم القيامة».

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: أن النبي ﷺ قال: «التمسوا الرزق فى خبايا الأرض». قال مالك بن دينار: قرأت فى التوراة: طوبى لمن أكل من ثمرة يديه.

﴿وَلَا تَيْمَمُوا﴾: قرأ ابن مسعود: ولا تأمموا بالهمز. وقرأ ابن عباس: ولا تيمموا مضمومة التاء مكسورة الميم الأولى يعنى لا توجهوا.

وقرأ ابن كثير: (ولا تيمموا) بتشديد الباء وفتحها فيها وفى أخواتها وهى إحدى وثلاثون موضعاً فى القرآن رد الساقط وأدغم لأن فى الأصل تاءان تاء المخاطبة وتاء الأمر فحذفت تاء الفعل.

وقرأ الباقون: ولا تيمموا مفتوحة مخففة.

وهى كلها لغات بمعنى واحد. يقال: أمت فلاناً وتيممته وتأممته، إذا قصدته وعمدته.

قال الأعشى ميمون بن قيس:

تيممت قيساً وكم دونه من الأرض من مهمه ذى شزن

السدى عن على بن ثابت عن الفراء قال: نزلت هذه الآية فى الأنصار كانت تخرج إذا كان جذاذ النخل من حيطانها أقناء من التمر والبسر فيعلقونه على جبل بين إسطواناتين فى مسجد رسول الله ﷺ فيأكل منه فقراء المهاجرين، وكان الرجل يعمد فيخرج قنو الحشف وهو يظن أنه جائز عنه فى كثرة ما يوضع من الأقناء فيمن فعل ذلك.

﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾: يعنى القنو الذى فيه الحشف ولو كان أهدي لكم ما

قبلتموه.

عن باذان عن ابن عباس فى هذه الآية قال رسول الله ﷺ لهم: «إن الله فى أموالكم حقاً فإذا بلغ حق الله فى أموالكم فأعطوا منه» وكان الناس يأتون أهل الصدقة بصدقاتهم ويضعونها فى المسجد فإذا اجتمعت قسمها رسول الله ﷺ بينهم.

قال: فجاء رجل ذات يوم. بعدما رقى أهل المسجد وتفرق هامهم. بعذق حشف فوضعه

فى الصدقة، فلما خرج رسول الله ﷺ أبصره فقال: «مَنْ جَاءَ بِهَذَا الْعَذْقِ الْحَشْفِ» قالوا: لا ندرى يا رسول الله.

قال: «بِسْمَا صَنَعَ صَاحِبُ هَذَا الْحَشْفِ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

وقال على بن أبى طالب والحسن ومجاهد والضحاك: كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم وردالة أموالهم فيعزلون الجيد ناحية لأنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَيْمَنُوا الْخَيْثَ﴾ يعنى الردىء من أموالكم، والحشف من التمر، والعفن والزوان من الحبوب، والزيوف من الدراهم والدنانير.

﴿وَلَسْتُمْ بِأَخَذِيهِ إِلَّا أَنْ تَغْمِضُوا فِيهِ﴾: محل أن نصب بنزع حرف الصفة، يعنى: بأن تغمضوا فيه.

وقرأ الزهرى: ﴿تَغْمِضُوا﴾ بفتح التاء وضم الميم. وقرأ الحسن بفتح التاء وكسر الميم، وهما لغتان غمض يغمض ويغمض. وقرأ قتادة تغمضوا فيه من التفعيل وقرأ أبو مجلز: تغمضوا بفتح الميم وضم التاء يعنى إلا أن تغمض لكم. وقرأ الباقون: تغمضوا. والإغماض: غض البصر وإطباق جفن على جفن. قال رؤبة:

أرق عيني عن الإغماض برق سرى فى عارض نهاض

وأراد هاهنا التجويز والترخص والمساهلة، وذلك أن الرجل إذا رأى ما يكره أغمض عينه لئلا يرى جميع ما يفعل، ثم كثر ذلك حتى جعل كل تجاوز ومساهلة فى البيع إغماضاً. قال الطرمّاح:

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيق هم رجال يرضون بالإغماض

قال على والبراء بن عازب: معناه: لو كان لأحدكم على رجل حق فجاءه بهذا، لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض عن بعض حقه. وهى رواية العوفى عن ابن عباس. وروى الوالى عنه: ولستم بأخذى هذا الردى لو كان لأحدكم على الآخر حق بحساب الجيد حتى تنقصوه.

الحسن وقتادة: لو وجدتموه يباعاً فى السوق ما أخذتموه بسعر الجيد حتى يغمض لكم من ثمنه.

وروى عن الفراء أيضاً قال: لو أهدى ذلك لكم ما أخذتموه إلا على استحياء من صاحبه وغيظ أنه بعث إليك بما لم يكن فيه حاجة، فكيف ترضون لى ما لا ترضون لأنفسكم؟! أخبر الله تعالى أن أهل السهمان شركاء رب المال فى ماله فإذا كان ماله كله جيداً فهم

شركاؤه فى الجيد فأما إذا كان المال كله رديئا فلا بأس بإعطاء الرديء لأن الواجب فيه ذلك إلا أن تتطوع.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ : عن نفقاتكم وصدقاتكم ﴿حَمِيدٌ﴾ : محمود فى أفعاله .

وعن معبد بن منقذ أن أبا شريح الكعبى صاحب رسول الله ﷺ قال : إذا رأيتمونى أتصدق شرّ ما عندى فاكُونى واعلموا أنى مجنون .



﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿ إِنْ تَبَدُّوا لَلصَّدَقَاتِ فَعِمَاءٌ هِيَ وَإِنْ تَحْفَوْهَا وَتَوْتَوْهَا الْفُقَرَاءُ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿﴾

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ : أى بالفقر فحذف الباء كقول الشاعر :

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب

ويقال : وعدته خيرا ووعدته شرّا ، قال الله تعالى فى الخير : ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَارِبًا كَثِيرَةً تَأْخُذُوهَا﴾ (الفتح : ٢٠) . وفى الشر : ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الحج : ٧٢) فإذا لم يذكر الخير والشر قلت فى الخير : وعدته ، وفى الشر : أوعدته وأنشد أبو عمرو :

وإنى وإن أوعدته أو وعدته مخلف إبعادى ومنجز موعدى

والفقر : سوء الحال وقلة اليد ، وفيه لغتان : الفقر والفقر كالضعف والضعف .

وأصله من كسر الفقار ، يقال : رجل فقار وفقير ، أى مكسور فقار الظهر . قال الشاعر :

وإذا تلسنتى ألسنتها إننى لست بموهون فقر

ومعنى الآية : إن الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك مالك فإن تصدقت افتقرت . ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ : أى البخل ومنع الزكاة .

وزعم مقاتل بن حيان أن كل فحشاء فى القرآن فهو الزنا إلا فى هذه الآية .

﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ﴾ : أى يجازيكم ، وعد الله إلهام وتنزيل ، ووعد الشيطان وساوس وتخيل .

﴿مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ : لذنوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾ : أى رزقا وخلفا ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ : غنى ﴿عَلِيمٌ﴾ : يقال :

مكتوب فى التوراة : عبدي أنفق من رزقى ، أبسط عليك من فضلى .

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾: قال السدي: هي النبوة. ابن عباس وقتادة وأبو العالية: علم القرآن: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه.

الضحاك: القرآن والحكم فيه. وقال: في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة منسوخة، وألف آية حلال وحرام، ولا يسع المؤمنون تركهن حتى يتعلموهن فيعلموهن، ولا تكونوا كأهل النهروان تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وإنما نزلت في أهل الكتاب، جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وشهدوا علينا بالضلال وانتهوا الأموال.

فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فيما أنزل لم يختلف في شيء منه نفع أو انتفع به. مجاهد: أما إنها ليست بالنبوة ولكنها القرآن والعلم والفقهاء.

وروى ابن أبي نجيح: الإصابة في القول والفعل. ابن زيد: العقل. ابن المقفع: كل قول أو فعل شهد العقل بصحته. إبراهيم: الفهم. عطاء: المعرفة بالله عز وجل. ربيع: خشية الله. سهل بن عبد الله التستري: الحكمة: السنة.

وقال بعض أهل الإشارة: العلم الرباني. وقيل: إشارة بلا علة، وقيل: إسهاد الحق تعالى على جميع الأحوال.

أبو عثمان: هو النور المفرق بين الإلهام والوسواس. وقيل: تجريد السر لورود الإلهام. القاسم: أن يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك.

بندار بن الحسين وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾. فقال: سرعة الجواب مع إصابة الصواب. وقال أهل اللغة: كل فضل جرّك من قول أو فعل وهى أحكام الشيء الفضل.

... (١) الحكمة الرد على الصواب، وحكمة الدابة من ذلك لأنها تردّها إلى القصد.

منصور بن عبد الله قال: سمعت الكتابي يقول: إن الله بعث الرسل بالنصح لأنفس خلقه، فأنزل الكتب لتبنيه قلوبهم وأنزل الحكمة لسكون أرواحهم، والرسول داع إلى الله، والكتاب داع إلى أحكامه، والحكمة مشيرة إلى فضله.

﴿وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ﴾: قرأ الربيع بن خيثم: (تؤتى الحكمة)، (ومن تؤت الحكمة) بالتاء فيهما. وقرأ يعقوب (ومن يؤت): بكسر التاء أراد من يؤته الله. وقرأ الباقون ﴿وَمَنْ يُؤْتِ﴾: بفتح التاء على الفعل المجهول.

و ﴿وَمَنْ﴾: في محل الرفع على اسم ما لم يسم فاعله، والحكمة خيرها. الحسن بن دينار

(١) بياض بالأصل المخطوط.

عن الحسن في قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ هو الورع في دين الله عز وجل. ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾: يتعظ ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: ذو العقول، واللب من

العقل ما صفا من دواعي الهوى.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ إن تُبَدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ: فيما فرض الله عليكم ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾: أو ما أوجبتموه أنتم على أنفسكم فوقتيم به.

والنذر نذران: نذر في الطاعة، ونذر في المعصية. فإذا كان لله فالوفاء به واجب وفي تركه الكفارة، وما كان للشيطان فلا وفاء ولا كفارة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾: ويحفظه حتى يجازيكم به. وإنما قال ﴿يَعْلَمُهَا﴾: ولم يقل يعلمها؛ لأنه رده إلى الآخر منها كقوله: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ (النساء: ١١٢). قاله الأخفش، وإن شئت حملته على ما، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةَ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ (البقرة: ٢٣١) ولم يقل بها.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: الواضعين النفقة والنذر في غير موضعها بالرياء والمعصية ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾: أعوان يدفعون عذاب الله عز وجل عنهم، والأنصار: جمع نصير، مثل شريف وأشراف وحيب وأحباب.

﴿إِنْ تُبَدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ﴾: وذلك أنهم قالوا: يا رسول صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنْ تُبَدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ أى تظهروها وتعلنوها ﴿فَنِعْمًا هِيَ﴾: أى نعمت الخصلة هى. (وما): فى محل الرفع و﴿هِيَ﴾: لفظ فى محل النصب كما تقول: نعم الرجل رجلاً، فإذا عرفت رفعت فقلت: نعم الرجل زيد.

فأصله نعم ما فوصلت وأدغمت، وكان الحسن يقرأها فنعم ما مفصولة على الأصل، وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع غير ورش وعاصم برواية أبى بكر. وأبو عمرو وأبو بحرية: فنعمًا بكسر النون وجزم العين ومثله فى سورة النساء، واختاره أبو عبيدة ذكر أنها لغة النبى ﷺ قال لعمر بن العاص: «نعمًا بالمال الصالح للرجل الصالح» هكذا روى فى الحديث.

وقرأ ابن عامر ويحيى بن ثابت والأعمش وحزمة والكسائى وخلف بفتح النون والعين فيهما.

وقرأ طلحة وابن كثير ويعقوب وأيوب بكسر النون والعين واختاره أبو حاتم، وهى لغات صحيحة، ونعم ونعم لغتان جيدتان، ومن كسر النون والعين أتبع الكسرة الكسرة لثلاث يلتقى

ساكنان: سكون العين وسكون الإدغام.

﴿وَأِنْ تُخْفَوْهَا﴾ : تسروها ﴿وَتُؤْتُوهَا﴾ تعطوها ﴿الْفُقَرَاءَ﴾ في السر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأفضل، وكلُّ مقبول إذا كانت النيّة صادقة ولكن صدقة السر أفضل.

وفي الحديث: «صدقة السر تطفي غضب الرب وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار، وتدفع سبعين باباً من البلاء». حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلمهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه: الإمام العدل، وشاب نشأ في عبادة الله عزّ وجلّ، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل دعت امرأه ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله تعالى، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لم تعلم يمينه ما ينفق شماله، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه».

﴿وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ﴾ : شهر بن حوشب عن ابن عباس أنّه قرأ ويكفر بالياء والرفع على معنى يكفر الله. وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو يعقوب: بالنون ورفع الراء على الاستئناف، أي نحن نكفر على التعظيم. وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع والأعمش وحمزة والكسائي وأيوب وأبو حاتم: بالنون والجزم معاً على الفاء التي في قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن موضعها جزم الجزاء. ﴿مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ : أدخل ﴿مِنْ﴾ : للتبويض، وعلته: المشيئة ليكون العباد فيها على وجل ولا يتكلموا. وقال نحاة البصرة: معناه: الإسقاط، تقديره: ونكفر عنكم سيئاتكم.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ : وقال أهل المعاني: هذه الآية في صدقة التطوع لإجماع العلماء أن الزكاة المفروضة إعلانها أفضل كالصلاة المكتوبة. فالجماعة أفضل من أفرادها وكذلك سائر الفرائض لمعنيين: أحدهما ليقنّدي به الناس. والثاني إزالة التهمة لثلاثي يسيء الناس به الظن ولا رياء في الغرض، فأما النوافل والفضائل فأخفاؤها أفضل لبعدها من الرياء والآفات، يدل عليه ما روى عمّار الذهبي عن أبي جعفر أنّه قال في قوله: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ قال: يعني الزكاة المفروضة، ﴿وَأِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ : يعني التطوع.

وعن معد بن سويد الكلبي يرفعه: أن النبي ﷺ سئل عن الجهر بالقراءة والإخفاء بها فقال: «هي بمنزلة الصدقة ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ». كثير بن مرة عن عقبه ابن عامر عن النبي ﷺ قال: «المسرّ بالقرآن كالمسرّ بالصدقة والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة». وروى علي بن طلحة عن ابن عباس في هذه قال: جعل الله عزّ وجلّ صدقة التطوع في السر تفضل علانيتها بسبعين ضعفاً، وصدقة الفريضة تفضل علانيتها بخمسة وعشرين ضعفاً، وكذلك جميع الفرائض والنوافل.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسُكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَقُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٠١﴾

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾: قال الكلبي: اعتمر رسول الله ﷺ عمرة القضاء وكانت معه في تلك العمرة أسماء بنت أبي بكر، فجاءتها أمها قتيلة وجدتها تسألانها وهما مشركتان، فقالت: لا أعطيكما شيئاً حتى أستامر رسول الله ﷺ فإنكما لستم على ديني، فاستأمرته في ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمرها رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية أن تصدق عليهما فأعطتهما ووصلتهما.

قال الكلبي: ولها وجه آخر، وذلك أن ناساً من المسلمين كانت لهم رضاع في اليهود وكانوا يُنفقونهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن يُنفقوهم وأرادوا أن يُسلموا، فاستأمروا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية فأعطوهم بعد نزولها.

وقال سعيد بن جبير: كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة، فلما كثر فقراء المسلمين قال رسول الله ﷺ: «لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم». فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: وأراد بالهدى: التوفيق والتعريف؛ لأنه كان على رسول الله ﷺ هدى البيان والدعوة.

وعن عمر بن عبد العزيز قال: بلغني أن عمر بن الخطاب رأى رجلاً من أهل الذمة يسأل على أبواب المسلمين فقال: ما أنصفناك أخذنا منك الجزية ما دمت شاباً ثم ضيعناك اليوم، فأمر أن تجرى عليه قوته من بيت المال.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسُكُمْ﴾: شرط وجزاء، والخير هاهنا المال ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾: شرط كالأول لذلك حذف النون منها في الموضعين.

﴿يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ﴾: جزاؤه، كأن معناه: يؤدى إليكم، فكذلك أدخل إلى ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ﴾: لا تُظلمون من ثواب أعمالكم شيئاً.

واعلم أن هذه الآية في صدقة التطوع، أباح الله أن يتصدق المسلم على المسلم والذمي، فأمّا صدقة الفرض فلا يجوز إلا للمسلمين، وهما أهل السهمين الذين ذكرهم الله تعالى في

سورة التوبة، ثم دلّهم على خير الصدقات وأفضل النفقات، فقال الله تعالى:

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: واختلف العلماء في موضع هذه اللام، فقال بعضهم: هو مردود على موضع اللام من قوله ﴿فَلَا تُنْسِكُمْ﴾: كأنه قال: وما تنفقوا من خير للفقراء وإنما تنفقون لأنفسكم ثوابها راجع إليكم، فلما اعترض الكلام قوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: وأدخل الفاء التي هي جواب الجزاء فيها، تركت إعادتها في قوله للفقراء إذ كان معنى الكلام مفهوماً.

وقال بعضهم: خبر محذوف تقديره: للفقراء ﴿الَّذِينَ﴾ صفتهم كذا، حق واجب، وهم فقراء المهاجرين وكانوا نحواً من أربعمائة رجل ليس لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جعلوا أنفسهم في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون بالنهار (١) وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ (١) يوماً على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم فنبت قلوبهم فقال: «أبشروا يا أصحاب الصفة، فمن بقى من أمتى على النعت الذي أتم عليه راضياً بما فيه فإنهم من رفقائي».

وروى أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه أرسل إلى سعيد بن عامر بألف درهم فجاء كثيراً حزينا فقالت له امرأته: حدث أمر، قال: أشد من ذلك، ثم قال: أرئني درعك الخلق فشقه وجعله صُرراً ثم قام يصلى ويبكى إلى الغداة، فلما أصبح قام بالطريق فجعل ينفق كل صرة حتى أتى على آخرها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجيء فقراء المهاجرين يوم القيامة للحساب فيقولون هل أعطيتمونا شيئاً فتحاسبونا عليه فيدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسائة عام، حتى إن الرجل من الأغنياء ليدخل في غمارهم فيؤخذ فيستخرج، فأراد عمر أن يجعلني ذلك الرجل وما يسرني أني كنت ذلك الرجل وأن لى الدنيا وما فيها».

﴿أَحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي حبسوا ومنعوا في طاعة الله ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾: سيراً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: وتصرفاً فيها للتجارة وطلب المعيشة، نظيره قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (المزمل: ٢٠).

قال الشاعر:

قليل المال يصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد
وحفظ المال أيسر من بغاة وضرب في البلاد بغير زاد

قال قتادة: معناه: حبسوا أنفسهم في سبيل الله عز وجل للغزو والعبادة فلا يستطيعون ضرباً في الأرض ولا يتفرغون إلى طلب المعاش. وقال ابن زيد: من كثرة ما جاهدوا لا

(١) بياض بالأصل المخطوط.

يستطيعون ضرباً في الأرض، فصارت الأرض كلها حرباً عليهم لا يتوجهون جهة إلا ولهم فيها عدو.

وقال سعيد: هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ فصاروا زمنى فأحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في الأرض، واختاره الكسائي، قال: أحصروا من المرض، فلو أراد الحبس لقال: حصروا، وإنما الإحصار من الخوف أو المرض، والحصر الحبس في غيرهما.

﴿يَحْسِبُهُمْ﴾: قرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة والأعمش وحمزة وعاصم يحسب وبابه بفتح السين في جميع القرآن.

والباقون بالكسر. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم وقيل إنها لغة النبي ﷺ.

عن عاصم بن لقيط بن صبرة عن أبيه وافد بنى المشفق قال: قدمت على رسول الله ﷺ أنا وصاحب لي فذكر حديثاً فقال ﷺ للراعي: «اذبح لنا شاة»، ثم قال: «لا تحسبن أنا إنما ذبحناها من أجلكم. ولم يقل يحسبن أنا إنما ذبحناها لك.، ولكن لنا مائة من الغنم فإذا زادت شاة ذبحنا شاة لا نزيد أن نزيد على المائة».

﴿الْجَاهِلُ﴾: بأمرهم وحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾: من تعففهم عن السؤال، والتعفف: التفضل من العفة وهو الترك، يقال: عفا عن الشيء إذا كف عنه، وعفيف إذا تكلف في الإمساك.

قال رؤية:

❖ فَعَفَّ عَنْ إِسْرَارِهَا بَعْدَ الْغَسَقِ ❖

وقال محمد بن الفضل: يمنهم علوهمتهم رفع جوابهم إلى مولاهم.

﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: قرأ حمزة والكسائي بالإمالة. الباقون بالتفخيم، والسيما والسيما:

العلامة التي يعرف بها الشيء، وأصلها من السمّة، واختلفوا في السيميا التي يعرفون بها.

فقال مجاهد: هو التخشع والتواضع. الربيع والسدى: أثر الجهد من الحاجة والفقر.

الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضر، ابن زيد: رثانة ثيابهم فالجوع خفى على الناس،

يمان: النحول والسكينة. الثورى: فرحهم بفقرهم واستقامة أحوالهم عند موارد البلاء

عليهم، المرتضى: غيرتهم على فقرهم وملازمتهم إياه. أبو عثمان: إيثار ما يملكون مع

الحاجة إليه.

قال بعضهم: تطيب قلوبهم وبشاشة وجوههم وحسن حالهم ونور أسرارهم وجولان

أرواحهم في ملكوت ربهم.

﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا﴾ : قال عطاء : يعنى إذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء ، فإذا كان عنده عشاء لم يسأل غداء . وقال أهل المعانى : لا يسألون الناس إحقاقاً ولا غير إحقاقاً لأنه قال من التعفف ، والتعفف ترك السؤال أصلاً وقال أيضاً : ﴿تَعَرَّفَهُمْ بِسِمَتِهِمْ﴾ ولو كانت المسألة من شأنهم لما كان للنبي ﷺ إلى معرفتهم بالعلامة والدلالة حاجة ، إذ السؤال يغنى عن حالهم وهذا كما قلت فى الكلام : قال ما رأيت مثل هذا الرجل ، ولعلك لم تر مثله قليلاً ولا كثيراً ، قال الله عز وجل : ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ٨٨) وهم كانوا لا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً .

وأشدد الزجاج :

على لاحب لا يهتدى لمنازة إذا ساقه العود النباطى جرجرا

معناه : ليس له منار فيهتدى له .

كذلك معنى الآية : ليس لهم سؤال فيقع فيه إحقاق ، والإلحاف : الإلحاح واللجاج فى السؤال ، وهو مأخوذ من لحف الحبل وهو خشونته ، كأنه استعمل الخشونة فى الطلب .
روى هشام عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مَنْ سَأَلَ وَلَهُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا فَقَدْ أَحْلَفَ» .

قال هشام : قال الحسن : صاحب الخمسين درهماً غنى عطاء بن يسار عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : «ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقتان والتمرّة والتمرتان ، إنّما المسكين المتعفف» . اقرءوا إن شئتم ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا﴾ .

الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ النِّعْمَةِ عَلَى عَبْدِهِ ، وَيَكْرَهُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَوُّسَ ، وَيَحِبُّ الْحَلِيمَ الْمُتَعَفِّفَ مِنْ عِبَادِهِ وَيَبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ السَّائِلَ اللَّحْفَ» .

وعن قبيصة بن مخارق قال : أتيت النبى ﷺ استعنته فى حمالة فقال : «أقم عندنا حتى تأتينا الصدقة فإما أن نحملها وإما أن نعينك فيها ، واعلم أنّ المسألة لا تحل إلاّ لثلاثة : لرجل يحمل حمالة عن قوم فسأل فيها حتى يؤديها ثم يمسك ورجل أصابته حاجة فأذهبت ماله فسأل حتى يصيب سداداً من عيش أو قواماً من عيش ثم يمسك ، ورجل أصابته فاقة حتى شهد له ثلاثة من ذوى الحجا من قومه فسأل حتى يصيب سداداً أو قواماً من عيش ثم يمسك ، فما سوى ذلك من المسائل سحت يأكله صاحبه يا قبيصة سحتاً» .

وروى قتادة عن هلال بن حصن عن أبى سعيد الخدرى قال : أعوزنا مرة فقبل لى : لو

أتيت رسول الله ﷺ فسألته، فانطلقت إليه معتفياً، فقال أول ما واجهني به: «من استعفف عفه الله، ومن استغنى أغناه الله، ومن سألنا لم ندخر عنه شيئاً نجده».

قال: فرجعت إلى نفسي فقلت: ألا أستعفف فعفني الله، فرجعت فما سألت نبي الله ﷺ شيئاً بعد ذلك من حاجة حتى مالت علينا الدنيا فغرقتنا إلا من عصمه الله.

وقال ﷺ: «إن الله عز وجل كره لكم القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ونهى عن عقوق الأمهات وواد البنات وعن منع وهات».

وقال ﷺ: «الأيدي ثلاثة: بيد الله العليا، بيد المعطى الوسطى ويد السائل السفلى إلى يوم القيامة. ومن سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة كدوحاً أو خموشاً أو خدوشاً فى وجهه». قيل: وما غناه يا رسول الله؟ قال: «خمسون درهماً أو عدها من الذهب».

﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾: قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: وعليه يجازيه.



﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿يَحَقُّ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ الآية. مجاهد عن ابن عباس قال: كان عند على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - أربعة دراهم لا يملك غيرها، فتصدق بدرهم سرّاً، ودرهم علانية، ودرهم ليلاً ودرهم نهاراً، فنزلت: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ الآية.

وعن يزيد بن رومان قال: ما نزل فى أحد من القرآن ما نزل فى على بن أبى طالب رضى الله عنه. أبو صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يسبق الدرهم مائة ألف» قالوا: يا رسول الله وكيف يسبق الدرهم مائة ألف؟ قال: «رجل له درهمان فأخذ أحدهما وتصدق به، ورجل . . . (١) فأخرج من غرضها مائة ألف فتصدق بها».

وروى جوير عن الضحاک عن ابن عباس، قال: لما أنزل الله عز وجل ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة إلى أصحاب الصفة حتى

(١) بياض بالأصل المخطوط.

أغناهم، وبعث على بن أبي طالب رضى الله عنه فى جوف الليل بوسق من تمر - والوسق ستون صاعاً - وكان أحب الصدقتين إلى الله عزّ وجلّ صدقة على رضى الله عنه فأنزل الله فيهما ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ الآية، فعنى بالنهار علانية صدقة عبد الرحمن بن عوف وبالليل سرّاً صدقة على رضى الله عنه.

وقال أبو أمامة وأبو الدرداء ومكحول والأوزاعى ورباح بن يزيد: هم الذين يمتطون الخيل فى سبيل الله يُنفقون عليه بالليل والنهار سرّاً وعلانية، نزلت فيمن لم يرتبط الخيل تخيلاً ولا افتخاراً، يدلّ عليها ما روى سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ قال: «نزلت فى أصحاب الخيل». قال غريب: والجن لا يقرب بيتاً فيه عتيق من الخيل، ويروى أنه أشار إلى بعض خيل كانت فى الخيانة فأشار إلى عتاق تلك الخيل فقال: هؤلاء الذين يُنفقون أموالهم بالليل والنهار. الآية.

وعن حبس بن عبد الله الصنعانى أنّه قال: حدّث ابن عباس فى هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ فقال: فى علف الخيل. وعن أبى شريح عمّن حدّثه عن أبى الفقيه أنّه قال: من حبس فرساً كان ستره من النار، وسقطت منه حسنة، وكان أبو هريرة إذا مرّ بفرس سمين تلا هذه الآية، وإذا مرّ بفرس أعجف سكت.

شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ: «من ارتبط فرساً فى سبيل الله فأنفق عليه احتساباً، كان شبعه وجوعه وريّه وظمؤه وبوله وروثه فى ميزانه يوم القيامة».

عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن محكول قال: قال رسول الله ﷺ: «المنفق فى سبيل الله على فرسه كالباسط كفيّه بالصدقة».

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: قال الأخفش (١): إنه جعل الخبر بالفاء إذا كان الاسم الذى وصل به لأنه فى معنى من وجواب من بالفاء فى الجزاء، ومعنى الآية: من أنفق فله أجره.

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾: ومعنى الربا: الزيادة على أصل المال فى غير بيع يقال: ربا الشيء إذا زاد، وأربى عليه وعامل عليه إذا زاد عليه فى الربا. قال عمر رضى الله عنه: لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلاً بمثل، ولا تبيعوا الذهب بالذهب أحدهما غائب والآخر حاضر، وإن استنترك حتى يلج بيته فلا تنظره إلا يداً بيد هات وهذا أنى أخاف عليكم الربا.

قالوا: وقياس كتابته بالياء لكسرة أوله، وقد كتبوه فى القرآن بالواو. قال الفراء: إنَّما كتبوه كذلك لأنَّ أهل الحجاز تعلَّموا الكتابة من أهل الحيرة ولغتهم الربوا، فعلموهم صورة الحرف على لغتهم فأخذوه كذلك عنهم. وكذلك قرأها الضحاك الربوا بالواو.

وقرأ حمزة والكسائي بالإمالة مكان كسرة الراء. وقرأ الباقون بالتفخيم بفتحة الباء، قالوا: اليوم فأنت فيه (بالخيار إن شئت) كتبته على ما فى المصحف موافقة له، وإن شئت بالياء وإن شئت بالألف. ومعنى قوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ يأكلونه حق الأكل لأنَّه معظم الأمر.

والربا فى أربعة أشياء: الذهب، والفضة، والمأكول، والمشروب. فلا يجوز بيع بعضها ببعض إلا مثلاً بمثل ویداً بید، وإذا اختلف الصنفان جاز التفاضل فى النقد وحرّم فى النسيئة، ولا يجوز صاع بر بصاعين لا نقداً ولا نسيئة لأنَّهما جنس واحد، وكذلك الذهب بالذهب مثقال باثنين لا نقداً ولا نسيئة، وكذلك الفضة بالفضة، وكذلك صاع بر بصاعين شعير وصاع شعير بصاعين بر نقداً ولا يجوز نسيئة، ويجوز مثقال بعشرين درهماً أو أقل أو أكثر نقداً ولا يجوز نسيئة، وجماع ما شايح الناس عليه ثلاثة أشياء: أحدها: ما يعتدى به ممَّا كان مأكولاً أو مشروباً. والثانى: ما كان ثمناً للأشياء وقيمة للمتلفات وهو الذهب والفضة فهذان فيهما الربا فلا يجوز بيع شىء متفاضلاً نقداً ونسيئة، والصنف الثالث: ما عدا هذين مما لا يؤكل ولا يشرب ولا يكون ثمناً، فلا ربا فيه فيجوز بيع بعضه ببعض متفاضلاً نقداً ونسيئة. فهذا جملة القول فيما فيه الربا على مذهب الشافعى.

وقال مالك: كلّ ثمن أو ما يقتات أو ما يصلح به القوت فهو الذى فيه الربا.

وقال أهل العراق: كلّ مكيل أو موزون فيه الربا. وقال أهل الحجاز ما روى محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار وعبد الله بن عتيك قالوا: جمع المنزل بين عبادة بن الصامت ومعاوية، فقال عبادة: نهانا رسول الله ﷺ عن بيع الذهب بالذهب والورق بالورق والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر، وقال أحدهما: والملح بالملح، وقال الآخر: إلا مثلاً بمثل ویداً بید، وأمرنا أن نبيع الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والشعير بالبر ویداً بید كيف شئنا قال أحدهما: فمن زاد أو ازداد فقد أربى.

قوله تعالى: ﴿لَا يَوْمُونَ﴾ يعنى يوم القيامة من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ أى يصرعه ويخبطه ﴿الشَّيْطَانُ﴾ وأصل الخبط الضرب والوطء ويقال ناقة خبوط، التى تطأ الناس وتضرب بقوائمها الأرض. قال زهير:

تمته ومن تخطئ يعمر فيهم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

﴿مِنَ الْمَسِّ﴾: الجنون. يقال: مسّ الرجل وألس فهو ممسوس ومالوس، إذا كان مجنوناً، وأصله مسّ الشيطان إياه. ومعنى الآية: إن أكل الربا يبعثه الله يوم القيامة مجنوناً... (١)

وذلك علامة أهل الربا يبعثون وفيهم خبل من الشيطان. قاله قتادة.

أبو هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ فى قصة الإسراء، قال: «فانطلق بى جبرائيل إلى رجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم متصددين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا.

قال: فيقبلون مثل الإبل المنهومة يخبطون الحجارة لا يسمعون ولا يعقلون فإذا أحسّ بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون، ثم يقوم أحدهم فتميل بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيطؤونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة». قال: «وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبداً قال: ويوم يقال لهم: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٦) قال: قلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ قال: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ آرِبًا لَا يَتَّقُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾».

حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى الصلت عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ لما أُسرى به رأى فى السماء رجالاً بطونهم كالبيوت فيها الحيات تُرى خارج بطونهم فقلت: «من هؤلاء يا جبرائيل؟».

قال: هؤلاء أكلة الربا ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ أى ذلك الذى نزل بهم لقولهم هكذا واستحللهم إياه.

وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أجل ماله على غريمه فطالبه بذلك يقول الغريم لصاحب الحق: زدنى فى الأجل وأمهلنى حتى أزيدك فى مالك فيفعلان ويقولان: سواء علينا الزيادة فى أول البيع بالربح أو عند محل المال لأجل التأخير. فكذبهم الله تعالى فقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ تَذَكِيرٌ وَتَخْوِيفٌ. قال السدى: أما الموعظة فالقرآن، وإنما ذكر الفعل لأن الموعظة والوعظ واحد.

وقرأ الحسن: فمن جاءته موعظة كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

(يونس: ٥٧).

﴿مِنَ رَبِّهِ فَأَنْتَهَى﴾: من أكل الربا ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أى ما مضى من ذنب قبل النهى فهو مغفور له ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يعنى النهى إن شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وإن شاء خذله حتى

يعود، وقيل: وأمره إلى الله فيما يأمره وينهاه ويحلّ له ويحرّم عليه وليس إليه من أمر نفسه شيء. وفيه يقول محمود الوراق:

إلى الله كل الأمر في كل خلقه وليس إلى المخلوق شيء من الأمر
﴿وَمَنْ عَادَ﴾: بعد التحريم والموعظة إلى أكل الربا مستحلاً له ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ﴾ أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الربا سبعون باباً أهونها عند الله
كالذي ينكح أمه».

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن عبد الله بن مسعود قال: لعن رسول الله ﷺ
أكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده.

الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بقرية هلاكاً أظهر فيهم الربا».
﴿يَحْقُقُ اللَّهُ﴾: أى ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته وإن كان كثيراً كما يحق القمر. وعن
عبد الله بن مسعود رفعه إلى النبي ﷺ قال: «إن الربا وإن كثر فإن عاقبته إلى قلة».
وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس: ﴿يَحْقُقُ اللَّهُ﴾ يعنى لا يقبل منه صدقة ولا جهاداً
ولا حجاً ولا صلة.

﴿وَرَبِّيَ أَصَدَقْتِ﴾: أى يزيدها ويكثرها ويبارك فيها فى الدنيا ويضاعف الأجر والثواب
فى العقبى وإن كانت قليلة، قال عزّ من قائل: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (البقرة: ٢٤٥).
القاسم بن محمد قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ يقبل
الصدقات ولا يقبل منها إلا الطيب ويأخذها بيمينه ويربّيها كما يربّي أحدكم مهره أو فصيله
حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد» وتصديق ذلك فى كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ
التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ (التوبة: ١٠٤).

﴿حَقَّ اللَّهُ الرِّبَا وَرَبِّيَ أَصَدَقْتِ﴾ قال يحيى بن معاذ: لا أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة
من الصدقة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحريم الربا مستحل له ﴿أثم﴾.



﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَكُمُورٌ وَسْ أَمْوَالِكُمْ لَا
تُظْلَمُونَ وَلَا تَظْلَمُونَ﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنتَقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ قال عطاء وعكرمة: نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر: لا يبقى ما يكفي عيالي إن أنتما أخذتما حقكما كله فهذا لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما فقبلا، فلما جاء الرجل طلبا الزيادة، فبلغ ذلك إلى رسول الله ﷺ فنهاهما وأنزل الله هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذوا رؤوس أموالهما.

وقال السدي: نزلت في العباس بن عبد المطلب وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا إلى بنى عمرو بن عمير. ناس من ثقيف. ولهما أموال عظيمة في الربا، فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي ﷺ: «وإن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع وأول الربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب، وكل دم من دم الجاهلية موضوع وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب. كان مريضاً في بنى ليث قتله هذيل».

وقال مقاتل: أنزلت في أربعة إخوة من ثقيف: مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة، وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي وكانوا يداينون المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكانوا يربون، فلما ظهر النبي ﷺ على الطائف وصالح ثقيفاً أسلم هؤلاء الأربعة الإخوة وطلبوا رباهم من بنى المغيرة، فقالت بنو المغيرة: والله ما نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله ورسوله عن المؤمنين، فما يجعلنا أشقى الناس بهذا، فاختصموا إلى عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية. وكان عامل رسول الله ﷺ على مكة وقال: «أبعثك على أهل الله» فكتب عتاب إلى النبي ﷺ بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيماً فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنتَقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ وذر لفظ تهديد، وقرأ الحسن ما بقي بالألف وهي لغة طيء، ويقول للحجارية: جارة، وللناصرية: ناصة.

قال الشاعر منهم:

لعمرك ما أخشى التصعلك ما بقا على الأرض قيسى يسوق الأباغرا
﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾: إذا كنتم ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: كقوله: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩)
﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾: فإن لم تدرؤا ما بقى من الربا ﴿فَأَذْنُوا﴾: قرأ الأعمش وعاصم وحمرزة رواية أبي بكر ﴿فَأَذْنُوا﴾: ممدوداً على وزن آمنوا وقرأ الباقون (فاذنوا): مقصوراً مفتوح الذال، وهي قراءة على واختيار أبي عبيد وأبي حاتم.
فمن قصر معنا: فاعلموا أنتم واسمعوا، يقال: أذن الشيء يأذن أذناً وأذانة إذا سمعه

وعلمه . قال الله : ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّت ﴾ (الانشقاق: ٢) . ومن مدّ معناه : فاعلموا غيركم . قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا أَأُذِنُكَ مَا مِثْلًا مِنْ شَهِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٧) .

وأصل الكلمة من الأذن أى أقعوه فى الأذان .

﴿ بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ : سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : يقال يوم القيامة لا تأكل الربا : خذ سلاحك للحرب . وروى الوالى عنه قال : مَنْ كَانَ مَقِيمًا عَلَى الرَّبَا لَا يَنْزِعُ عَنْهُ ، فَحَقَّ عَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْتَتِيهِ فَإِنْ نَزَعَ وَإِلَّا ضَرَبَ عُنُقَهُ .

وقال أهل المعانى : حرب الله وحرب رسوله السيف ﴿ وَإِنْ تَبَنُّوا فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ بطلب الزيادة ﴿ وَلَا تَظْلِمُونَ ﴾ النقصان عن رأس المال . وروى أبان والمفضل عن عاصم بضم التاء الأولى وفتح الثانية . قال أهل المعانى إنها شرط التوبة لأنهم إن لم يتوبوا كفروا بردّ حكم الله واستحلال ما حرّم الله فيصير مالهم فيئاً للمسلمين . فلما نزلت هذه الآيات قالت بنو عمرو بن عمير لبنى المغيرة : بل نتوب إلى الله فإنه ليس لنا يدان بحرب الله وحرب رسوله فرضوا برأس المال وسلّموا لأمر الله فشكى بنو المغيرة العسرة وقالوا : أخرونا إلى أن ندرك الغلات ، فأبوا أن يؤخروا فأنزل الله .

﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ : رفع الكلام باسم كان ولم يأت لها بخبر وذلك جائز فى النكرة . يقول العرب : إن كان رجلٌ صالح فأكرمه ، وقيل : كان لمعنى وقع الحدث وحينئذ لا يحتاج إلى الخبر .

وقرأ أبى وابن مسعود وابن عباس : إن كان ذا عسرة على إضمار الاسم وأن الغريم أو المطلوب ذا عسرة . وقرأ أبان بن عثمان : ومن كان ذا عسرة لهذه الغلّة . وقرأ الأعمش : وإن كان معسر وهو دليل قراءة العامة .

والعسرة : الفقر والضيق والشدة . وقرأ أبو جعفر : عسرة بضم السين ، وهما لغتان .

﴿ فَتَنْظُرُهُ ﴾ : أمر فى صيغة الخبر ، والفاء فيه لجواب الشرط تقديره : فعليه نظرة ، أى قال : واجب نظره بالنصب على معنى فليتنظر نظرة لكان صواباً كقوله فضرب الرقاب ، والنظرة : الإِنْظَار .

وقرأ أبو رجاء والحسن وقتادة : فناظرة بكسر الظاء ورفع الراء والهاء أى منتظرة . وقرأ عطاء بن أبى رباح : فنظرة ساكنة الظاء وهى مصدر يجوز أن يكون من النظر والانتظار جميعاً . ﴿ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ : قرأ عطاء وشيبة ونافع وحמיד بن محيصن : (ميسرة) بضم السين والتونين . وقرأ عمر وعلى وأبو رجاء والحسن وقتادة وعبد الله بن مسلم وأبو جعفر وابن كثير وابن عامر

وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي وخلف وأبو عمرو ويعقوب وأيوب: (ميسرة) بالتنوين وفتح السين وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم لأنها اللغة السائرة. وقرأ مجاهد وأبو سراح الهذلي: (ميسرة) بضم السين مضافاً هو مثله روى زيد بن يعقوب، وروى الأعمش عن عاصم عن زر عن عبد الله أنه كان يقرأها: فناظروه إلى ميسورة، وكلها لغات معناها اليسار والغنى والسعة.

﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾: رؤوس أموالكم على المعسر فلا تطالبونه بها ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وقرأ عاصم: تصدقوا بتخفيف الصاد. الباقر بتشديده.

❖ ذكر حكم الآية:

أمر الله تعالى بإنظار المعسر فمتى ما أعسر الرجل وتبين إعساره، فلا سبيل لرب المال إلى مطالبته بماله إلى أن يظهر يساره، فإذا ظهر يساره كان عليه توفير الحق إلى رب المال وعلم أن الحقوق تخلف وكل حق لزم الإنسان عوضاً عن مال حصل في يده مثل قرض أو ابتياع سلعة، فإذا ادعى الإعسار لزمته البيّنة على الإعسار؛ لأن الأصل فيه استغناؤه بحصول ما صار في يده، وكل حق لزمه من غير حصول مال في يده كالمهر والضمنان، فإذا ادعى الإعسار لزم ربّ المال أمامه البيّنة على كونه موسراً لأن الأصل في الناس الفقر، وإذا لم يعلم له حالة استغناء كان الحكم فيه البقاء على أصل ما كان عليه إلى أن يتبين يساره.

وقال الحسن: إذا قال: أنا معدم، فالقول قوله مع يمينه وعلى غريمه إظهار ماله وبيّنة أو عيان.

وكان أبو حنيفة يرى أن يحبس شهرين أو ثلاثة ثم يسأل عنه في السرّ، فإن تبين أنه معسر خلّى عنه.

ودليل من قال: لا يحبس، حديث أبي سعيد الخدري قال: أصيب رجل في ثمار فكثرت دينه، فقال رسول الله ﷺ: «خذوا ما وجدتم ليس لكم إلا ذلك».

وكان أبو هريرة على قضاء المدينة فأتاه رجل بغريم فقال: أريد أن تحبسه.

قال: هل تعلم له عين مال نأخذه منه فنعطيك؟

قال: لا، قال: فهل تعلم له أصل مال فنيبعه ونعطيك؟

قال: لا، قال: فما تريد، قال: أريد أن تحبسه، قال: «لكنني أدعه يطلب لك ولنفسه

وعياله فإذا أيسر لزمه قضاء الدين».

سعید بن جبیر عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من مشى إلى غريمه بحقه صلت

عليه دواب الأرض ونون الماء وكتب الله عزّ وجلّ بكلّ خطوة شجرة تغرس له فى الجنة وذنباً يغفر له فإن لم يفعل ومطل فهو متعد» .

أبو الزباد الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «الظلم مظل الغنى فإذا أتبع أحدكم على ملىء فليتبع» .

❖ فى فضل إنظار المعسر :

زيد بن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ أَنْظَرَ مَعْسِراً أَوْ وَضَعْ لَهُ ، أَظْلَمَهُ اللهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» ، وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتَجَابَ دَعْوَتُهُ وَيَكْشِفَ كَرْبَتَهُ فَلْيَسِّرْ عَلَى الْمَعْسِرِ» .

ربيع بن خراش عن حذيفة بن اليمان قال : أتى الله عزّ وجلّ بعبد يوم القيامة فقال أى ربّ ما عملت لك خيراً قط أريدك به إلا أنّك رزقتنى مالاً فكنت أتوسع على المعسر . وأنظر المعسر ، فيقول الله عزّ وجلّ : أنا أحقّ بذلك منك فتجاوزوا عن عبدى .

قال : فقال أبو مسعود الأنصارى : فأشهد على رسول الله أنه سمعه منه .

الأعمش عن أبى داود عن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أَنْظَرَ مَعْسِراً كَانَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ» ثم قال بعد ذلك : «مَنْ أَنْظَرَ مَعْسِراً كَانَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَ الَّذِي أَنْظَرَهُ صَدَقَةٌ» قال : فقلت : يا رسول الله قلت : مَنْ أَنْظَرَ مَعْسِراً فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ ، ثم قلت : من أنظر معسراً كان له بكلّ يوم مثل الذى أنظره صدقة .

قال : «إن قولى بكلّ يوم صدقة قبل الأجل ، وقولى بكلّ يوم مثل الذى أنظره صدقة بعد الأجل» وعن سعيد بن أبى سعيد عن أخيه عن أبيه : أن جابر بن عبد الله خرج إلى غريم له يتقاضاه فقال هاهنا حقى ، فقالوا : لا فتنحى فلم يلبث أن خرج مستحيماً منه فقال : ما حملك على أن تحبسنى حقى وتغيّب وجهك عنى ؟ قال : العسرة ، قال : قال الله : ﴿ فَظَرُّهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ ، فأخرج كتابه فمحاه .

❖ فصل فى الدين :

جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ الدَّائِنِ حَتَّى يَقْضَى دَيْنَهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِمَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» قال : فكان عبد الله بن جعفر يقول لخازنه : اذهب فخذ لنا بدين فإنى أكره أن أبيت ليلة إلا والله عزّ وجلّ معى منذ سمعت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ .

عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أَدَانَ دَيْناً وَهُوَ يَنْوِي أَنْ لَا

يؤديه فهو سارق» .

عثمان بن عبد الله عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه : أن رجلاً أتى به النبي ﷺ ليصلى عليه ، فقال : «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ فَإِنَّ عَلَيْهِ دِينًا» قال أبو قتادة : فأنا أكفل به ، قال : «بالوفاء» ، قال بالوفاء فصلى عليه وكان عليه ثمانية عشر درهماً أو سبعة عشر درهماً .

وعن أبي سعيد الخدري ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أعوذ بالله من الكفر والدين» فقال رجل : يا رسول الله يعدل الدين بالكفر؟ قال : «نعم» .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «الدين راية الله في الأرض ، فإذا أراد أن يذل عبده ابتلاه بالدين وجعله في عنقه» . وعن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من خطيئة أعظم عند الله بعد الكبائر من أن يموت الرجل وعليه أموال الناس ديناً في عنقه لا يوجد لها قضاء» .

يزيد بن أبي خالد عن ابن أيوب عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ قال : «إياكم والدين فإنه هم بالليل ومذلة بالنهار» .

﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ : قرأ أبو بحرية وأبو عمرو وسلام ويعقوب : (ترجعون) بفتح التاء واعتبروا بقراءة أبي (فاتقوا يوماً تصيرون فيه إلى الله) . وقرأ الآخرون بضم التاء اعتباراً بقراءة عبد الله . (واتقوا يوماً تُردون فيه إلى الله) .

﴿تُرْتَوَىٰ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ : الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ قال : هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ ، قال جبرائيل : وضعها على رأس ثمانين ومائتين من البقرة .

سفيان عن عاصم عن الشعبي عن ابن عباس قال : هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ .

❖ فصل في تفصيل آخر ما نزل من القرآن :

قال المفسرون : لما نزلت هذه الآية : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر : ٣٠) قال رسول الله ﷺ : «ليتني أعلم متى يكون ذلك» فأنزل الله تعالى سورة النصر ، فكان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه السورة يسكت من التكبير والقراءة فيقول فيها : «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه» فقيل : إنك لم تكن تقوله يا رسول الله قبل هذا ، قال : «إنها نفسي نعتت إلي» ثم بكى بكاء شديداً فقيل : يا رسول الله أوتبكي من الموت وقد عفا الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : «فأين هول المطلع فأين ضيق القبر وظلمة اللحد فأين القيامة والأهوال» فعاش رسول الله

ﷺ ستة أشهر ثم لما خرج رسول الله ﷺ إلى حجة الوداع نزلت عليه فى الطريق ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (النساء: ١٧٦) إلى آخرها فسميت آية الصيف . ثم نزلت عليه وهو واقف بعرفة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣) الآية فعاش بعدها واحداً وثمانين يوماً ، ثم نزلت عليه آيات الربا ، ثم نزلت بعدها ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ : وهى آخر آية نزلت من السماء ، فعاش رسول الله ﷺ بعدها واحداً وعشرين يوماً .

قال ابن جريج : تسع ليال . سعيد بن جبير ومقاتل : سبع ليال ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة وواحدة من ملك أردشير شيرون بن أبريز بن هرمز بن أنوشروان .



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكُتَبْ بَيْنَكُم كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكُتَبْ وَلِيُمَلِّ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَلَّ هُوَ فَلْيُمَلِّ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشُّهَدَةِ وَأَدْنَىٰ إَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُم﴾ قال ابن عباس : لما حرم الله الربا ، أباح السلم ، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُم﴾ : أى دابن بعضكم بعضاً ، والدين ما كان مؤجلاً والعين ما كان حاضراً ، يقال : دان فلاناً يدينه ، إذا أعطاه الدين فهو دابن ، والمعطى مدين ومديون . قوله : ﴿تَدَايَنُم بِدَيْنٍ﴾ يدخل فيه الدين والنسيئة والسلم وما كان مؤجلاً من الحقوق .

فإنما قال : ﴿بِدَيْنٍ﴾ والمداينة لا تكون إلا بدين لأن المداينة قد تكون مجازاة وتكون معاطاة فأبان ذلك وقيده بقوله ﴿بِدَيْنٍ﴾ .

وقوله : هو بمعنى التأكيد كقوله : ﴿وَلَا طَبْرَ طَبْرٍ بِجُنَاحِيهِ﴾ (الأنعام: ٣٨) ، وقوله : ﴿فَسَجَدَ

الْمَلَكِ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿ (الحجر: ٣٠).

﴿إِلَىٰ أَجْلِ مُسَىٰ﴾: أي وقت معلوم ﴿فَأَكْتَبُوهُ﴾: أي اكتبوا الذي تداينتم به بيعاً كان أو قرضاً لئلا يقع فيه جحود ولا نسيان ولا تدافع.

واختلفوا في هذا الكتابة، هل هي واجبة أم لا؟ فقال بعضهم: فرض واجب، قال ابن جريج: مَنْ أَدَانَ فَلْيَكْتُبْ، وَمَنْ بَاعَ فَلْيُشْهَدْ. وهذا القول اختيار محمد بن جرير الطبري، يدل عليه ما روى الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يدعون الله فلا يُستجاب لهم:

رجل كانت عنده امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها. ورجل كان له دين فلم يشهد، ورجل أعطى سفيهاً مالاً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ (النساء: ٥).

قال قوم: هو أمر استحباب وتخيير فإن كتب فحسن وإن ترك فلا بأس.

كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ (المائدة: ٢). وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الجمعة: ١٠). هو اختيار الفراء.

وقال آخرون: كان كتاب الدين والإشهاد والرهن فرضاً ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ﴾ (البقرة: ٢٨٣) وهو قول الشعبي.

ثم بين كيفية الكتابة فقال عزَّ مَنْ قائل: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ﴾ وقرأ الحسن وليكتب بكسر اللام، وهذه اللام، لام الأمر ولا يؤمر بها غير الغائب، وهي إذا كانت مفردة فليس فيها إلا الحركة، فإذا كانت قبلها واو أو فاء أو ثم، فأكثر العرب على تسكينها طلباً للخفة ومنهم مَنْ يكسرها على الأصل.

ومعنى الآية: وليكتب كتاب الدين. بيع البائع والمشتري والطالب والمطلوب. كاتب بالعدل أي بالحق والإنصاف فلا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا يقدم الأجل ولا يؤخره ولا يكتب به شيئاً يبطل به حقاً لأحدهما لا يعلمه هو.

﴿وَلَا يَأْبَ﴾: ولا يمتنع ﴿كَاتِبًا أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾: وذلك أن الكتاب كانوا قليلاً على عهد رسول الله ﷺ.

واختلف العلماء في وجوب الكتابة على الكاتب والشهادة على الشاهد، فقال مجاهد والربيع: واجب على الكاتب أن يكتب إذا أمر. وقال الحسن: ذلك في الموضع الذي لا يقدر فيه على كاتب غيره فيضرب صاحب الدين إن امتنع، فإذا كان كذلك فهو فريضة، وإن قدر على كاتب غيره فهو في سعة إذا قام به غيره.

وقال الضحاك: كانت هذه عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد فנסخها قوله: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

السدى: هو واجب عليه فى حال فراغه.

﴿وَلِيَمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾: المديون والمطلوب يقرّ على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه، والإملاء والإملاء لغتان فصيحتان جاء بهما القرآن.

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا تُوَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان: ٥).

أصل الإملاء: إعادة الشىء مرّة بعد مرّة والإلحاح عليه. قال الشاعر:

ألا يا ديار الحى بالسبعان أملّ عليها بالبلى الملوان

ثم خوّفه فقال: ﴿وَلَيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أى لا يتقص من الحقّ الذى عليه شيئاً، يقال: بخسه حقّه وبخسه إذا أنقصه ونظائرها فى القرآن كثيرة.

﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾: يعنى وإن كان المطلوب الذى عليه المال ﴿سَفِيهَا﴾، جاهلاً بالمال، قاله مجاهد، وقال الضحاك والسدى: طفلاً صغيراً ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ أو شيخاً كبيراً.

السدى وابن زيد: يعنى عاجزاً أحمق ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَلِّهُهُ﴾ لخرس أو عى أو غيبة أو عجمة أو زمانة أو حبس لا يمكنه حضور الكتاب أو جهل ماله عليه ﴿فَلْيَمْلِلْ وَلِيَّهُ﴾ أى قيّمه ووارثه.

ابن عباس والربيع ومقاتل: يعنى فليملل لى الحق وصاحب الدين لأنّه أعلم بدينه ﴿بِالْعَدْلِ﴾ بالصدق والحق والإنصاف ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا﴾ هذا السين للسؤال والطلب ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ شاهدين ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ يعنى الأحرار البالغين دون العبيد والصبيان ودون أحرار الكفّار. وهذا مذهب مالك والشافعى وأبى حنيفة وسفيان وأكثر الفقهاء.

وأجاز شريح وابن سيرين بشهادة العبد وهو قول أنس بن مالك. وأجاز بعضهم شهادتهم فى الشىء التافه. ﴿فَإِنْ أُرِيكُنَا رَجُلَيْنِ﴾ يعنى فإن لم يكن الشاهدان رجلين ﴿فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ﴾ أو فليشهد رجل وامرأتان.

وأجمع الفقهاء على أنّ شهادة النساء جائزة مع الرجال فى الأموال، واختلفوا فى غير الأموال. وكان مالك والأوزاعى والشافعى وأبو عبيد وأبو ثور وأحمد لا يجيزونها إلا فى الأموال. وكان أبو حنيفة وسفيان وأصحابهما يجيزون شهادتين مع الرجل فى كلّ شىء ما عدا الحدود والقصاص ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ يعنى من كان مرضياً فى ديانته وأمانته وكفائه.

قال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه: من أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه، ومن

أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه، وإذا حمد الرجل جاره وقرائبه ورفيقه فلا تشكوا في صلاحه.

وقال إبراهيم النخعي: العدل: مَنْ لم يظهر منه ريبة. وقال الشعبي: العدل: مَنْ لم يطعن عليه في بطن ولا فرج.

وقال الحسن: هو مَنْ لم يعلم له خزية. وقال النبي ﷺ: «لا يجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدّاً ولا ذى غمر على أخيه ولا مجرّب عليه شهادة زور ولا التابع مع أهل البيت - يعنى الخادم لهم - ولا الظنين فى ولاء - لا قرابة».

وجملة القول فيمن تقبل شهادته: أن تجتمع فيه عشر خصال: يكون حراً بالغاً مسلماً عدلاً عالمًا بما يشهد به ولا يجرب بشهادته إلى نفسه منفعة ولا يدفع عن نفسه مضرة ولا يكون معروفًا بكثرة الغلط ولا يترك المروءة ولا يكون عنده لين ولا يشهد عليه عبده، فإذا اجتمعت فيه هذه الخصال كان مقبول القول جائز الشهادة.

وتقبل شهادة النساء على الانفراد لا رجل معهن فى أربعة مواضع: عيوب النساء وهو ما يكون عيباً فى موضع هى عورة منها - فى الحرّة فى جميع بدنّها إلاّ وجهها وكفّيها، ومن الأمة ما بين سرّتها إلى ركبّتها - وفى الرضاع، وفى الولادة، وفى الاستهلال.

ولا خلاف فى ذلك كلّهُ إلاّ فى الرضاع. وإن أبا حنيفة ذهب إلى أنّ شهادة النساء على الانفراد لا تقبل فيه حتّى يشهد رجلان أو رجل وامرأتان.

وأما صفة الشهادة فروى طاوس عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ عن الشهادة فقال: «ترى الشمس؟».

قال: نعم، قال: «على مثلها فاشهد أو دع» وعن عبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جدّه أن رسول الله ﷺ قال: «أكرموا الشهود فإنّ الله عزّ وجلّ يستخرج بهم الحقوق ويدفع بهم الظلم».

خارجة بن نور عن عبد الرحمن بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حبس ذكراً حقّاً بعدما تقبض ما فيه ثلاثاً فعليه قيراط من الإثم».

«أَنْ تَضِلَّ إِحْدَهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى»: قرأ الأعمش وحمزة: «إن» بكسر الألف (فتذكر) رفعاً، ومعناه الجزاء والابتداء، وموضع (تضل) جزم للجزاء إلاّ أنه لا يتبيّن فى التضعيف (فتذكر) رفع لأن ما بعد فاء الجزاء مبتدأ.

وقرأه العامة بنصب الألف، فالفاء على الاتصال بالكلام الأوّل وموضع (أن) نصب بنزع

حرف الصفة يعنى لأن، و(تضل) محلّه نصب بأن (فتذكر) مسوق عليه . ومعنى الآية : فرجل وامرأتان كى تذكر إحداهما الأخرى إن ضلّت .

وهذا من المقدم والمؤخر، كقولك : إنّه ليعجبني أن يسأل فيعطى ، يعنى : يعجبني أن تعطى السائل إذا سأل ؛ لأن العطاء تعجب لا السؤال . قال الله : ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ (القصص: ٤٧) الآية .

ومعناه : لولا أن يقولوا إذا أصابتهم مصيبة : هلاً أرسلت إلينا رسولاً .

ومعنى قوله (أن تضل) : أى تنسى ، كقوله : ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ (طه: ٥٢) . وقوله : ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (الشعراء: ٢٠) و﴿حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا﴾ (النحل: ٣٦) وذهب قول العرب : ضل الماء فى اللبن ، وقال الله : ﴿وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ (السجدة: ١٠) وقرأ عاصم الجحدري : أن تضلّ إحداهما بضمّ التاء وفتح الضاد على الجهول ، وقرأ زيد بن أسلم : فتذكر من المذاكرة .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبو حاتم وقتيبة : فتذكر خفيفة ، وقرأ الباقر مشدداً . وذكر وأذكر بمعنى واحد كما يقال : نزل وأنزل وكرم وأكرم ، وهما معاً الذكر الذى هو ضد النسيان قال الشاعر :

تذكرنيه الشمس عند طلوعها وتعرض ذكرها إذا غربها أفل

قال أبو عبيد : حدثت عن سفيان بن عيينة أنّه قال : هو من الذكر ، يعنى أنّها إذا شهدت مع أخرى صارت شهادتهما كشهادة الذكر .

قلت : هذا القول لا يعجبني لأنّه معطوف على النسيان والله أعلم .

﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهْدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قال بعضهم : هذا فى محمل الشهادة وهو أمر إيجاب .

قال قتادة والربيع : كان الرجل يطوف فى الحى العظيم فيه القوم فيدعوهم إلى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال الشعبي : هو مخير فى تحمل الشهادة إذا وجد غيره ، فإن شاء شهد وإن شاء لم يشهد ، فإذا لم يوجد غيره فترك إلا ما فرض عليه . وقال بعضهم : هذا أمر نذب وهو مخير فى جميع الأحوال إن شاء شهد وإن شاء لم يشهد . وهو قول عطاء وعطية .

وقال أبو بحريّة : قلت للحسن : أدعى إلى الشهادة وأنا كاره ، قال : فلا تجب ولا تشهد إن شئت . وقال مغيرة : قلت لإبراهيم . إنى أدعى إلى الشهادة وإنى أخاف أن أنسى ، قال : فلا تشهد إن تحب .

وقال بعضهم: هذا فى إقامة الشهادة وأدائها، ومعنى الآية: ولا ياب الشهداء إذا ما دعوا لإقامة الشهادة إذا كانوا قد شهدوا قبل ذلك. وهو قول مجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدى، وروى سفيان عن جابر عن عامر قال الشاهد بالخيار ما لم يشهد. وقال الحسن والسدى هذه الآية فى الأمرين جميعاً فى التحمّل والإقامة إذا كان فارغاً.

﴿وَلَا تَسْمُوا﴾: ولا تملؤا يقال: سئمت أسام أساماً وسامة، قال زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولاً لا أباً لك يسأم

وقال لبيد:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

وأن فى محلّ النصب من وجهين: إن شئت جعلته مع الفعل مصدرًا وأوقعت السامة عليه، تقديره: ولا تسأموا كتابته، وإن شئت نصبت بنزع حروف الصفة، تقديره: ولا تسأموا من أن تكتبوه، والهاء راجع إلى الحق.

وقرأ السلمى: ولا يسأموا بالياء.

﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ كان الحقّ ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾ قليلاً كان المال أو كثيراً، وانتصاب الصغير والكبير من وجهين: أحدهما على الحال والقطع من الهاء، والثانى أن تجعله خبراً لكان وأضمر، يعنى: ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً كان الحق أو كبيراً.

﴿إِلَى أَجْلِي﴾: إلى محلّ الحقّ ﴿ذَلِكَ﴾ الكتاب ﴿أَقْطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لأتته أمر به، واتباع أمره أعدل من تركه ﴿وَأَقْوَمُ﴾ وأصوب ﴿لِلشَّهَدَةِ وَأَذْنِي﴾ وأحرى وأقرب إلى ﴿إِلَّا تَرْتَابُوا﴾ تشكّوا فى الشهادة ومبلغ الحق والأجل إذا كان مكتوباً، نظير قوله: ﴿ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَةِ عَلَىٰ وَجْهِي﴾ (المائدة: ١٠٨) وهو أفعال من الدنو، ثم استثنى فقال:

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾: قرأها عاصم بالنصب على خبر كان وأضمر الاسم، مجازة: إلا أن تكون التجارة تجارة، والمبايعة تجارة.

وأنشد الفراء:

لله قومى أى قوم بحرة إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعا
أى إذا كان اليوم يوماً.

وأنشد أيضاً:

أعنى هل تبكيان عفاقاً إذا كان طعنًا بينهم وعناقاً
أراد إذا كان الأمر.

وقرأ الباقر بالرفع على وجهين: أحدهما: أن يكون معنى الكون الوقوع، أراد: إلا أن تقع تجارة، وحينئذ لا خبر له.

والثاني: أن يجعل الاسم في التجارة والخبر في الفعل، وهو قوله تعالى: ﴿تَدِيرُونَهَا بِيْنَكُمْ﴾ تقديره: إلا أن تكون حاضرة دائر بينكم، ومعنى الآية: إلا أن تكون تجارة حاضرة يدا بيد تديرونها بينكم ليس فيها أجل ولا نسيئة.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾: يعنى التجارة ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: قال الضحاك: هو عزم من الله عز وجل، والإشهاد واجب فى صغير الحق وكبيره نقده ونسأه ولو على باقة بقل وهو اختيار محمد بن جرير.

وقال أبو سعيد الخدرى: الأمر فيه إلى الأمانة: قال الله فإن أمن بعضكم بعضاً. وقال الآخرون: هو أمر ندب إن شاء أشهد وإن لم يشأ لم يشهد ثم قال: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: هو نهى الغائب، وأصله يضارر فأدغمت الراء فى الراء ونصبت لحق التضعيف لاجتماع الساكنين، والفتح أخف الحركات فحركت إليه.

وأما تفسير الآية، فأجراها بعضهم على الفعل المعروف، وقال: أصله يضار بكسر الراء وجعل الفاعل الكاتب والشهيد، معناه: ولا يضار كاتب فيكتب ما لم يمل عليه يزيد أو ينقص أو يحرف، ولا شهيد فيشهد ما لم يشهد عليه أو يمتنع من إقامة الشهادة، وهذا قول طاوس والحسن وقتادة وابن زيد، وأجراه آخرون على الفعل المجهول وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين وقالوا: أصله لا يضار.

ومعنى الآية: هو أن الرجل يدعو الكاتب أو الشهيد وهما على حاجة مهمّة فيقولان: إنا مشغولان فاطلب غيرنا، فيقول الذى يدعو: إن الله أمر كما أن تجيبا فى الكتابة والشهادة ويلحّ عليهما ويشغلها عن حاجتهما فهى الله عز وجلّ عن مضارتهما وأمر أن يطالب غيرهما.

وقال الربيع بن أنس: لما نزلت هذه الآية ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ ﴿وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾. كان أحدهما يجرى إلى الكاتب فيقول له اكتب، فيقول: إنى مشغول، أولى حاجة فانطلق إلى غيرى، فيلزمه ويقول: إنك قد أمرت بالكتابة، فلا يدعه فيضاره بذلك وهو يجد غيره. وكذلك يفعل مع الشاهد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

ودليل هذا التأويل قراءة عمر وأبى وابن مسعود ومجاهد: ولا يضارر كاتب ولا شهيد بإظهار التضعيف على وجه ما لم يمنع ولا يضارر.

وقرأ أبو جعفر: ولا يضار، مجزوماً مخففاً ألقى راء واحدة أصلاً، وقرأ الحسن ولا يضار بكسر الراء مشدداً.

﴿وَإِنْ تَقُولُوا﴾: ما نهيتكم عنه من الضراء ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾: خروج عن الأمر ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَعَلِمَكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿.



﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوْتِمِنَ أَمَنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْفُرُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ عَاقِبَةُ قَلْبِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿﴾ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿﴾ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿﴾

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾: قرأ ابن عباس وأبو العالية ومجاهد: كتاباً، وقالوا: ربما وجد الكاتب ولم يجد المداد ولا الصحيفة، وقالوا: لم تكن قبيلة من العرب إلا كان فيها كاتب ولكن كانوا لا يقدر على القلم والدواة.

وقرأ الضحاك: كتاباً على جمع الكاتب. وقرأ الباقون: كاتباً على الواحد وهو الأنسب مع المصحف.

﴿فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً﴾: قرأ ابن عباس وإبراهيم وزر بن حبيش ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو: فرهن بضم الراء والهاء. وقرأ عكرمة والمنهال وعبد الوارث: فرهن بضم الراء وجزم الهاء، وقرأ الباقون: فرهان وهو جمع الرهن، ذلك نحو فعل وفعال، وحبل وحبال وكبس وكباش، وكعب وكعاب.

والرهن جمع الرهان: جمع الجمع، قاله الفراء والكسائي. وقال غيرهما وأبو عبيدة: هو جمع الرهن. قالوا: ولم نجد فعلاً على فعل إلا ثمانية أحرف: خَلَقَ وَخُلِقَ، وَسَقَفَ وَسُقِفَ،

وَقَلْبَ وَقُلُوبَ، وَجَدَّ وَجُدُّ بِمَعْنَى الْحِظِّ، وَثُطُّ وَثُطُّ، وَوَرْدٌ وَوَرْدٌ، وَسَرٌّ وَسَرٌّ. وَرَهْنٌ وَرَهْنٌ.
 قَالَ الْأَخْطَلُ وَعَمْرُو بْنُ أَبِي عَوْفٍ . . . (١) بِهِ حَتَّى يَغَادِرَهُ الْعُقْبَانُ وَالنَّسْرُ.
 وَأَنْشُدِ الْفَرَاءَ:

حتى إذا بلّت حلاقيم الحلق أهوى لأدنى فقرة على شفق
 وقال أبو عمرو: وإِنَّمَا قرأنا (فرُّهُن) ليكون فرقاً بينها وبين رهان الخيل، وأنشد لقعناب ابن
 أم الصاحب:

بانث سعاد وأمسى دونها عدن وغلّقت عندها من قلبك الرهن
 أى وحب لها.

والتخفيف والتثقيب فى الرهن لغتان مثل كُتِبَ وكتب ورسِلَ ورسِل.

ومعنى الآية: وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً الآن للكتابة فارتهنوا ممن تدينونه رهوناً
 ليكون وثيقة لكم بأموالكم. وأجمعوا: أن الرهن لا يصح إلا بالقبض، وقال مجاهد: ليس
 الرهن إلا فى السفر عند عدم الكاتب. وأجاز غيره فى جميع الأحوال. ورهن رسول الله ﷺ
 درعه عند يهودى.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾: مدنى. حرف أبى (فإن آمن): يعنى: فإن كان الذى عليه الحق
 أميناً عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيئاً لثقتة وحسن ظنه ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِيَ﴾ افتعل من
 الأمانة، وهى الثقة كتبت همزتها وواواً لانضمام ما قبلها ﴿أَمْسَنَتْهُ وَلِيَتَّقِيَ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ فى أداء الحق.
 ثم رجع إلى خطاب اليهود فقال: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذا دُعيتم إلى إقامتها، وقرأ
 السلمى: ولا يكتبوا بالياء ومثله يعملون.

ثم ذكر وعيد كتمان الشهادة فقال عز من قائل: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ عَلَيْهِ﴾. فاجر قلبه وهو
 ابتداء وخبر. وقرأ إبراهيم بن أبى عيلة: فإنه أثم قلبه على وزن أفعّل أى جعل قلبه أثماً.
 ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: من بيان الشهادة وكتمانها. روى مكحول عن أبى بردة عن أبىه عن
 النبى ﷺ قال: «مَنْ كَتَمَ الشَّهَادَةَ إِذَا دُعِيَ، كَانَ كَمَنْ شَهِدَ بِالزُّورِ».

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: الآية. اختلف العلماء فى هذه الآية، فقال قوم: هى
 خاصة. ثم اختلفوا فى وجه خصوصها، فقال بعضهم: نزلت فى كتمان الشهادة وإقامتها
 يعنى: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أيها اليهود من كتمان الشهادة ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ الكتمان ﴿يُحَاسِبُكُمْ﴾
 به الله ﷻ وهو قول الشعبى وعكرمة ورواية مجاهد ومقسم عن ابن عباس، يدل عليه قوله فيما

(١) بياض بالأصل المخطوط.

قبله: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِاللَّهِ﴾.

وقال بعضهم: نزلت هذه الآية فيمن يتولّى الكافرين من المؤمنين. يعنى: وإن تعلموا فى أنفسكم من ولاية الكفار أو تستروه يحاسبكم الله. وهو قول مقاتل والواقدي. يدلّ عليه قوله فى آل عمران: ﴿قُلْ إِنْ تَخْفَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوهُ﴾ من ولاية الكفار ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٢٩) يدلّ عليه ما قبله.

وقال آخرون: هذه الآية عامّة. ثم اختلفوا فى وجه عمومها، فقال بعضهم: هى منسوخة.

روت الرواية بألفاظ مختلفة. قال: لما نزلت هذه الآية جاء أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وناس من الأنصار إلى النبي ﷺ فجلسوا على الركب وقالوا: يا رسول الله والله ما نزلت آية أشد علينا من هذه الآية وإننا لا نسر أن يكون لأحدنا الدنيا وما فيها وإننا لما خوذون بما نحدث به أنفسنا هلكننا والله، فقال النبي ﷺ: «هكذا نزلت». قالوا: هلكننا وكلفنا من العمل ما لا نطبق.

قال: «فلعلكم تقولون كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا».

واشدد ذلك عليهم فمكثوا بذلك حولاً، فأنزل الله عزّ وجلّ الفرج والراحة بقوله تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فنسخت الآية ما قبلها. فقال النبي ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ قد تجاوز لأمتي ما حدثوا به أنفسهم ما لم يعملوا أو يتكلّموا به». وهذا قول ابن مسعود وأبى هريرة وعائشة وابن عباس برواية سعيد بن جبير وعطاء، ومن التابعين وأتباعهم محمد بن سيرين ومحمد بن كعب وموسى بن عبيدة وقتادة والكلبي وشيبة.

قال سعيد بن مرجانة: بينما نحن جلوس عند عبد الله بن عمر إذ تلا هذه الآية ﴿وَأِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾.

فقال ابن عمر: إن أخذنا الله بها لنهلكن، ثم بكى حتى سُمع. قال ابن مرجانة: فذكرت ذلك لابن عباس فقال: يغفر الله لأبى عبد الرحمن فقد وجد المسلمون منها حين نزلت مثل ما وجد فأنزل الله ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. وكانت الوسوسة ممّا لا طاقة للمسلمين بها، فصار الأمر إلى القول والفعل به فنسخت تلك الآية.

وقال بعضهم: هذه الآية محكمة غير منسوخة، لأن النسخ والأخبار غير جائز إلا فى خبر فيه أمر أو نهى أو شرط. ثم اختلفوا فى وجه تأويلها فقال قوم من أهل المعانى: قد أثبت الله

عزّ وجلّ للقلب كسباً فقال: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٥). وكلّ عامر مأخوذ بكسبه ومجازى على عمله، فلا تظنّ الله عزّ وجلّ بتارك عبداً يوم القيامة أسراً أمراً أو أعلنه من حركة فى جوارحه أو همسة فى قلبه دون أن يعرفه إياه ويخبره به، ثم يغفر ما شاء لمن يشاء ويعذب من شاء بما يشاء.

معنى الآية: وإن تظهروا ما فى أنفسكم من المعاصى فتعملوه أى تضمروا إرادتها فى أنفسكم فتخفوها يخبركم به ويحاسبكم عليه، ثم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

وهذا معنى قول الحسن، والربيع، وقيس بن أبى حازم، ورواية الضحاك عن ابن عباس يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦).

وقال آخرون: معنى الآية أن الله تعالى يُحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم وأخفوه، ويعاقبهم عليه غير أن معاقبته إيّاهم على ما أخفوه ممّا لم يعملوها، بما يحدث فى الدنيا من النوائب والمصائب والأمرات التى يحزنون عليها ويألمون بها، وهذا قول عائشة، روى بأنّها سُئلت عن هذه الآية فقالت: ما سألت عنها أحداً فقد سألت رسول الله ﷺ فقال: «يا عائشة هذه معاتبه الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة والبضاعة يضعها فى جيبه فيفقدّها فيفرغ لها فيجدها فى جيبه، حتّى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكيس».

يدلّ عليه قوله: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوًّا يُجْزِ بِهِ﴾ (النساء: ١٢٣) يعنى فى الدنيا.

وقال مجاهد: فى رواية منصور وابن أبى جريج قال: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوْهُ﴾ يعنى من اليقين والشك.

وقال جعفر بن محمد: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يعنى الإسلام ﴿أَوْ تُخْفُوْهُ﴾. يعنى الإيمان. وقال بعضهم: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يعنى ما فى قلوبكم ممّا عرفتم وعقدتم عليه ﴿أَوْ تُخْفُوْهُ﴾ فلا تبدوه وأنتم مجتمعون وعازمون عليه، ويحاسبكم به الله، فأما ما حدثتم به أنفسكم ممّا لم تعزموا عليه فإن ذلك ممّا لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها ولا يؤاخذ به. ودليل هذا التأويل قوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغُوِّ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٥).

وعن عبد الله بن المبارك قال: قلت لسفيان: ليؤاخذ العبد الهمة، قال: إذا كان عزماً أخذ بها. وعن عمرو بن جرير قال: خرجت وأنا شاب لأمر هممت به، فمررت بأبى طالب الناقص والناس مجتمعون عليه وكان أولّ شىء تكلم به أن قال: أيّها الهامّ بالمعصية علمت أن

خالق الهمة مطلع على همّتك، قال: فخررت والله مغشياً عليّ، فما أفقت إلا عن توبة. وعن إسماعيل بن أبي خالد قال: أصابت بنى إسرائيل مجاعة فمرّ رجل على رمل فقال: وددت أن هذا الرمل دقيق لى فأطعمه بنى إسرائيل، فأعطى على نيّته. وعند عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كان رجل يطوف على العلماء. يقول: مَنْ يدلّنى على عمل لا أزال منه عاملاً لله عزّ وجلّ فإنّى أحب أن لا تأتى علىّ ساعة من الليل والنهار إلا وأنا عامل، فقيل: قد وجدت حاجتك فأعمل الخير ما استطعت، فإذا فترت أو تركته فهمّ بعمله إنّ الهامّ بعمل الخير كعامله. وهذا يعنى قول النبى ﷺ: «نية المؤمن خير من عمله» لأن العمل ينقطع والنية لا تنقطع.

وقال محمد بن على: معنى الآية: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من الأعمال الظاهرة ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ من الأحوال الباطنة، يحاسبكم به الله. العابد على أفعاله والعارف على أحواله. وقال بعضهم: إنّ الله يقول يوم القيامة: يوم تَبْلَى السرائر وتخرج الضمائر، وأن كتابى لم يكتبوا من أعمالكم إلا ما ظهر منها، وأنا مطلع على سرائركم ما لم يعلموه ولم يكتبوه فأنا أخبركم بذلك وأحاسبكم عليه لتعلموا أنّه لا يعزب عنى مثقال ذرة من أعمالكم ثم أغفر لمن شئت وأعذب من شئت.

فأما المؤمنون فيخبرهم بذلك ويغفر لهم ولا يؤاخذهم بذلك إظهاراً لفضله، وأما الكافرون فيخبرهم بها ويعاقبهم عليها إظهاراً لعدله.

فمعنى الآية: وإن تبدوا ما فى أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه ممّا أضمرتم وأسررتم وأردتم، يحاسبكم به الله ويخبركم ويعرّفكم إياه، فيغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين. وهذا معنى قول الضحاك والربيع ورواية العوفى والوالبى عن ابن عباس، ويدلّ عليه قوله: ﴿يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾. ولم يقل: يؤاخذكم، والمحاسبة غير المعاقبة، والحساب ثابت والعقاب ساقط، وممّا يؤيد هذا حديث النجوى وهو ما روى قتادة عن صفوان بن محرز قال: بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمرو إذ عرض له رجل فقال: يا ابن عمر ما سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى، فقال: سمعت نبى الله ﷺ يقول: «يدنو المؤمن من ربه حتّى يضع عليه كفّه فيقرره بذنوبه فيقول: هل أذنبت ببعض كذا، فيقول: ربّ أعرف، فيوقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً، فيقول الله: أنا الذى سترتها عليك فى الدنيا فأنا أغفرها لك اليوم لم يُطلع على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا.

وأما الكفّار والمنافقون فينادون على رؤوس الأشهاد هؤلاء الذى كذبوا على ربهم ألا لعنة

الله على الظالمين».

الأعمش عن معرور بن سويد عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى الرجل يوم القيامة فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه، فيعرض عليه، فيقال: عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا وهو يقر ولا ينكر ويخبأ عنه كبار ذنوبه وهو منها مشفق فيقول: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: إن لي ذنوباً ما أراها هاهنا».

قال: قال أبو ذر: فلقد رأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه.

وقال الحسين بن مسلم: يحاسب الله عز وجل المؤمنين يوم القيامة بالمنة والفضل، والكافرين بالحجة والعدل.

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: رفعهما أبو جعفر وابن عامر وابن محيصن والحسن وعاصم ويعقوب واختاره أبو حاتم، ونصبهما ابن عباس، وجزمها الباقون فالجزم على النسق والرفع على الابتداء أى فهو يغفر، والنصب على الصرف، وقيل: على إضمار (أن) الخفيفة. وروى طاوس عن ابن عباس: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ الذنب العظيم ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ على الذنب الصغير ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣).

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ» الآية. روى طلحة بن مصرف عن مرة عن عبد الله قال: لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدره المنتهى، فأعطى لنا الصلوات الخمس، وخواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً إلا المقحّمات.

وعن علقمة بن قيس عن عقبة بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «أنزل الله عز وجل آيتين من كنوز العرش كتبهما الرحمن عز وجل قبل أن يخلق الخلق بألفى سنة من يقولها بعد العشاء الآخرة مرتين أجزأتا عنه قيام الليل: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ﴾ إلى آخر السورة».

وروى أبو قلابة عن أبي الأشعث الهمداني عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام أنزل فيه آيتين فحتم بهما سورة البقرة، فلا يقرآن في دار فيقربها شيطان ثلاث ليال».

وروى عبد الرحمن عن بن زيد عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفياه».

موسى بن حذيفة عن ابن المنكر قال: حدثنا حديثاً رفعه إلى النبي ﷺ قال: «فى آخر سورة البقرة آيات إنهن قرآن وإنهن دعاء وإنهن يرضين الرحمن» وفى الحديث: أنه قيل للنبي ﷺ: إن بيت ثابت بن أويس بن شماس يزهر الليلة كالمصاييح، قال: «لعله يقرأ سورة

البقرة»، فسئل ثابت فقال: قرأت سورة البقرة.

﴿ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ قيل إن هذه الآية نزلت حين شقّ على أصحاب رسول الله ﷺ ما يوعدهم الله عزّ وجلّ به من محاسبتهم على ما أخفته نفوسهم، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ: فقال: «لعلكم تقولون سمعنا وعصينا كما قالت بنو إسرائيل»؟

فقالوا: بل نقول سمعنا وأطعنا، فأنزل الله عزّ وجلّ ثناءً عليهم وإخباراً عنهم: ﴿ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ﴾ أى صدق ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾. من ربّه قال قتادة: لما أنزلت ﴿ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ﴾، قال النبي ﷺ: «وحق له أن يؤمن».

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: وفى قراءة علىّ وعبد الله: وآمن المؤمنون ﴿كُلُّ ءَأَمَّنَ بِاللَّهِ﴾. وحّد الفعل على لفظ كلّ، المعنى: كلّ واحد منهم آمن، فلو قال: آمنوا، لجاز لأنّ (كلّ) قد تجىء فى الجمع والتوحيد، فالتوحيد قوله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ قَدِّ ظَمْرٍ صَلَاتُهُ، وَتَسْبِيحُهُ﴾ (النور: ٤١) والجمع قوله: ﴿كُلُّ إِنَّا رَاجِعُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٣) ﴿وَكُلُّ أُنُوفٍ ذَخِيرٍ﴾ (النمل: ٨٧).

﴿وَمَلَئِكِهِ وَكُتُبِهِ﴾: قرأ ابن عباس وعكرمة ويحيى والأعمش وحمزة والكسائى وخلف (وكتابه) على الواحد بالألف. وقرأ الباقون: ﴿وَكُتُبِهِ﴾ بالجمع، وهو ظاهر كقوله: (وملائكته.. ورسله).

والتوحيد وجهان: أحدهما: أنهم أرادوا القرآن خاصة، والآخر: أنهم أرادوا جميع الكتب. يقول العرب: كثر اللبن وكثر الدرهم والدينار فى أيدي الناس، يريدون الألبان والدراهم والدينانير. يدلّ عليه قوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ (البقرة: ٢١٣).

﴿وَرُسُلِهِ﴾ جمع رسول.

وقرأ الحسن وابن سلمة بسكون السين لكثرة الحركات، وكذلك روى العباس عن ابن عمرو، وروى عن نافع (وملائكته.. ورسله) مخففين، الباقون بالإشباع فيها على الأصل.

﴿لَا تَفَرَّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾: يؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى، وفى مصحف عبد الله لا تفرّقن.

قرأ جرير بن عبد الله وسعيد بن جبير وأبو زرعة بن عمرو بن جرير ويحيى بن يعمر والجحدري وابن أبى إسحاق ويعقوب: لا يفرّق بالياء على معنى لا تفرّق الكلّ، فيجوز أن يكون خبراً عن الرسول.

وقرأ الباقون بالنون على إضمار القول تقديره: وقالوا لا تفرّق كقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ

يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٤﴾ سَلَّمْ عَلَيْكُمْ ﴿الرعد: ٢٣، ٢٤﴾ وقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آسَدَتِ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ (آل عمران: ١٠٦) يعنى فيقال لهم: أكفرتم. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ (السجدة: ١٢) أى يقولون: ربنا ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ (الزمر: ٣) أى يقولون: ما نعبدهم.

وما يقتضى شيئين فصاعداً، وإنما قال (بين أحد) ولم يقل آحاد لأن الأحد يكون للواحد والجميع. قال الله: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَلِيزِينَ﴾ (الحاقة: ٤٧). وقال النبى ﷺ: «ما أحلت الغنائم لأحد سود الرؤوس غيركم». قال رؤبة:

ماذا أمور الناس ديكت دوگًا لا يرهبون أحداً رواگًا

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾: قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾: أمرك خلاف قول اليهود. وروى حكيم بن جابر أن جبرائيل عليه السلام أتى النبى ﷺ حين نزلت ﴿إِنَّمَا أَرْسُلْتُكَ﴾ فقال: إن الله عز وجل قد من عليك وعلى أمتك فاسأل تعط، فسأل رسول الله عز وجل فقال: غفرانك.

﴿غُفْرَانُكَ﴾: وهو نصب على المصدر أى اغفر غفرانك. مثل قولنا: سبحانك أى نسبحك

سبحانك.

وقيل معناه: نسألك غفرانك.

﴿رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا: ظاهر الآية قضاء الحوائج، وفيها إضمار السؤال والحاجة، كأنه قال لهم: تكلّفنا إلا وسعنا، فأجاب الله فقال: ﴿لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا﴾.

والوسع: اسم لما يسع الإنسان وما يشقّ عليه. وقيل: يشق ويجهد.

وقرأ إبراهيم بن أبى عبله الشامى: ﴿لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا﴾. بفتح الواو وكسر السين

على الفعل، يريد: إلا وسعها أمره، أو أراد إلا ما وسعها فحذف (ما).

واختلفوا فى تأويله، فقال ابن عطاء والسدى وأكثر المفسرين: أراد به حديث النفس، وذلك أن الله تعالى لما أنزل: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَافُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ جاء المؤمنون عامة وقالوا: يا رسول الله هذا لتتوب من عمل الجوارح، فكيف نتوب من الوسوسة وكيف نمتنع من حديث النفس؟

فأنزل الله: ﴿لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا﴾ أى طاقتها، وكان حديث النفس مما لم يطبقوا.

قال ابن عباس فى رواية أخرى: . . . (١) المؤمنون خاصة وسع الله عليهم أمر دينهم. ولم

(١) بياض بالأصل المخطوط.

يكلّفهم إلا ما هم له مستطيعون، فقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨)، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦).

قال الثعلبي: وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا عبد محمد بن نافع السجري بهراة قال: سمعت أبا يزيد حاتم بن محبوب الشامي قال: سمعت عبد الجبار بن العلاء العطار يقول: سئل سفيان بن عيينة عن قوله تعالى: ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْمَعًا﴾.

فقال: إلا يسرها لا عسرهما، ولم يكلّفها طاقتها ولو كلّفها طاقتها لبلغ المجهود منها.

قال الثعلبي: وهذا قول حسن لأنّ الوسع ما دون الطاقة، فقال: بعض أهل الكلام: يعنى إلا ما يسعها ويحل لها، كقول القائل: ما يسعك هذا الأمر؟ أى ما يحلّ الله لك؟ فبين الله تعالى أن ما كلف عباده فقد وسعه لهم والله أعلم.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: أى للنفس ما عملت من الخير والعمل الصالح، لها أجره وثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا أَكْسَبَتْ﴾: من الشرّ بالعمل السيء عليها وزره. ﴿رَبَّنَا لَا تَوَاخِذْنَا﴾: لا تعاقبنا.

قال أهل المعانى: وإنما خرج على لفظ المفاعلة وهو فعل واحد؛ لأنّ المسيء قد أمكر وطرق السبيل إليها وكأنّه أعان عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به فشاركه فى أخذه ﴿إِنْ نَسِيْنَا﴾. جعله بعضهم من النسيان الذى هو السهو.

قال الكلبي: كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئاً مما أمروا به وأخطئوا، عجلت لهم العقوبة فيحرمّ عليهم شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب، فأمر الله تعالى نبيه والمؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك.

وقال بعضهم: هو من النسيان الذى هو الترك والإغفال. قال الله تعالى: ﴿سُئِلُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (التوبة: ٦٧) والأول أجود.

﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: جعله بعضهم من القصد والعمد، يقال: خطئ فلان إذا تعمّد يخطأ خطأً وخطأً.

قال الله: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٣١). وأنشد أمية بن أبى الصلت:

عبادك يخطئون وأنت ربّ
يكفّيك المنايا والחסوم

وجعله الآخرون من الخطأ الذى هو الجهل والسهو وهو الأصح؛ لأن ما كان عمداً من الذنب غير معفو عنه، بل هو فى مشيئة الله تعالى ما لم يكن كفراً. قال عطاء: ﴿إِنْ نَسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ يعنى إن جهلنا أو تعمّدنا له.

وقال ابن زيد: إن نسينا شيئاً مما افترضته علينا، أو أخطأنا شيئاً مما حرّمته علينا.
وقال الزهري: سمع عمر رجلاً يقول: اللهم اغفر لي خطاياي، فقال: إن الخطايا مغفورة
ولكن قل: اللهم اغفر لي عمدي.

قال النبطي: حدثنا ابن فنجويه قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن شنبه قال: حدثنا عبد الله
ابن المصقّي السكري قال: حدثنا محمد بن المصلّي المحمدي، قال: حدثنا الوليد قال: حدثنا
مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «رُفِعَ عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا
عليه».

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾: قال بعضهم: يعنى عهداً وعقداً وميثاقاً ولا نطيق ذلك ولا
نستطيع القيام به فتعذبنا بنقصه: ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ يعنى اليهود فلم يقوموا به
فأهلكتهم وعذبتهم، هذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والضحاك والربيع ومقاتل والسدي
والكلبي وابن جريج والفراء، ورواية عطية وعلى بن أبي طلحة عن ابن عباس، يدل عليه
قوله: ﴿وَأَخَذْتُ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ (آل عمران: ٨١) أى عهدي.

وقال بعضهم: الإصر: الثقل، أى لا تشقق علينا ولا تشدد ولا تغلظ الإصر علينا كما
شددت على من كان قبلنا من اليهود، وذلك أن الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة،
وأمرهم بأداء ربح أموالهم فى الزكاة، ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها، ومن أصاب منهم ذنباً
أصبح وذنبه مكتوب على بابه، ونحوها من الأثقال والأغلال التى كانت عليهم. وهذا معنى
قول عثمان بن عطاء ومالك بن أنس وأبى عبيدة والمؤرخ والقتيبي وابن الأنباري يدل عليه
قوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

وقال ابن زيد: معناه: لا تحمل علينا ذنباً ليس فيه توبة ولا كفارة وإلا يفعل فى هذه كلها
العقد والأحكام، ويقال للشئ الذى تعقد به الأشياء: الإصر، ويقال: بينه وبين فلان أصرة
رحم، وما تأصرنى، أى ما يعطفنى عليه عهد ولا قرابة.

وقال: أنشدنى أبو القاسم السدوسى، قال: أنشدنى السميع بن محمد الهاشمى، قال:
أنشدنا أبو الحسن العبسى، قال: أنشدنا العباس بن محمد الدورى الشافعى:

إذا لم تكن لامرئ نعمةً لدى ولا بيننا أصرة

ولا لى فى وده حاصل ولا نفع فى الدنيا ولا الآخرة

وأفنيت عمري على بابه فتلك إذا صفقة خاسرة

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾: أى لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق، هذا قول قتادة

والضحاك والسدى وابن زيد. وقال بعضهم: هو حديث النفس والوسوسة. وعن أبي ثوبان عن أبيه عن مكحول في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾^(١) قال... وعن أبي القاسم عن مالك الشامي أن أبا إدريس الخولاني كان يأتي أصحابه ويقول: اللهم أعذني...^(١) جرف إلى جنهم.

سفيان بن الثوري عن منصور عن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾. قال: المشقة.

وعن أبي القاسم عبد الله بن يحيى بن عبيد قال: سمعت أبا القاسم عبد الله بن أحمد قال: سمعت محمد بن عبد الوهاب ﴿وَلَا تُحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: يعني العشق. قال خياب: حضرت مجلس ذى النون المصرى فى فسطاطه، فتكلم ذلك اليوم فى محبة الله فمات أحد عشر نفساً فى المجلس، فصاح لا يحل من المريد بر فقال: يا أبا القيس ذكرت محبة الله فاذكر محبة المخلوقين، فتأوه ذو النون تأوها شديداً ومدّ يده إلى وجهه ووقف منتصباً وقال له: خلقت قلوبهم واستعبرت وتألّفوا السهاد، وفارقوا الرقاد فليلهم طويل ونومهم وقيل أحزانهم لا تعد، وهمومهم لا تعقد، أمورهم عسيرة، ودموعهم غزيرة، باكية عيونهم، قريحة جفونهم، عاداهم الرفاق والأهل والجيران. وقال يحيى: لو تركت العقوبة بيدي يوم القيامة ما عذّبت العشاق؛ لأنّ ذنوبهم اضطراراً لا اختياراً.

قال ابن جريج: هو مسخ القردة والخنازير، وقال بعضهم: هو شماتة الأعداء.

وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه قال: قيل لأبيوب عليه السلام: ما كان أشق عليك فى طول بلائك؟ قال: شماتة الأعداء. وأنشد ابن الأعرابي:

كلّ المصائب قد تمرّ على الفتى فتهون غير شماتة الحُساد

إنّ المصائب تنقضى أيامها وشماتة الأعداء بالمرصاد

وقيل: هو القطيعة والفرقة نعوذ بالله منها. وقيل: قطع الأوصال أيسر من قطع الوصال، وقال النّظام: لو كان للبين صورة لما راع الذنوب ولهدها الجبال ولجمر الغضا أقل من...^(١) ولو عذّب الله سبحانه أهل النار بالفراق لاستراحوا إلى حرّ العذاب.

﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾: أى تجاوز واصفح عن تقصيرنا وذنوبنا ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾: واستر علينا ذنوبنا وتجاوز علينا ولا تعاقبنا ﴿وَأَرْحَمْنَا﴾: فإننا لا ننال العمل لطاعتك ولا ترك معصيتك إلاّ

(١) بياض بالأصل المخطوط.

برحمتك، وقيل: واعف عنا من المسخ، واغفر لنا السيئات، وارحمنا من القذف. وقيل: واعف عنا من الأفعال، واغفر لنا من الأقوال، وارحمنا من العقود والأضمان. وقيل: واعف عنا الصغائر، واغفر لنا الكبائر، وارحمنا بتثقيل الميزان مع إفلاسنا. وقيل: وأعف عنا في سكرات الموت، واغفر لنا في ظلمة القبر، وارحمنا في ظلمة القبر.

﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾: أى ناصرنا وحافظنا وولينا ووال بنا ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

عطاء عن سعيد عن ابن عباس فى قول الله تعالى: ﴿ءَأْمَنَ الرَّسُولُ﴾ إلى قوله: ﴿وإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ قال: قد غفرت لكم ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: لا أو اخذكم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ قال: لا أحمل عليكم ﴿وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: لا أحملكم ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَآغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين.

وروى سفيان عن أبى إسحاق عن رجل عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم البقرة قال:

أمين.

يتلوه سورة آل عمران.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خير الأولين والآخرين وعلى آله الطيبين الطاهرين أجمعين وسلم.

قال مسروق: نعم كنز الصعلوك سورة البقرة وآل عمران يقرؤها من آخر الليل.

وقال وهب بن منبه: من قرأ ليلة الجمعة سورة البقرة وآل عمران كان له نور ما بين عجبيا

إلى غربيا. وعجبيا الأرض السابعة وغربيا العرش.

وقال مسروق: مَنْ قرأ سورة البقرة فى ليلة توجَّ بها.

وفى الحديث: السورة التى يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن.

سؤال: فإن قيل: أيجوز أن يحمل الله أحداً ما لا يطيق؟.

قال الزجاج: قيل له: إن أردت ما ليس فى قدرته، فهو محال، وإن أردت ما يتقل عليه،

فله تعالى أن يفعل من ذلك ما شاء لأن كلفه بنى إسرائيل من قتل أنفسهم ثقل عليهم وهذا

كقولك: ما أطيق كلام فلان، فليس المعنى ليس فى قد قدرتك ولكن معناه أن يتقل عليك.

فإن قيل : هل يجوز على العادل أن يكلف فوق الوسع؟
 قيل : قد أخبر عن سعته ورحمته وعطفه على خلقه كما نفى الظلم عن نفسه ، وإن كان لا
 يتوهم منه الظلم بحال .
 وقال قوم : لو كلف فوق الوسع لكان له ؛ لأن الخلق خلقه ، والأمر أمره ، ولكنه أخبر أنه
 لا يفعله . والسلام .



انتهى بفضل الله تعالى الجزء الأول من تفسير الشعبي
 ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني وأوله : سورة آل عمران



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة المحقق
٣	مقدمة المؤلف
١٩	سورة الفاتحة
٦١	سورة البقرة